

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣١٦ /

/ سورة الصف وتسمى الحواريين

مقصودها الحث^٢ على الاجتهاد التام في^٣ الاجتماع على قلب^٤ واحد في جهاد من دعت المنتحة إلى البراءة منهم، بحملهم على الدين الحق، أو محققهم عن جديد الأرض أقصى الحق، تنزيها للملك^٥ الأعلى عن الشرك، وصيانة لجناحه الأقدس عن الإفك، ودلالة على الصدق في البراءة منهم^٥ والعداوة لهم، فهي^٦ نتيجة سورة التوبة، وأدل ما فيها على هذا المقصد الصف بتأمل آيته، وتذكر ما له^٧ من جليل النفع في أوله وأثنائه [وغايته -^٨]، وكذا الحواريون ﴿بسم الله﴾ الملك الأعظم الذي له الأمر كله لأنه لا كفوء له ﴿الرحمن﴾ الذي عم بنعمة^٩ البيان عما يرضيه عن شاقه، فقد شرع لكل أحد أن يردّه أو يقبله ﴿الرحيم﴾^{١٠} الذي خص^{١١} بآتمام الإنعام الموصل إلى دار السلام من شاء من عباده فهياه لذلك وأهله .

-
- (١) الحادية واستون من سور القرآن الكريم ، مدينة وعدد آياتها ١٤ .
 (٢) زيد في الأصل : التام ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفاتها (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : على (٤) زيد في الأصل : رجل ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفاتها (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : الملك (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : فهو (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : فيه (٨) زيد من ظ و م .
 (٩) من ظ و م ، وفي الأصل : بنعمته (١٠) من م ، وفي الأصل وظ : خلق .

لما ختمت الممتحنة بالامر بتزييه سبحانه عن^١ تولى من يخالف
 أمره بالتولى عنهم والبراة منهم اتباعا لاهل الصفات المتجردين عن كل
 ما سوى الله لاسيما عن^٢ كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون،
 افتتحت الصف بما هو كالملة لذلك فقال: ﴿سبح لله﴾ أى أوقع التزييه
 ٥ الاعظم لللك الأعظم الذى له ﴿ما فى السموات﴾ من جميع الاشياء
 التى لا يغفل من أفلاكها ونجومها وغير ذلك من جواهرها وأعراضها^٣
 فى طلوعها وأفولها وسيرها فى ذهابها ورجوعها وإنشاء السحاب
 وإنزال المياه وغير ذلك. ولما كان الخطاب مع غير الخالص أكده
 فقال: ﴿وما فى الارض﴾ أى بامثال جميع ما يراد منه بما هو
 ١٠ كالأمر بالنسبة إلى أفعال العقلاء من نزول المياه وإخراج النبات من
 النجم والشجر وإنباج الحبوب والثمار - وغير ذلك من الأمور
 الصغار والكبار.

ولما كان امثال غير العاقل وعصيان العاقل ربما أوهم نقصا قال:
 ﴿وهو﴾ أى وحده لا شريك له ﴿العزیز﴾ أى العظيم النفع الذى
 ١٥ يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء، ويعسر الوصول [إليه-٥] ﴿الحكيم﴾
 أى الذى يضع الأشياء فى اتقن مواضعها، فما مكن العاقل من المعصية
 إلا لإظهار صفات الكمال من العلم والقدرة والحلم والكرم والرحمة

(١) من م، وفى الأصل و ظ: عن (٢) من م، وفى الأصل و ظ: من.
 (٣-م) من ظ و م، وفى الأصل: اعراضها وجواهرها (٤) من ظ و م، وفى
 الأصل: وبما (٥) زيد من ظ م (٦) من ظ و م، وفى الأصل: الحكم.

والغضب وغير ذلك، وقد علم بهذا التنزيه وختم آيته بهاتين الصفتين أنه تعالى منزّه عما تضمنته يأس الكفار المذكور [من - ١] أنه لا بعث وعن ٢ أن يجعل سبحانه لهم ٣ حظاً في الآخرة لأن كلا من عدم البعث والتبوية بين المسيء والمحسن قصص ٢ / .

٣١٧ /

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : افتتحت بالتسبيح لما ختمت ٥ به سورة الممتحنة من قوله " لا تتولوا قوما غضب الله عليهم " وهم اليهود ، ١ وقد تقدم الإيماء إلى ما استوجبا به هذا فأتبع بالتنزيه لما تقدم بيانه فانه مما تعقب به ذكر جرائم المرتكبات ولا يرد في غير ذلك ، ثم أتبع ذلك بأمر العباد بالوفاء وهو الذي حد لهم ٢ في الممتحنة ليتزهدوا عن حال مستوجب الغضب بنقيض الوفاء والمخالفة بالقلوب ١٠ [والالسة - ١] " يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم " ليأ بالسنتهم وطعنا في الدين " من " الذين قالوا [آمنا - ١] بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم " " ويقولون آمنا بالله و الرسول و اطعنا ثم يتولى فريق منهم " و بمجموع هذا استجمعوا ٢ اللعنة و الغضب فليل المؤمنين : " يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون " احذروا ان تشبه أحوالكم حال من استحق المقت و اللعنة ١٥ و الغضب ، ثم أتبع بحسن الجزاء لمن ٤ وفي قولنا و عقدا لسانا و ضميراً ، و ثبت على [ما - ١] أمر به فقال : " إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م ، وفي الأصل : انه يجعل لهم سبحانه .

(٣) من ظ و م ، وفي الأصل : انتهى (٤ - ٤) من ظ و م ، وفي الأصل : قدم .

(٥) من ظ و م ، وفي الأصل : بهم (٦) زيد من ظ (٧) في ظ : استحقوا .

(٨) من ظ و م ، وفي الأصل : لم .

صفا" - الآية ثم تناسج ما بعد. ولما كان الوارد من هذا الغرض في سورة
المنتحة قد جاء على طريق الوصية وسبيل النصح والإشفاق، أتبع
في سورة الصف بصريح العتب في ذلك والإنكار ليكون بعد [ما-] ^٥
تمهد في السورة قبل أوقع في الزجر، وتأمل كم بين قوله سبحانه
"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ" وما تضمنته من
الالطف، وبين قوله "لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا
مَا لَا تَفْعَلُونَ" - انتهى .

ولما تقدمت في المنتحة قصة الفتح الأعظم في شأن حاطب بن
أبي بلتمه رضي الله عنه وجعل منابذة الكفار بكل اعتبار علما على صحة
١٠ الهجرة وادعى التجرد لجهاد أعداء الله؛ وقصة الفتح السببي من تحریم
المؤمنات على المشركين وتحریم المشركين على المؤمنات في غزوة الحديبية،
و أبدى سبحانه في ذلك من الصنائع التي تعجز قوى الخلق عنها أن
رتب ما في الفتح السببي على ما في الفتح الفعلي الحقيقي، فجعل الأول
في الزمان آخر في الرتبة والآخر في الزمان أولا في الرتبة مع شدة
١٥ الإحكام في ترصيف النظام والبلوغ في الرشاقة والانسجام إلى حد
لا يطيقه نوافذ الأفهام مع بداعة المعاني وماتة المباني، وكان فعل من
ناصح الكفار بمن امن بلسانه وأذعن بجنانته وهاجر بأركانه نوع مناصحة

(١) من ظ و م، وفي الأصل: سبيل (٢) زيد من ظ و م (٣) تكرر في الأصل
نقط (٤) في م: التلطف (٥) من ظ و م، وفي الأصل: الانسجام (٦) من ظ
و م وفي الأصل: صالح (٧) من ظ و م، وفي الأصل: ادعى .

فعل من يقول ما لا يفعل [في منابذتهم والتجرد بعداوتهم ، فذكر
 أول هذه السورة من تنزيهه بالسنة أحوال ما لا يعقل - ١] ما ينجل
 المسلم بشيء من ذلك تأديا لأمثاله ، وتدريباً لمن يلم بشيء من المخالفة
 بiale ، وكان العاقل أولى^٢ من غيره بتنزيه جناب القدس بالطاعة ، فكيف
 [إذا - ١] كان ممن أقر بالإيمان وتقلد عهدة^٣ الإذعان ، وكان من عصي^٥
 / منهم مناديا على نفسه بمخالفة^٤ قوله لفعله ، و من نزهه حق تنزيهه لم يقصر
 في حق من حقوقه بتضييع شيء من أوامره كما أن تنزيه ما لا يعقل بأن
 لا يخالف شيئا من مراده ، قال مرهبا ببناء البعد والتوبيخ الذي من مبادئ
 الغضب والإنكار بالاستفهام والتعير بما يفهم أدنى مراتب الإيمان :
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى ادعوا الإيمان ﴿ لَمْ ﴾ قال في الكشف : هي ١٠
 لام الإضافة داخلية على " ما " الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف
 الجر في بم وفيم ومم وعم وإلام وعلام ، وإنما حذفت الألف لأن
 " ما " والحرف كشى واحد . ووقع استعمالها بزيادة هاء السكت أو الإسكان ،
 و من أسكن في الوصل فلاجرائه مجرى الوقف كما سمع ثلاثة أربعة
 بالهاء وإلقاء حركة الهمزة عليها محذوفة ، وقال الرضى في الموصول : إنها ١٥
 حذفت لأن^٦ لها صدر الكلام ولم يمكن تأخير الجار عنها فقدم وركب

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : والى (٣) من ظ و م ،
 وفي الأصل : جهده (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : بمحاة (٥) من ظ و م ،
 وفي الأصل : لا يخالفه (٦) زيد في الأصل : صدر الكلام ، ولم تكن الزيادة
 في ظ و م فحذفناها (٧) من م ، وفي الأصل و ظ : لأنها .

معها [حتى -^١] يصير المجموع موضوعا للاستفهام، فلا يسقط الاستفهام عن مرتبة الصدر، وجعل حذف الألف^٢ دليل التركيب^٣ (تقولون) أى من دعوى الإيمان التى مقتضاها إلزام الإخلاص فى جميع الأحوال (ما لاتفعلونه) أى ما لاتصدقونه بالفعل الذى يكون بغاية الرغبة ٥ والقوة فتخذوا العدو وليا بالإقبال عليه وإرسال النصيح إليه وقد تلفظتم بالإيمان الذى يستلزم المعادة لكل من كفر، وخلف الوعد فى نفسه [فبيع -^٤] ومع الخالق أقبح.

ولما كان ذلك مهلكا، رحم المخاطبين بتعظيمه لينجوا [أنفسهم -^٥] بالكف عنه فقال: (كبر) فقصده به التعجيب^٦ وهو تعظيم الأمر فى ١٠ قلوب السامعين لأن التعجب لا يكون إلا فى أمر خارج عن نظائره وأشكاله، وفسر ما قصد منه للدلالة على خلوصه فى المقت بقوله: (مقتا) أى عظم جدا وما أعظمه من بغض هو أشد البغض، وزاد فى تبشيعه^٧ زيادة فى التنفير منه بقوله: (عند الله) أى الملك الأعظم الذى يحقر عنده كل متعظم. ولما أبلغ فى تبشيعه تشوفت النفس ١٥ إلى المسند إليه ذلك قال: (ان تقولوا) أى عظم^٨ من تلك الجهة

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م، وفى الأصل: دليلا للتركيب.
(٢) زيد من ظ (٤) من م، وفى الأصل و ظ: التعجب (٥) من ظ و م، وفى الأصل: التعجب (٦) من ظ و م، وفى الأصل: تشيعه (٧) من ظ و م، وفى الأصل: اعظم.

أن^١ يقع في وقت من الاوقات أو حال من الاحوال قولكم (ما لا تفعلون هـ)
 وقال القشيري : [ويقال -^٢] : لم يتوعد الله على زلة بمثل ما توعد على
 هذا - انتهى . وكل ما ذكره في سبيلها صالح للسياسة قول^٣ بعضهم
 "لوندرى أحب الاعمال إلى الله لا جتهدنا فيه" ثم ولوا يوم أحد ، وتوانى
 بعضهم في الجهاد ، وكون صهيب رضى الله عنه تمثل يوم بدر رجلا آذى هـ
 المسلمين وأنكى فيهم وادعى غيره أنه قتله فأعجب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقال عمر / و عبد الرحمن بن عوف لصهيب [رضى الله عنهم -^٤] :
 أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنك قتلته ، فقال صهيب رضى الله عنه :
 إنما قتلته لله ولرسوله ، فأخبر عمر و عبد الرحمن رضى الله عنهما النبي
 صلى الله عليه وسلم فقال : أ كذلك أبا يحيى ، فقال : نعم يا رسول الله ، ١٠
 والتزام^٥ المنافقين أحكام الإسلام ، وتخلفهم^٦ لإخلافا في الامور العظام ،
 وكذا قصة حاطب رضى الله عنه .

ولما عظم ما يكرهه بعد ما ألهب به من تنزيه غير العاقل ، فكان
 العاقل جديرا بأن يسأل عما يحبه لينزهه به ، قال^٧ ذاكر الغاية^٨ التي هي
 أم^٩ جامعة [لكل -^٤] ما قبلها من المحاسن ، مؤكدا لأن الخطاب مع
 من قصر أو [هو -^١] في حكمه : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له جميع صفات ١٥

- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : او (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و م ، وفي
 الأصل : قل (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : التزام .
 (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : خطهم (٧-٧) من م ، وفي الأصل و ظ :
 ذكر للغاية (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : امر .

الكمال (يحب) أى يفعل فعل المحب مع (الذين يقاتلون) أى^١
 يوقعون القتال (فى سبيله) أى بسبب تسهيل طريقه الموصلة إلى رضاه
 إيقاعا مظروفا للسبيل ، لا يكون شئ منه كشيء^٢ خارج عنه ، فيقاتلون
 أعداء الدين من الشيطان بالذكر القلبي و اللسان ، والإنسان بالسيف و السنان
 ٥ (صفا) أى مصطفين حتى كأنهم فى اتحاد المراد على قلب واحد كما
 كانوا فى التساوى فى الاصطفاف كالبدن الواحد .

ولما كان الاصطفاف يصدق مع التقدم و التأخر اليسير نرى ذلك
 بقوله حالا بعد حال : (كأنهم) أى من شدة التراص^٣ و المساواة
 بالصدور و المناكب و الثبات فى^٤ المراكز (بنیان) و زاد فى التأكيد
 ١٠ بقوله : (مرصوص ٥) أى عظيم الاتصال شديد الاستحكام كأنما رص
 بالرصاص فلا فرجة فيه و لا خلل ، فان من كان هكذا كان جديرا بأن
 لا يخالف شئ من أفعاله شيئا من أقواله ، فالرص إشارة إلى اتحاد القلوب
 و النيات فى موالاته الله و معاداة من^٥ عاداه المتج لتسوية الصفوف فى
 الصلاة التى هى محاربة الشيطان ، و الحرب^٦ التى هى^٧ مقارعة حزبه أولى
 ١٥ الطغيان ، و الأفعال التى هى ثمرات الأبدان .

(١) زيد فى الأصل : الذين ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٢) من
 ظ و م ، وفى الأصل : بشئ (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : المراض (٤) من
 ظ و م ، وفى الأصل : و (٥ - ٥) من ظ و م ، وفى الأصل : الموالاته الله .
 (٦ - ٦) من ظ و م ، وفى الأصل : المعاداة لمن (٧ - ٧) من م ، وفى الأصل
 و ظ : الذى هو .

و لما كان التخلف عن أمر الله تعالى والغفلة عن شيء يؤدي تركه
إلى التهاون به والإخلال بأدب من آدابه موجبا للكون في صف
الشيطان ومفارقة حزب الرحمن، فيكون أذى الرسول صلى الله عليه وسلم،
فيوجب ذلك الشقاء كله لأنه جدير بأن يجر إلى أكبر منه إلى أن تحيط
الخطايا قتيح^١ الرزايا، وكان للتذكير بالمشاهدات والأمور الواقعة ما ه
ليس لغيره في التأديب^٢ و مرجع الترهيب، ذكر بما كان لبني إسرائيل
ترهيبا من مثل^٣ حالهم، لئلا يوقع في نكالهم، حين تقاعسوا عما أمروا به
من فتح بيت المقدس من الله تعالى غضب من فعلهم ذلك فسبهم فاسقين
و ضربهم بالثية أربعين سنة، وأما في تلك الأربعين كل من توانى
منهم في ذلك، فلم يدخل إلى بيت المقدس منهم أحد، فحرموا^٤ البلاد التي^٥
تقاعدوا / عن فتحها، وهي بعد مكة والمدينة خير بلاد الله تعالى ومهاجر
أيهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومواطن أبويهما^٦ إسحاق ويعقوب
عليهما الصلاة والسلام وأنزه الأرض، وأكثرها خيرا وأبركها، مع
ما كانوا فيه من الضيق والنكد من آتية الذي هو طرد عن جناب الله
بما أراد - بما أشار إليه التعبير عن زمنه بالسنين - إلى ما أبقوا بعدهم من ١٥
سوء الذكر وشناعة القالة إلى آخر الدهر فقال تعالى: ﴿واذ﴾ عظفا
على ما تقديره: اذكروا ما فعل بعضكم - بما أشرت إليه أول هذه الآيات

- (١) من ظ و م، وفي الأصل: فنتيج (٢) من ظ وفي الأصل وم: التأديب .
(٣) من م، وفي الأصل وظ: مثله (٤) من ظ و م، وفي الأصل: فرموا .
(٥) من ظ و م، وفي الأصل: هـ و (٦) من ظ و م، وفي الأصل: أبيهما .

من الآداب من تنبيه الكفار بما قد يمنع من الفتح أو يكون سببا في
عصره أو [في - ١] إهلاك خلق [كثير - ١] من عبادي الذين^٢ خلقتهم
في أحسن تقويم من المؤمنين وغيرهم، أو من الفرار من الكفار عند
المقارعة، أو التقاعس عن^٣ اللقاء عند البعث عليه، فأذى ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذي أذاه من أذى الله فحلم عنكم، وقبل بما له من
بلغ الرحمة بكم والشفقة عليكم منكم^٤، وكان أنهى ما عاتبكم به مرسله
سبحانه النداء بما هو أدنى الاسنان في الإيمان في نظير إطلاقه على بنى
إسرائيل الفسق بالوصف المؤذن بالرسوخ : واذكروا حين
(قال موسى لقومه) وهم - مع كونه منهم - بمن له قوة على ما يحاولونه :
١٠ (يقوم) استعظافا لهم واستنهاضا إلى رضى ربهم (لم تؤذوني) أى
تحددون أذائى مع الاستمرار بالتوانى فى أمر الله والتقاعد عن فتح بيت
المقدس مع قولى عن الله أنكم فاتحوها إن أطعتموه وأن الله أقسم
لآبائكم أنه مانحكموها لاحالة .

ولما كان هذا الاستفهام الإنكارى موجبا لتوقع ما يأتى بعده من
١٥ موجب التعظيم بدل الأذى، والتبجيل والالتقياد موضع التوقف والإباء،
قال محققا بحرف التحقيق مضمون الكلام : (وقد) أى والحال أنكم
(تعلمون) أى علمتم علما قطعيا مع تجددكم لكم فى كل وقت بتجدد
أسبابه بما آتيتكم به من المعجزات وبالكتاب الحافظ لكم من الزيغ

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، وفى الأصل : الذى (٣) من ظ و م، وفى
الأصل : عند (٤) من ظ و م، وفى الأصل : من (٥) سقط من ظ و م .

(انى رسول الله) أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له ورسوله أيضا يعظم' ويحترم لا أنه تنهك جلالته وتحترم (اليكم) لا أقول لكم شيئا إلا عنه ، ولا أنطق عن الهوى ، فعصيانى عصيانه مع أنى ما قلت لكم شيئا إلا تم ، وإن كنتم قاطعين بخلافه فهى معصيته لاحامل عليها أصلا إلا ردءة الجبلات . ولما تحن إليهم واستعطفهم و ذكرهم ما يعلون من رسلته ٥ و صلته بالله بما شاهدوا من الآيات التى هى أعظم الإحسان إليهم ، أعلم أنهم أوشكوا العصيان ، فقال معبرا عن ذلك بالفاء تسبيا عن هذا القول الذى هو أهل لأن' يسبب الثبات وتعقيا و تقريرا : (فلما زاغوا) أى تحقق^٢ زيغهم عن قرب عن أوامر الله فى الكتاب الآتى إليهم بما أبوا من قبول أمره فى الإقدام على الفتح (ازاغ الله) أى الذى له الأمر ١٠ كله (قلوبهم) من الاستواء ، / و جمع الكثرة يدل على أنه لم يثبت منهم إلا القليل فهزمهم بين يدي^٣ أعدائهم و ضربهم بالتيه لأنهم فسقوا عن أمر الله [فانه - ^٤] لا يهديهم ، فأسند الذنب إليهم والعقوبة إليه و إن كان الكل فعلة تعليما لعباده الأدب و إعلاما بأن أفعالهم الاختيارية ينسب إليهم كسبها و يقرم به الحجة عليهم لعدم علمهم بالعاقبة (والله) ١٥ أى الملك الأعظم الذى له الحكمة البالغة لأنه المستجمع لصفات الكمال

(١) سقط من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : لا (٣) زيد فى الأصل و ظ : منك ، ولم تكن الزيادة فى م لخلفائها (٤) سقط من م (٥) من م ، وفى الأصل و ظ : ايدى (٦) زيد من م (٧) من م ، وفى الأصل و ظ : الصفات .

(لا يهدي) أى بالتوفيق بعد هداية البيان (القوم الفاسقين) أى العريقين فى الفسق الذين لهم قوة المحاربة فلم يحملهم على الفسق ضعف، فاحذروا^٢ أن تكونوا مثلهم فى العزائم فقتلواهم فى عقوبات الجرائم - انتهى .

٥ ولما كان أذى النبي صلى الله عليه وسلم بمخالفة أمره تارة يكون مع العلم برسائله والإقرار بها وتارة مع الإنكار، وقدم العتاب على ما كان منه على تقدير التصديق، وذكر فيه بقصة موسى عليه الصلاة والسلام الذين^٣ كانوا يؤذونه مع العلم برسائله، وهدد بما اتفق لهم من زينغ القلوب التى هى عماد الأبدان وصلاح الإنسان، أتبعه ما يكون ١٠ منه عند فرض الإنكار . ولما كان رد المنكر تارة بالعقل وتارة بالقول، وكان الذى بالعقل يكون بنظر المعجزات ولا سيما إخراج الحيا وقد كان منه فى قصة حاطب رضى الله تعالى عنه فى إخراج كتابه الذى اجتهد فى إخفائه واجتهدت الظعينة^٤ الحاملة له فى كتمانها ما فيه مقنع^٥ فى العلم بالرسالة وتحقيق الجلالة، أتبع ذلك دليلا نقليا تأييدا للعقل مع ١٥ كونه دليلا على صحة الإخبار بازاعة قلوب نبي إسرائيل جزاء على زينبهم عن الحق فقال: (واذ) أى واذكروا حين (قال عيسى) ووصفه

(١) من ظ و م . وفى الأصل : فسق (٢) من م . وفى الأصل و ظ : كما حذروا (٣) من م . وفى الأصل و ظ : الذى (٤) من م . وفى الأصل و ظ : ان (د) من م . وفى الأصل و ظ : انطية - كذا (٥) من م . وفى الأصل و ظ : منع .

بما حقق^١ من هو فقال : ﴿ ابن مريم ﴾ أى لقوم موسى عليهما الصلاة والسلام الذين أرسل إليهم وثبت نبوته لديهم بالمعجزات مع^٢ إخلاص الدعوة لله^٣ وتصدق^٤ من كان قبله من أهل الله : ﴿ يبنى إسرائيل ﴾ وذكرهم^٥ بما كان عليه أبوم من الدين وما وصى به نبيه من التمسك بالإسلام ، ولم يعبر بالقوم كما قال موسى عليه الصلاة والسلام لأنه لا أب له فيهم [و-^٦] إن كانت أمه منهم ، فإن النسب إنما هو من جهة الأب ، وأكد الإنكار بعضهم فقال^٧ : ﴿ انى رسول الله ﴾ أى الملك الأعظم^٨ الذى أحاط علمه بكل شئ^٩ ﴿ اليكم ﴾ أى لا إلى غيركم ، حال كونى ﴿ مصدقا ﴾ نضبه بما فى الرسول من رائحة الفعل ولا ينصب بـ « اليكم » لأنه صفة للرسول ، وحروف الجر لاتعمل بأنفسها بل بما فيها ١٠ من معنى الفعل ، فإذا^{١١} كانت صلات لم تكن متضمنة لمعنى فعل فلا تعمل ، وهو الحرف الذى يسمى فى [غير -^{١٢}] « الكتاب العزيز » [لغوا -^{١٣}] ﴿ لما بين يدي ﴾ أى تقدمنى وكان من قبلى ﴿ من التوراة ﴾ التى تعملون أن الله تعالى أنزلها على موسى / عليه الصلاة والسلام وهى أول الكتب

٣٢٢ /

- (١) من م ، وفى الأصل و ظ : يحقق (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : من .
 (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : ادعوى (٤-٤) من م ، وفى الأصل و ظ : فتصدق (٥) من م ، وفى الأصل و ظ : ذكر (٦) زيد من م (٧) زيد فى الأصل و ظ : تعالى ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفها (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : بل اذا (١٠) زيد من ظ و م (١١-١١) من ظ و م ، وفى الأصل : كتاب الله .

التي نزلت بعد الصحف وحكم بها النيون، تصديق لها مع تأييدى لها مؤيد لأن ما أقنته من الدلائل حق ومبين أنها دليل فيما لم أنسخه منه كما يستدل الإنسان بما قدمه من الاعلام ويراعيه بصره .

ولما ذكر أول^٢ الكتب ذكر^١ أيضا أول الانبياء خلقا وآخرهم

هـ بعثا وهو آخر الرسل ليكون في ذلك إشارة إلى [أن - °] البشارة

به في التوراة والإنجيل فقال : ﴿ ومبشرا ﴾ أى فى حال تصديق للتوراة .

ولما كانت رسالته صلى الله عليه وسلم عامة لجميع الخلق لم يذكر فى رسالته

حرف الغاية كما ذكر فى الرسالتين المذكورتين قبل فقال : ﴿ برسول ﴾ أى إلى

كل من شملته الربوبية ﴿ يأتى ﴾ ولما كان إتيانه بعده بمدة طويلة أدخل الجار

١٠ فقال : ﴿ من بعدى ﴾ ولما كان الإتيان بغاية البيان وإزاحة اللبس

بكل اعتبار أقعد فى العتاب لمن هفا^١ بعده والأخذ لمن جفا فنقض

عهده ، أتى بالاسم الذى^٢ ما شارك^٣ النبى صلى الله عليه وسلم فيه أحد

فى زمانه ولا قبله أصلا ، ووزنه دال على المبالغة فى معناه فقال :

﴿ اسمه أحمد ﴾ أى دال على أنه أبلغ الخلق حامدا ومحمودا وهو اسمه

١٥ صلى الله عليه وسلم فى السماء التى^٤ سيصير إليها هذا المبشر ، وفى تخصيصه

بالذكر احتراز عن أن يتوهم أن البعدية فى الرتبة^٥ لأنه يليح بتصديره

(١) من م ، وفى الأصل وظ : تأييد (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : انهمته .

(٣) من ظ وم ، وفى الأصل : او (٤ - ٤) سقط ما بين الرقنين من ظ وم .

(٥) زيد من ظ وم (٦) من ظ وم ، وفى الأصل : هذا (٧ - ٧) تكرر ما بين

الرقنين فى الأصل فقط (٨) من م ، وفى الأصل وظ : الذى (٩) من ظ وم ،

وفى الأصل : التربية .

بالمهمزة التي هي أول الحروف مخرجا وأشد حروف الخلق الذي هو أول
 المخارج وتضمنه الميم إلى أنه صلى الله عليه وسلم كما أنه حاتم بما أشار
 إليه أشهر أسمائه وأعظمها "محمد" لابتدائه بالميم التي هي أمكن حروف
 الشفة التي هي خاصة^١ للحروف لأن مخرجها آخر المخارج ، لا نبي بعده
 فهو قاتح مقدم باعتبار الذكر والشرف والحكم بالوصف الشريف^٢ ه
 لا نبي قبله^٣ في الخلق^٤ وجبت له النبوة وإن آدم لمنجدل في طينته
 وبين الروح والجسد كما في الحديث الذي أخرجه أحمد^٥ عن ميسرة الفجر
 رضى الله عنه والترمذي عن أبي هريرة رضى الله عنه وأخرجه البيهقي
 في أول دلائل النبوة وقال : إن معناه^٦ أنه كذلك في قضاء الله وتقديره ،
 وكأنه يريد قضاء مكتوبا في أم الكتاب ومذكورا لمن أراد من الملائكة ١٠
 قبل إتمام خلق آدم عليه الصلاة والسلام فانه يحتمل أنه سبحانه وتعالى
 لما صور آدم عليه الصلاة والسلام جعل طينته شفاقة تشف عن
 ذريته وجعل لصالحهم^٧ نورا^٨ يرى دون غيره^٩ ، فلما رأوا أعظمهم نورا
 سألوا عنه فأخبرهم سبحانه وتعالى به وأثبت ما أراد من أوصافه في
 أم الكتاب كما أنه كان نيا بالإخبار في دعوة [أيه - ٨] إبراهيم عليه ١٥

- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : الخاتمة^(٢) زيد في الأصل : قبله ، ولم تكن
 الزيادة في ظ و م لحذفها (٣-٣) سقط ما بين الرقنين من ظ و م (٤) إراجع
 المسند ٥/٩٠ (٥) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ و م لحذفها .
 (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : لصالحهم (٧-٧) سقط ما بين الرقنين من م .
 (٨) زيد من ظ و م .

الصلاة والسلام وبشارة عيسى ابن مريم عليه الصلاة / والسلام وبأمارات
 النور الذى خرج من أمه كما فى الحديث الذى رواه البيهقي فى الدلائل
 وغيره^١ عن العرياض بن سارية رضى الله عنه "انى عبد الله وخاتم النبيين"
 وفى رواية "انى عبد الله لخاتم النبيين و [إن - ٢] آدم لمنجدل^٢ فى
 طينته و سأخبركم عن ذلك : دعوة أبى إبراهيم و بشارة عيسى^٣ بنى و^٤
 رؤيا أمى التى رأت ، وكذلك أمهات النبيين يرين ، وأن أم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام ،
 فتأويل ذلك بذكره سبحانه [له - ٥] لملائكته مثل تأويله بدعوة
 إبراهيم عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى حكاية عنه "ربنا وابعث
 ١٠ فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك و يذكهم و يعلمهم الكتاب
 و الحكمة" و بشارة عيسى عليه الصلاة والسلام فى مثل حكايته عنه فى^٦
 هذه الآية ، و تأويله بالنور الذى رأت أمه مثل تأويله بالنور الذى
 يحتمل أن يكون الملائكة عليهم السلام [رأوا فى شفاف طينة آدم
 عليه السلام - ٥] و الله سبحانه و تعالى أعلم . و كانت سورة القتال
 ١٥ احق باسمه الدال على الحتم لأن الختام محتاج إلى علاج فى [لام - ٥]
 ما كان من صدع الاقتراق ، و لذا سورة الفتح لما يلزمه من محاولة
 المغلق و إزالة الأغلاق ، و ختام السورتين بالميم عظيم المناسبة لذلك

(١) راجع مسند أحمد ٤/ ١٢٧ (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل :
 منجدل (٤-٥) من ظ و م ، وفى الأصل : فى (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى
 الأصـر و ط : مثله ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها .

لأن الميم اسم لتمام الظاهر المقام بالالف ، و 'إلى ذلك' إشار رسم ألف
التنوين في الفتح بعد الميم مع أنه لا يخلو من إشارة إلى أنه الفتح مع
كونه 'الحاتم' ، ويؤيد ذلك افتتاح السورة بأول حروف الاسم المليح
إلى الفتح ، وكانت هذه السورة أحق [به - ٢] لأنه أدل دال على
الاتفاق ، واجتماع الكلمة دون اختلاف واقتراق ، كما كان عند نزول ه
آدم عليه الصلاة والسلام و'بعده بمدة' ، وإلى ذلك أشار ختمها وختم
نظيرتها الصافات بالنون الذي 'هو مظهر مبين' يحيط بما أظهره ، فهو مبشر
لهذه الأمة بالاجتماع والظهور على الاسم الذي يحيط آخره بجميع أهل
الأرض على زمن المبشر عيسى عليه السلام المؤيد للبشر به بتجديد أمره
وإقامة دينه صلى الله عليه وسلم ، وآخر هذه نتيجة آخر الصافات بالحمد ١٠
الذي هو الإحاطة بأوصاف الكمال - والله تعالى أعلم بالصواب .

* * *

(١ - ١) من ظ و م ، وفي الأصل : لذلك (٢) من ظ و م ، وفي الأصل :
انه (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : الاقان (٥ - ٥) من
ظ و م ، وفي الأصل : بعدمدة (٦) العبارة من هنا الى « أعلم بالصواب »
ساقطة من ظ (٧) من م ، وفي الأصل و ظ : من .

ذكر ما يصدق هذه الآية من الإنجيل من تصديقه للتوراة

/ ٣٢٤

- وبشارته بأحمد صلى الله عليه وسلم، قال^١ : وكان رجل مريض اسمه العازر من بيت عنيا وهو أخو مريم ومرتنا، فأرسلت الاختان إلى يسوع أن / الذي تحبه مريض، فأقام في الموضع الذي هو فيه يومين ثم^٢ قال لتلاميذه : امضوا بنا إلى اليهودية، فقال له تلاميذه : الآن يا معلم أراد اليهود رجلك^٣ و أنت تريد المضى إليهم، فقال : إن العازر حينئذ قد نام، فانا انطلق فأوقظه، فقالوا : يا سيدنا، إن كان نائما فهو يستيقظ، فقال : العازر مات، فأقبلوا إلى بيت عنيا، فاذا له أربعة أيام في القبر وكانت بيت عنيا من يروشلیم على [نحو -^٤] خمس عشرة ١٠ غلوة، وكان كثير من اليهود [قد -^٥] جاؤا إلى مرتنا ومريم يعزوهما، فلما سمعت مرتنا بقدوم يسوع خرجت لتلقاه فقالت له : يا سيد، لو كنت ههنا لم يمت أخي وأنا أعلم أن الله يعطيك كل ما سألته، قال : سيقوم أخوك، قالت : أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة، ثم جاءت^٦ مريم
-
- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : الامة (٢) راجع آية ١ فما بعدها من الأصحاح ١١ من إنجيل يوحنا (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : « و » (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : فقالوا (٥) من م ، وفي الأصل و ظ : يرحمك (٦) زيد من ظ . (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : ايه تلقاه (٩) في ظ : سيدي (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : قامت .

للقائه ، فظن اليهود الذين [كانوا - ١] يعزونها أنها ٢ تذهب إلى القبر
فتبعوها ، فلما انتهت إلى المكان الذى كان فيه يسوع خرت على قدميه
ساجدة ، فلما رآها تبكى ورأى اليهود الذين كانوا معها قال : أين وضعتوه ؟
فقالوا له : يا سيد ، تعال وانظر ، فدمع يسوع فقال لليهود : انظروا كيف
كان يحبه ، فقال ناس منهم : أما كان هذا الذى فتح عينى الأعمى يقدر ٥
أن يحمل هذا لا يموت ، فجاء إلى القبر وكان مغارة وعليه حجر موضوع
فقال : ارفعوا الصخرة ، فقالت له مرثا أخت الميت : يا سيد ، إنه ٢ قد أنتن
لأن له أربعة أيام ، قال لها يسوع : ألم أقل لك إن آمنت رأيت مجد الله ،
فرفعوا الصخرة فرفع يسوع بصره إلى فوق وقال : أشكرك ، لأنك تسمع لى ،
أقول هذا من أجل هذا الجمع ليؤمنوا أنك أرسلتلى ، قال هذا القول ١٠
ونادى بصوت عظيم وصاح : عازر اخرج ، فخرج الميت ويده ورجلاه
ملفوفة باللفائف ووجهه ملفوف بعمامة ، فقال يسوع : حلوه ودعوه
يمضى ، و ٥ إن كثيرا من اليهود الذين جاؤا إلى مريم لما رأوا ما صنع
يسوع آمنوا ، ومضى قوم منهم إلى الفريسيين فأخبروهم ، فجمع ٦ عظماء
الكهنة والفريسيون ٧ محفلا فقالوا : ماذا نصنع إذ كان هذا الرجل يعمل ١٥
آيات كثيرة وإن تركناه فيؤمن به ٨ جميع الناس و تأتى الروم فتقلب

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد في الأصل : قد ، ولم تكن الزيادة في ظ و م
لحذفناها (٣) سقط من ظ و م (٤) سقط من م (٥ - ٥) من م ، وفي الأصل
وظ : يعنى (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : بلغمعوا (٧) في ظ و م : الفريسيين .
(٨) زيد في الأصل : ناس كثير ويتبعهم ، ولم تكن الزيادة في ظ و م
لحذفناها .

على أمتنا وموضعنا، وإن واحدا منهم اسمه قيفا كان أعظم الكهنة
 في تلك السنة قال لهم: إنه خير لنا أن يموت^١ واحد من الشعب من
 أن تهلك الأمة كلها - إلى آخر ما مضى في النساء عند قوله تعالى وما
 قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، الآيات، رجع إلى متى^٢ قال: حينئذ
 ذهب الفريسيون وتساوروا ليصطادوه بكلمة فأرسلوا إليه تلاميذهم
 والمردوسيين قائلين: يا معلم، قد علمنا أنك محق وطريق الله بالحق تعلم
 ولا تبالي بأحد ولا تنظر لوجه إنسان^٣ فقل لنا ما عندك، أيجوز لنا أن
 نعطي الجزية لقيصر أم لا؟ فلم يسوع شرهم فقال: لما ذا تجربوني
 يا سراؤن أروني^٤ دينار الجزية، فأتوه بدينار فقال لهم يسوع: لمن هذه
 ١٠ الصورة والكتابة؟ فقالوا: لقيصر، حينئذ قال^٥ لهم: أعطوا ما لقيصر يقصر
 وما لله لله، فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا، وقال يوحنا^٦: فقال
 يسوع: أنا ماكث^٧ فيكم زمانا يسيرا، ثم انطلق إلى من أرسلني
 وتطلبوني فلا تجدوني، وحيث أكون أنا^٨ الستم تقدرون^٩ على المجيء إلى
 (١) من ظ وم، وفي الأصل: إن (٢) من ظ وم، وفي الأصل: يمت،
 وزيد بعده في ظ: دخل (٣) راجع آية ١٥ فابعدا من الأصحاح ٢٢ (٤) من
 م، وفي الأصل و ظ: قالوا (٥) زيد في الأصل: ابد، ولم تكن الزيادة في ظ
 وم لحذفها (٦) من ظ، وفي الأصل وم: ادوني (٧) من ظ وم،
 وفي الأصل: فقال (٨) راجع آية ٣٣ فابعدا من الأصحاح ١٣ (٩) من ظ،
 وفي الأصل: ما مكثت، وفي م: مكثت (١٠-١١) من ظ وم، وفي
 الأصل: لم تقدروا.

فقال اليهود فيما بينهم: إلى أين هذا مزمع^١ أن يذهب حتى لا نجده، لعله مزمع أن يذهب إلى منفى اليونانيين، وقال متى^٢: وفي اليوم جاء إليه الزنادقة القائلون: ليس قيامة، وسألوه - فذكر سؤالهم وجوابه لهم إلى أن قال في آخر جوابه: أما قرأتم ما قيل لكم من الله، وقال مرقس: في سفر موسى قول الله على العوسج إذ قال: أنا هو إله إبراهيم وإلهه^٣ إسحق وإله يعقوب وأتم تضلون كثيرا، وعبارة لوقا: فقد^٤ بنا بذلك موسى في العليقة كما قال الرب: أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب، وقال متى: فلما سمع الجمع بهتوا من تعليمه، فلما سمع ذلك الفريسيون أنه قد أبكم الزنادقة اجتمعوا عليه جميعا وسأله^٥ كاتب منهم ليجربه قائلا: يا معلم! أى الوصايا أعظم في الناموس؟ قال له يسوع: تحب الرب ١٠ إلهك من كل قلبك، وقال: اسمع، يا إسرائيل، الرب إلهك واحد هو، وتحب إلهك من كل قلبك - انتهى، ومن كل نفسك ومن كل فكرك، هذه الوصية الأولى العظيمة، والثانية^٦ التى تشبهها أن تحب قريبك مثل^٧ نفسك، قال مرقس: ليس وصية أعظم من هاتين - انتهى، في الوصيتين سائر الناموس^٨ والانبيااء يتعلق، قال مرقس: فقال له الكاتب: فيثبت ١٥ يا معلم الحق قلت أنه واحد ليس آخر غيره، وأن تحبه من كل القلب

(١) من م، وفي الأصل وظ: ترمع (٢) راجع آية ٢٣ فما بعدها من الأصحاح ٢٢.

(٣) من ظ و م، وفي الأصل: وأنا (٤) من م، وفي الأصل وظ: سألوه.

(٥) من ظ، وفي الأصل و م: الثانى (٦) من ظ و م، وفي الأصل و من.

(٧) من م، وفي الأصل وظ: الناموس.

ومن كل النية ومن كل النفس ومن كل القوة، وتحب القريب مثلك،
 هذه أفضل من جميع الذبائح والمحترقات، فلما رأى يسوع عقله أجابه
 قائلا: لست بعيدا من ملكوت الله، وقال لوقا^١: فقال ليسوع: ومن
 هو قريبي؟ قال يسوع: كان رجل فازلا من يروشلیم إلى أريحا، فوقع
 بين اللصوص فسلبوه^٢ وجرحوه ومضوا وتركوه مشنقا قرب الموت،
 واتفق أن كاهنا نزل في تلك الطريق فأبصره وجاز^٣، وكذلك لاوى
 جاء إلى المكان فأبصره وجاز، وإن سامريا^٤ جاز به، فلما رآه تحنن
 ودنا منه^٥ وضمد جراحاته وحمله على دابته وجاء به إلى الفندق وعنى
 بأمره^٦، وفي الغد أخرج بدينارين أعطاهما لصاحب الفندق وقال: أهتم به
 ١٠ فان أنفقت^٧ عليه أكثر من / هذين دفعت لك عند عودتي، فمن من
 هؤلاء الثلاثة تظن أنه قد صار قريبا للذي وقع بين اللصوص، فقال له:
 الذي صنع معه رحمة، فقال له يسوع: اذهب أنت وافعل هكذا، وقال
 مرقس: فلم يتجرا أحد أن يسأله ثم قال: وكانت جماعة كثيرة يسمعون
 منه بشهوة، وقال يوحنا: وأمن باسمه عند كونه بايروشلیم في عيد الفصح
 ١٥ كثير لأنهم عاينوا الآيات التي عمل، ثم قال: وكان رجل من القريسين
 اسمه نيقوديمس رئيسا لليهود أتى إلى يسوع ليلا وقال له: [يا-٩] معلم
 (١) راجع آية ٣ فما بعدها من الأصحاح ١٠ (٢) من ظ و م، وفي الأصل: فلبسوه.
 (٣) من ظ و م، وفي الأصل: منحا (٤) من ظ و م، وفي الأصل: جاور.
 (٥) من ظ و م، وفي الأصل: ساميا (٦) من ظ و م، وفي الأصل: «و»
 (٧) من ظ و م، وفي الأصل: به امر (٨) من م، وفي الأصل وظ: اتفق.
 (٩) زيد من ظ و م.

نحن نعلم أنك من الله أتيت معلما لأنه ليس يقدر أحد أن يعمل هذه
الآيات التي تعمل 'أنت إلا من كان' الله معه ، قال متى^٢ : وحيثك كلم
يسوع الجمع و تلاميذه وقال : على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون
وكل ما قالوه لكم احفظوه أتم وافعلوه ، ومثل^٣ أعمالهم لاتصنعوا لأنهم
يقولون ولا يفعلون ، لأنهم يربطون أحمالا ثقالا صعبة الحمل ويحملونها ه
على أعناق الناس ولا يريدون أن يحركوها باصبعهم ، وكل أعمالهم يصنعونها
لكي يراؤوا الناس ، يعرضون أردنيهم ويعظمون أطراف ثيابهم ، ويجون
أول الجماعات في الولاثم و صدور المجالس في المجامع والسلام في
الاسواق ، وأن يدعوهم الناس معلمين ، فأما أتم فلا [تدعوا -^٤] لكم
معلما على الأرض ولا مدبرا فان مدبركم واحد هو المسيح ، وأتم جميعا ١٠
إخوة ، ولا تدعوا لكم أبا على الأرض فان أباكم واحد ، هو الذي في
السموات ، والكبير الذي فيكم يكون لكم خادما ، فمن رفع نفسه اتضع ،
ومن وضع نفسه ارتفع ، الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون ، لاكلكم
بيوت الأراامل والأيتام ، لعله تطويل صلاتكم ، ومن [أجل -^٥] هذا
تأخذون أعظم دينونة ، الويل لكم أنكم تغلقون ملكوت السموات قدام ١٥
الناس فلا أتم تدخلون ولا تتركون الداخلين يدخلون ، الويل لكم أنكم
تطوفون البر والبحر لتضطفوا^٦ غريبا واحدا ، فإذا صار صيرتموه لجهنم
ابنامضعفا ، لكم الويل يا [أيها] الهداة العميان الذين يقولون : من حلف بالهيكل

(١-١) سقط من ظ وم (٢) راجع آية ١ فما بعدها من الأصحاح ٢٣ (٣) من ظ
وم ، وفي الأصل : مثلهم (٤) يزيد من ظ وم (٥) من ظ وم ، وفي الأصل :
تضطفوا .

فليس عليه شيء، ومن حلف بذهب الهيكل بخطي، أيها الجاهل العمى
 أيما أعظم؟ الذهب أم الهيكل^١ الذي يقدس الذهب، ومن حلف بالمذبح
 فلا شيء، ومن حلف بالقربان الذي فوقه فهو بخطي^٢. يا جاهل وعميان،
 أيما أعظم؟ القربان أم المذبح الذي يقدس القربان؟ ومن حلف بالمذبح
 فقد حلف به وبكل ما فوقه، ومن حلف بالهيكل فهو يحلف به
 وبالسكن فيه، ومن حلف بالسما^٣ فهو يحلف بكرسى الله وبالجالس
 عليه، الويل لكم أنكم تعشرون الشبث والتنعيم والسكون وتركون أثقل^٤
 الناموس الحكم والرحمة والإيمان، وقال لوقا^٥: تعشرون التنعيم والسداب
 / وكل البقول، ورفضون حكم الله ومحبه، قد كان ينبغي أن تعقلوا

/ ٣٢٧

١٠ هذا ولا تغفلوا^٦ عن تلك - انتهى، يا هداة عميان الذين يتركون البعوضة
 ويلعبون الجمل، الويل لكم أنكم^٧ تنقون خارج^٨ الكأس^٩ والسكرجة
 وداخلها بمملوءة اختطافا وظلما، أيها الاعشى، تق أولا داخل الكأس
 والسكرجة^{١٠} لكيما يتطهر خارجها، وقال لوقا: اعطوا الرحمة فكل^{١١}
 شيء يتطهر لكم - الويل لكم لأنكم^{١٢} لا تشبهون القبور المكلسة التي ترى من
 (١ - ١) من ظ و م، وفي الأصل: الهيكل أم الذهب (٢) في الأصل بياض
 ملائكة من ظ و م (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) من ظ و م، وفي
 الأصل: فعن (٥) راجع آية ٤٢ من الإصحاح ١١ (٦) من ظ و م، وفي الأصل:
 بان (٧) من ظ و م، وفي الأصل: لا يعقلون (٨-٨) من ظ و م، وفي
 الأصل: تركون وتنقون خارج (٩) من م، وفي الأصل وظ: لكل (١٠) من
 ظ و م، وفي الأصل: لامنكم.

خارجها حسنة و داخلها مملوء عظام^١ الاموات وكل نجس ، وقال لوقا :
 لانكم مثل القبور المخفية^٢ والناس يمشون عليها ولا يعلمون - انتهى ،
 وكذلك اتم ترون^٣ الناس ظواهركم^٤ مثل الصديقين ، ومن داخل
 يمثلون^٥ ائما و رياء ، قال لوقا : و اتم ايها الكتبة الويل^٦ لكم لانكم تحملون
 اوساقا^٧ واثقالا و اتم لاتدنون منها باحدى اصابعكم ، الويل لكم لانكم اخذتم^٨
 مفاتيح الغرفة فما دخلتم ، و منعم الذين^٩ يريدون الدخول^{١٠} - انتهى ، الويل
 لكم لانكم تبنون قبور الانبياء ، قال لوقا : الذين قتلهم آباؤكم - انتهى ،
 و تزينون مدافن^{١١} الصديقين و تقولون : لو كنا في ايام آباءنا لم نشاركهم في دم
 الانبياء ، ف اتم تشهدون على انفسكم انكم ابناء قتلة الانبياء لانكم تكملون
 مكيلة آباءكم ، ايها الحيات اولاد الافاعي كيف تهربون من دينونة جهنم ، ١٠
 [من اجل ١٠] هذا ارسل اليكم انبياء و حكماء و كتبة فقتلوني منهم و تصلبون
 و تجلدون منهم في مجامعكم^{١٢} و تطردونهم^{١٣} من مدينة الى مدينة لكي ياتي
 عليكم دم الصديقين المسفوك على الارض ، و قال لوقا : و اتم تشهدون

- (١) من ظ و م ، و في الأصل : عظاما (٢) من ظ و م ، و في الاصل : المخفية .
 (٣) من ظ و م ، و في الأصل : تراون (٤) في ظ : ظاهركم ، و في م :
 ظاهرون (٥) من ظ و م ، و في الأصل : مملوون (٦) من ظ و م ، و في
 الأصل : الاثم (٧) من ظ و م ، و في الأصل : اوزارا (٨-٨) من ظ و م ،
 و في الأصل : يريد الدين (٩) من ظ و م ، و في الأصل : مداين (١٠) زيد
 من ظ و م (١١) زيد في الأصل : ومن ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .
 (١٢) من ظ و م ، و في الأصل : تطردونهم .

و تسرون بأعمال آبائكم لأنهم قتلوم وأنتم تبنون قبورهم، ولهذا قالت
 حكمة الله : هوذا أرسل إليهم أنبياء ورسلا فيقتلون منهم ويطردونهم
 لينتقم عن دم جميع الانبياء الذي أمريق من أول العالم إلى هذا الجيل .
 وقال متى : من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا ابن براشيا الذي
 قتلتموه بين الهيكل والمذبح^١ ، الحق أقول [لكم - ٢] إن هذا كله يأتي
 على هذا الجيل ، يا أروشلیم ، يا قاتلة الانبياء وراجة المرسلين^٢ إليهاكم من
 مرة [أردت - ٢] أن أجمع بنيك فيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها
 فلم تريدوا ، هوذا يترك بينكم لكم خرابا ، أنا أقول لكم : إني لا تروني من
 الآن حتى تقولوا : مبارك الآتي باسم الرب ، [و - ٢] قال مرقس^٣ : ثم
 ١٠ جاء يسوع عند باب الخزانة ينظر^٤ الجمع يلقى نحاسا في الخزانة وأغنياء
 كثير ألقوا كثيرا ، فجاءت / امرأة أرملة مسكينة ، فألقت فلسين فاستدعى
 تلاميذه وقال لهم : الحق أقول لكم ، إن هذه الارملة المسكينة ألقت
 أكثر من الكل الذين ألقوا في الخزانة ، لأن الكل ألقوا من فضل ما
 عندهم ، وهذه ألقت مع مسكنها كل ما لها ، ثم خرج من الهيكل -
 ١٥ انتهى . هذا ما فيه الدلالة على الرسالة و تصديق التوراة ، وأما البشارة
 بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد تقدم في هذا الكتاب مفرقا في السور^٥

/ ٣٢٨

(١) راجع آية ٥٠ فما بعدها من الاصحاح ٢٣ (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : مذبح
 (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : المسلمين (٥) راجع آية ١٤ فما
 بعدها من الاصحاح ١٢ (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : ينتظر (٧) من ظ و م ،
 وفي الأصل : السورة .

كالاعراف والنساء وغيرهما ، وقال ابن هشام في تهذيب السيرة^١ النبوية^٢
 جمع ابن إسحاق ، قال ابن إسحاق : وقد كان فيما بلغني عما كان وضع^٣ عيسى
 ابن مريم عليهما الصلاة والسلام فيما جاءه^٤ من الله تعالى في الإنجيل^٥
 [لأهل الإنجيل - °] من صفة^٦ رسول الله صلى الله عليه وسلم بما
 أثبت يحنس الحواري لهم حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى ابن
 مريم [في - °] رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم أنه قال : من أبغضني
 فقد أبغض الرب ، ولولا أني صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد
 قبلي ما كانت لهم خطيئة ، ولكن من الآن^٧ بطروا وظنوا^٨ أنهم يعزوني
 وأيضاً للرب ولكن لا بد أن تتم الكلمة التي في التاموس أنهم أبغضوني
 مجانا أي باطلا فلو^٩ قد جاء المنحمن هذا الذي^{١٠} يرسله الله إليكم من عند
 الرب روح القدس^{١١} هذا الذي من عند الرب خرج فهو شهيد علي
 وأنتم أيضاً لأنكم قديماً كنتم معي [في - °] هذا قلت لكم لكي [لا - °]
 تشكوا . فالمنحمن بالسريانية محمد صلى الله عليه وسلم وهو بالرومية

- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : السورة (٢) راجع ١ / ٨٠ (٣) من ظ و م
 و السيرة ، وفي الأصل : موضع (٤-٤) من ظ و م و السيرة ، وفي الأصل :
 من الإنجيل من الله تعالى (٥) زيد من السيرة (٦) من السيرة ، وفي الأصل
 وم : عهد عيسى بن مريم ، و عبارة ساقطة من ظ (٧-٧) من ظ و م و السيرة ،
 وفي الأصل : بطرق (٨) من ظ و م و السيرة ، وفي الأصل : فلولاً (٩) من
 ظ و م و السيرة ، وفي الأصل : الدين (١٠) من ظ و م و السيرة ، وفي
 الأصل : القسط (١١) زيد من ظ و م و السيرة .

البارقليطس - انتهى .

ولما تم الدليل النقلى على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى كونه أشرف الأنبياء فاتحاً لهم وخاتماً عليهم، دل [على] إلزام بنى إسرائيل الزينغ فقال: ﴿ فلما جاءهم ﴾ أى عيسى أو محمد صلى الله عليها وسلم ٥. بنى إسرائيل 'و' غيرهم ﴿ باليئت ﴾ أى [من - ٢] المعجزات العظيمة التى لا يسوغ لعاقل إلا التسليم لها و [من - ٢] الكتاب المبين ﴿ قالوا ﴾ أى عند مجيئها سواء من غير نظرة لتأمل ولا غيره: ﴿ هذا ﴾ أى المأتى به من اليينات أو الآتى بها على المبالغة كما دل عليه قراءة حمزة "ساحر" إشارة بالإشارة [إلى القريب بعد الإشارة - ٢] بفاء التعقب إلى شدة ١٠ اتصال الكفر بأول أوقات المجيء: ﴿ سحر ﴾ فكانوا أول كافر به^٦، لأن هذا^٦ وصف لهم لازم [سواء - ٧] بلغهم ذلك و^٨ هم بمفردهم أو منضماً إليهم غيرهم ﴿ مبينه ﴾ أى فى البيان فى سحرته حتى أن شدة ظهوره فى نفسه مظهرة لكل من رآه أنه سحر عنادا منهم ومكابرة للحق الذى لا لبس فيه .

١٥ ولما كان التقدير إعلاما بأنهم أظلم الناس لتعمدهم للكذب: فمن

أظلم منهم لتهتكهم فى ذلك ، / عطف عليه قوله: ﴿ ومن اظلم ﴾ وعم' / ٢

(١) زيد فى الأصل: وغيرهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(٢) من ظ و م ، وفى الأصل: أو (م) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ،
فى الأصل عنده (٥) راجع نثر المرجان ١٣٦ / ٧ (٦-٦) من ظ و م ، وفى
الأصل: لأنه (٧) زيد من ظ (٨) سقطت الواو من م (٩) من ظ و م ، وفى
الأصل: هم .

كل من اتصف بوصفهم فقال: ﴿عن افتري﴾ أى تعدد ﴿على الله﴾
 أى الملك الأعلى ﴿الكذب﴾ الذى هو أقبح الأشياء ﴿وهو﴾ أى
 والحال أنه ﴿يدعى﴾ أى من أى داع كان ﴿الى الاسلام﴾ الذى هو
 أحسن الأشياء فيكنى فى الدعاء إليه أدنى تنبيه لانه الاعتراف بالحق لمن
 هو له ، فيجعل مكان الإجابة اقراء الكذب فى [تلك الحالة -] الحسنى . ه
 و لما كان التقدير: فهو لا يهديه الله لاجل ظلمه ، عطف عليه قوله :
 ﴿والله﴾ أى الذى له الامر كله فلا أمر لاحد معه ﴿لا يهدى القوم﴾
 أى لا يخلق الهداية فى قلوب من فيهم قوة المحاربة للامور الصعاب
 ﴿الظلمين﴾ أى الذين يخطون فى عقولهم خبط من هو فى الظلام .
 و لما أخبر عن ردهم للرسالة ، علله بقوله : ﴿يريدون﴾ أى يوقعون ١٠
 إرادة ردهم للرسالة بافترائهم ﴿ليطفوا﴾ أى لاجل أن يطفوا ﴿نور الله﴾
 أى الملك الذى لا شئ يكافيه ﴿بافواههم﴾ أى بما يقولون من الكذب
 لا منشأ له غير الافواه لانه لا اعتقاد له فى القلوب لكونه لا يتخيله عاقل ، فهم
 فى ذلك كاللناخين فى الشمس إرادة أن يمحوا نفخهم عنها ولا ينقص
 شينهم زينها ، فمثل إرادتهم لإخفاء القرآن بتكذيبهم وجميع كيدهم بمن ١٥

- (١) زيد من ظ و م (٢) وقع فى الأصل بعد «الصعاب» والترتيب من ظ و م .
 (٣) زيد فى الأصل : أى اغرقة والطائفة الذين طبعهم الكذب على الله ،
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : الذى ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من م ، وفى الأصل و ظ : لأنه (٦) من ظ
 و م ، وفى الأصل : أو (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : كنى .

يريد إطفاء الشمس بنفخه فهو في أجهد الجهد و أضل الضلال :
 وفي تعب من يحسد الشمس ضوءها و يجهد أن يأتي لها^١ بضرب
 فأفاد قصر الفعل أن إرادتهم كلها مصروفة لهذا الغرض و أنه لا إرادة لهم
 غير ذلك و أنه لا ينبغي أن يكون [لهم -^٢] إرادة لأنهم عبيد، و الإرادة
 ه لا ينبغي^٣ إلا للسيد ليكون إرادة العبد تابعة لها، فتكون امتثالا لإرادته،
 فكأنه لا إرادة له، فهو أبلغ^٤ مما في براءة^٥ لأن هذه تبيحتها .

و لما أخبر بعلّة إرادتهم وأشار إلى وهي أمرهم بعد أن أخبر
 بردهم للتحق وجرأ عليهم بالإخبار باضلالهم^٦، زاد ذلك بقوله مظهرا غير
 مضر تنبيها على [جميع -^٧] صفات الجلال و الإكرام : (والله)
 ١٠ أي الذي لا مدافع [له -^٨] لتمام عظمتة . و لما كانت هذه السورة
 نتيجة سورة براءة التي أخبر فيها بأنه يأبى إلا إتمام نوره، أخبر في هذه
 بنتيجة ذلك و هي ثبات تمام النور و دوامه، لأن هذا شأن الملك الذي
 لا كفوه له إذا أراد شيئا فكيف إذا أرسل^٩ رسولا فقال : (متم) وهذا
 المعنى يؤيد قول الجمهور [أنها -^{١٠}] مدنية بعد التأيد بذكر الجهاد، فان
 ١٥ فرضه كان^{١١} بعد الهجرة من و الظاهر من ترتيبها على الممتحنة التي نزلت في
 غزوة الفتح / أنها بعد براءة في النزول أيضا .

/ ٣٣٠

(١) من ظ و م ، و في الأصل : بها (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد في الأصل
 و ظ : ان يكون ، و لم تكن الزيادة في م لخذفها (٤ - ٤) من ظ و م ، و في
 الأصل : ما يراد (٥) من ظ و م ، و في الأصل : بضلالهم (٦) زيد من م .
 (٧) من ظ و م ، و في الأصل : ارسله (٨) سقط من م .

ولما

ولما كان النور لإظهار صور الأشياء بعد انظاسها سبباً لوضع الأشياء في أيقن مواضعها، وكان ما أتى من عند الله من العلم كذلك، جمل عينه فأطلق عليه اسمه فقال: ﴿نوره﴾ فلا يضره 'ستر أحد له بتكذيبه ولا إرادة لإطفائه، وزاد ذلك بقوله: ﴿ولو كره﴾ أى إتمامه [له - ٢] ﴿الكفرونه﴾ أى الراسخون في صفة الكفر^٢ المجتهدون في ه المحاماة عنه .

ولما أخبر بذلك، علاه بما هو شأن كل ملك فكيف بالواحد في ملكه فقال: ﴿هو﴾ أى الذى ثبت أنه جامع لصفات الجلال والجلال وحده من غير أن يكون له شريك أو وزير ﴿الذى أرسل﴾ 'بما له من القوة والإرادة' ﴿رسوله﴾ أى الحقيق بأن يعظمه كل من بلغه ١٠ أمره لأن عظمته من عظمته، ولم يذكر حرف الغاية إشارة إلى عموم الإرسال إلى كل من شمله الملك كما مضى ﴿بالهدى﴾ أى البيان الشافى ﴿ودين الحق﴾ أى الملك الذى ثباته لا يدانيه ثبات، فلا ثبات لغيره، ثبات هذا الدين بثباته، ويجوز أن يكون المعنى: والدين الذى هو الحق الثابت فى الحقيقة الكامل فيها كالأل ليس لغيره، فيكون من إضافة ١٥ الموصوف إلى صفته إشارة إلى شدة التباسه بها ﴿ليظهره﴾ أى يعليه

(١) من ظ و م، وفى الأصل: فلا يضر (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل و م: أى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤ - ٤) سقط ما بين الرفين من ظ و م (٥) من ظ و م، وفى الأصل: الحقيقة (٦) من ظ و م، وفى الأصل: به .

مع الشهرة وإذلال المنازع ﴿على الدين﴾ أى جنس الشريعة التى تجعل
 ليجازى من يسلكها و'من يزيع' عنها، بها يشرع فيها من الاحكام
 ﴿كله﴾ فلا يبقى دين إلا كان دونه وانحق به وذل أهله له ذلا
 لا يقاس به ذل ﴿ولو كره﴾ أى^٢ إظهاره ﴿المشركون ع﴾ أى المعاندون
 ه فى كفرهم^٣ الراسخون فى تلك المعاندة، وأعظم مراد بهذا أهل العناد
 ببدعة الاتحاد، فانهم ما تركوا شيئا مما سواه حتى أشركوا به - تعالى
 [الله - ٤] عما يقولون علوا كبيرا، - وهم مع بعد نخلتهم من العقول
 وفسادها من الآروهام ومصادمتها لجميع النقول فى غاية الكثرة لمصير الناس
 إلى ما وعد الله ورسوله - [وصدق الله ورسوله - ٤] - من أن
 ١٠ أكثرهم قد مرجت عهودهم^٤ وخفيت أماناتهم^٥ وصاروا حثالة كحالة التمر لا يعبأ
 الله بهم، لكنهم على كثرتهم بما تضمنته هذه الآية فى أمثالها فى غاية الذل
 والله الحمد لا عز لهم إلا باظهار الاتباع للكتاب^٦ والسنة وهم يعلمون
 أنهم يكذبون فى هذه الدعوى لأنهم فى غاية المخالفة لها^٧ بحيث يعتقدون
 أنهما شرك^٨ لإثباتهما لله تعالى وجودا يخالف وجود الخلق وهم يقولون
 ١٥ مكابرة للضرورة ان الوجود واحد وأنه لا موجود ظاهرا و باطنا سواه،
 ولذلك سمو الوجود به ثم^٩ لا يردم عليهم / بذلمهم وأنهم لا عز لهم إلا

/ ٣٣١

- (١ - ١) من ظ و م ، وفى الأصل : يغيب (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
 فى (٣) زيد فى الأصل و م : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفناها .
 (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : عقولهم (٦) من ظ
 و م ، وفى الأصل : أماراتهم (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : لكتاب .
 (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : لها (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : وكذا .

بحمى الشريعة عن ضلالهم فأعجب لذلك و ألبأ إلى الله تعالى بسؤال
 العافية ، فان القلوب يد الله يقاسبها كيف يشاء ، وضربهم بالذل مع
 كثرتهم في^١ غاية الدلالة على الله سبحانه لأن الملك الكامل القدرة
 لا يقر من يطن في ملكه ويسعى في رد رسالته وإهانة رسله ، ولقد
 أنجز سبحانه كثيرا من وعده بما دل^٢ - لكونه تغليا على أقوى الملوك ه
 من الأكامرة والقيصرة^٣ - على القدرة على الباقيين ، وذلك أنه لما تقاعد
 قومه عن نصرته وانتدبوا لتكذيبه وجحد^٤ ما شاهدوه من صدقه يسر^٥
 الله له أنصارا من أمته هم^٦ نزاع القبائل^٦ وأجاد الأفاضل و سادات
 الأماثل فبلغوا في تأييده أقصى الأمل .

ولما أنتج هذا كله نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل ١٠
 حال و دمار من يخالف أمره ، أنتج قطعا أن الجهاد معه^٧ متجرا راجح^٧
 لأن النصر مضمون ، و الموت منهل لا بد من وروده سواء خاض
 الإنسان الحتوف أو احترس في القصور المشيدة ، قال تعالى في أسلوب
 النداء والاستفهام لأنه أغخم وأشد تشويقا^٨ بالأداة التي لا يكون ما
 بعدها إلا بالغا في العظم إلى النهاية : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) أى قالوا ١٥

(١) من م ، وفي الأصل وظ ؛ على (٢) زيد في الأصل وظ ؛ عليه ، ولم تكن
 الزيادة في م فحذفناها (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : الا قاصرة (٤) من ظ
 و م ، وفي الأصل : جحدوا (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : يسره (٦-٦) من
 ظ و م ، وفي الأصل : يراع القلائل (٧-٧) من ظ و م ، وفي الأصل :
 متجرا راجحا (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : تسويها .

[في - ١] إقرارهم بالإيمان ما عليهم أن يفعلوا بمقتضاه (هل ادلكم) و أنا المحيط علما و قدرة ، فهي إيجاب في المعنى ذكر بلفظ الاستفهام تشويقا ليكون أوقع في النفس فتكون له أشد تقبلا ، والآية أيضا نتيجة ما مضى باعتبار آخر^٢ لأنه لما ونج على انحلال العزائم وأخبر بما يجب من القتال ، وبكت على أذى الرسول صلى الله عليه وسلم بالمخالفة ، وأخبر أن من خالفه لا يضر إلا نفسه ، كان موضع الاستباق في طاعته فرتب عليه الاشتياق إلى^٣ ذكر ثمرته فذكرها ، ولما [كان - ٤] فعل حاطب رضى الله عنه لاجل أن^٥ لا يحاح أهله الذين كانوا بمكة في أنفسهم ولا في شيء من مالم . وكان هذا في معنى التجارة قال : ١٠ (على تجارة) و قراءة ابن عامر^٦ (تجكم) بالتشديد أنسب لهذا المقدم من قراءة الجماعة بالتخفيف ، وقراءة الجماعة أنسب لمقصود^٧ حاطب رضى الله عنه (من عذاب اليم^٨) بالإجاجة^٩ في النفس أو المال .

ولما كان الانحار لإجهاد النفس في تحصيل [الربح النافع ، وكان الإيمان والجهاد أعظم إجهاد النفس في تحصيل - ١] الجنة الباقية التي

١٥ لا ربح^{١٠} وازيها . فاستعار لها / اسمها ، وكان جواب النداء الإقبال

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : امر (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : في (٤) زيد من م (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : انه (٦) راجع ثر المرجان ٢٢٩/٧ (٧) من ظ و م . وفي الأصل : مفود (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : بالاجابة (٩) من م وفي الأصل : ظ و م (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : تحصيل .

و جواب الاستفهام نعم ، عدوا كأنهم أقبلوا و انعموا تنديها على ما هو
الآليق بهم ، فاستأنف^١ لهم بيان التجارة بأنه الجمع بين الإيمان الذى هو
أساس الأعمال كلها ، والجهاد بنوعيه المكمل للنفس و المكمل للغير فقال^٢ :
﴿ تؤمنون ﴾ [أى - ^٣] آمنوا بشرط تجديد الإيمان على سبيل الاستمرار
﴿ بالله ﴾ الذى له جميع صفات الكمال ﴿ و رسوله ﴾ الذى تصديقه آية ه
الإذعان المعنوية و الخضوع لكونه ملکا ﴿ و تجاهدون ﴾ أى و جاهدوا^٤
بيانا لصحة إيمانكم على سبيل التجديد و الاستمرار . و يدل على أنها بمعنى
الامر ما^٥ أرشد إليه جزم ما أقيم فى موضع الجواب مع قراءة عبد الله
رضى الله عنه : آمنوا و جاهدوا - بصيغة الامر ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى بسبب
تسهيل طريق الملك الأعظم الموصل إليه الذى لا أمر لغيره بحيث يكون ١٠
ظرفا^٦ لكم فى [جميع - ^٧] هذا الفعل فلا شيء يكون منه خارجا عنه
ليكون خالصا بفتح بلد الحج ليسهل الوصول إليه من كل من أراد
و غير ذلك من شرائعه فتكونوا ممن يصدق فعله قوله ، و هذا المعنى
لا وقفه فيه لأنه فرق بين قولنا : فلان فعل كذا - الصادق بمرة ، و بين قولنا
بفعله الدال^٨ على أن فعله^٩ قد صار دينا له ، فالمعنى : يا من فعل ١٥

(١) فى ظ و م : فاستأنف (٢) فى ظ و م : فقال (٣) زيد من م (٤) من ظ
و م ، وفى الأصل : بجاهدوا (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : ان على (٦) من
ظ و م ، وفى الأصل : كما (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : طريقا (٨) زيد
من ظ و م (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : الصادق (١٠) من ظ و م ، وفى
الأصل : قوله .

الإيمان إن أردتم النجاة فكونوا عريقين في وصف الإيمان حقيقين به
ثاني الإقدام فيه وأديموا الجهاد دلالة على ذلك فإن الجهاد لما فيه من
الخطر والمشقة والضرر أعظم دليل على صدق الإيمان، ويؤيد ذلك
أن السياق لقصة حاطب رضى الله عنه المفهمة في الظاهر لعدم الثبات في
الإيمان وإرادة الجهاد الدال على المصدق فيه، ولذلك قال عمر رضى
الله عنه ما قال - والله الهادي .

ولما كان الجمع بين الروح وعديلهما المال على وجه الرضى والرضا
أدل على صحة الإيمان، قال : ﴿ باموالكم ﴾ وقدمها لعزتها في ذلك الزمان
ولأنها قوام الانفس والابدان، فمن بذل ماله كله لم يخل بنفسه لأن
١٠ المال قوامها . ولما قدم القوام أتبعه القائم به فقال : ﴿ وانفسكم ﴾
ولما أمر بهذا في صيغة الخبر اهتماما به وتأييدا لشأنه . أشار إلى عظمته
بمدحه قبل ذكر جزائه ، فقال : ﴿ ذلكم ﴾ أى الامر العظيم من الإيمان
وتصديقه بالجهاد ﴿ خير لكم ﴾ أى خاصة بما تريدون من الذبذة بمناصفة
/ الكفار ﴿ ان كنتم ﴾ أى بالجلبات الصالحة ﴿ تعملون ﴾ أى
١٥ إن كان يمكن أن يتجدد لكم علم في وقت من الاوقات فأتهم تعملون
أن ذلك خير لكم ، فاذا علمتم ، أنه خير أقبلتم عليه فكان لكم به أمر

/ ٣٣٣

(١) من م ، وفي الأصل وظ : اراد (٢) من ظ وم ، وفي الأصل : كذلك .
(٣) من م ، وفي الأصل وظ : لأنها (٤) زيد في الأصل : وهو ، ولم تكن
الزيادة في ظ وم لحذفها (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ وم (٦) من ظ
وم ، وفي الأصل : فايكم (٧) من ظ وم ، وفي الأصل : خيرا .

عظيم ، وإن كانت قلوبكم قد طمست طمسا لا رجاء لصلاحها فصلوا على
أنفسكم صلاة الموت .

ولما كان معنى^١ «ثؤمنون» : فالأمر بما تقدم ، لكنه حول عن
ذلك لما ذكر ، وكان أم ما إلى الإنسان خوفه^٢ مما هدّد عليه ، أمن^٣
سبحانه من ذلك دالا^٤ على أصل الفعل بجزم ما هو في موضع الجواب ٥
قال : (يغفر لكم) أى خاصة دون من لم يفعل ذلك (ذنوبكم)
أى بمحو أعيانها وآثارها كلها .

ولما قرع القلوب من كدر العقاب^٦ والعتاب ، لذها^٧ بطيب
الثواب قال : (ويدخلكم) أى بعد التزكية بالمغفرة رحمة لكم
(جنت تجري) ودل على قرب الجارى وتخلله^٨ الاراضى بالجار فقال : ١٠
(من تحتها) أى^٩ تحت أشجارها وغرفها وكل متزه فيها (الانهر)
فهى لاتزال غضة زهراء ، ولم يحتج هذا الأسلوب إلى ذكر الخلود
لإغناء ما بعده عنه ، ودل على الكثرة المفرطة فى الدور بقوله
بصبغة انتهى الجموع : (ومسكن) ولما كانت المساكن لا تروق إلا
بما يقارنها^{١٠} من المعانى الحسنة قال : (طيبة) أى فى الاتساع واختلاف ١٥

(١) من م ، وفى الأصل وظ : المعنى (٢-٢) من ظ وم ، وفى الأصل : من
الله وعليه امن (٣) من ظ وم ، وفى الأصل : دلائل (٤) من م ، وفى الأصل
وظ : العذاب (٥) من ظ وم ، وفى الأصل : الذى هو (٦) من ظ وم ،
وفى الأصل : عليه - كذا (٧) زيد فى الأصل : تحتها ، ولم تكن الزيادة فى ظ
وم لحذفها (٨) من ظ وم ، وفى الأصل : يباينها .

أنواع^١ الملاذ و علو الآبنة و الأسرة^٢ مع سهولة^٣ الوصول إليها و في بهجة المناظر و تيسر مجارى الريح بانفساح الآبنة مع طيب الغرف، لم يفسد الماء الجارى تحتها شيئا من ريحها و لا في اعتدالها في شيء مما يراد منها . و لما كانت لا يرغب فيها إلا بدوام الإقامة، بين صلاحيتها لذلك بقوله : (في جنت عدن^٤) أى بساتين هي أهل الإقامة بها لا يحتاج في إصلاحها إلى شيء خارج يحتاج في تحصيله إلى الخروج عنها [لهـ^٥] ، و لا آخر لتلك الإقامة، قال حمزة الكرماني في كتابه جوامع التفسير : هي قصة الجنان و مدينة الجنة أقربها إلى العرش .

و لما كان هذا أمرا شريفا لا يوجد في غيرها قال : (ذلك) أى ١٠ الامر العظيم جدا وحده (الفوز العظيم^٦) . و لما ذكر ما أنعم^٧ عليهم به^٨ في الأخرى لأنه أهم^٩ لدوامها، كان التقدير بما دل عليه^{١٠} العطف : هذا لكم، عطف عليه ما جعل لهم في الدنيا فقال : (و أخرى^{١١}) أى و لكم نعمة، أو ويعطيكم، أو يزيدكم نعمة أخرى . و لما كان الإنسان أحب في العاجل و أفرح بالناجز قال : (تحبونها^{١٢}) أى محبة كثيرة متجددة

(١) من م ، وفي الأصل و ظ : علوا (٢) من م ، وفي الأصل و ظ : الاكرة . (٣) من م ، وفي الأصل و ظ : سرعة (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : بذلك (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : معرفته (٧) وفي الأصل بعد " في الدنيا فقال " و الترتيب من ظ و م (٨-٩) من ظ و م ، وفي الأصل : قد به عليهم (٩) من ظ و م ، وفي الأصل : أوهم (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : على (١١) وفي الأصل بعد " بالتأخير قال ، و الترتيب من ظ و م .

ممتازة، ففي ظاهر هذه البشري / تشويق إلى الجهاد وتحبيب، وفي
باطنها حب على [حب^١] الشهادة بما يشير إليه من^٢ التوبيخ أيضا على
حب العاجل والتفريط (خير من الله) أي الذي أحاطت عظمته
بكل شيء لكم وعلى قدر إحاطته يكون نصرته (و فتح قريب^٣) أي
تدخلون منه إلى [كل^٤] ما كان متعسرا عليكم من حصون أعدائكم ه
و غيرها من أمورهم في حياة نبيكم صلى الله عليه وسلم أعظمه فتح مكة
الذي كتب حاطب رضى الله عنه بسببه، وبعد عامته، وفيه شهادة لحاطب
رضى الله عنه بأنه يحب نصرته النبي صلى الله عليه وسلم والفتح عليه
مكة وغيرها لصحة إيمانه كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم الذي
لا ينطق عن الهوى .

١٠

ولما كان ما تقدم من المعاتبه إنذارا لمن خالف فعله قوله من
الذين آمنوا، وكان المقام قد أخذ حظه من الإنذار والتوبيخ، طوى ما
تقديره: فأندر من لم يكن راسخا في الدين من المناققين، ومن خالف فعله
قوله من المؤمنين، عطف عليه دلالة عليه ليكون [أوقع -^١] في النفس
لمن يشير إليه طيه من الاستعطاف قوله: (و بشر المؤمنين ه) أي الذين ١٥
صار الإيمان لهم وصفا راسخا كحاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه بأن الله
يفتح لك البلاد شرقا وغربا، وأول ذلك مكة المشرفة ولا يحوجهم
(١) زيد من م (٢) هنا تكرار في عبارة الأصل (م) زيد من م (٤) زيدت
الواو في الأصل ولم تكن في م و م غذفناها .

إلى أن يذروا عن عشارمهم وأموالهم ولا أن يكون شيء من أفعالهم
 يخالف شيئاً من أقوالهم . ولما مز سبحاته إلى الجهاد وشوق إليه بأنه
 مشعر راجح ، ولوح إلى النذارة بالتنشيط بالبشارة ، فتهيأت النفوس إلى الإقبال
 عليه وانبعثت أي انبعاث ، حنى عليه بالإيجاب المتقضى للثواب أو العقاب ،
 ه فقال منادياً بأداة البعد والتعديد بما يدل على أدنى الانسان تأنيباً على أنه
 لا يعدم الوصف بالإيمان إلا مقرون بالحرمان تشويقاً وتحبباً :
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [أى - ٢] أقرأوا بذلك ، فأذعنوا بهذا الوعظ
 غاية الإذعان أنى أمرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول لكم :
 ﴿ كُونُوا ﴾ أى بغاية جهدكم ﴿ انصار الله ﴾ أى راسخين فى وصف النصرة
 ١٠ وفى الندوة العليا من ثبات الأقدام فى تأييد الذى له الغنى المطلق
 لتكونوا - بما أشارت إليه قراءة الجماعة بالإضافة - بالاجتهاد فى ذلك
 كأنكم جميع أنصاره ، فإنكم أشرف من قوم عيسى عليه الصلاة والسلام ،
 وما ندبكم سبحاته لنصرته إلا لتشريفكم بمصاحبة رسله الذين هم خلاصة
 خلقه عليهم الصلاة والسلام فقولوا ” سمعنا وأطعنا نحن أنصار الله “
 ١٥ وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالتنوين^١ ولام الجر على معنى : كونوا
 بعض أنصاره ، / ويشبه أن يكون المأمور به فى هذه القراءة الثبات على
 ٣٣٥ /

(١) من م ، وفى الأصل وظ : شيئاً (٢) وقع فى الأصل قبل ه أى انبعاث ه
 والترتيب من ظ و م (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : بهذا .
 (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : كما (٦ - ٦) من م ، وفى الأصل وظ : فـ
 الإضافة فى الاجتهاد (٧) راجع ثر المرجان ٧ / ٣٣٣ .

الإيمان و لو في أدنى الدرجات ، وفي قراءة الجمهور^١ الرسوخ فيه .
ولما كان التقدير على صفة هي من الثبات والسرعة على صفة الحواريين ،
عبر عن ذلك بقوله : ﴿ كما ﴾ أى كونوا لاجل أنى أنا [ندبتكم -^٢]
بقولى من غير واسطة و لذتكم بخطابى مثل ما كان الحواريون انصار الله
حين ﴿ قال عيسى ابن مريم ﴾ حين أرسلته إلى بنى إسرائيل ناسخا لشريعة ه
موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ للحواريين ﴾ أى خلص أصحابه وخاصته
منهم : ﴿ من انصارى لا ﴾ حال كونهم سائرين فى منازل السلوك والمعاملات
ومراحل المجاهدات والمنازلات ﴿ الى الله^٣ ﴾ أى المحيط بكل شىء فنحن
إليه راجعون كما كنا به مبدئين .

ولما اشتد تشوف السامع إلى جوابهم ، أبان ذلك بقوله : ١٠
﴿ قال الحواريون ﴾ معلمين أنهم جادون فى ذلك جدا لا مزيد عليه
عاملين فيما دعاهم إليه عمل الواصل لا السائر [لعلهم أن إجابته إجابة
الله لأنه لا ينطق عن الهوى فليس كلامه إلا عن الله -^٢] : ﴿ نحن ﴾ أى
بأجمعنا ﴿ انصار الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى هو غنى عنا وقادر على
تمام نصرنا ، و لو كان عدونا كل أهل الأرض نصره الآن بالفعل ، ١٥
لا نحتاج إلى تدريب يسير ولا نظر [إلى -^٢]^٢ غير ، لاستحضارنا^٢ لجميع
ما يقدر عليه آدمى من صفات جلاله وجماله وكاله ، ولذلك أظهروا
ولم يضمروا .

ولما كان التقدير : ثم دعوا من خالفهم من بنى إسرائيل وبارزوه ،

(١) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م .
(٣-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : غيره بالاستحضار .

- سبب عنه قوله : ﴿ فامنت ﴾ أى به ﴿ طائفة ﴾ أى ناس فيهم أهلية
الاستدانة لما لهم من الكثرة ﴿ من نبيّ اسرائيل ﴾ أى قومه
﴿ وكفرت طائفة ج ﴾ أى منهم ، و أصل الطائفة : القطعة من الشيء^٤
﴿ فايدنا ﴾ أى قويتنا بعد رفع عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ الذين امنوا ﴾
ه أى الذين أقروا بالإيمان المخلص منهم وغيره فى القول والفعل وشدتنا
قلوبهم ﴿ على عدوهم ﴾ الذين عادوهم لأجل إيمانهم . ولما كان الظفر
بالمحجوب [أحب ما يكون -^٢] إذا كان أول النهار ، تسبب عن تأييده
قوله : ﴿ فاصبحوا ﴾ أى صاروا بعد ما كانوا فيه من الذل ﴿ ظهري ع ﴾
أى عالين غالبين قاهرين فى أقوالهم وأفعالهم لا يخافون أحدا^٥ ، إلا الله^٦
١٠ ولا يستخفون منه^٧ ، فالتأييد تارة يكون [بالعلم وتارة -^١] بالفعل^٨
” عليه شديد القوى “ فصار علمه فى غاية الإحكام وتبعته قوة هى فى
منتهى الاتمام ، لأنه ناشئ عن علم مستفاد من قوة ، وإلا لقال : علمه كثير^٩
العلم . ” قال الذى عنده علم من الكتاب انا أتيك به قبل ان يرتد اليك
طرفك “ قوة مستفادة من علم ، والظاهر كما هو ظاهر قوله تعالى
١٥ ” جاعل الذين اتبعوك [فوق الذين كفروا -^١] إلى يوم القيامة “
و غيرها أن تأييد المؤمنين [به -^١] كان بعد رفعه ييسير حين^{١٠} ظهر
(١) من ظ و م ، وفى الأصل : الاستدراك (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
انيسوه (٣) زيد من ظ و م (٤ - ٤) سقط ما بين الرقنين من ظ و م (ه) من
ظ و م ، وفى الأصل : فيه (٦) زيد من م (٧) زيد فى الأصل وظ : وتارة
بالمقول ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفها (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : العلم .
(٩) من م ، وفى الأصل وظ : حتى .

٣٣٦ /

الحواريون وانبثوا^١ / في البلاد يدعون إلى الله بما آتاهم من الآيات ،
 فاتبعهم الناس ، فلما تمادي الزمان و مات الحواريون رضى الله عنهم
 افترق الناس ودب إليهم الفساد ، فغلب أهل الباطل و ضعف أهل الحق
 حتى كانوا عند بعث النبي صلى الله عليه وسلم عدما أو في حكم العدم ،
 - كما دلت عليه قصة سلمان الفارسي رضى الله عنه ، فقد رجع آخر السورة ه
 كما ترى بما وقع من التنزه عما^٢ يوهمه علو الكفرة من "النقص بنصر"
 أوليائه و قسر أعدائه ، و من الأمر بما أخبر أولها أنه يحبه من القتال
 في سبيله حثا عليه و تشويقا إليه - على أولها ، و اتصل بما بشر به من آمن
 ولو على أدنى وجوه الإيمان من المزمع مواصلها بمفضلها ، بما أزيل من
 الأسباب الحاملة له على المدارة . و الأمور التي أوقعته في المشاشة مع ١٠
 الكفار و المجارة ، فأوجب ذلك رسوخ الإيمان ، و حصول الإتيان ، المقتضى
 للتنزيه بالفعل عن كل شوب نقصان ، والله الموفق للصواب و عليه التكلان^٣ .

(١) من م ، و في الأصل و ظ : اثبتوا (٢) من ظ و م ، و في الأصل : مما .
 (٣-٣) من ظ و م ، و في الأصل : النصر بنصر (٤-٤) سقط ما بين الرقعتين
 من ظ و م .

سورة الجمعة^١

مقصودها بيان مسمى الصف بدليل هو أوضح شرائع الدين وأوثق
 عرى الإسلام، وهو الجمعة التي اسمها مبين للمراد منها من فرضية^٢
 الاجتماع فيها وإيجاب الإقبال عليها وهو التجرد عن غيرها والانتقطاع
 لما وقع من التفرق حال الخطبة عن^٣ بعث للتزكية بالاجتماع عليه في
 الجهاد^٤ وغيره في العسر واليسر والمنشط والمكره، واسمها الجمعة
 أنسب شيء فيها لهذا المقصد بتدبر آياته وتأمل أوائله وغاياته، الحاتمة^٥
 على قوة التواصل والاجتماع، والحاملة على دوام الإقبال على المزمك والحب
 له والاتباع ﴿بسم الله﴾ الذي [أحاط -^٦] علمه بكل معلوم فتم
 بيانه ﴿الرحمن﴾ الذي عمت^٧ نعمة بيانه بعد شمول كرامة إيجاداه فهو
 ١٠ العظيم شأنه ﴿الرحيم﴾ الذي خص حزبه بالتوفيق لما يرضاه ثبت في سويداء
 كل منهم حبه له وإيمانه به .

ولما ختمت الصف بالإقبال ببعض بني إسرائيل على^٨ جنبه الأقدس
 بعد أن زاغوا فأزاغ الله^٩ قلوبهم كلهم أو الشاذ منهم بما أفهمه إطلاق
 الضمير عليهم ثم تأييدهم على من استمر منهم على الزيغ، ثبت أن له
 (١) الثانية والستون من سور القرآن الكريم، مدنية، وعدد آياتها ١١ (٢) من
 ظ و م، وفي الأصل: فريضة (٣) من ظ و م، وفي الأصل: عن (٤) من
 ظ و م، وفي الأصل: الاجتهاد (٥) من ظ و م، وفي الأصل: أو (٦) من
 ظ و م، وفي الأصل: الحادثة (٧) زيد من م (٨) من ظ و م، وفي
 الأصل: همت (٩) في م: الى (١٠) سقط من ظ و م .

تمام القدرة المستلزم لشمول العلم ' اللازم منه ' التنزه عن كل شائبة
 نقص، وكان سبحانه قد ذكر^٢ التسييح الذي هو الأعظم الأشهر للتنزيه
 بلفظ الماضي ثلاث مرات في افتتاح ثلاث سور، وذلك نهاية الإثبات
 المؤكد، ثبت بذلك أنه وقع تنزيهه من كل ناطق وصامت، آخر
 أول هذه السورة^٣ أن ذلك التنزيه على وجه التجديد^٤ والاستمرار^٥
 / بالتعبير بالمضارع لاستمرار ملكه فقال: ﴿يسبح﴾ أى يوقع^٦ التنزيه
 ٣٣٧ / الأعظم الأبهى الأكل ﴿الله﴾ أى الملك المحيط بكل شيء قدرة وعلمًا،
 وأكد بذلك لما فى التغاين ولم يحتج بعد الإقرار بالوقوع على هذا
 الوجه إلى^٧ التأكيد بأكثر من مرة وجعل بين كل مسبحتين . ورة خالية
 من ذلك ليكون ذلك أدل^٨ على قصد التأكيد من حيث شدة الاعتناء^٩
 بالذكر، وإن وقع فصل ويكون التأكيد أكثر تنبيها وأعظم صدعا
 وتذكيرا .

ولما كان تقريع العاقل الناطق بطاعة الصامت أعظم . قال :
 ﴿ما فى السموات﴾ وإن كان العاقل يدخل فى ذلك ما عليه فيكون
 تسييحه تارة طوعا موافقة للائمر ، و تارة كرها بالانقياد مع الإرادة ،^{١٥}
 و تسييح الصامت طوعا فى كل حال . ولما كان الخطاب مع الذين آمنوا ،
 دعا ذلك إلى التأكيد لاحتياجهم إليه فقال : ﴿وما فى الارض﴾ كذلك .

(١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : اللازمة (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
 كرر (٣) سقط من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : التجريد (٥) من
 ظ و م ، وفى الأصل : يرفع (٦) من م ، وفى الأصل : على (٧) فى الأصل : دل .

ولما ثبت بالسور الثلاث الماضية أن الموجودات أوقفت له
التسييح ، وأخبرت هذه باستمرار ذلك على سبيل التجديد ، دل ذلك مع
التزيه عن النقائص على إثبات الكمال الذى لا يكون إلا ' للملك عظيم
الشان مطاع الامر ، و كان الاقتصار على الصامت بالتعبير بما هو ظاهر
ه فيه ربما أوم شيا ، قال مصرحا بما أفهمه السياق : ﴿ الملك ﴾ أى الذى
ثبتت له جميع الكمالات فهو ينصر من يشاء من جنده ولو كان ذليلا
فيصبح ظاهرا ﴿ القدوس ﴾ الذى انتفت عنه جميع النقائص ، فلا يكون
شيء إلا باذنه و تنزه عن إحاطة أحد من الخلق بعلمه أو إدراك كنه ذاته
فليس فى أيدي الخلق إلا التردد فى شهود أفعاله ، والتدبر لمفاهيم نعمته
١٠ و جلالة ، وأحقهم بالقرب والعداد فى حزنه المتخلق بأوصافه على قدر
اجتهاده. فينبغى للؤمن التنزه عن أن يقول ما لا يفعل ' أو يبنى شيئا من
أموره على غير إحكام ، وقد مضى شرح الاسمين الشريفين قريبا وذكر
خلاصة [شرحها - ٥] بما هو خاصة الملك و آية الطهارة للظاهر فقال :
﴿ العزيز ﴾ أى الذى يغلب كل شيء . لا يغلبه شيء . فلو أراد لجعل
١٥ العقلاء كلهم أيضا مع تسييحهم بالجرى تحت مراده طوعا وكرها مسبحين
بالموافقة لأمره طوعا ﴿ الحكيم ه ﴾ الذى يوقع كل ما أراد فى أحكم
(١) زيد فى الأصل : هما ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٢) من م ، وفى
الأصل و ظ : ثبت (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : فيصح (٤-٤) من م ، وفى
الأصل و ظ : فينبغى (٥) زيد من م (٦) من م ، وفى الأصل و ظ : للظاهرة .
مواقفه

مواقفه و أممها و أتقنها .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما ختمت سورة الصف بالثناء على الحوارين في حسن استجابتهم و جميل إيمانهم ، و قد أمر المؤمنين بالتشبه بهم في قوله تعالى ” يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ” - الآية ، كان ذلك عما يوم ٥

٣٣٨ / فضل أتباع عيسى عليه السلام على أتباع محمد صلى الله عليه و سلم / فاتبع ذلك بذكر هذه الأمة ، و الثناء عليها ، فافتحت السورة بالتنزيه عما أشار إليه قوله ” و كفرت طائفة ” فانهم ارتكبوا العظيمة و قالوا بالبنوة ، فزده سبحانه نفسه عن ذلك [ثم - ٢] قال ” هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ” إلى قوله ” ذو الفضل العظيم ” ثم ٢ أعلم تعالى بحال طائفة ١٠ لاح لهم نور الهدى و وضع لها سبيل الحق فعميت عن ذلك و ارتبكت في ظلمات جهلها و لم تزد بما حملت إلا حيرة و ضلالة فقال تعالى ” مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ” الآيات ، و هي في معرض التنبيه لمن تقدم الثناء عليه و رحمه الله إياه لئلا يكونوا فيما يتلو عليهم نبيهم من الآيات و يعلمهم من الكتاب ١٥ و الحكمة مثل أولئك الممتحنين ، فانهم مقتوا و لعنوا بعد حملهم التوراة ، و زعموا أنهم التزموا حملة و الوفاء به فوعظ هؤلاء بمثالهم لطفًا من الله

(١) من ظ و م ، و في الأصل : عليه (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و م ، و في الأصل : و (٤) في م : ابوار (٥ - ٥) من ظ و م ، و في الأصل : وضع لهم طريق (٦) من م ، و في الأصل و ظ : بمثلهم - كذا .

لهذه الامة "وما يتذكر الا اولوا الالباب" انتهى .

ولما كانت القدرة على تزكية الجلف الجاني [بجمله - '] على التنزيه
أدل على القدرة على غيره ، و كان قد أسلف عن بنى إسرائيل أنهم
لم يقبلوا التزكية بل زاغوا ، دل على قدرته في عزته وحكمته وملكه وقده
ه على تزكية جميع العقلاء بقوله : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى بعث ﴾ أى
من حضرة غيب غيبه بشرع أو امره ونوايه ﴿ فى الامين ﴾ أى
العرب لأنهم كانوا معروفين من بين سائر الامم لا يكتبون بل هم على
الخالقة الاولى حين الخروج من بطن الام ، وذكر ظرف البعث وإهمال
غايته دال على أنها كل من يتأنى البعث إليه وهم جميع الخلق ، ويجوز
١٠ أن تطلق الامة على جميع أهل الارض لأن بعثه صلى الله عليه وسلم
كان حين ذهب العلم من الناس ، ولأن العرب اصل لجميع الباقين تبع
لهم ، فلا بدع أن يحمل عليهم وصفهم ﴿ رسولا ﴾ ولما كانت
تقوم الشئ بمثله أعجب قال : ﴿ منهم ﴾ بل الامة [بمعنى - '] عدم
الكتابة والتجرد عن كل تكلف وصف لازم له دائما وعلمه لما يكن
١٥ يعلم من غير تطلب ، فكانت آثار البشرية عنه مندرسة ، وأنوار الحقائق
عليه لائحة ، وذلك لثلاث يتوهم الافتقار إلى الاستعانة بالكتب لأن منشأ

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : انه (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : بعثته (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : يحملهم (٥) زيد فى الأصل :
اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : مصلب .

مشاكلته

مشاكلته لحال من بعث فيهم أقرب إلى مساواتهم له لو أمكنهم^١، فيكون عدم إمكان المساواة أدل على الإعجاز، وذكر [بعثه -^٢] منهم إن خص الوصف بالعرب لا ينفي بعثه^٣ إلى غيرهم ولا سيما مع ما ورد فيه من الصرائح وأثبتته من الدلائل القواطع^٤، فذكر موضع البعث وابتدأه فتكون الغاية مطلقة تقديرها: / إلى عامة الخلق .

٢٣٩ / ٥

ولما كان كونه منهم مفها [لأنه لا يزيد عليهم من حيث كونه منهم -^٢] وإن زاد فبشيء يسير، عجب^٥ من أمره ونبه^٦ على معجزة عظيمة له بقوله مستأنفا: ﴿ يتلوا ﴾ أى يقرأ قراءة يتبع بعضها بعضا على وجه الكثرة والعلو والرفعة ﴿ عليهم ﴾ مع كونه أميا مثلهم ﴿ آياته ﴾ أى يأتيهم بها على سبيل التجدد والمواصلة آية بينة على صدقه لأنه أمي مثلهم ١٠ بل فيهم الكاتب والعالم وإن كانوا معمرين في كثرتهم [فا -^١] خصه عنهم بذلك إلا القادر على كل شيء .

ولما كان المقام للتنزيه [ولتأديب من وقع في مواد الكفار ونحو ذلك، قدم التزكية فقال -^٢]: ﴿ ويزكيهم ﴾ أى عن الأخلاق الرذيلة والعقائد الزائفة، فكانت^٣ تزكيتهم لهم مدة حياته بنظره الشريف ١٥ إليهم وتعليمهم لهم وتلاوته عليهم، فربما نظر إلى الإنسان نظرة محبة فزكاه

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : اهلكتهم (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : معه (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : القوامع (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : عجيب (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : نوع (٧) من م ، وفى الأصل و ظ : وكانت .

الله بها ، وربما سرت تلك النظرة إلى ثان فأشرقت أنوارها عليه على
حسب القابليات كما وقّع لعمر بن وهب ثم صفوان بن أمية وكذا
ذو النور^١ الطفيل بن عامر الدوسي رضى الله عنه ثم قومه ، فأما عمير
فكان من أعظم المؤذنين^٢ للنبي صلى الله عليه وسلم ولمن آمن به فتذاكر
مع صفوان وقعة بدر في الحجر و من فقدوا من صناديدهم وأنه ليس
في العيش بعدهم خير ، ثم تمنوا رجلا بقتال النبي صلى الله عليه وسلم ،
فقال عمير : لولا ققرى و بنات لى و عيال أخشى عليهم الضيعة من بعدى
لأتيته بغلة^٣ أسيرى عندهم قتلته ، فأغتمها صفوان فعاذه أن يكفى
عياله إن مات و أن يواسيه إن عاش ، فقال : اكنم عنى ثلاثا ، ثم ذهب
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهداه الله لحلف صفوان أن لا يكلمه أبدا ، فلما
فتحت مكة فر صفوان ليركب البحر من جدة ، فاستأذن عمير النبي صلى الله عليه
وسلم ثم ذهب إليه فلحقه فلم يزل به حتى رجع ثم أسلم فكان^٤ من
خيار الصحابة رضى الله عنه ، و أما ذو النور فحين دعاه النبي صلى الله عليه
وسلم ثم سأل آية يعينه الله بها على قومه فأتاه الله نورا حين أشرف
على الحى الذى هو منه ، ثم دعا أباه و أمه فأسلما ، ثم صاحبه فكذلك
ثم قومه ، فما تخلف منهم أحد ، و أما غير الصحابة رضى الله عنهم فتزكيتهم
لهم بآثاره بحسب القابليات و الأمور التى قضى الله أن يكون مهيا ، فمن
كان^٥ له أعشق كان لاتباعه ألزم ، فكان في كتاب الله و سنته أرسخ من

(١) من ظ و م ، و في الأصل : ذو النون (٢) من م ، و في الأصل و ظ :
المؤذنين (٣) من ظ و م ، و في الأصل : لعله (٤) من ظ و م ، و في الأصل :
فكانا (٥ - هـ) من م ، و في الأصل و ظ : فكان .

سيرة و غيرها علما و عملا فكان^١ أشد زكاه^٢ .

و لما كانوا بعد التزكية التي هي تخلية عن الرذائل أخرج ما يكون إلى تخلية بالفضائل قال : (و يعلمهم الكتب) أى المنزل عليه / الجامع ٣٤٠// لكل خير ديف و دنيوى فى الأولى و^٣ الأخرى (و الحكمة) و هى غاية الكتاب^٤ فى قوة فهمه و العمل به ، فهى العلم^٥ المزين بالعمل [و العمل -^٦] .
المتقن بالعلم معقوله و منقوله ليضعوا كل شئ منه فى أحكم مواضعه فلا يزيغوا عن الكتاب كما زاغ بنو إسرائيل ، فيكون مثلهم^٧ كمثل الحمار^٨ يحمل أسفارا^٩ و [لو -^{١٠}] لم يكن له صلى الله عليه وسلم [معجزة^{١١}] إلا هذه لكانت غاية .

و لما كان الوصف بالآمية مفهوما للضلال ، و كان كثير منهم حال ١٠
إنزال هذه السورة يعتقد أنهم على دين متين و حال جليل مبين ، و كانوا^{١٢}
بعد هدايته لهم بعد الآمية سيضلون لأن الإرسال^{١٣} من حضرة غيب الغيب
فى العلوم المنافية للآمية إلى ما لم تصل إليه أمة من الأمم قبلهم ، و كان
ذلك موجبا للتوقف^{١٤} فى كونهم كانوا أميين ، أكد هذا المفهوم بقوله :

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فكانوا (٢) من ظ و م ، و ، الأصل :
زكاة (٣) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لغزناها .
(٤) زيد فى الأصل : فى قوله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لغزناها (٥) من
ظ و م ، و فى الأصل : العمل (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، و فى
الأصل : مثل (٨ - ٨) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٩) من ظ و م ،
و فى الأصل : كان (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : الاضلال (١١) من ظ
و م ، و فى الأصل : للتوقف .

(و ان) أى و الحال أنهم (كانوا) أى كونا هو كالجبله لهم . و لما كان^١ كونهم ذلك فى بعض الزمن الماضى ، أدخل الجار فقال :
 (من قبل) أى قبل إرساله إليهم من حين غيروا دين أبيهم إسماعيل^٢
 عليه الصلاة والسلام و عبدوا الأصنام (لنى ضلل) أى بعد عن
 المقصود (مبين^٣) أى ظاهر فى نفسه مناد لغيره^٤ أنه ضلال باعقادهم
 الأباطيل الظاهرة و ظنهم أنهم على شىء و عموم الجهل لهم و رضاهم
 به و اختيارهم له و عيهم^٥ من يميل^٦ إلى التعلم و ينحون نحو التبصر كما
 وقع لهم مع زيد بن عمرو بن نفيل و غيره ، فوصفهم بهذا غاية فى نقي
 التعلم من^٧ مخلوق عن نبيهم إعظاما^٨ لما جاء به من الإعجاز و تقريراً لشدة
 احتياجهم إلى نبي يرشدهم إلى الهدى ، و ينقذهم^٩ مما كانوا فيه من
 العمى و الردى .

و لما كانت^{١٠} تزكيتهم لهم مع أميتهم و غباوتهم لوصف الامية فى
 الجهل أمراً باهراً فى دلالاته على تمام القدرة ، زاد فى الدلالة على ذلك
 بالحق كثير ممن فى غيرهم^{١١} من الأمم مثلهم فى الامية [بهم - ']

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : كانوا (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : إبراهيم .
 (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : لغيرهم (٤-٤) من ظ و م ، وفى الأصل :
 عن ميل (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : عن (٦) زيد فى الأصل و ظ : له ،
 و لم تكن الزيادة فى م لحذفها (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : ينقيدهم .
 (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : كان (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : عجزهم .
 (١٠) زيد من ظ و م .

فقال: ﴿ و'آخرين ﴾ أى وبعثه فى آخرين ﴿ منهم ﴾ فى الآمية 'لا فى
العربية' ﴿ لما يلحقوا بهم' ﴾ أى فى وقت من الاوقات الماضية فى صفة' من
الصفات ، بل هم أجلف الناس كهوام المجوس واليهود والنصارى والبرابر
ونحوهم من طوائف العجم الذين هم ألكن الناس لسانا وأجدهم' أذهانا
وأكتفهم طبعاً وشأناً ، وسيلحقهم الله بهم فى العلم والتركيزية .
ولما كان عدم إلحاقهم [بهم - ٢] فى الماضى ربما أوهم شيئاً فى
القدرة' ، وإلحاقهم بهم فى المستقبل فى غاية الدلالة على القدرة ، قال :
﴿ وهو ﴾ أى والحال أنه وحده ﴿ العزيز ﴾ الذى يقدر على كل شىء .
ولا يغلبه / شىء فهو يزكى من يشاء ويعلمه ما' أراد من أى طائفة كان ،
ولو كان أجداً أهل [تلك - ٢] الطائفة لأن الاشياء كلها بيده ١٠
﴿ الحكيم ﴾ فهو إذا أراد شيئاً موافقاً لشرعه وأمره جعله' على أتمن
الوجوه وأوثقها فلا يستطيع نقضه ، ومهما أراد كيف كان فلا بد
من إنفاذه فلا يطاق رده بوجه ، ويكون المراد بالآخرين العجم ، وأن
الله تعالى سيلحقهم بالعرب ، قال ابن عمر رضى الله عنهما وسعيد بن
جبير أيضاً رضى الله عنه وهو رواية لىث عن مجاهد ويؤيده' ما روى ١٥
عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلاً سأل عنهم لما زلت سورة'

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : اجهدهم .
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : اعداؤه (٥) من م ، وفى
الأصل و ظ : من (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : اجمل (٧) زيد فى الأصل :
مراها ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٨) سقط من م (٩) من
ظ و م ، وفى الأصل : يؤيد

'الجمعة فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده' على سلمان رضى الله عنه وقال " لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء " .

ولما كان هذا أمرا باهرا ، عظمه بقوله على وجه الاستمرار
من قدرته : ﴿ ذلك ﴾ أى الامر العظيم الرتبة من تفضيل الرسول وقومه
و جعلهم متبوعين بعد أن كان العرب أتباعا لا وزن لهم عند غيرهم من
الطوائف ﴿ فضل الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ، والفضل ما
لم يكن مستحقا بخلاف الفرض ﴿ يؤتیه من يشاء ﴾ بحوله وقوته بأن
يهيئه له ولو كان أبعد الناس منه ﴿ والله ﴾ أى الملك الاعظم
﴿ ذوا الفضل ﴾ ولما كانت " ال " دالة على الكمال دل على ذلك بقوله :
١٠ ﴿ العظيم ﴾ أى الذى يحقر دونه كل عطاء من غيره .

ولما أدب عباده المؤمنين فى الممتحنة عما يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآتاه فى الصف بما حذر من إزاعة القلوب لمن آذى نبيه موسى عليه الصلاة والسلام ، وأعلم أنه سبحانه جمع الآداب كلها فى هذا الكتاب الذى أنزله على نبيهم الذى جعله خاتم الأنبياء وأشرف
١٥ الأصفياء ، ودل على فضله العظيم بتعليم الجاهل ، دل على عقابه الآليم
تتميها للدلالة على باهر قدرته بتجهيل العالم بإزاعة قلبه وإذهاب له
بأسه من الآخره لفضله عليه تحذيرا من الوقوع بما يوجب الإضلال
بعد العلم ، فقال جوابا لمن كأنه قال : هذا فضله على الجاهل فكيف

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) راجع معالم انزيل ٧/ ٧٣ (٣) مز ظ
و م وفى الأصل: الاستار (٤-٤) من ظ وم ، وفى الأصل : اقلوب واذب .

فله بالعالم ؟ فقال تحذيرا لمن يزكى فلا يزكى بأن يقول ما لا يعمل ،
ويحمل الكتاب فيحمله غير عالم به من أن يفعل به ما فعل^١ باليهود
من الذل في الدنيا والحزى [والعذاب - ٢] في الآخرة بازاعة القلوب
وإحاطة الذنوب فيكون أقبح مما قيل فيه :

من فاته العلم و أخطأ الغنى فذاك و الكلب على حد سوا : ٥
(مثل الذين) و لما كان العلم و لاسيما الرباني يجب أن يفرح به و يرغب
فيه من أى موصل كان ، بنى للجهول قوله و صيانة لاسمه الشريف عن
أن يذكر عند العصيان : (حملوا التوراة) أى كلفوا و ألزموا حمل
الكتاب الذى آتاه الله لبنى إسرائيل على لسان موسى عليه الصلاة و السلام
بأن علمهم إياها سبحانه و كفهم حفظ ألفاظها عن التغير و النسيان و معانيها ١٥

عن التحريف و التليس / و حدودها و أحكامها عن الإهمال و التضييع . ٢٤٢ /
و لما كان تركهم لحملها و هى من عند الله و على لسان رجل منهم
هو أعظم فى أنفسهم و أجلهم إحسانا إليهم فى غاية البعد و لاسيما مع
طول الزمان المسهل لحفظها الميسر لتدبرها و تعرف مقدارها ، عبر بأداة
البعد فقال : (ثم لم يحملوها) بأن حفظوا ألفاظها و لم يعملوا بما فيها ١٥
من الوصية باتباع عيسى عليه الصلاة و السلام إذا جاءهم ثم محمد صلى الله
عليه و سلم إذا جاء ، فهى ضارة لهم بشهادتها عليهم قاذفة لهم فى النار

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : يفعل (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ،
و فى الأصل : تعريف (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فيه (٥) من ظ و م ،
و فى الأصل : اذ .

من غير تقع أصلا ﴿كمثل﴾ أى مِثْل مَثَل ﴿الحمار﴾ الذى هو ابله الحيوان. فهو مثل [فى - '] الغباوة، حال كونه ﴿يحمل اسفارا'﴾ أى كتبنا من العلم كاشفة للأمور^٢ تنفع الالباء، جمع سفر، وهو الكتاب الكبير المسفر عما فيه .

- ٥ و لما كان المثل^٣ الجامع لهما - وهو وجه الشبه - شخصا مقلدا متعبا جدا بشىء لا تنفع له به أصلا فهو ضرر عليه صرف لا يدرك ما هو حامله غير أنه متعب ولا يدري أحضر هو أم كتب، أنتج قوله معبرا بالأداة التى هى الجامع الذم ترميها للآدميين من أن يتهاونوا بشىء من أحكام القرآن فيكونوا أسوأ مثلا من أهل الكتاب فيكونوا دون الحمار ١٠ لأن رسولهم صلى الله عليه وسلم أعظم وكتابهم أعلى وأنعم فقال: ﴿بئس مثل القوم﴾ أى الذين لهم قوة شديدة على محاولة ما يريدونه فلم يؤتوا من عجز يعذرون به ﴿الذين كذبوا﴾ أى عمدا على علم عنادا منهم وكفرا^٤ ﴿نايت الله'﴾ أى دلالات الملك الاعظم على رسله ولا سيما محمد صلى الله عليه وسلم وجميع ما يرضيه مثلهم فان ١٥ مثاهم قد تكفل بتعريف أنهم قد اجتمعوا مع الحمار فى وصف هو الروح الباطنى، وهو الضرر الصرف الذى لا تنفع فيه بوجه بأنفع الأشياء، وهو ما دل على الله فضمن سعادة الدارين، وهذا المثل وإن كان نصا
-
- (١) زيد من م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: الامور (م) من ظ و م، وفى الأصل: الشبه (٤) من ظ و م، وفى الأصل: مثلا (هـ-ه) سقط ما بين الرقعتين من ظ و م .

في اليهود فهو لجميع قراء السوء من كل ملة لا اشتراكهم معهم في وجه الشبه كما أن مثل الكلب في الأعراف على هذا النحو ، وكأنه لم يدخل سبحانه هذه الأمة في ذلك صريحا إشارة إلى حفظها من غير أن يكلها إلى نفسها كما أنه آتاه العلم مع الآية منها ومن رسولها من غير أن يكلهم إلى كتابة ولا تقدم علم ما ولا تكلف شيء . ٥

ولما كان التقدير : فاستحقوا الوصف بجميع المذام لأنهم ظلموا أشد الظلم ، عطف عليه قوله : ﴿ والله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال لا يهديهم - هكذا كان الأصل ، ولكنه أظهر تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال : ﴿ لا يهدى القوم ﴾ أى لا يخلق الهداية في قلوب الأقوياء الذين تعمدوا الزيف : ﴿ الظلمين ﴾ أى الذين تعمدوا الظلم ١٠ بمنازلة الهدى الذى هو البيان الذى لم يدع / لبسا حتى صار الظلم لهم صفة راسخة .

ولما كان قولهم أنهم أولياء الله وأجباؤه في غاية البعد من هذا المثل ، استأنف ما يدل على صحة المثل قطعا ، فقال معرضا عنهم آسرا لمن كذبوه بتيكيتهم : ﴿ قل ﴾ أى يا أيها الرسول الذى هم قاطعون بأنه رسول الله : ﴿ يا أيها الذين هادوا ﴾ أى تدينوا باليهودية . ولما كان الحق

(١) من م ، وفى الأصل و ظ : تصريحا (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : على .
(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : ما بوصف (٤) من ظ و م ، وفى الأصل :
الذى (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : يكذبونه (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : الذين .

يصدع من له أدنى مسكة ، فكانوا جديرين بالرجوع عن العناد ، عبر
 بأداة الشك فقال : ﴿ ان زعمتم ﴾ أى قلم قولاهم معرض للتكذيب
 ولذلك أكدتموه ﴿ انكم اولياء الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا أمر
 لاحد معه . خصمكم بذلك خصوصية مبتدأة ﴿ من دون ﴾^١ أى أدنى رتبة
 ٥ من رتب ﴿ الناس ﴾ فلم تعد الولاية تلك الرتبة الدنيا إلى أحد منكم
 غيركم ، بل خصمكم بذلك عن كل من فيه أدمية الحركة لاسيما الاميين
 ﴿ فتمنوا الموت ﴾ و أخبروا عن أنفسهم بذلك للقلق من دار البلاء إلى
 محل الكرامة والآلاء^٢ ﴿ ان كنتم ﴾ أى كونوا راسخا ﴿ صدقين ه ﴾ أى
 عريقين عند أنفسكم^٣ فى الصدق^٤ فان من علامات المحبة الاشتياق إلى
 ١٠ المحبوب ، ومن التطوع به أن من كان فى كدر و كان له رلى قد وعده
 عند الوصول إليه الراحة التى لا يشوبها ضرر أنه يمتنى النقلة إلى وليه ،
 روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم ه والذى نفسى بيده لا يقولها منكم
 أحد إلا غص بريقه ، فلم يقلها^٥ أحد منهم^٦ فلما منهم بمصدقته صلى الله
 عليه وسلم فلم يقولوا ولم يؤمنوا عنادا منهم .

١٥ ولما كان التقدير : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم امثالا
 لأمرنا ذلك ، فلم يتمنوه فى الوقت الحاضر ، تصديقا منا لبوته وتعجيزا
 وتحقيقا لمعجزات رسالته . دل على هذا المقدر بما عطف عليه من قوله

(١) زيد فى الاصل : اناس ، ولم تكن انزيادة فى ظ و م لحذفها (٢) من
 م ، وفى الاصل وظ : الأدميين (٣-٣) من م ، وفى الأصل وظ : الصدق .
 (٤-٤) فى ظ و م : منهم أحد .

الدال قطعاً على صدقه بتصديقهم له بالكف عما أخبر أنهم لا يفعلونه :
 ﴿ ولا يتمنونه ﴾ أى فى المستقبل ، واكتفى بهذا ' فى التعبير ' بلا لأن
 المذكور من دعوائهم هنا أنهم أولياء لا كل الأولياء ' فهى دون دعوى
 الاختصاص بالآخرة ، وأيضاً الولاية للتوسل إلى الجنة ، ولا يلزم منها
 الاختصاص بالعمه بدليل أن الدنيا ليست خالصة للأولياء المحقق لهم هـ
 الولاية ، بل البر والفاجر مشتركون فيها . ولما ' أخبر بعدم ' تمنيمهم ، وسع
 لهم المجال تحقيقاً للراد فقال : ﴿ ابدأ ﴾ وعرف أن سيئه ' معرفتهم بأنهم
 أعداء الله فقال : ﴿ بما قدمت ﴾ ولما كان أكثر الأفعال باليد ، نسب
 الكل إليها لأنها صارت عبارة عن القدرة فقال : ﴿ ايديهم ' ﴾ أى من
 المعاصى التى أحاطت بهم فلم تدع لهم حظاً فى / الآخرة بعلمهم . ١٠ / ٢٤٤

ولما كان التقدير تسبياً عن هذا : لتلايقولوا : سلنا جميع ما قيل
 فى الظالمين لكننا لسنا منهم فآله عليم ' بهم فى أفعالهم ونياتهم ، عطف
 عليه قوله معلقاً بالوصف تعميماً وإعلاماً بأن وصف ما قدموا من الظلم ؛
 ﴿ والله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شئ قدرة وعلماً ﴿ عليم ﴾ أى
 بالغ العلم محيط ' بهم - هكذا كان الأصل ، ولكنه قال : ﴿ بالظالمين هـ ﴾ ١٥

(١-١) فى ظ : بالتعبير (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : أولياء (٣) من ظ
 و م ، وفى الأصل : قلباً (٤) فى م ؛ عن عدم (هـ) من ظ و م ، وفى الأصل :
 سبب (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : ليد (٧) فى م ؛ تسبياً (٨) من ظ و م ،
 وفى الأصل : اعلم (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : محيط .

تعميما و تعليقا بالوصف لا بالذات . فالمعنى أنه عالم بأصحاب هذا الوصف
الراحمين فيه منهم و من غيرهم فهو يحازيهم على ظلمهم و هم يعلمون ذلك ،
و أعظم مصدق لله - و من أصدق من الله [قبلا - ١] - في هذا أنهم ما
قوتلوا قط إلا أُرزوا إلى حصونهم و قراهم كما مر في سورة الحشر ،
٥ فدل ذلك على أنهم أحرص على الحياة^٢ الدنيا من الذين أشركوا كما مر
في سورة البقرة فانهم عالمون بأنهم يصيرون إلى النار ، و العرب يظنون
أنهم لا يبعثون فهم لا يخافون [ما - ٢] بعد الموت و هم شحمان يقدمون
على الموت كما قال عنترة بن شداد العبسي^٣ :

بكرت تخوفى الموت كأننى أصبحت عن عرض الخوف بمعزل
١٠ فأجبتها أن المنيّة منهل لا بد أن أسقى^٤ بذاك المنهل
فاقى حياك لا أبالك و اعلى^٥ أنى امرؤ - أموت إن لم أقتل

و لما كان عدم تمنّيه علم من أعلام نبوته صلى الله عليه و سلم
لموافقته ما أخبر به ، و كان ذلك فعل من يعتقد أن التمنى يقدمه عن
أجله و عدمه يؤخره ، فصاروا بين^٦ التكذيب بما عندهم و نهاية البلادة ،
١٥ أمره صلى الله عليه و سلم بتدبيرهم على بلادهم تبكيّا لهم فقال : ﴿ قل ﴾
و أكد إعلاما لهم بأنه يلزم من فعلهم هذا إنكار الموت لدى لا ينكره

(١) زيد من ظ (٢) زيد في الأصل : في ، و لم تكن الزيادة في ظ و م
لحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد في الأصل : حيث قل ، و لم تكن
الزيادة في ظ و م لحذفناها (٥) من ط و م . و في الأصل : اشقا (٦) من ظ
و م ، و في الأصل : من .

أحد فقال : ﴿ ان الموت ﴾ وزاد في التقرّيع والنويخ بقوله :
 ﴿الذى تقرون منه ﴾ أى بالكف عن التمنى الذى هو أيسر ما يكون
 مع أنه يوصلكم إلى تكذيب من أتم جامدون فى تكذيبه ، وأكّد
 وقوعه بهم لأن عملهم عمل من هو منكّر له ، وربطه بالقاء جملا
 لفرارهم كالسبب له ، فان الجبن من أسباب الموت مع ما يكسب من العار ه
 كما قال " ان الجبان حتفه من فوته " أى هو غالب عليه [غلبة - ٢]
 العالى على السافل فقال : ﴿ فانه ملّيقكم ﴾ أى مدرّكم فى ٢ كل وجه
 سلكتموه بالظاهر أو الباطن .

ولما كان الحبس فى البرزخ أمرا - مع أنه لا بد منه - مهولا ،
 نبه عليه وعلى طوله بأداة التراخي فقال : ﴿ ثم تردون ﴾ ونبه بالبناء ١٠
 للفعول على القهر منه سبحانه والصغار منهم * وأنه عنده ١ فى غاية السهولة
 / ﴿ الى علم الغيب ﴾ وهو كل ما غاب عن العباد فهو مخبر عن أخلاقكم
 ٣٤٥ / عن علم . ولما كان بعض الفلاسفة يقر بعلمه تعالى بالكليات ، وينكر
 علمه بالجزئيات قال : ﴿ والشهادة ﴾ وهى كل ما ظهر وتشخص
 ولو لواحد من الخلق قبل كونه وبعد كونه . ولما كان التوقيف على ١٥
 الاعمال فظيما مرجفا ، قال مسيبا عن الرد : ﴿ فيبثكم ﴾ أى يخبركم
 إخبارا عظيما مستقصى مستوفى ﴿ بما كنتم ﴾ أى بما هو لكم كالجبلّة

(١) من م ، وفى الأصل و ظ : به (٢) زيد من ظ و م (٣-٢) من ظ و م ،
 وفى الأصل : وقت (٤) من ظ و م ، وفى الأصل « و » (٥) من م ، وفى
 الأصل و ظ : لهم (٦) من م ، وفى الأصل و ظ : عندهم .

﴿ تعملون ﴾ أى بكل جزء منه بما 'برز إلى الخارج' وما كان فى جلاتكم و لو لقيتم لعلمتموه ليجازيكم عليه .

و لما قبح سبحانه المخالفة بين القول و الفعل و صور صاحبها بصورة الحمار على الهيئة السابقة ، و حذر من ذلك بما هيا به العاقل للاجابة إلى هـ دوام الطاعة بعد أن بين أن جميع الكائنات مقررة بشمول ملكه بما لها من التسييح بألسنة الأحوال ، و القيام فى مراداته بغاية الامثال ، فكان العاقل جديرا بالمبادرة إلى غاية التسييح بلسان المقال ، و ختم بالتحذير من الإخبار يوم الجمع الأعظم بجميع الأعمال ، قال على طريق الاستنتاج مما مضى من الترغيب و التهيب ، ناديا لهم - ليكونوا أولياء الله - إلى الزكية ١٠ المذكورة التى هى ثمرة الرسالة بما حاصله الإقبال بالكلية على الله ٢

و الإعراض بالكلية عن الدنيا ليجمع المكلف بين التحلى بالمزايا و التحلى عن الدنيا ، فخص من المزايا أعظم تسييح يفعله العاقل فى أيام الأسبوع و هو الإسراع بالاجتماع العظيم فى يوم الجمعة الذى يناظر الاجتماع لإجابة المنادى فى يوم الجمع الأكبر . ثم الإقبال الأعظم بفعل [صلاة - ٥] ١٥ الجمعة التى هى ٦ سر اليوم الذى ضيعه [اليهود - ٥] و استبدلوا به ما كان سبب تعذيبهم بعذاب لم يعذب به أحد من العالمين كما جعل نتيجة

(١ - ١) من ظ و م ، و فى الأصل : خرج الى الظاهر (٢) فى الأصل بياض ملائناه من ظ و م (٣) زيد فى الأصل و ظ : ق - يسج ، و لم تكن الزيادة فى م لخدمتها (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : بالاجتماع (٥) زيد من ظ و م . (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الذى .

السورة الماضية النداء بالإرشاد إلى الإيمان و الجهاد [الموجب -^١] للإمان :
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى أقروا بالسنتهم بالإيمان و ألهمهم بأداة البعد^٢
 - المشيرة إلى احتياجهم إلى التزكية - إلى المبادرة إلى الاقبال على ما يتعقب
 ذلك من الأوامر ﴿ إذا نودى ﴾ أى من أى مناد كان من أهل النداء
 ﴿ للصلوة ﴾ أى لأجل الحضور إليها و إليه عند قعود الإمام على المنبر ه
 للخطبة . و لما كانت الإجابة يكنى فى إيجابها النداء فى الوقت المعروف للنداء
 ولا يشترط لها استغراق النداء لجميع^٣ اليوم أنى بالجار فقال : ﴿ من يوم الجمعة ﴾
 أى اليوم الذى عرض على من قبلنا فأبوه فكانوا كمثل الحمار يحمل أسفارا
 و ادخره الله لنا و وقفنا لقبوله ، فكانوا لنا تبعاً مع تأخرنا / عنهم فى الزمان ، ٣٤٦ /

سمى بذلك لوجوب الاجتماع فيه للصلاة^٤ ، فعلة بالسكون و يضم اسم^٥
 للمفعول كالضحكة للضحك منه ، فان فتح ميمه كان بمعنى الوقت^٦ الجامع
 كالضحكة للكثير الضحك ، و من جمعه أن فيه اجتمع خلق آدم عليه
 الصلاة و السلام فاجتمع بخلقه جميع الخلق ، و هو مذكر^٧ يوم البعث
 و الجمع الذى يقع فيه الإناء بالأعمال ، و تظهر فيه ظهورا بينا تاما الجلال
 و الجمال ” يوم ينادى المنادى من مكان قريب “ و فيه تقوم الساعة ، ١٥
 روى مالك عن أنى هريرة^٨ رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : ابعيد (٣) من م ، وفى
 الأصل و ظ : بجمع (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : فى الصلاة (٥) من ظ
 و م ، وفى الأصل : المفعول (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : وقت (٧) من م ،
 وفى الأصل و ظ : مدكور (٨) راجع الموطأ (٣٨) .

و سلم : خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة 'فيه خلق' آدم عليه
 الصلاة والسلام وفيه أهبط وفيه مات وفيه تيب عليه ، وفيه تقوم
 الساعة ، وما من دابة إلا وهي مصيحة يوم الجمعة من حين تصبح حتى
 تطلع الشمس مشفقا [من الساعة - ٢] إلا الجن والإنس ، وفيه ساعة
 لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه إياه . وفي
 آخر الحديث أن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال : إنها آخر ساعة
 في يوم الجمعة ، وأول الصلاة بما هو أعم من فعلها و انتظارها لقول
 النبي صلى الله عليه وسلم ٢ : من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى
 يصلها ، وكان النداء في زمن النبي صلى الله عليه وسلم عند باب المسجد إذا
 ١٠ صعد صلى الله عليه وسلم على المنبر ، فاذا نزل بعد الخطبة أقيمت الصلاة ،
 وكذا في زمن أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ، فلما كان عثمان رضى الله
 عنه وكثر الناس وتباعدت المنازل و قلت الهمم زاد مؤذنا آخر
 على داره التي تسمى الزوراء ، فاذا جلس على المنبر أذن المؤذن ثانيا
 الأذان الذى كان على زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، فاذا نزل من ٤
 ١٥ المنبر أقيمت الصلاة ، ولم [يعب - ٥] أحد على عثمان زيادة الأذان
 الأول لعلهم أنه من السنة بما جعل إليه النبي صلى الله عليه وسلم حين
 قال : عليكم بستي وسنة الخلفاء [الراشدين - ٢] من بعدى .

(١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : خلق فيه (٢) زيد من م (٣-٣) مقط ما
 بين الرقنين من ظ (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : على (٥) زيد من ظ و م .

ولما كان المراد بإيجاب المعنى جزما من غير تردد مع قطع كل علاقة بلا التفات إلى شيء من غير ما عذر الشارع به، عبر عنه بالسعي، وهو معنى قول الحسن أنه السعي بالنية لا بالقدم، فقال: ﴿فاسعوا﴾ أى لتكونوا أولياء الله ولا تهاونوا فى ذلك لتكونوا أعداءه كاليهود ﴿الى ذكر الله﴾ أى الخطبة و الصلاة المذكرة بالملك الاعظم الذى من ه انقطع عن خدمته هلك، هذا المراد بالسعي لاحقيقة بل هى منهى عنها كما قال صلى الله عليه وسلم " اذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ، لكن اتوها وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا." و لما أمر بالمبادرة إلى تجارة الآخرة، وكان طلب / الأرباح - لتكونها

٣٤٧/

[حاضرة - ٢] أعظم مانع عن أمور الآخرة [لتكونها - ١] غايته، ١٠ و كان البيع أجل ذلك لتعين الفائدة فيه ولكونه أكثر ما يشتغل به أهل الأسواق لكثرة الوافدين إلى ١ الأمصار يوم الجمعة من الحواضر واجتماعهم للتجارة عند تعالى النهار، قال ناهيا عن تجارة الدنيا وكل ما يعوق عن الجمعة معبرا به عنها لأنه أعظمها: ﴿وذروا البيع﴾ أى اتركوه ولو [على - ١] أقبح حالاته وأذلها وأحقرها، [فأفاد - ١] النهى ١٥ عن غيره من باب الأولى، و وقَّت التحريم من الزوال إلى فراغ الصلاة، فإن خالف وباع صح العقد مع عصيانه، فإن النهى ليس

(١) فى ظ و م : تكونوا (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : اعد الله (٣) زيد من م (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : لأجل (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : لأهل .

لعينه ولا [لما - '] هو داخل فيه ولا لما هو خارج ولازم له بل
لاسر مقارن بطريق الاتفاق، وهو ما هو فيه من الذهول عن الواجب
فهو كالصلاة في الدار المغصوبة والثوب المغصوب^٢ والوضوء
بالماء المغصوب .

٥ ولما أمر بما هو شاق على النفوس معبرا بالفعل المريض لفظا
ومعنى، رغب فيه بقوله : ﴿ ذلكم ﴾ أى الأمر العالى الرتبة من فعل
السعى وترك الاشتغال بالدنيا ﴿ خير لكم ﴾ لأن الذى أمركم به له الأمر
كله وهو يريد تطهيركم فى أديانكم و أبدانكم و أموالكم و بيده إسماعلكم
و إشفائكم، و ألهب إلى ذلك و زاد فى الحث عليه بقوله : ﴿ ان كنتم ﴾
١٠ أى بما هو لكم كالجبلية ﴿ تعلمون ٥ ﴾ أى يتجدد لكم [علم - '] فى يوم
من الايام فأتتم ترون ذلك خيرا، [فاذا علمتموه خيرا أقبلتم عليه فكان
ذلك لكم خيرا - ']، و صلاة الجمعة فرض عين على كل من جمع البلوغ
و العقل و الحرية و الذكورة و الإقامة إذا لم يكن له عند ما ذكره الفقهاء،
و إنما عبر عنها بهذا إشارة^٣ إلى أن عاقلا لا يسمعه أن يترك ما يعلم أنه
١٥ أعلى وجوه الخير، و كل من لا يحب عليه حضور الجمعة فاذا حضر
و صلى مع الإمام سقط عنه فرض من الظهر و لا يكمل به عدد الجمعة
إلا صاحب العذر، فيأته إذا حضر يكمل به العدد.

(١) زيد من ظ و م (٢) م ظ و م، وفى الأصل : المغصوبة (٣) من ظ
و م، وفى الأصل : الإشارة .

ولما حث على الصلاة^١ وأرشد إلى [أن - '] وقتها لا يصلح لطلب شيء غيرها، وأنه متى طلب فيه شيء من الدنيا محقت بركته مع ما اكتسب من الإثم، بين وقت المعاش^٢ فقال مبيحا لهم ما كان حظر عليهم، ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنهما^٣: إن شئت فآخرج وإن شئت فاقعد: ﴿ فاذا قضيت الصلاة ﴾ أى وقع الفراغ منها على أى ه وجه كان ﴿ فانتشروا ﴾ أى فذبوا و تفرقوا مجتهدين فى الأرض فى ذلك ﴿ فى الأرض ﴾ جميعها^٤ إن شئتم، لآحجر عليكم و لآخرج رخصة من الله لكم ﴿ و ابتغوا ﴾ أى و تعمدوا و كلفوا أنفسكم مجتهدين بالسعى^٥ فى طلب المعاش ﴿ من فضل الله ﴾ أى نعمة الملك الأعلى الذى له كل كآل و لا يجب لأحد عليه^٦ شيء بالبيع و الشراء و غيرهما من مصالح الدين ١٠ و الدنيا التى كنتم نهيتم عنها .

ولما كان السعى فى طلب الرزق مآهيا عن الذكر، بين أنه أعظم السعى فى المعاش و أن من / غفل عنه لم ينجح له^٨ مقصد و^٩ إن تحايل له بكل الحيل و غير ذلك فقال: ﴿ و اذكروا الله ﴾ أى الذى بيده كل شيء و لآشئ لغيره فانه لآرخصه فى ترك ذكره أصلا . و لما كان العبد ١٥ مطلوبآ بالعبادة فى كل حال فانه مجبول على النسيان . فهما قتر عن نفسه

(١) زيد فى الأصل و ظ : و ارشد . و لم تكن الزيادة فى م فآخذناها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، فى الأصل : المعاش (٤) رآجم معالم التنزيل ٧/٧٨ . (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : جميعآ (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : فى السعى (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : عليه لأحد (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : مقدر .

استوات عليها الغفلة فرنت على البطالة فهلكت قال : (كثيرا) اى
بحيث لا تغفلوا عنه بقلوبكم^١ أصلا ولا بالسنتكم حتى عند الدخول إلى
الحلاء وعند أول الجماع وعند الإنزال ، [و - ٢] استثنى من اللسانى
وقت التلبس بالقدر كالكون فى قضاء الحاجة .

٥ ولما كان مراد الإنسان من جميع تصرفاته الفوز بمراداته^٢ قال
معلا لهذا الامر : (لعلكم تفلحون) اى لتكونوا عند الناظر لكم
والمطلع عليكم من أمثالكم^٣ بمن يجهل العواقب على رجاء من أن تظفروا
بجميع مطلوباتكم ، فان الامور كلها بيد من تكثرون ذكره ، وهو عالم
بمن يستحق الفلاح فيسعه به وبمن عمل رياء ونحوه فيخيه ، فاذا امتثلتم
١٠ أمره كان جدرا بتقويلكم ما تريدون ، وإن نسيتموه كنتم جديرين^٤ بأن
يكلكم إلى أنفسكم فتهاكوا .

ولما كان التقدير مما ينطق به نص الخطاب : هذه أوامرنا الشريفة^٥
و تقديساتنا العظيمة و تفضلاتنا الكريمة العمية . فإلهم إذا نودى [لها - ٢]
توانى^٦ بعضهم فى الإقبال إليها ، وكان قلبه متوجها نحو البيع ونحوه من
١٥ الامور الدنيوية عاكفا [عليها - ٢] ساعيا بمجده إليها يخالف قوله أنه
أسلم لرب العالمين فعله هذا ، عطف عليه قوله : (واذا راوا) اى بعد

(١) من م ، وفى الأصل و ظ : عليه (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : بقلوبكم .
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : بمراداته (٥) من م ،
وفى الأصل و ظ : انعالكم (٦) من م ، وفى الأصل و ظ : جديرون .
(٧) من ظ و م ، وفى الأصل : اشريف (٨) من ظ و م ، وفى
الأصل : توانوا .

الوصول إلى موطنها المريح ومحلها الفسيح الشرح المليح ، والاشتغال
بشأنها العالي (تجارة) أى حولها هى موضع للتجارة . ولما ذكر ما
من شأنه إقامة المعاش أتبعه ما هو أنزل منه وهو ما أقل شؤونه البطالة
التي [لا - ٢] يمنح إليها ذوقه ولا يلقى لها باله فقال : (اولهوا)
أى ما يلهى عن كل نافع . ولما كان مطلق الانقضاء قيحا لأنه ه
لا يكون إلا تقريبا على حال سيء ، من الفض وهو الكسر بالفرقة ،
والففاض ما تفرق من الشيء عند الكسر ، ويقال : فض الفم والطلع :
كسرهما ، فكيف إذا كانت علته قيحة ، قال تعالى معبرا به : (انقضوا)
أى تفروا متفرقين من العجلة .

ولما كان [سبب - ٢] نزول الآية أنه كان أصاب الناس جوع ١٠
 وجهد ، فقدم دحية الكلبي رحمه الله تعالى بغير تحمل الميرة ، وكان في
 عرفهم أن يدخلوا في مثل ذلك بالطبل والمعازف والصياح ، وكان
 قصد بعض المنفضين العير ، وبعضهم ما قارنها من اللهو ، ولكن قاصد التجارة
 [هو - ٢] الأكثر ، أثبت الضمير فقال معلما بالاهتمام بها لأن اللهو

مسبب عنها : (إليها) وللدلالة على أنه إذا ذم قاصدها مع / ما فيها ١٥ / ٣٤٩
 [من النفع - ٢] والإنسان لا بد له من إصلاح معاشه لقيام [حاله - ٢]

(١) من ظ وم ، وفي الأصل : هو (٢) زيد من ظ وم (٣) زيد في الأصل :
الا ، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها (٤) زيد في الأصل و ظ : كان ،
ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها (٥) زيد من م (٦) من م ، وفي
الأصل و ظ : مسيا .

ولاسيما والحاجة إذ ذاك شديدة ، كان الظم لقصد الله من
باب الأولى .

ولما كان ذلك حال الخطبة التي هي جدرة بشدة الإصغاء إليها
والاعتاظ بها في صرف النفس عن الدنيا والإقبال على الآخرة قال :
هـ (وتركوك) أى تخطب حتى بقيت في اثني عشر رجلا ، قال جابر
رضي الله عنه : أنا أحدهم ، ودل على مشروعية القيام بقوله : (قائما)
فالواجب خطبتان : قائما يفصل بينهما بحلوس ، والواجب فيها أن يحمد الله
تعالى ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله تعالى ، هذه
الثلاثة واجبة في الخطبتين معا ، ويجب أن يقرأ في الأولى آية من
١٠ القرآن وفي الثانية أن يدعو للمؤمنين ، فلو ترك واحدة من هذه الخمس
لم تصح الخطبة عند الشافعي رضي الله عنه ، ولجواز الجمعة خمس شرائط :
[الوقت - ١] وهو وقت الظهر ، والعدد وهو الأربعون ، والإمام
[والخطبة - ٢] ودار الإقامة ، فان فقد شرط وجبت ٣ الظهر ،
ولا تبدأ الخطبة إلا بعد تمام ، وبقاء هذا العدد شرط إلى آخر الصلاة .
١٥ فان انقض بعضهم ثم عاد ولم يفته شيء من الأركان صحت .

ولما كان هذا فعل من سفلت^١ همته عن سماع كلام الحق من
الحق ، أمره^٢ صلى الله عليه وسلم بعظهم إلهابهم إلى الرجوع إلى تأملهم

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : او (م) من ظ و م ،
(٣) في الأصل : وجب (٤) في ظ و م : فلو (هـ) من م ، وفي الأصل و ظ :
شملت (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : امر .

للخطاب و لو بالعتاب قال : ﴿ قل ﴾ أى لهم رغبة في الرجوع إلى ما كانوا عليه من طالب الخير من معدنه : ﴿ ما عند الله ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال من الأعراض العاجلة في الدنيا من واردات القلوب و بوارد الحقيقة ، الحاصل من سماع الخطبة الأمر بكل خير ، الناهى عن كل شر^١ ، المفيد تزكية الباطن و تقويم^٢ الظاهر و البركة في جميع الأحوال و الآجلة في الآخرة بما [لا - ٢] يدخل تحت الوصف ﴿ خير ﴾ و لما قدم التجارة أولا اهتماما بها ، قدم ها ما كانت سبيله^٣ : " ليصير كل^٤ منهما مقصودا بالنهى فقال : ﴿ من للهو ﴾ و لما بدأ به الإنفال الأغلب في حال الرفاهية عليه قال معيدا الجار للتأكيد : ﴿ و من التجارة^٥ ﴾ أى و إن عظمت .

١٠

و لما كان من عنده الشيء قد لا يعطيه بسهولة^٦ و إذا أعطاه لا يعطيه إلا من يحبّه قال : ﴿ و الله ﴾ أى ذو الجلال و الإكرام وحده ﴿ خير الرزقين ﴾ لأنه يرزق متاع الدنيا لسفوله و لكونه زادا إلى الآخرة البر و الفاجر و المطيع و العاصي . و يعطى من يريد ما لا يحصىه العد ولا يحصره الحد ، و أما المعارف الإلهية و الأعمال الدينية الدال عليها ١٥ رونق الصدق و صفاء الإخلاص و جلالة المتابعة فلا يؤتيها إلا الأبرار و إن كانوا أضعف الناس و أبعدهم من ذلك و لا يفوت أحدا ، أقبل

(١) من ظ و م ، و في الأصل : شيء (٢) من ظ و م ، و في الأصل : تقوية .
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و في الأصل : لها (هـ) من م ، و في الأصل : ليكون كلا (٦-٦) من ظ و م ، و في الأصل : أولا .

/ ٣٥٠

/ على ما شرعه / شيئاً كان ينفعه فلا تظنوا ان الغنى فى البيع والتجارة إنما هو فى متابعة أمر من أحل البيع وأمر به. وشرع ما [هو - ١] خير منه تزكية وبركة ونماء فى الظاهر والباطن ، روى صاحب الفردوس^٢ عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من قال يوم الجمعة « اللهم أغنى بجلالك عن حرامك »^٣ وبطاعتك عن معصيتك^٤ وبفضلك عمن سواك^٥ سبعين مرة لم تمر به جمعتان حتى يغنيه الله تعالى ، وأصل الحديث أخرجه أحمد^٦ والترمذى^٧ - وقال حسن - عن على رضى الله عنه ، وفى الباب عن ابن عباس رضى الله عنهما ، فأقبلوا على متابعة رسوله صلى الله عليه وسلم والزموا هديه واستمسكوا بفروزه^٨ تناولوا خيري الدارين بسهولة ، فقد رجع آخر السورة كما ترى على أولها بما هو [من - ٩] شأن الملك من الرزق وإفالة الأرباح والفوائد ولا سيما إذا كان قدوساً وتبكييت من أعرض عن خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم اللازم منه استمرار الإقبال عليه ودوام الإقامة بين يديه ، لأنه لا يدعوهم إلا لما يحييهم من الصلاة والوعظ الذى [هو - ١٠] عين ١٥ تنزيه الله وتسيحه " يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتب والحكمة " يزكيهم ربهم ويرزقهم^٩ من فضله^{١٠} إنه كريم وهاب - والله أعلم بالصواب^{١١}.

(١) زيد من ظ (٢) راجع ص : ٣١٠ ب (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٤) راجع المسند ١/ ١٥٣ (٥) راجع الجامع ٢/ ٢٩٥ (٦-٦) من ظ وم ، وفى الأصل : استمسكوا هدية والزموا بفروزه (٧) زيد من م (٨) زيد من ظ وم . (٩) من ظ وم ، وفى الأصل : يزيدهم .

سورة المنافقين

مقصودها كمال التحذير عما^٢ يئلم الإيمان من الأعمال الباطنة،
 [والترهيب - ٢] عما يقدح في الإسلام من الأحوال الظاهرة، بمخالفة
 'الفعل للقول' فانه نفاق في الجملة فيوشك أن يجر إلى كمال النفاق فيخرج
 من الدين ويدخل الهاوية، ليكون هذا التحذير سببا في صدق الأقوال ه
 ثم 'صدق الأعمال' ثم 'صدق الاخلاق' ثم 'صدق الاحوال' ثم 'صدق
 الانفاس'، فصدق القول [أن - ٢] لايقول القائل إلا عن برهان،
 وصدق العمل أن لا يكون للبدعة عليه سلطان، وصدق الاخلاق أن
 لا يلاحظ ما^٣ يبدو منه من الإحسان بعد المبالغة فيه بعين التقصان،
 وصدق الاحوال أن يكون على كشف و بيان، وصدق الانفاس ١٠
 أن لا ينفس إلا عن وجود كالعيان، وتسميتها بالمنافقين واضحة في ذلك
 ﴿ بسم الله ﴾ الذي له الإحاطة العظمى علما وقدره فن زاعج أرداه^٤
 ﴿ الرحمن ﴾ الذي ستر^٥ بعموم رحمته من أراد من عباده 'و فضح' من

(١) القات والستون من سور القرآن الكريم، مدنية، وعدد آياتها ١١ (٢) في
 الأصل بياض ملائمه من ظ و م (٣) زيد من ظ و م (٤ - ٤) من ظ و م،
 وفي الأصل: والقول وانفعل (٥) زيد في الأصل: في، ولم تكن الزيادة
 في ظ و م لحذفها (٦) من ظ و م، وفي الأصل: الاخلاص (٧) من م،
 وفي الأصل و ظ: من (٨) من ظ و م، وفي الأصل: اراده (٩) من ظ
 و م، وفي الأصل: يستر (١ - ١٠) من ظ و م، وفي الأصل: فتع من .

شاء وإن دقق مكره وأخفاه ﴿الرحيمه﴾ الذى وفق^١ أهل وده ماتمام
نعمته لما يحبه ورضاه .

/ ٣٥١

لما نهى سبحانه فى الممتحنة / عن اتخاذ عدوه وليا، وذم فى
الصف على المخالفة بين القول والفعل، وحذر آخر الجمعية من الإعراض
٥ عن حال من أحوال^٢ النبى صلى الله عليه وسلم على حال من الأحوال
ولو مع الوفاق، لأن صورة ذلك كله صورة النفاق، قبح فى أول هذه
حال من أقبل^٣ عليه على حال النفاق، لأنه يكون كاليهود الذين حملوا
التوراة ثم لم يعملوها، واستمرت السورة كلها فى ذمهم بأقبح الذم لىكون
زاجرا عن كل ما ظاهره نفاق، فقال تعالى: ﴿إذا جاءك﴾ أى يا أيها
١٠ الرسول المبشر به فى التوراة والانجيل ﴿المنفقون﴾ أى العريقون فى
وصف النفاق وهو إسلام الظاهر وكفر الباطن، وأغلبهم من اليهود
﴿قالوا﴾ مؤكدين لأجل استنساخهم لتكذيب من يسمعهم^٤ لما عندهم
من الارتياح: ﴿نشهد﴾ قال الحسن: هو بمنزلة يمين كأنهم قالوا: نقسم
﴿تلك﴾ - التأكيد لذلك وإيهاما^٥ لأن قوة^٦ تأكيدهم لشدة رغبتهم
١٥ فى مضمون ما يقولونه ﴿لرسول الله^٧﴾ أى الملك الذى [له - ^٨]
الإحاطة الكاملة. فوافقوا الحق بظاهر^٩ أحوالهم، وخالفوا بقلوبهم وأفعالهم.
(١) من ظ وم، وفى الأصل: وى (٢) من م، وفى الأصل وظ: الأحوال .
(٣) من م، وفى الأصل وظ: أقبه (٤) تكرر فى الأصل بعده إذا جاءك .
(٥) زيد فى الأصل: لهم، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها (٦-٧) من ظ
وم، وفى الأصل: قوة (٧) زيد من ظ وم (٨) من ظ وم، وفى
الأصل: بطواهر .

ولما كانت الشهادة الإخبار عن علم اليقين لأنها من الشهود وهو
 كال الحضور و تمام الاطلاع ومواطأة القلوب للالسته ، صدق سبحانه
 المشهود به وكذبهم في الإقسام بالشهادة ومواطأة ألسنتهم لقلوبهم [فقال - ١]:
 ﴿ والله يعلم ﴾ أى وعلمه هو العلم فى الحقيقة ، وأكده سبحانه بحسب
 إنكار المناهقين فقال: ﴿ انك لرسوله ﴾ سواء شهد المنافقون بذلك أم ه
 لم يشهدوا ، فاشهادة بذلك حق بمن يطابق لسانه قلبه ، وتوسط هذا
 بين شهادتهم وتكذيبهم لئلا يتوهم أن ما تضمنته شهادتهم من الرسالة
 كذب .

ولما كان ربما ظن أن هذا تأكيد لكلام المناهقين ، دل على أنه
 تحقيق لمضمون كلامهم دون شهادتهم فقال: ﴿ والله ﴾ أى المحيط بجميع
 صفات الكمال ﴿ يشهد ﴾ شهادة هى الشهادة [لأنها محيطه - ٢] بدقائق
 الظاهر والباطن ﴿ ان المنافقين ﴾ أى الراسخين فى وصف الفاق
 ﴿ لكاذبون ﴾ أى فى إخبارهم عن أنفسهم أنهم يشهدون لأن قلوبهم
 لا تطابق ألسنتهم فهم لا يعتقدون ذلك ، ومن شرط قول الحق أن
 يتصل ظاهره بباطنه وسره بعلانيته ، ومتى تخالف ذلك فهو كذب ، ١٥
 لا المراد أنهم كاذبون فى صحة ما تضمنته شهادتهم من انك رسول الله .

- (١) زيد من ظ (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الرسول الله (م) زيدت
 الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفها (٤) زيد من ظ و م .
 (٥) م م ، وفى الأصل و ظ ان (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : وباطنه .
 (٧) م م ، وفى الأصل و ظ : لأن .

و الحاصل أن الشهادة تتضمن شيئين : صدق مضمون الخبر و الإذعان له ، فصصدقهم الله في الأول وكذبهم في الثاني فصاروا بنفاقهم أسفل حالا و شر مآلا من اليهود .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما أعقب حال المؤمنين فيما خصهم الله به بما انطوت / عليه الآيات الثلاث إلى صدر سورة الجمعة ٣٥٢ / ٥ إلى قوله " والله ذو الفضل العظيم " بذكر حال من [لم - '] ينتفع بما حل حسبا تقدم ، و كان في ذلك من المواعظ والتبذير ما ينتفع به من سبقت له السعادة ، أتبع بما هو أوقع في الغرض و أبلغ في المقصود ، و هو ذكر طائفة بين أظهر من قدم الشئ عليهم و من ١٠ أقرانهم^٢ و أرايهم و أقاربهم ، تلبست في الظاهر بالإيمان ، و أظهرت الانقياد و الإذعان ، و تعرضت فأعرضت و تنصت فإصصت ، بل عاقبتها الأقدار ، فعميت البصائر و الأبصار ، و من المطرد المعلوم أن اتعاطى الإنسان بأقرب^٣ الناس إليه و بأهل زمانه أغلب من^٤ اتعاطه بمن بعد عنه زمانا و نسبا ، فاتبعت سورة الجمعة بسورة المنافقين رغبة للمؤمنين بحال أهل النفاق^٥ ، ١٥ و بسط من قصصهم ما يلائم ما ذكرناه . و كان قيل^٦ لهم : ليس من أظهر الانقياد و الاستجابة . ثم (٩) بنى إسرائيل ثم كان فيما حل كمثل الحمار يحمل أسفارا بأعجب من حال إخوانكم زمانا و قرابة . و أتم أعرف الناس

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : أقرانهم (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : بما هو أقرب (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : في (٥) في الأصل : بياض ملأناه . من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : قدم .

بهم وأنهم [قد - ١] كانوا في الجاهلية موصوفين بجودة الراى وحسن النظر "وإذا رأيتهم تعجبك اجسأهم و ان يقولوا تسمع لقولهم" "ولكن المنافقين لا يفقهون" قالت : وقد مر^٢ في الخطبة ما روينا في مصنف ابن أبى شيبة من قول أناس من المؤمنين : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الجمعة بسورة الجمعة [و المنافقين - ٢] فيبشر بها المؤمنين ويحرضهم ، ٥
و أما سورة المنافقين فيؤس بها المنافقين ويوبخهم ، وهذا نحو ما ذكرناه أولاً - انتهى .

و لما كان المعنى أنهم لم يعتقدوا ما شهدوا به ، وكان كأنه قيل :
فما الحامل لهم على هذا الكلام المؤكد والكذب في غاية الباحة لاسيما
عند العرب ، علله بقوله مسميا شهادتهم إيماناً لأن الشهادة تجري مجرى ١٠
القسم في إرادة التوكيد ، ولذلك يتلقى بما يتلقى به القسم : (اتخذوا)
أى أخذوا بجهدهم (إيمانهم) أى كلها من شهادتهم هذه المجتهد في
توكيدها وكل يمين سواها (جنة) أى وقاية تقيهم المكارة الدنيوية
[و - ١] يستترون بها منها فيصنون بها دماءهم وأموالهم ، فاستنصوا
بنور الإجابة فلم يندب عليهم شعاع نور السعادة فانطفأ نورهم بقهر ١٥
الحرمان ، و بقوا في ظلمات القسمة السابقة بحكم الخذلان (فصدوا)
أى فسبب لهم اتخاذهم هذا أن أعرضوا بأنفسهم مع^٣ سوء البواطن^٤

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : من (م) زيد من ظ و م .
(٣) من ظ و م ، وفي الأصل : فيضربون (هـ) من م ، وفي الأصل و ظ : لم .
(٤) من ظ و م ، وفي الأصل : من (٧) من م ، وفي الأصل و ظ : الباطن .

و حرارة الصدور ، و حنفوا غيرهم على الإعراض لما يرى من سيئه أحوالهم
بتلك الظواهر مع بقائهم على ' ما كانوا ألقوه من الكفر الذى يزيه
الشيطان (عن سيد الله ') أى عن طريق الملك الأعظم الذى شرعه
لعباده ليصلوا به إلى محل رضوانه ، و وصلوا إلى ذلك بخداعهم و مكرم
٢٥٣ / ٥ بجرأتهم على الايمان الحائثة التى يمشون حالهم بها لما شرعه / الله فى هذه
الحنيفية السمحة من القناعة من الخائف يمينه فيما لا يعلم إلا من قبله .
و لما كان ما أخبر به من حالهم فى غاية القباحة ، أتج قوله :
(انهم) و أكدده لأن حالهم يعجبهم و يعجب كثيرا ممن قاربهم
(ساء ما كانوا) أى جبلة و طبعاً (يعملون) أى يحددون عمله مستمرين
١٠ عليه بما هو كالجبلة من جرأتهم على الله و رسوله صلى الله عليه و سلم
و خلص عباده بالايان الحائثة .

و لما كانت المعاصى تعمى القلب فكيف بأعظمها ، علاه بقوله :
(ذلك) أى الأمر العظيم فى البعد من الخير من الكذب بالإخبار
بالشهادة و الحلف على الصدق و الصد عن السيل ' و الوصف لعملهم
١٥ بالسوء (باهم امنوا) أى بسبب أنهم أقروا بالإيمان بالاستهت من غير
مطابقة لقلوبهم . و لما كان الكفر مستبعداً فكيف إذا كان بعد الإقرار ،
عر بأداة البعد لذلك و لتفهم الذم على التعقيب من باب الأولى ، و لتلا
يتوهم ان الذم إنما هو على تعقيب الايمان بالكفر فقط ، لا على مطلقه ،
(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الى (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : سبيل الله .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لعلمهم .

فالتعبير بـ ' يفهم ' أن من استمر طول عمره على الإيمان ثم كفر قبل موته بلحظة كان له هذا الذم فقال : (ثم كفروا) أى سرا فهابوا الناس ولم يهابوا الله . ولما كان مجرد الطبع على القلب فى غاية البشاعة ، كان مفهما لبشاعة ما كان منه من الله من باب الأولى ، نى للجهول قوله : (فطبع) أى فحصل الطبع وهو الحتم مع أنه معلوم أنه لا يقدر على ذلك غيره سبحانه (على قلوبهم) لاجل اجترائهم على ما هو أكبر الكبار على وجه النفاق حتى مروا على الكفر واستحكموا فيه . وكذلك من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاونا بها (فهم) أى فتسبب عن ذلك أنهم (لا يفقهون) أى لا يقع لهم فقه فى شيء من الأشياء فهم لا يميزون صوابا من خطأ ولا حقا من باطل لأن المختوم عليه لا يصل إليه شيء ١٠ ولا يخرج منه شيء .

ولما وصف سبحانه بواطنهم بما زهد فيهم لأن الإنسان بعقله كما أن المأكول بشكله . وكانت لهم أشكال تغر ناظرها لأن العرب كانت تقول : جمال المنظر يدل غالبا على حسن الخبر ، قال تعالى : (وإذا رايتهم) أى أيها الرسول على ما لك من الفطنة ونفوذ الفراسة ١٥

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : بهم (٢) من ظ وفى الأصل : اجترامهم .
 (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : موتوا (٤) فى ظ و م : لذلك (هـ) من ظ و م ، وفى الأصل : هم فيه (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : بفعله .
 (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : كمال (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : بإيها .

أو أيها الرائي كائنا من كان بعين البصر ﴿ تعجبك اجسامهم ﴾ لضخامتها
وصباحتها، فان غايتهم كلها بصلاح ظواهرهم وترفه أنفسهم، فهم
أشباح وقوالب ليس وراها ألباب وحقائق، قال ابن عباس رضى الله
عنهما^١ : كان ابن أبي - [يعنى - ^٢] الذى نزلت السورة بسببه - جسيما
ه فصيحا صحيحا ذلق اللسان، وقوم من المنافقين فى مثل صفته وهم رؤساء
المدينة، و كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى عليه وسلم ويستندون
فيه ولهم "جهازة / المناظر" وفصاحة الآلسن. وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم. ولما وصف البواطن
والظواهر، وكان قولهم: المرء بأصغريه قلبه ولسانه مشروطا كما هو ظاهر
١٠ العبارة بتطابقة اللسان للقلب، قال معبرا بأداة الشك إشارة إلى أنهم
لا يكلمونه صلى الله عليه وسلم إلا اضطرارا لأنهم لا يحبون مكائنه
ولا باعث لهم عليها لما عندهم من أمراض القلوب: ﴿ وان يقولوا ﴾
أى يوجد منهم قول فى وقت من الاوقات ﴿ تسمع لقولهم ﴾ أى لانه
يكون بحيث يلذذ السمع ويروق الفكر لما فيه من الادهان مع الفصاحة
١٥ فهو يأخذ بمجامع القلب.

/ ٣٥٤

ولما احبر عن ظاهريهم، دل على ان ذلك الظاهر امر لا حقيقة له.
وأنهم لما وطنوا أنفسهم على الوقاحة وخلعوا لباس الحياء بالكذب
(١) راجع معلم التنزيل ٨٢/ ٧ (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م وفى
الأصل: حمة النظر (٤) من م وفى الأصل و ظ: على (٥) من ظ و م وفى
الأصل: انه (٦) من ظ و م، وفى الأصل: انياس.

بذلوا

(٢٠)

٨٠

بذلوا جميع الجهد في تحسين القول لأنه لا درك عليهم فيه فيما يحسبون بوجه لأنهم لا يحسبون للآخرة حساباً فقال: (كأنهم) أى فى^١ حسن ظواهرهم و سوء بواطنهم و فى الجبن و الخور و عدم الاتفاف بهم فى شيء من فهم أو ثبات^٢ فانهم لا حقيقة لهم (خشب) جمع كثرة الخشب وهو دليل على كثرتهم . ولما كان الخشب ربما أطلق على المغروس ، ه ننى ذلك بقوله منها بالتشديد على الكثرة : (مسندة^٣) أى قد قطعت من مغارسها وقشرت^٤ وأسندت إلى الجدر لئلا يفسدها التراب ، فهى ييض تلوح تعجب^٥ ، نأظرها و لا ثبات لها و لا باطن بشرة و لاسقى فلا مدد سمارى [لها^٦] أصلاً يزيكها نوع زكاه^٧ فقد فقدت^٨ روح الإبات الذى به كمالها كما فقد المنافق^٩ روح الإيمان^{١٠} الذى به كمال الناطق وبقاؤه ، ١٠ فهم فى تلك الحالة أشباح بلا أرواح أجسام بلا أحلام .

ولما كان من يقول ما^١ لا يفعل يصير متبهما لكل من يكلمه ، لأنه لإخلافه له قد صار عدوه فيتوهم الناس كلهم أعداء له فيكسبه ذلك أشد الجبن ، و ذلك هو السبب الأعظم فى تحسين قوله ، قال : (يحسبون) أى لضعف عقولهم و كثرة ارتياهم لكثرة ما يباشرون من سوء أعمالهم ١٥

- (١) من م ، وفى الأصل و ظ : من (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : اثبات .
 (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : فسرت (٤) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : زكاة (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : فقد (٨ - ٨) من م ، وفى الأصل و ظ : روحه (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : و .

﴿ كل صيحة ﴾ أى من نداء مناد فى انفلات دابة أو إنشاد ضالة ، ونحو ذلك ﴿ عليهم ﴾ أى واقعة . ولما كان من يظن عداوة الناس له^١ يكون هو عدوا لهم ، قال نتيجة ما مضى : ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ العدو ﴾ أى كامل العداوة بما دل عليه الإخبار بالمفرد الذى يقع على الجمع دون الجمع إشارة إلى أنهم - فى شدة عداوتهم للإسلام وأهله وكآل قصدهم وشدة سعيهم فيه - على قلب واحد وإن أظهروا التودد^٢ فى الكلام ، والتقرب به إلى أهل الإسلام ، فإن ألسنتهم معكم إذا لقوكم ، وقلوبهم عليكم مع أعدائكم . فهم عيون لهم عليكم .

ولما بين ذلك من سوء أحوالهم سبب عنه قوله : ﴿ فاحذروهم ﴾ ٣٥٥ / ١٠ لأن أعدى الأعداء / العدو المداحى الذى يكاشرك وتحت ظلوعه الداء الدبى ، فإن من استشعر أنك عدوله بغى لك الفوائل ، وأغلب من يعجبك قوله على هذا الوصف يكون ، ولكنه [يكون -^٢] باطف الله دائم الخذلان منكوسا فى أكثر تقلباته بيد القهر والحرمان لسر قوله تعالى : ﴿ قتلهم الله ذ ﴾ أى أحلهم الملك المحيط علما وقدره محل ١٥ [من -^٣] يقاتله عدو قاهر له أشد مقاتلة على عادة الفعل الذى يكون بين اثنين .

ولما كان حالهم فى غاية العجب فى صرفهم عن الإسلام أولا

(١) زيد فى الأصل : ان ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : التودد (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : بيده .

بالعلمى عن الآيات الظاهرات ، و ثانيا عن الإخبار بأسرارهم ، و خفى
مكرم و أخبارهم ، و فى عدم صرفهم عما هم عليه من قبح السرائر و سوء
الضمار بتعكيس^٢ مقاصدهم ،^٣ و تخيب^٤ مصادرهم فى مكرم و مواردكم ،
دل على ذلك بقوله : ﴿ ائنى ﴾ أى كيف و من أى وجه ﴿ يؤفكونه ﴾
أى يصرفهم^٥ عن إدراك قبح ما هم عليه صارف ما كائنا ما كان ليرجموا^٥
عنه^٥ إلى حسن الدين و الأنس به و إدراك بركته و عظيم أثره .
و لما كان هذا أمرا عظيما قاطعا عن الله و رسوله فيحتاج فاعله
حاجة شديدة إلى التطهير و هو جدير بعظمه أن لا يطهره غاية الطهر
إلا سؤال النبي صلى الله عليه و سلم و كانوا لم يفعلوا ذلك ، دل على سوء
بواطنهم و غلظ أكبادهم^٦ و أنهم^٦ كالخشب المسندة فى أنهم لا ثمرة لهم^{١٠}
ولا زكاه أصلا بقوله : ﴿ و اذا قيل لهم ﴾ [أى - ٧] من أى قاتل
كان : ﴿ تعالوا ﴾ أى ارفعوا أنفسكم مجتهدين فى ذلك بالمجىء إلى أشرف
الخلق الذى لا يزال مكانه^٨ عاليا لعلو مكانته^٩ ﴿ يستغفر لكم ﴾ أى
يطلب الغفران لاجلهم خاصة بعد أن تولوا من ذنبكم^٩ من أجل هذا
الكذب الذى أتم مصرور^{١٠} عليه . و لما تقدم عاملان ، أعمل الثانى منهما^{١٥}

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : على ما (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : تنعكس .
(٣-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : او بحسب (٤) من م ، وفى الأصل و ظ :
مصرفهم (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : منه (٦) من ظ و م ، وفى
الأصل : هم (٧) زيد من م (٨-٩) من ظ و م ، وفى الأصل : علوا
مكانه (٩) فى ظ و م : و بكم .

١ كما هو المختار^١ من مذهب البصريين فرفع قوله : ﴿ رسول الله ﴾ أى
أقرب الخلق إلى الملك الأعظم الذى لاشييه لجوده ﴿ لوذا ره وسهم ﴾
[أى فعلوا - ٢] الى بغاية الشدة والكثرة ، وهو الصرف إلى جهة
أخرى إعراضا وعتوا وإظهارا للبغض والفرقة ، و بالغوا فيه مبالغة تدل
ه على انهم مغلوبون عليه لشدة ما فى بواطنهم من المرض ﴿ و رأيتهم ﴾ أى
بعين البصيرة ﴿ يصدون ﴾ أى يعرضون إعراضا قبيحا عما دعوا إليه
مجددين لذلك كلما دعوا إليه ، والجملة فى موضع المفعول الثانى لرأيت
﴿ وهم مستكبرون ه ﴾ أى ثابوا الكبر عن دعوا إليه وعن إحلال
أنفسهم فى محل الاعتذار ، فهم لشدة غلظتهم لا يدركون قبح ما هم عليه
١٠ ولا يهتدون إلى دوائه . و إذا أرشدهم غيرهم ونبههم لا ينبهون ، فقد
روى أنه لما نزل القرآن فيهم أتاهم عشائرهم من المؤمنين وقالوا : ويحكم
افضحكم وأهلكتم أنفسكم . فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتولوا
إليه وأسألوه أن يستغفر لكم ، فأبوا ذلك فأنزل الله هذه الآية ، وروى
[أن - ٥] ابن أبى راسهم لوى رأسه وقال لهم : أشرتم على بالإيمان
١٥ فأمنت وأشرتم على بأن أعطى زكاة مالى ففعلت ، ولم يبق إلا [أن]
تأمرونى بالسجود لمحمد . و لما كان التنى صلى الله عليه وسلم يجب صلاحهم
فهو يجب أن يستغفر لهم ، وربما ندبه^٢ إلى ذلك بعض أقاربهم ، فكان

(١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : كالمختار (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ،
وفى الأصل و ظ : بطونهم (٤) راجع معالم التنزيل ٨٤/٧ (٥) زيد من م .
(٦) من ظ و م ، وفى الأصل : نبه .

استغفاره بحيث يسأل عنه ، قال [منها - ١] على أنهم ليسوا بأهل للاستغفار لأنهم لا يؤمنون : (سواء) أى غلب واستعل هذا الاستواء الذى عاجلوا أنفسهم عليه حتى تخلقوا به فصار مجردا عن أدنى ميل وكلفة (عليهم) .

ولما كان قد سلخ فى هذا السياق عن الحمزة معنى الاستغفار كان ه معنى (استغفرت لهم) أى فى هذا الوقت (ام لم تستغفر لهم) أى فيه أو فيما بعده - مستو عندهم استغفاركم لهم وتركه ، لأنه لا أثر له عندهم ، ولهذا كانت نتيجة - عقوبة لهم - النفي المبالغ فيه بقوله : (لن يغفر الله) أى الملك الأعظم (لهم) ولعل التعبير بالاستغفار بعد نسخ معناه للإشارة إلى أنهم لو شاهدوا الملك يستغفركم عن ذلك ما ردهم عن نفاقهم وما زادهم ذلك على ما عندهم شيئا ، وكان النى صلى الله عليه وسلم قيد هذه الآية بآية رامة المحتملة للتخير^٩ وأنه إن زاد على السبعين كان الغفران مرجوا^{١٠} ، فاستجاز بذلك الصلاة على ابن أبى راس المنافقين والاستغفار له لما عنده صلى الله عليه وسلم من [عظيم - ١] الشفقة على عباد الله ومزيد الرحمة لهم ولا سيما من كان فى عداد أصحابه والانصار رضى الله ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : نصاروا (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : من (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : نتيجة ذلك (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : نفي (٦-٦) من ظ و م ، وفى الأصل : نفاقك ولا . (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : بسورة (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : للتخير (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : موجودا .

عنهم [به - ١] عناية .

ولما كان التقدير لتعليل المبالغة في الإخبار بعد الغفران لهم : لأن فسقهم قد استحکم فصار وصفا لهم ثابتا ، عبر عن ذلك بقوله : (ان الله) أى الذى له صفات الكمال (لا يهدى القوم) أى الناس الذين لهم هوة فى أنفسهم على ما يريدونه (الفسقين) لأنهم لا عذر لهم فى الإصرار على الفسق و هو المروق من حصن الإسلام بخرقه . و هتكم مرة بعد مرة و التمرن عليه حتى استحکم فهم راسخون فى النفاق و الخروج عن مظلة الإصلاح .

ولما كان هذا داعيا إلى السؤال عن الأمر الذى فسقوا به ، قال ١٠ مينا له : (هم) أى خاصة بواطهم (الذين يقولون) أى أوجدوا هذا القول و لا يزالون يحددونه لأنهم كانوا مربوطين بالأسباب محجوبين عن شهود التقدير غير محققين بتصرف الاحكام . فأنطقهم ما خامر قلوبهم من تمنى إطفاء نور الله / فتواصوا فيما بينهم بقولهم : (لا تنفخوا) أيها المخاضرون فى العصرة (على من) أى الذين (عند رسول الله) ١٥ أى الملك المحيط بكل شئ . و هم فقراء المهاجرين ، و كأنهم عبروا بذلك و هم [لا - ١] : يعتقدونه تهكما و إشارة إلى أنه [لو - ١] كان رسوله

/ ٢٥٧

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م . وفى الأصل ، صفة (٣) فى ظ : بخاص .
(٤) زيد فى الأصل : الذى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (ه) زيد فى الأصل و ظ : أى ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : الذى (٧) من ظ و م . وفى الأصل : كانوا .

و هو الفنى المطلق لأغنى أصحابه و لم يتوجههم إلى أن ينفق الناس عليهم ،
 و ما درى الأغنياء ' أن ذلك ' امتحان منه سبحانه لعباده - فسبحان من
 يضل من يشاء - حتى يكون كلامه أبعد شئ عز الصواب بحيث يعجب
 العاقل كيف يصدر ذلك من أحد ، أو أن هذه ليست عبارتهم و هو
 الظاهر ، و عبر سبحانه عنهم بذلك إشارة إلى أن كلامهم يؤل إلى إرادة ضره
 من الله معه توقيفا على كفرهم و تنديها على أن من أرسل رسولا لا يكله
 إلى أحد بل يكفيه جميع ما يهمه من غير افتقار إلى شئ أصلا ، فقد
 أرسل سبحانه إليه صلى الله عليه و سلم بمفاتيح خزائن الأرض فأبأها^١
 و ما كفاهم هذا الجنون حتى زاده ما دل على أنهم ظنوا أن أبواب
 الرزق تغلق إذا امتنع المنفقون من الناس / عن إفتاقهم ، و عبروا بحرف ١٠
 غاية ليكون لما^٢ بعده حكم ما قبله فقالوا : ﴿ حتى ينفضوا^٣ ﴾ أى ينفروا
 تفرقا قبيحا فيه كسر فيذهب أحد منهم إلى أهله و شغله الذى كان له قبل
 ذلك ؛ قال [الحرالى -^٤] : « حتى » كلمة تفهم غاية محوطة يدخل ما بعدها فى
 حكم ما قبلها^٥ مقابل معنى « إلى » ، و قال أهل العربية : لا يجربها إلا آخر
 أو متصل بالآخر نحو الفجر فى " حتى مطلع الفجر " ، و حتى آخر الليل ، ١٥
 و لا تقولوا : حتى نصف الليل ، و ما درى الأجلاف أنهم لو فعلوا ذلك

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : انه (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : قاماه
 وقصة ملك الجبال معه صلى الله عليه و سلم (٣) من ظ و م ، و فى الأصل :
 ما (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : قبله .

أتاح^١ الله غيرهم للاتفاق، أو أمر رسوله صلى الله عليه وسلم فدعا في الشيء اليسير فصار كثيرا، أو كان بحيث لا ينفد، [أو أعطى كلا يسيرا من طعام على كيفية لا تنفذ -^٢] معها كتمر أبي هريرة وشعير عائشة وعكة أم أيمن رضي الله عنهم وغير ذلك كما روى ذلك غير مرة، ولكن ليس لمن^٣ يضل الله من هاد، ولذلك عبر في الرد عليهم بقوله: ﴿والله﴾ أي قالوا [ذلك -^٢] واستمروا على تجديد قوله والحال أن للملك^٤ الذي لا أمر^٥ لا أحد معه فهو الأمر الناهي^٦ ﴿خزائن السموات﴾ [أي كلها -^٢] ﴿والارض﴾ كذلك من الأشياء المدومة الداخلة تحت مقدرة "إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون" ومن الأشياء التي أوجدها فهو يعطى من يشاء منها ما يشاء حتى من أيديهم، لا يقدر أحد على منع شيء من ذلك لا بما في يده ولا بما في يد غيره، ونه على سوء غبارتهم وأنهم تقيدوا بالوهم حتى سفلوا عن رتبة البهائم كما قال بعضهم: إن كان محمد صادقا فجن شر من البهائم، أشار إلى ذلك بقوله: ﴿ولكن المتنفقين﴾ أي العريقين في وصف البفاق.

١٥ ولما كان ما يساق إلى الخلق من الارزاق فيظن كثير منهم أنهم

حصلوه بقوتهم، عبر بالفقه / الاخص من العلم فقال: ﴿لا يفقهون ه﴾ أي

/ ٣٥٨

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : إباح (٢) زيد من ظ و م (٣ - ٢) في ظ

و م : من (٤) من م ، وفي الأصل و ظ : فوهم (ه) من م ، وفي الأصل و ظ :

الملك (٦ - ٦) - قط ما بين ارقين من ظ و م .

لا يتجدد لهم فهم أصلاً لأن البهائم إذا رأت^١ شيئاً ينفعها^٢ يوماً ما في مكان طلبه مرة أخرى، وهؤلاء رأوا غير مرة ما أخرج الله من خوارق البركات على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفعهم ذلك، فن رأى أن رزقه يبد^٣ الخلق فألهاه ذلك عن الله حتى ضيع حقوقه وداهن في دينه فقد برئ من القرآن، و دل على عدم فقههم^٥ بقوله تعالى: ﴿ يقولون ﴾ أى يوجدون هذا القول ويجددونه مؤكدين له لاستشعارهم بأن أكثر قومهم ينكره: ﴿ إن رجعتنا ﴾ أى [نحن أيتها العصابة المارقة -^٤] من غزاتنا هذه - التى قد رأوا فيها من نصرة النبي صلى الله عليه وسلم ما يعجز الوصف وهى غزوة بنى المصطلق حى* من هذيل بالمريسيع* وهو ماء من مياههم من ناحية قديد إلى الساحل وفيها تكام^٦ ١٠ ابن أبى بالإفك وأشاعه - ﴿ الى المدينة ﴾ [و-^٧] دلوا على تصميمهم على عدم المساكنة بقولهم: ﴿ ليخرجن الاعز ﴾ يعنون أنفسهم ﴿ منها الاذل^٨ ﴾ وهم كاذبون فى هذا، لكنهم تصوروا لشدة غبارتهم أن العزة لهم وأنهم يقدرون على إخراج المؤمنين ﴿ والله ﴾ أى والحال أن كل من له^٩ نوع بصيرة يعلم أن للملك^{١٠} الأعلى الذى له وحده عز الإلهية ١٥ ﴿ العزة ﴾ كلها، فهو قهار لمن دونه [وكل ما عداه دونه -^{١١}] .

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : رأوا (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : ينفعهم .
 (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : من يد (٤) زيد من ظ (هـ - هـ) من ظ و م ، وفى الأصل : بالمريسيع من بنى هذيل (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : تكمل (٧) زيد من م (٨ - ٨) من ظ و م ، وفى الأصل : له من كل (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : الملك (١٠) زيد من ظ و م .

ولما حصر^١ العزة بما دل على ذلك من تقديم المعمول، أخبر أنه يعطى منها من أراد وأحقهم بذلك من أطاعه فترجم ذلك بقوله: ﴿ولرسوله﴾ لأن عزته من عزته بعز النبوة والرسالة وإظهار الله دينه على الدين كله،^٢ وكذلك أيضا أن العزة لمن أطاع الرسول بقوله^٣: ﴿والمؤمنين﴾ أى الذين صار الإيمان لهم وصفا راعيا لأن عزتهم بعزة الولاية، ونصر الله إياهم عزة لرسولهم صلى الله عليه وسلم، ومن تعزز بالله لم يلحقه ذل.

ولما كان جهالهم فى هذا أشد لكثرة ما رأوا من نصرة الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ومن تابعه رضى الله عنهم وإعلانهم على كل من ناوهم، قال منها على ذلك: ﴿ولكن المنافقين﴾ أى الذين استحکم فيهم مرض القلوب. ولما كانت الدلائل على عزة الله لا تخفى على أحد لما تحقق من قهره للوك وغيروهم بالموت الذى لم يقدر أحد على الخلاص منه ولا المنازعة فيه، ومن المنع من أكثر المرادات، ومن نصر الرسول وأتباعهم باهلاك أعدائهم بأنواع الهلاك، وبأنه سبحانه ما قال شيئا إلا تم ولا قالت الرسل شيئا إلا صدقهم فيه، ختم الآية بالعلم الأعم من الفقه فقال: ﴿لا يعلمون﴾ أى لا لأحد لهم علم الآن، ولا يتجدد

(١) من ظ وم، وفى الأصل: حصره (٢) من م، وفى الأصل وظ: فان.

(٣-٣) سقط ما بين الرقيين من م (٤) من ظ وم، وفى الأصل: لا يقدر.

(٦-٦) من ظ وم، وفى الأصل: لأحدهم.

في حين من الأحيان ، فلذلك^١ هم يقولون مثل هذا الخراف ، وروى^٢
أنه لما نزلت هذه الآية جاء عبد الله ولد عبد الله بن أبي [بن - ٣] سلول
الذي نزلت بسببه إلى أبيه ، وذلك في غزوة المريسيع لبني المصطلق
فأخذ بزمام ناقه أبيه وقال : أنت والله الذليل ، ورسول الله صلى الله
عليه وسلم / العزيز ، ولما دنوا من المدينة الشريفة جرسيفه وآتى أباه فأخذ^٥ / ٣٥٩
بزمام ناقه وزجرها إلى ورائها وقال : إياك ورامك والله لا تدخلها
حتى يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولئن لم تقر بأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الأعز وأنت الأذل لأضر بن عنقك ، قال : أفاعل
أنت ؟ قال : نعم ، قال : أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وشكى
ولده^٦ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره أن يدعه يدخل المدينة ، ١٠
فأطلقه فدخل .

ولما كان هذا^١ الذي حكاه سبحانه وتعالى عن المناققين بحيث يعجب
غاية العجب من^٢ تصور قائله^٣ له فضلا عن أن يتفوه به فكيف بأن يعتقد ،
نبه على [أن - ٢] العلة الموجبة له طمس البصيرة ، وأن العلة في طمس
البصيرة الإقبال بجميع القلب على الدنيا رجوعا على إيضاح ما تقدم [في - ٨] ١٥
(١) زيد في الأصل : قال ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٢) راجع
معالم التنزيل ٨٤ / ٧ (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : والده .
(٥) زيد في الأصل : ان ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٦) سقط من
ظ (٧-٧) من ظ و م ، وفي الأصل : تصوره فاعله (٨) زيد من م .

نتيجة الجمعة من الإذن^١ في طلب الرزق^٢ والتحذير من مثل فعل حاطب
رضي الله عنه وفعل من انصرف عن خطبة الجمعة لملك [العير - ٣] ،
وكان هذا التنبيه على وجه حاسم لمادة شرهم في كلامهم فان كلمة الشح
[كما قيل - ٤] مطاعة ، ولو بأن تؤثر أثرا ما ولو بأن تقر نوع تقتير
ه في وقت ما ، فقال مناديا لمن يحتاج إلى ذلك : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾
أى أخبروا بما يقتضى أن بواطنهم مذعة كظواهرهم ﴿ لَا تَلْهَكُمْ أَمْوَالُكُمْ ﴾
ولما كان الخطاب مع من يحتاج إلى التأكيد قال : ﴿ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ﴾
أى لا تقبلوا على شيء من ذلك بجميع قلوبكم إقبالا يحيركم - واه كان
ذلك في إصلاحها أو التمتع [بها - ٥] بحيث * تشتغلون و تغفلون
١٠ ﴿ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ أى من^٦ توحيد الملك الأعظم الذى له الإحاطة الكاملة
بكل شيء فله الملك وله الحمد يعطى من يشاء ويمنع من يشاء ، فإذا كان
العبد ذاكرا له بقلبه دائما لم يقل كثرة قول المنافقين "لا تنفقوا" ولا "ليخرجن
الأعز منها الأذل" لعلهم أن الأمر كله لله ، وأنه لن يضر الله شيئا ،
ولا يضر بذلك إلا نفسه ، وهذا يشمل ما^٧ قالوه من التوحيد والصلاة
١٥ والحج والصوم وغير ذلك ، ولإرادة المبالغة في النهى وتجه النهى إلى
الأموال والأولاد بما المراد منه نهيم .

(١) من م ، وفى الأصل و ظ : الأذان (٢ - ٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
قاب التروق - كذا (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد من ظ (٥) من م ، وفى
الأصل و ظ : لا بحيث (٦) من م ، وفى الأصل و ظ : عن (٧) من م ،
وفى الأصل و ظ : لا .

ولما كان التقدير: فمن انتهى فهو من الفائزين، عطف عليه قوله:

(ومن يفعل) أى [يوقع - ١] فى زمن من الأزمان على سبيل التجديد والاستمرار فعل (ذلك) أى الأمر البعيد عن أفعال ذوى الهمم من الانقطاع إلى الاشتغال بالفانى والإعراض عن الباقي والإقبال

على العاجل مع نسيان الآجل (فاولئك) أى البعداء عن الخير (هم) هـ
أى^٢ خاصة (الخسرون هـ) أى العريقون فى الخسارة حتى كأنهم كانوا

مختصين بها دون الناس، وذلك ضد ما أرادوا بتوفير النظر إليهم والإقبال عليهم من السعى للتكثير والزيادة والتوفير، وفى إلفهامه أن من شغله ما يهمه من أمر دينه الذى أمره^٣ سبحانه به ونهاه عن إضاعته

وتوعده عليها^٤ كفاه سبحانه أمر دينه / الذى ضمنه له ونهاه أن يجعله ١ / ٣٦٠
أكبر همه وتوعده على ذلك، فما ذكره^٥ إلا من وجده فى جميع أموره
دينا ودينا، وتوجه إليه فى جميع نوائبه، وأقبل عليه بكل همومه، وبذل
نفسه له بذل من يعلم أنه ملوك مريبوب فقد أمر ربه على نفسه واتخذ
وكيلا فاستراح من المخاوف، ولم يمل إلى شيء من المطامع فصار حرا.

ولما حذر من الإقبال على الدنيا، رغب فى بذلها مخالفة للنافقين ١٥

فقال: (واقفوا) أى ما أمرتم^٦ به من واجب أو مندوب، وزاد فى
الرغب بالرضى منهم باليسير ما [هو - ١] كله له بقوله: (من ما رزقناكم)

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل: هم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
لحذفها (٣) من م، وفى الأصل و ظ: امر (٤) من ظ و م، وفى الأصل:
عليه (٥) من م، وفى الأصل و ظ: ذكر (٦) من ظ و م، وفى
الأصل: امرتكم.

أى من عظمتنا وبلغ النهاية في ذلك بالرضا بفعل ما أمر به 'مع التوبة'^١
 النصح في زمن ما ولو قل بما أرشد إليه إثبات الجار، فقال مرغبا^٢ في
 التأهب^٣ للرحيل والمبادرة لمباغته الأجل، محذرا من الاغترار بالتسوية في
 أوقات السلامة: ﴿أمن قبل﴾ وفك المصدر ليفيد أن، مزيد القرب
 هـ [قال - ١^٢]: ﴿ان يأتى﴾ ولما كان تقديم المفعول كما تقدم في النساء
 أمول قال: ﴿احدكم الموت﴾ [أى - ٢] برؤية دلالاته وأماراته،
 وكل لحظة مرت فهي من دلالاته وأماراته. ولما كانت الشدائد
 تقتضى الإقبال على الله، سبب عن ذلك بقوله: ﴿فيقول﴾ سائلا في
 الرجعة، وأشار إلى تريقها للقلوب بقوله: ﴿رب لولا﴾ أى هل لا
 ١٠ ولم لا ﴿اخرتنى﴾ أى أخرت موتى إمهالا لى ﴿الى اجل﴾ أى زمان،
 وبين أن مراده استدراك ما فات ليس إلا بقوله: ﴿قريب فاصدق﴾
 أى للتزود في سفرى هذا الطويل الذى أنا مستقبه، قال الغزالي في
 كتاب التوبة من الإحياء^٤: قال بعض العارفين: إن ملك الموت إذا ظهر
 للعبد أعلمه أنه قد بقى من عمرك ساعة، وأنتك لاتستأخر عنها طرفة عين
 ١٥ فيسبىء للعبد من الأسف والحسرة بما لو كانت له الدنيا بخذا فيرها
 لخرج منها على أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى ليستعقب فيها
 (١ - ١) من ظ و م، وفى الأصل: بالتوبة (٢ - ٢) من ظ و م، وفى
 الأصل: بالتأهب (٣) زيد من ظ و م (٤ - ٤) من ظ و م، وفى الأصل: إليه.
 (٥) وقع فى الأصل بعد 'فيقول' والترتيب من ظ و م (٦) من ظ و م،
 وفى الأصل: لو (٧) راجع ٤ / ٩، والحديث اختصره المصنف.

ويتدارك تقريره، يقول: يا ملك الموت! أخرجني يوما 'أعذر فيه' إلى ربي وأتوب وأزود فيها صالحا لنفسي، [فيقول - ٢]: فنت الساعات فلا ساعة، فيغلق عليه باب التوبة فيتفرغ بروحه وترد أنفاسه في شرايفه ويتجرع غصة اليأس عن التدارك وحسرة الندامة على تضییع العمر، فيضطرب أصل إيمانه في صدمات تلك الأهوال، فاذا زهقت نفسه فان كان ٢ ٥ سبقت له [من - ٢] الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد، فذلك حسن الخاتمة، وإن سبق له القضاء بالشقوة والعباد بالله تعالى خرجت روحه على الشك والاضطراب، وذلك سوء الخاتمة، ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسوية كان بين ٥ خطرين عظيمين: أحدهما أن تراكم الظلة على قلبه من المعاصي حتى / يصير رينا وطباعا فلا يقبل المحو، الثاني أن ١٠ / ٣٦١ يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو، فيأتي الله تعالى بقلب غير سليم، والقلب أمانة الله عند عبده، قال بعض العارفين: إن لله تعالى إلى عبده سرين على سبيل الإلهام: أحدهما إذا خرج من ٥ بطن أمه يقول له: عبي قد أخرجتك إلى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك واستمكتك عليه فانظر كيف تحفظ الأمانة وانظر كيف تلقاني، والثاني ١٥ عند خروج روحه يقول: عبي ما ذا صنعت في أمانتي [عندك - ٢]

(١-١) من ظ و م و الإحياء، وفي الأصل: عيد منه (٢) زيد من ظ و م والإحياء (٣) في م: كانت (٤) من ظ و م والإحياء، وفي الأصل: الخاتم. (٥) من م والإحياء، وفي الأصل وظ: على (٦) من الإحياء، وفي الأصول: يعاجله (٧) من م و الإحياء، وفي الأصل وظ: الى .

هل حفظتها حتى تلقاني على العهد فألقاك على الوفاء أو اضعتها فألقاك^١
 بالمطالبة والعذاب . ولعله أدغم تاء الفعل إشارة إلى أنه إذا أخر^٢ فعل
 ذلك على وجه [الإخفاء ليكون افضل ، أو يكون إدغامها اختصارا
 بلوغ الأمر إلى حد محوج إلى - ٢] الإيجاز في القول كما طلب في
 ٥ الزمن ، ويؤيده قراءة الجماعة غير^٣ أبي عمرو (واكن) بالجزم عطفا
 على الجواب الذي هدى السياق إلى تقديره ، فان حال هذا [الذي - ٢]
 أشرف هذا الإشراف يقتضى أن يكون أراد إن " آخرتى اتصدق "
 ولكنه حذفه لضيق المقام عنه و اقتضاء الحال لحذفه ، وهو معنى ما
 حكاه سيويه عن الخليل أن الجزم على توهم الشرط الذى [دل - ٢]
 ١٠ عليه التبنى على الموضع . فان الجازم غير موجود ، ومعنى ما قال غيره
 أن " لولا " لكونها تخصيضية متضمنة معنى الأمر ومعنى الشرط ، فكانه
 قيل : أخرى ، فيكون جوابه العارى عن الفاء مجزوما لفظا و المقرون بها
 مجزوما^٤ محلا فـ ~~ليكن~~ عطف على المحل ، ونصب أبو عمرو عطفا على
 اللفظ لأنه جواب التبنى الذى دلت عليه " لولا " وإجماع المصاحف
 ١٥ على حذف الواو لا يضره لأنه قال : إنها للاختصار ، وهو ظاهر ، وذلك
 للناسبة بين اللفظ والخط والزمان والمراد ، ومن هنا تعرف جلالة
 (١) من ظ و م والإحياء ، وفي الأصل : فافقاك (٢) من ظ و م ، وفي
 الأصل : اصر (٣) زيد من ظ و م (٤) راجع ثر المرجان ٣٦٠ / ٧ (٥) من ظ
 و م ، وفي الأصل : عن (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : هى (٧) من ظ
 و م ، وفي الأصل : مجزوم (٨) من م ، وفي الأصل و ظ : لانا .

القراء ومرادهم إن شاء الله تعالى بقولهم في الضابط المشهور وإن توافق رسم المصحف^١ ولو احتمالا (من الصالحين^٢) أى العريقين في هذا الوصف العظيم، وزاد في الحث على المبادرة بالطاعات قبل الفوات بقوله مؤكدا لأجل عظيم الرجاء من هذا المحتضر للتأخير عطفا على [ما -^٣] تقديره: فلا يؤخره الله فيفوته ما أراد: (ولن^٤) ويجوز أن تكون الجملة حالا أى قال ذلك والحال أنه لن (يؤخر الله) أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له فلا اعتراض عليه (نفسا^٥) أى أى نفس كانت، وحقق الأجل بقوله: (إذا جاء أجلها^٦) أى وقت موتها الذى حده الله لها فلا يؤخر الله نفس هذا القاتل لأنها من جملة النفوس التى شملها النقي .

ولما كان المعنى على طريق النتائج التى لاشك فى إرشاد اللفظ إليها^٧: ١٠

الله عالم^٨ فانه يقول ذلك، عطف عليه قوله حاثا على المسارعة إلى الخروج عن عهدة الطاعات والاستعداد لما لا بد منه من اللقاء محذرا من الإخلال ولأنه لا تهديد كالعلم: (والله^٩) أى الذى له الإحاطة / الشاملة علما و قدرة (خبير^{١٠}) أى بالغ الخبرة والعلم ظاهرا وباطنا (بما تعملون^{١١}) أى توقعون عمله فى الماضى والحال والمآل كله ظاهره وباطنه من هذا ١٥

الذى أخبرتم أن المحتضر العاصى يقوله ومن غيره [منه ومن غيره^{١٢}]

(١) من ظ و م ، وفى الاصل: المصاحف (٢) من ظ و م ، وفى الأصل: فى الطاعات (٣) زيد من ظ و م (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : نفسا على . (٥) من م ، وفى الأصل و ظ : لها (٦) من م ، وفى الأصل و ظ : اعلم . (٧) زيد من م .

أيها الناس - هذا على قراءة الجمهور بالخطاب^١، وعلى قراءة أبي بكر عن عاصم بالغيب يمكن أن يراد^٢ المناقون، ويمكن أن يعم فيكون الضمير للنفس على المعنى ويمكن [أن يكون -^٣] الضمير للناس على الالتفات للاعراض تخويفاً لهم، ولذلك علم سبحانه كذب المناقين في أنهم يعتقدون ما شهدوا به في أمر الرسالة وعلم جميع ما قص^٤ من أخبارهم "الايعلم من خلق وهو اللطيف الخبير" والله أعلم^٥.

(١) راجع نثر المرجان ٧/ ٣٦٣ (٢) من ظ و م، وفي الأصل: يكون المراد .
 (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفي الأصل: يقص (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ و م .

سورة التغابن

مقصودها الإبلاغ في التحذير مما حذرت منه^١ المناقون باقامة
الدليل القاطع على أنه لا بد من العرض على الملك للدينونة على النقيض
و القطمير يوم القيامة يوم الجمع الأعظم ، واسمها التغابن واضح الدلالة
على ذلك ، [و - ٢] هو أدل ما فيها عليه فلذلك سميت^٢ به ﴿ بسم الله ﴾ ٥
مالك الملك فلا كفوم^٣ له ولا مثل ﴿ الرحمن ﴾ الذي وسع الخلائق بره
الجليل ﴿ الرحيم ﴾ الذي خص من عمه بالبر قوما فوقهم للجميل .
لما ختمت تلك بآيات القهر بنفوذ الأمر وإحاطة العلم ، افتتح
هذه بإحاطة الحمد ودوام التنزه^٤ عن كل شائبة نقص ، إرغادا إلى النظر
في أفعاله والتفكر في مصنوعاته لأنه الطريق إلى معرفته ، وأما معرفته ١٠
بكنه الحقيقة فحال فانه^٥ لا يعرف الشيء كذلك إلا مثله ولا مثل له ،
فقال مؤكدا لما أفهمه^٦ أول الجمعة : ﴿ يسبح ﴾ أى يوقع التنزيه التام مع
التجديد والاستمرار ﴿ لله ﴾ الذى له الإحاطة بأوصاف الكمال
﴿ ما فى السموات ﴾ الذى من جملة الاراضى وما فيها فلا يريد من شيء
^٧ منه شيئا^٨ إلا كان على وفق الإرادة ، فكان لذلك^٩ الكون والكائن ١٥

(١) الرابعة والستون من سور القرآن الكريم ، مدنية ، وعدد آياتها ١٨ (٢) من
م ، وفى الأصل وظ : به (٣) زيد من ظ (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : معنى .
(٥) من ظ و م ، وفى الأصل : التنزيه (٦) فى م : لأنه (٧) من ظ و م ،
وفى الأصل : أفهمته (٨-٨) من ظ و م ، وفى الأصل : عينه فيها (٩) من ظ
و م ، وفى الأصل : كذلك .

شاهدا له بالبراءة عن كل شائبة تقص .

و لما كان الخطاب مع من^١ تقدم في آخر المناققين بمن هو محتاج إلى التأكيد، قال مؤكدا باعادة الموصول : ﴿ وما في الارض ﴾ أى كذلك بدلالاتها على كماله واستغنائه، وقد تقدم أن موافقة العاقل للامر مثل موافقة غير العاقل للارادة، فعليه أن يهذب نفسه غاية التهذيب فيكون في طاعته بامثال الاوامر كطاعة غير العاقل^٢ فى امثاله^٣ لما راد منه .

و لما ساق سبحانه ذلك الدليل النقلي على كمال زاهته على وجه يفهم الدليل العقلى لمن له لب كما قال على رضى الله عنه : لا ينفع مسموع إذا لم يكن مطبوع^٤، كما لا تنفع الشمس [و - ٢] ضوء العين ممنوع، وذلك لكونه سبحانه جعلهم مظهرين كما هو المشاهد، والمظروف / ٣٦٣
قوله كان بلسان حاله، و صانه الغنى عن الظرف فغيره سبوح،

[علل - ٢] ذلك بقوله : ﴿ له ﴾ أى وحده ﴿ الملك ﴾ [أى - ٤]
١٥ كله مطلقا فى الدنيا و الآخرة، و هو السيادة العامة للخاص و العام و السياسة العامة بركنيتها دفع الشرور و جلب الخيور الجالب للسرور

(١) من ظ و م، وفى الأصل : ما (٢ - ٢) من ظ و م . وفى الأصل : بامثاله (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد من م (٥) من ظ و م . وفى الأسس : بركنيتها .

و الحبور من الإبداع و الإعدام ، فهو أبلغ مما فى الجمعة ، فان الملك قد يكون ملكا فى الصورة ، وذلك الملك الذى هو ظاهر فيه لغيره ، فداوم التسبيح الذى اقتضته عظمة الملك هنا أعظم من ذلك الداوم .

و لما أتبعه فى الجمعة التنزيه عن النقص ، أتبعه هنا الوصف بالكمال فقال : ﴿ وله ﴾ أى و حده ﴿ الحمد ﴾ أى الإحاطة بأوصاف الكمال ه كلها فلذلك ينزهه جميع مخلوقاته ، فن فهم تسبيحها فذلك ^١ [المحسن - ٢] ، و من كان فى طبعه و فطرته الأولى بالفهم ثم ضيعه يوشك أن يرجع فيفهم ، و من لم يهيا لذلك فذلك الضال الذى لاحيلة فيه ﴿ وهو ﴾ أى وحده ﴿ على كل شيء ﴾ أى شىء أى ممكن أن يتعلق به المشيئة ﴿ فديره ﴾ لانه وحده بكل شىء مطلقا عليم ، لان نسبة ذاته المقتضية ١٠ للقدرة إلى الأشياء كلها على حد سواء و هذا واضح جدا ، و لان من عرف نفسه بالنقص عرف ربه ^٢ بالكمال و قوة السلطان و الجلال .

و قال [الإمام - ٤] أبو جعفر بن الزبير رحمه الله تعالى : لما بسط فى السورتين قبل من حال من حل التوراة من نبي إسرائيل ثم لم يجعلها ، و حال المناقنين المتظاهرين بالإسلام ، و قلوبهم كفرا و عنادا متكاثفة ١٥ الإظلام ، و بين خروج الطائفتين عن سواء السبيل المستقيم ، و تنكبهن عن هدى الدين القويم ، و أوهم ذكر اتصافهم بمتحد أوصافهم خصوصهم ° فى الكفر بوسم الانفراد و سما يبنى عن عظيم ذلك الإبعاد ، سوى ما

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فكذلك (٢) زيد من م (٣) من م ، و فى الأصل وظ : نفسه (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : خصوصاً .

تناول غيرهم من أحزاب الكفار ، فأبأ تعالى [عن - ١] أن الخلق
بجملتهم وإن تشعبت الفرق و افرقت الطرق راجعون بحكم السوابق إلى
طريقين^٢ فقال تعالى ” هو الذى خلقكم فتمك كافر و منكم مؤمن “ و قد
أوضحنا الدلائل أن المؤمنين على درجات ، و [أهل - ١] الكفر ذو
طبقات ، و أهل النفاق أدونهم حالا و أسوأهم كفرا و ضلالا ، إن المنافقين
في الدرك الأسفل من النار ، و افتحت السورة بالتنزيه لعظيم مرتكب
المنافقين في جهلهم^٣ و لو لم تنطو سورة المنافقين من عظيم مرتكبهم
إلا على ما حكاه تعالى من قولهم ” لن رجعا إلى المدينة ليخرجن الاعز
منها الأذل “ و قد أشار قوله تعالى ” يعلم ما فى السموات و ما فى
الارض و يعلم ما تسرون و ما تعلنون و الله عليم بذات الصدور “ إلى
ما قبله و بعده من الآيات إلى سوء جهل المنافقين و عظيم حرمانهم في
قولهم بالسنتهم مما^٤ لم تنطو عليه قلوبهم ” و الله يشهد / ان المنافقين لكذبون “
و اتخذهم أيمانهم جنة^٥ و صدمهم عن سبيل الله^٦ إلى ما وصفهم سبحانه به ،
فافتتح سبحانه و تعالى سورة التغابن بتنزيه عما توهموه من مرتكباتهم
التي لا تخفى عليه سبحانه ” ألم يعلموا ان الله يعلم سرهم و نجوهم “ ثم قال
تعالى ” و يعلم ما يسرون و ما يعلنون “ فقرر و وبخ في عدة آيات ثم

/ ٣٦٤

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الطريقين (٣) من م ،
وفى الأصل و ظ : جهنم (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : لم تنطق (٥) من ظ
و م ، وفى الأصل : منه (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : ما (٧-٧) سقط ما
بين الرقبن من م .

أشار إلى ما منعهم من تأمل الآيات، و صدمهم عن اعتبار المعجزات، وأنه
الكبر المهلك غيرهم، فقال تعالى مخبراً عن سلفهم في هذا المرتكب، من
أعقبه ذلك أليم العذاب و سوء المنقلب ” ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم
بالبينات فقالوا ابشر يهودنا فكفروا و تولوا “ ثم تناسج الكلام معرفاً
بمآلهم الآخرى و مآل غيرهم إلى قوله ” وبش المصير “ و مناسبة ما هـ
بعد يتبين في التفسير بحول الله - انتهى .

ولما كان أعظم الدلائل عليه سبحانه آيات الآفاق ” منريهم آياتنا
في الآفاق “، و آيات الأنفس، و قدم الأول علويه و سفليه لوضوحه،
أتبعه الثاني دليلاً على عموم قدرته الدال على تمام ملكه بأنه المختص
بالاختراع لا يحجب الأشياء خلقاً و الحيل على المكارة فقال : ﴿ هو ﴾ أى ١٠
وحده ﴿ الذى خلقكم ﴾ أى أنشأكم على ما أتم عليه بأن قدركم و أوجدكم
بالحق على وفق التقدير خلافاً لمن أنكر ذلك من الدهرية و أهل الطبائع .
ولما كان قد تقدم فى سورة المنافقين ما أعلم أنهم فريقان ،
عرف فى هذه أن ذلك مسبب عن إبداعه لأن من معهود الملك أن
يكون فى مملكته الولي و العدو و المؤالف و المخالف و الطائع و العاصي ١٥
و الملك ينتقم و يعفو و يعاقب و يثيب و يقدم و يؤخر و يرفع و يضع ،
ولذلك قال صلى الله عليه و سلم ” لو لم تذبوا قدستغفروا لذهب الله بكم ثم
جاء بقوم يذبون فيستغفرون فيغفر لهم “ أخرجه مسلم^٢ و الترمذى^٣ عن
(١ - ١) سقط ما بين الرقعين من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لذا .
(٣) راجع صحيحه : التوبة (٤) راجع الجامع - الجنة .

ابى أبوب رضى الله عنه ، فقال تعالى مقدما للعدو إشارة إلى أنه عالم به وقادر^٢ عليه ، وما كان منه شيئاً إلا بارادته ، وفيه تلويح إلى أنه الأكثر ومع كثرته^٣ هو الأضعف ، لأن الله تعالى ليس معه بمعوته وإلا لأعدم الصنف الآخر : ﴿فنكم﴾ أى فتسبب عن خلقه لكم وتقديره ٥ لاسباحكم التى تنشأ عنها : الأخلاق إن كان منكم بابداعه لصفاتكم كما أبدع لذواتكم ﴿كافر﴾ أى عريق فى صفة الكفر مهلك نفسه بما هياه لا كتسابه ويسره له بعد ما خلقه فى أحسن تقويم على الفطرة [الأولى - °] ، وفى الحديث أن الغلام الذى قتله الخضر عليه السلام طبع كافراً بمعنى أن فطرته الأولى خلقت مهياً للكفر^٤ ، / فان الأفعال / ٣٦٥

١٠ عامة [و - °] خاصة ، فالخاصة تضاف^٥ إلى العبد^٦ يقال : صلى وصام^٧ وآمن وكفر ، والعامة تضاف إلى الله تعالى فيقال : أوجد القدرة على الحركة [والسكون وخلق الحركة والسكون - °] ، والأفعال الخاصة متعلق الأمر والنهى ﴿و منكم مؤمن^٨﴾ أى راسخ فى الإيمان فى حكم الله تعالى فى الأزل منج نفسه بالأعمال الصالحة التى طابق بها العلم الأزلى ، فهو سبحانه خلق ١٥ الكافر وخلق كفره فعلا له ، والمؤمن وإيمانه^٩ فعلا له ، لأنه خلق القدرة

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : علما (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : قادرا .
(٣) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، ولم تكن فى م فحذفناها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : منها (٥) زيد من م (٦) من م ، وفى الأصل و ظ : لكفر .
(٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : للعبد (٨) من م ، وفى الأصل و ظ : مسلم .
(٩) من م ، وفى الأصل و ظ : الايمان .

والاختيار وغيب امر العاقبة، فكل منهما يكتب باختياره بتقدير الله، ولا يوجد من كل منهما إلا ما قدره عليه وأراد منه لأن وجود غير المقدور عجز، وخلاف المراد المعلوم جهل، وقد علم من هذه القسمة علما قطعيا أن أحد القسمين مبطل ضال مخالف لأمر الملك الذي ثبت ملكه، ومن المعلوم قطعيا أن كل ملك لا بد له أن يحكم بين رعيته في ٥ [الأمر - ٢] الذي اختلفوا فيه وينصف المظلوم من ظالمه، ومن المشاهد أن بعضهم يموت على كفرانه من غير نقص يلحقه، وبعضهم على إيمانه كذلك، فلم أن هذه الدار ليست دار الفصل، وأن الدار المعدة له إنما هي بعد الموت والبعث، وهذا مما هو مركز في الطبائع لا يجهله أحد، ولكن الخلق أعرضوا عنه بما هم^٢ فيه^٣ من القواطع، فصار بما ١٠ لا يخطر بانكارهم، فصار بحيث لا تستقل به عقولهم، ولكنهم إذا ذكروا به وأوضحت لهم هذه القواطع التي أشار سبحانه إليها وجردوا النفس^٤ عن الحظوظ والمرور مع الآلف عدوه^٥ كلهم من الضريعات، وعلم من تسبيبه تقسيمهم هذا عن تقديره وجوب [الإيمان - ٧] بالقدر خيره وشره^٨.

١٥

ولما كان التقدير: فالذي أبدعكم وحملكم على ذلك وفاءت بينكم

-
- (١) سقط من ظ و م (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد في الأصل: مصرن، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤) من ظ و م. وفي الأصل: عليه. (٥) من ظ و م: وفي الأصل: انفسهم (٦) سقط من ظ (٧) زيد من م. (٨) زيد في الأصل: انتهى، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها.

على كل شيء قدير، عطف عليه قوله تعالى: ﴿ والله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة بفعله ذلك، وقدم الجار لا للتخصيص بل إشارة إلى مزيد الاعتناء كما تقول لمن سألك: هل تعرف كذا، وظهر منه التوقف فى علمك له: نعم أعرفه ولا أعرف غيره، فقال: ﴿ بما تعملون ﴾ ه
أى توقعون عمله كسبا ﴿ بصيره ﴾ أى بالغ العلم بذلك، فهو الذى خلق جميع أعمالكم التى نسب كسبها إليكم، وهو خالق جميع الاستعدادات والصفات كما خلق الذوات خلافا للقدرية لأنه لا يتصور أن يخلق الخالق ما لا يعلمه، ولو سئل الإنسان كم مشى فى يومه من خطوة لم يدر، فيكف لو سئل أين موضع مشيه ومتى زمانه فكيف وأنه لينشئ أكثر مشيه وهو غافل عنه، ومن جهل أفعاله كما وكيفاً وأيناً وغير ذلك لم يكن خالقاً لها بوجه.

ولما ذكر المظروف ذكر ظرفه دالا على / تمام إحاطته بالبواطن
والظواهر بأنه يخلق الشيء العظيم جدا^١ فيأتى على وفق الإرادة ثم لا يحتاج إلى أن يزداد فيه ولا أن ينقص منه فقال: ﴿ خلق السموات ﴾ التى هى السقف لبيت عبيد الملك على كبرها وعلوها كما ترون ﴿ والارض ﴾ التى هى قرار بينهم وبهاده على سعتها وما فيها من المرافق والمعاون ﴿ بالحق ﴾ أى بالامر الذى يطابقه الواقع فلا زائدا عنه ولا ناقصا بل جاء الواقع منها^٢ مطابقا لما أراد سواء^٣ لا كما يريد أحدنا الشيء فإذا^٤

(١) زيد فى الأصل: فيتصرف، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

(٢) من ظ و م، وفى الأصل: منه (م-م) سقط ما بين الرقين من ظ.

أوجده

أوجده لم يكن على وفق مراده سواء^١، و بسبب إظهار الأمر الثابت وإبطال الباطل فهو خالق المسكين : الديوى والأخروى ، خلافا لمن لا يقول بذلك من صابى^٢ وفلسفى وغيرهم .

ولما كان أهل الطبائع يقولون : إن الأفلاك لها تأثير بحسب الذات والطبع ، قال نافيا لذلك مذكرا بنعمته لتشكر : ﴿ وصوركم ﴾ ٥
أى أيها المخاطبون على صور لا توافق^٣ شيئا من صور العلويات ولا السفليات ولا فيها^٤ صورة توافق^٥ الأخرى من كل وجه ﴿ فاحسن صوركم ﴾ ج
فجعلها أحسن صور الحيوانات كلها كما هو مشاهد فى الدنيا وكذا فى الآخرة خلافا لأهل التناسخ مع أن وضعها فى نفسها أحسن الأوضاع ، لو غير شيء منها عن مكانه^٦ إلى شيء مما نعلمه فحصلت البشاعة^٧ به مع تفضيل الآدمى بتزيينه ١٠
بصفوة أوصاف الكائنات وجعل سبحانه أعضاء متصرفة بكل ما يتصرف به أعضاء سائر الحيوان مع زيادات اختص بها الآدمى إلى حسن^٨ الوجه وجمال الجوارح ، فهو أحسن بالنسبة إلى النوع من حيث هو هو ، وبالنسبة إلى الأفراد فى نفس الأمر وإن كان بعضها أحسن من بعض ، فقبح القبيح منه إماما هو بالنسبة إلى أحسن منه ، ولذا قال الحكماء ، شيثان لا غاية ١٥
لها^٩ : الجمال والبيان ، تخلق الإنسان فى أحسن تقويم لا ينفى أن يكون

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من م ، وفى الأصل وظ : لا تخاف .

(٣-٣) من ظ و م ، وفى الأصل : صور تشبهه (٤) من ظ و م ، وفى

الأصل : مكانها (٥) من م ، وفى الأصل وظ : الشفاعة (٦) من ظ و م ،

وفى الأصل : احسن (٧) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م .

للنوع الذى جعل أحسن أفراد أنواع لما فوقه من الجنس، لانهائية لاحسية بعضها بالنسبة [إلى بعض -^١] يشاهد ما وجد من أفراد نوع، من الذوات فقدرة الله لا تنتهى، فايك أن تصفى لما وقع فى كتب الإمام الغزالي أنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان، وإن كان قد علم أنه اعترض عليه فى ذلك^٢ و أجاب^٣ عنه فى الكتاب الذى أجاب فيه عن^٤ أشياء اعترض عليه فيها فانه لاعتبر بذلك الجواب أيضا، فان ذلك ينحل إلى أنه سبحانه وتعالى لا يقدر على أن يخلق أحسن من هذا العالم، وهذا لا يقوله أحد، وهو لا ينقص مقدار الغزالي فان كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد كما قال الإمام مالك رضى الله عنه، وعزاه الغزالي نفسه إلى ابن عباس رضى الله عنهما، وقال الإمام الشافعى / رضى الله عنه وأرضاه: صنفت هذه الكتب وما ألوت فيها جهدا وإنى لأعلم أن فيها الخطأ لأن الله تعالى يقول "ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا".

ولما كان التقدير: فكان منه سبحانه المبدأ، عطف عليه قوله:
 ١٥ ﴿ رآه ﴾ أى وحده ﴿ المصير ٥ ﴾ أى بعد البعث بعين القدرة التى قدر بها على البداية، فمن كان^٥ على الفطرة الأولى لم يغيرها أدخله الجنة، ومن كان قد أفسدها فجعل روحه نفسا بما طبعها به من حيث جسده أدخله

(١) زيد من م (٢ - ٢) من ظ و م، وفى الأصل: قافهم فاجاب (٣) من ظ و م، وفى الأصل: من (٤) زيد فى الأصل: فيها، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها.

النار، وفي الدنيا أيضا باقتراده بالتدبير، فلا يكون من الملك والسوقة
إلا ما يريد، [لا ما يريد - ^١] ذلك المرید الفاعل .

ولما تقرر بما مضى إحاطة قدرته بما دل على ذلك من إبداعه
للخلق على هذا الوجه المحكم وشهد البرهان القاطع بان ذلك صنعه
وحده، لا فعل ^٢ فيه لطبيعة ولا غيرها، دل على أن ^٣ ذلك بسبب شمول
عليه إشارة إلى أن من لم يكن تام العلم فهو ناقص القدرة فقال :
(يعلم) أى عليه ^٢ حاصل في الماضي والحال والآل يتعلق بالمعلومات
على حسب تعليق قدرته على وفق إرادته بوجدانها (ما) أى الذى
أو كل شيء (فى السموات) كلها .

ولما كان الكلام بعد قيام الدليل القطعى البديهي على جميع أصول ١٠
الدين مع الخلق لأن بداهة الأدلة قادتهم إلى الاعتقاد أو إلى ^٤ حال
صاروا فيه أهلا للاعتقاد، والتحلى بحلية أهل السداد، ولم يؤكدوا باعادة
الموصول بل قال : (والارض) ولما ذكر حال انظر على وجه
يشمل ^٥ المظروف، وكان الاطلاع على أحوال العقلاء أصعب، قال مؤكدا
باعادة العامل : (ويعلم) أى على سبيل الاستمرار (ما تسرون) ١٥

(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : صنع (٣-٣) سقط ما بين
الرفين من ظ (٤) زيد فى الأصل و ظ : أنذى ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفها .
(٥) زيد فى الأصل و ظ : حاصل ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفها (٦) من
م ، وفى الأصل و ظ : لم يكده (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : يشتمل .

أى^١ حال الانفراد و حال الخصوصية مع بعض الأفراد . ولما كانت لدقتها و انتشارها بحيث ينكر بعض الضعفاء الإحاطة بها ، وكان الإعلان ربما خفى لكثرة لفظ و اختلاط^٢ أصوات ونحو ذلك أكد فقال :

﴿ وما تعلنون^٣ ﴾ من الكليات و الجزئيات خلافا لمن يقول : يعلم الكليات [فقط -^٢] و [لا يعلم -^٢] الجزئيات [إلا بعد وجودها ، من فلسفى وغيره ، و لمن يقول : يعلم الكليات -^٢] خاصة . ولما ذكر حال المظروف على وجه يشمل ظروفه و هى الصدور ، و كان أمرها أعجب من أمر غيرها ، قال مصرحا بها إشارة إلى دقة أمرها مظهرا موضع [الإضمار -^٢] تعظيما : ﴿ والله ﴾ أى الذى له الإحاطة التامة لكل ١٠ كمال ﴿ عليم ﴾ أى بالغ العلم ﴿ بذات ﴾ أى صاحبة ﴿ الصدور ﴾ من الأسرار و الخواطر التى لم تبرز إلى الخارج سواء كان صاحب الصدر قد علمها أو لا ، و علمه 'لكل ذلك' على حد سواء لا تفاوت فيه بين علم الخفى و علم الجلى ، لأن نسبة المقتضى لعلمه و هو وجود ذاته على ما هى عليه من صفات الكمال إلى الكل على حد سواء ، فراقبوه فى الإخلاص و غيره مراقبة من يعلم / أنه بعينه لا يغيب عنه و احذروا^٤ أن يخالف السر العلانية ، فإن حقه أن يتقى و يحذر ، و تكرير العلم فى معنى

(١) زيد فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لخدفتاها (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : اختلاف (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل و ظ : لذلك (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : احذر .

تكرير الوعيد و تقديم تقرير القدرة على تقريره^١ لان دلالة المخلوقات على قدرته أولا وبالذات، و كمال قدرته يستلزم كمال علمه لان من لا يكمل علمه لا تتم قدرته ، فلا يأتي مصنوعه محكما .

ولما تقرر الإيمان به من أنه الملك الذي له وحده الملك ، و أشار بما يشاهد من انقسام عبيده إلى مؤمن وكافر إلى أنه لا بد من الاخذ^٥ على يد الظالم منها كما هي عادة الملوك ، لا يسوغ في الحكمة ولا في العادة غير ذلك ، و أخبر أن علمه محيط لنسبته إلى العلويات و السفليات و^٦ الظواهر و البواطن على حد سواء ، أتبع ذلك وجوب الإيمان برسله بجمع الكلمة عليه سبحانه لتكمل الحياة باصلاح ذات البين لئلا يقع الخلاف فتنفسد الحياة و وجوب الاعتبار لمن مضى من أمهم ، فمن لم يعتبر عثر^{١٠} في مهواه من الأمل ، و دل عليه باهلاكه من خائفهم إهلاكا منسقا في خرقه للعادة^٢ و خصوصه لهم على وجه مقرر^٣ ما مضى من انقراذه بالملك معلم أن الكفرة هم المظلمون فقال : ﴿الم ياتكم﴾ أى أيها الناس ولا سيما الكفار لتعلموا أنه شامل العلم محيط القدرة يتقم من / المسئء ﴿نبؤا الذين﴾ و عبر بما يشمل^٤ شديد الكفر و ضعيفه فقال : ﴿كفروا﴾ أى خبرهم^{١٥} العظيم . و لما كان المهلكون على ذلك الوجه بعض الكفار و هم الذين أرسل إليهم الرسل ، فلم يستغرقوا ما مضى من الزمان قال : ﴿من قبل ذ﴾

- (١) من م ، و فى الأصل و ظ : تقديره (٢) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : من العادة . (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : مقدر (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : يشتمل .

كالقرون المذكورين في الاعراف ، ثم سبب عن كفرهم وعقب قوله :
 ﴿ فذاقوا ﴾ أى باثروا مباشرة الذائق بالعدل الثانى كما كان حكم عليهم
 بالعدل الاول بالتقسيم إلى كافر و مؤمن ﴿ وبال امرهم ﴾ أى شدة ما
 كانوا فيه مما يستحق أن يشاور فيه ويؤمر وينهى وثقله ووخامة
 ٥ مرعاه في الدنيا ، و أصله الثقل كيفما قلب ﴿ ولهم ﴾ أى مع ما ذاقوه
 بسببه في الدنيا ﴿ عذاب اليم ٥ ﴾ في البرزخ ثم القيامة التى هى موضع
 الفصل الأعظم .

ولما ذكر ما أحله بهم سبحانه و أشار إلى القطع بأنه من عنده
 باتساقه في خرقه العوائد بالاستئصال والخصوص لمن كذب الرسل
 ١٠ والتجية لمن صدقهم ، علله بقوله : ﴿ ذلك ﴾ أى الامر الشنيع العظيم
 من الوبال الدال قطعاً على أن الكفر أبطل الباطل وأنه مما يغضب الخالق .
 ولما لم يكن مقصودها كـمقصود غافر من تصنيف الناس صنفين ، وإنما
 حصل تصنيفهم هنا بالعرض للدلالة على الساعة اكتفى بضمير الشأن
 فقال : ﴿ بانه ﴾ أى بسبب أن الشأن العظيم البالغ في الفظاعة
 ١٥ ﴿ كانت تاتيهم ﴾ على عادة مستمرة ﴿ رسلهم ﴾ أى رسل الله الذين
 أرسلهم إليهم و خصهم بهم ليكونوا موضع سرورهم هم / ﴿ باليئس ﴾
 ٣٦٩ / أى الامور التى توضح غاية الإيضاح أنهم رسل الله من الكتب وغيرها ،
 فشاهدوا الامر من معدنه ، فلذلك كان عذابهم أشد .

(١-١) من ظ و م ، وفى الاصل : عادتهم المستمرة (٢) زيد فى الاصل :
 الله ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .

ولما كان سبحانه وتعالى قد اودع^١ الإنسان من جملة ما منحه به خاصة لطيفة وهي العزة وحب الكبر والعلو، فمن وضعها موضعها [بالتكبر - ٢] على من أمر الله بالتكبر عليه وهم^٢ شياطين الانس والجن من عصاه سبحانه نجاء، ومن وضعها في غير موضعها بالتكبر على أولياء الله رب العزة هلك، بين تعالى أن الكفار وضعوها في غير موضعها: هـ

(فقالوا) أى الكل لرسلم منكرين غاية الإنكار تكبرا: (ابشر) أى هذا الجنس وهو مرفوع على الفاعلية لأن الاستفهام يطلب الفعل، ولما كان تكذيب الجمع أعظم، وكان لو أفرد الضمير لم يكن له روعة الجمع قال: (يهدوننا) فأنكروا على الملك الأعظم إرساله لهم (فكفروا) بذلك عقب مجيء الرسل وبسيه من غير نظر و تفكر و أدنى تأمل ١٠

و تبصر حسدا للرسل لكونهم مساوين لهم في البشرية فاستبعدوا أن يخصوا من بينهم بأمر ولا سيما إن كان عظيما جدا، فلزمهم ارتكاب أقبح الأمور وهو استبعاد أن يكون النبي بشرا مع الإقرار بأن^٣ يكون الإله حجرا (وتولوا) أى كلفوا أنفسهم خلاف ما تدعو إليه الفطرة الأولى من الإعراض عن الرسل بعد إنكار رسالتهم لشبهة ١٥

قامت عندهم، و ذلك أنهم قالوا: إن الله عظيم لا يشبه البشر فينبى أن يكون رسله من غير البشر، ولو تأملوا حق التأمل لعلوا أن هذا

(١) من م، وفي الأصل وظ: ادع (٢) زيد من م (٣) من م، وفي الأصل وظ: هو (٤) من ظ و م، وفي الأصل: الشى (٥) من ظ و م، وفي الأصل: ان.

هكذا ، وأن الرسل إنما هي ملائكة ، لكن لما كان لا يقوى جميع البشر على رؤية الملائكة كما هو مقتضى العظمة التي توهموها ولم يثبتوها على وجهها ، خص سبحانه من البشر ناسا وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بقوى زائدة طوقهم بها على معالجتهم ، فأتوا إليهم ليكونوا واسطة بين الله وبين خلقه لأن بعض الجنس أميل إلى بعض وأقبل .

ولما كان هذا كله إنما هو لمصالح الخلق لا يعود على الله سبحانه وتعالى وعز شأنه نفع من وجوده ولا يلحقه ضرر من عدمه ولا بالعكس ، نبه على ذلك بقوله : ﴿ واستغنى الله ﴾ أي فعل الملك الأعظم [الذي - ١] لا أمر^٢ لاحد معه فعل من يطلب الغنى عنهم ١٠ وأوجده إيجادا عظيما من هده لا تباع الرسل فأعرض عنهم حين أعرضوا عن رسله فضرهم إعراضه [عنهم - ٢] ولم يضره إعراضهم وما ضرروا إلا أنفسهم وأطلق الاستغناء ليعم كل شيء .

ولما كان التعبير بذلك قد يوم حدث ما لم يكن له ، نفى ذلك بقوله مظهرا^٤ زيادة في العظمة^٥ : ﴿ والله ﴾ أي المستجمع لصفات الكمال / ٣٧٠

١٥ من غير تقييد بحيشة ﴿ غنى ﴾ عن الخلق جميعا ﴿ حمده ﴾ له صفة الغنى المطلق والحمد الأبلغ الذي هو الإحاطة بجميع أوصاف الكمال

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : فعل (٣) زيد من م .
(٤ - ٥) من ظ و م ، وفي الأصل : للعظمة (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ و م .

على الدوام أزلا وأبدا، لم يتجدد له شيء لم يكن .
ولما قرر وجوب الإيمان به ورسله وكتبه وبالقدر 'خيره وشره' ،
وقسم الناس إلى مؤمن وكافر ، وأخبر أن الكافر تكبر عن الرسل ،
عين الموجب الأعظم لكفرهم بقوله دالا على وجوب الإيمان بالبعث
وترك القياس والرأى فان عقل الإنسان لا يستقل ببعض أمور الالهية ،
معبرا بما أكثر إطلاقه ^٢ على ما ^٢ يشك فيه و يطلق على الباطل إشارة
إلى أنهم شاكون وإن كانوا جازمين ، لكونهم لا دليل لهم ، وإلى أنهم
في نفس الأمر مبطلون : ﴿ زعم ﴾ قال ابن عمر رضى الله عنهما : هي
كنية الكذب ^٣ ، وفي حديث ابن مسعود رضى الله عنه عند أبي داود :
بش مطية الرجل زعموا ﴿ الذين كفروا ﴾ أى أوقعوا الستر لما دلت ١٠
عليه العقول من وحدانية الله تعالى ولو على أدنى الوجوه .

ولما كان الزعم ادعاء العلم و كان مما يتعدى إلى مفعولين ، أقام
سبحانه مقامهما قوله : ﴿ ان لن يبعثوا ^٤ ﴾ [أى من باعث ما بوجه من
الوجوه . ولما كان قد أشار سبحانه بنوعى المؤمن والكافر إلى الدليل
القطعى الضرورى على وجود المبطل اللازم منه ودعه اللازم منه وجوب ١٥

البعث ، اكتفى فى الأمر باجابتهم بقوله - ^٥ : ﴿ قل ﴾ أى لهم : ﴿ بلئى ﴾
أى لتبعثن ، ثم أكد بصريح القسم فقال : ﴿ وربى ﴾ أى المحسن إلى

(١-١) فى م : كله وما بين الرقيين ماقط من ظ (٢-٢) من م ، وفى الأصل
و ظ : بما (٣) أخرجه ابن أبى شيبة فى كتاب الأدب (٤) راجع كتاب الأدب
وأخرجه ابن المبارك فى الزهد ص : (١٢٧) (٥) زيد من ظ و م .

بالاتقام من كذب بي، و باحقاق كل حق أميت، وإبطال كل باطل
 أقيم ﴿لنبحن﴾ مشيرا بيناته للفعول إلى أنه و يكون على وجه القهر
 لهم بأهون شيء وأيسر أمر وكذلك قوله: ﴿ثم لنبحن﴾ أى لنبحرن
 حتما إخبارا عظيما من يقيمه الله لإخباركم ﴿بما علمتم﴾ للدينونة عليه .
 ٥ و شرح بعض ما أفاده بناء الفعلين للجهول بقوله: ﴿و ذلك﴾ أى
 الأمر العظيم عندكم من البعث والحساب ﴿على الله﴾ أى المحيط بصفات
 الكمال / وحده ﴿يسيره﴾ لقبول المادة وحصول القدرة، وكون قدرته
 سبحانه كذلك شأنها، نسبة الأشياء الممكنة كلها جليلها وحقيرها إليها
 على حد سواء .

/ ٣٧١

١٠ و لما كان في رد قولهم على هذا الوجه مع الإقسام من غير
 استدلال إشارة إلى تأمل الكلام السابق بما اشتمل عليه من الأدلة التي
 منها ذلك البرهان البديهي، سبب عنه قوله فذلك لما مضى من الأدلة
 و جمعا لحديث جبريل عليه الصلاة والسلام في الإيمان بالله وملائكته
 وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره والإسلام والإحسان :
 ١٥ ﴿فأمنوا بالله﴾ أى الذى لا أظهر من أن له الإحاطة الكاملة بكل شيء
 وأنه لا تكفوله ولاراد لأمره . ولما دعاه هذا إلى الإيمان به سبحانه
 عقلا ونقلا ذكرا وفكرا، ثنى بالإيمان بالرسول من الملائكة والبشر
 فقال: ﴿ورسوله﴾ أى كل من أرسله [و -] لاسيما محمد صلى الله

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : كذا (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
 تخبرون (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : فذلك هو (٤) زيد من ظ و م .
 عليه (٢٩) ١١٦

٣٧١ /

عليه وسلم بما ثبت من / تصديقه بالمعجزات من أنه رسوله ، و يلزم من الإيمان به الإيمان بمن أبلغه من الملائكة . ولما كانت تلك المعجزات موجبات للعلم كانت أحق الأشياء باسم التور فان النور هو المظهر للأشياء بعد انحجابها برداء الظلام^١ وكان أعظم تلك المعجزات و أحقها بذلك كتب الله المنزلة على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، وأعظمها القرآن ه الذي هو مع إعجازه يان لكل شيء ، قال : ﴿ و النور ﴾ وعينه بقوله : ﴿ الذي أنزلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة فكان معجزا فكان بإعجازه^٢ ظاهرا بنفسه مظهرا لغيره ، وهذا وإن كان [هو - ٢] الواقع لكن ذكر هذا الوصف صالح لشمول كل ما أوحاه الله سبحانه وتعالى إلى رسله صلى الله عليهم وسلم ، ومن المعلوم أن أعظمه القرآن المنزل على أشرف ١٠ رسله صلى الله عليه و عليهم أجمعين ، فهو أحق ذلك باسم النور لما مضى من إعجازه ، فمن آمن^٣ به أدخل الله قلبه من أنوار الفهوم والالطاف والسكينة ما يضيء الأقطار .

ولما كان التقدير : والله محاسبكم على ما قابلتكم به إنعامه عليكم بذلك^٤ من إيمان وكفران ، عطف عليه مرغبا مرهبا قوله : ﴿ والله ﴾ ١٥ أى المحيط علما و قدرة ، و قدم الجار لما تقدم غير مرة من مزيد التأكيد فقال : ﴿ بما تعملون ﴾ أى توقعون عمله في وقت من الاوقات

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : المظالم (٢) من م ، وفي الأصل و ظ ؛ إعجازه (٣) زيد من م (٤) من م ، وفي الأصل و ظ ؛ من (هـ) من ظ و م ، وفي الأصل : قبلتم (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : لذلك .

(خير) أى بالغ العلم بباطنه و ظاهره .

ولما أخبر بالبعث و أقسم عليه ، و أشار إلى دليله السابق ، و سبب^١ عنه ما ينجي في يومه ، ذكر يومه و ما يكون فيه ليحذر^٢ فقال متبعا ما مضى من دعائم الإيمان دعامة اليوم الآخر و اعظا^٣ لمن يقول : يا ليت شعرى ما حالى بعد ترحالى ؟ و قامعا لمن يقول : لآحال بعد الترحال ، ^٥ بالإعلام بانها أحوال أى أحوال ، تشيب^٤ الأطفال ، و تقصم ظهور الرجال ، بل تهدشم الجبال : (يوم) أى تبعثون في يوم (يجمعكم) أى أيها الثقلان . و لما كان الوقت المؤرخ به فعل من الأفعال إنما يذكر لأجل ما وقع فيه ، صار كأنه علة لذلك الفعل فقال تعالى : (ليوم الجمع)
 ١٠ لأجل ما يقع في ذلك [اليوم - ^٤] الذى يجمع فيه أهل السماوات و أهل الأرض من الحساب و الجزاء الذى يكون فوزا لناس فيكونون غابنين ، و يكون خيبة لناس فيكونون مغبونين ، و كل منهم يطلب أن يكون غابنا .

و لما كان هذا المقصد أمرا عظيما مقطعا ذكره الأكباد ، قال تعالى
 ١٥ مشيرا إلى هوله بأداة البعد مستأنفا : (ذلك) أى اليوم العظيم المكانة الجليل الأوصاف (يوم التغابن^٥) الذى لا تغابن في الحقيقة غيره لعظمه و دوامه ، و الغين : ظهور النقصان / للحظ الناشئ عن خفاء لأنه يجمع

/ ٣٧٢

(١) زيد في الأصل : السامع ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٢) في ظ : وعظا (٣) زيد في الأصل وظ : لها ، و لم تكن الزيادة في م لحذفها .
 (٤) زيد من ظ و م .

فيه الأولون أو الآخرون و سائر الخلق أجمعون ، و يكون فيه السمع
و الإبصار على غاية لا توصف بحيث أن جميع ما [يقع -^١] فيه [يمكن -^٢]
أن يطالع عليه كل أحد من أهل ذلك الجمع ، فإذا فضح أحد اقتضح
عند الكل ، و ما من عبد يدخل الجنة إلا أرى مقعده من^٣ النار لو أساء
يزداد^٤ شكرا ، و ما من عبد يدخل النار إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن^٥
يزداد^٦ حسرة فيغيب كل كافر بتركه^٧ الإيمان و كل مؤمن بتقصيره^٨
في الإحسان ، و مادة ” غبن ” تدور على الخفاء من مغابن الجسد و هي
ما يخفى عن العين ، و سمي الغبن في البيع - لخفائه عن صاحبه ، فالكافر
و الظالم يظن أنه غبن المؤمن بنعيم الدنيا الذي استأثر به الكافر ، و بالنقص
الذي أدخله الظالم على المظلوم ، و قد غبنها المؤمن و المظلوم على الحقيقة ١٠
بنعيم الآخرة و كمال جزائها العظيم الدائم ، فالغبن فيه لا يشبهه غبن ،
فقد بعث ذكر هذا اليوم على هذا الوجه على التقوى آمم بعث ، و هي
الحاملة على اتباع الأوامر و اجتناب النواهي لئلا يحصل الغبن بفوات
النعم أو نقصانه ، و يحصل بعده للكافر^٩ العذاب الاليم .

ولما كان كل أحد يحسب أن يكون في النور ، و يكره أن يكون ١٥
في الظلام ، و يجب أن يكون غابنا ، و يكره أن يكون مغبونا ، أرشدت

(١) زيد من ظ (٢) زيد من م (٣) من م ، و في الأصل و ظ : في (٤) من
ظ و م ، و في الأصل : فيزداد (٥) من م ، و في الأصل و ظ : تركه (٦) من
م ، و في الأصل و ظ : لتقصيره (٧) زيد في الأصل و ظ : من . و لم تكن
ازيادة في م لخذناها .

سوابق الكلام و لواحقه إلى أن التقدير : فن آمن كان في النور ، وكان في ذلك اليوم رجحان ميزانه من الغابنين ، ومن كفر كان في الظلام ، وكان في ذلك اليوم بنقصان ميزانه من المغبونين ، فعطف^٢ عليه قوله يانا لآثار ذلك الغبن ، و تفضيلا له باصلاح الحامل على التقوى وهو أمور منها القوة العلية : ﴿ ومن يؤمن ﴾ أى يوقع الإيمان ويحدهه على سبيل الاستمرار ﴿ بالله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا كفؤ له . و لما ذكر الرأس وهو إصلاح القوة العلية ، أتبعه البدن وهو إصلاح القوة العملية فقال : ﴿ ويعمل ﴾ تصديقا لإيمانه ﴿ صالحا ﴾ أى عملا هو مما ينبغى الاهتمام بتحصيله لأنه لا مثل له [فى - ٢] جلب المنافع ١٠ و دفع المضار .

و لما كان الدين مع سهولته متينا لن يشاده أحد إلا غلبه ، قال حاملا على التقوى بالوعد بدفع المضار ، ولعله أفرد الضمير إشارة إلى أن زمان التكفير و الدخول متفاوت بحسب طول الحساب وقصره ، كلما فرغ واحد من الحساب دخل الجنة إن كان من أهلها : ﴿ يكفر ﴾ ١٥ أى الله - على قراءة الجماعة بأن يستر سترًا عظيمًا ﴿ عنه سيئاته ﴾ التى غلبه عليها نقصان الطبع ، و أتبع ذلك الحامل الآخر وهو الترجئة بحسب المسار لأن الإنسان / يطير إلى ربه سبحانه بجناحي الخوف والرجاء

/ ٣٧٣

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : فى (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : بظف .
(٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : كما (٥) وقع فى الأصل قبل « سترًا عظيمًا » والترتيب من ظ و م .

والرغبة [والرغبة - '] و النذارة والبشارة فقال : ﴿ ويدخله ﴾ أى
رحمة له وإكراما [وفضلا - '] ﴿ جثت ﴾ أى بساتين ذات أشجار
عظيمة وأغصان ظليلة تستر داخلها ، ورياض مديدة متنوعة الازاهير^٢
عطرة النشر تبهج رائتها ، وأشار إلى دوام ريتها بقوله : ﴿ تجري ﴾
ولما كان عموم الماء لجميع الأرض [غير - '] بمدوح ، بين أنه فى خلاها ه
على [أحسن - '] الأحوال فقال : ﴿ من تحتها ﴾ وبين عظمه بقوله :
﴿ الانهر ﴾ ولما كان الزوج^٣ أو توقعه عن مثل هذا محزنا ، أزال
توقع ذلك بقوله جامعا لثلاث الخلود لواحد بعينه تصريحاً بأن من
معناها الجمع وأن كل من تاركه مستون فى الخلود : ﴿ تخلص فيها ﴾
وأكد بقوله^٤ : ﴿ ابدأ ﴾ والتقدير^٥ على قراءة نافع وابن عامر^٦ بالنون : ١٠
فعل التكفير^٧ والإدخال إلى هذا النعيم بما لنا من العظمة فانه لا يقدر
على إسعاد من شاء وإشقاء من شاء إلا الله سبحانه ، ولا تكون هذه
القدرة تامة إلا لمن كان عظيماً لا راد لأمره أصلاً .

ولما كان هذا أمراً باهراً جالبا بنعيمه مرور القلب ، أشار إلى
عظمته بما يجلب مرور القلب بقوله : ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العالى جدا ١٥
من الغفران والإكرام ، لا غيره ﴿ الفوز العظيم ﴾ لأنه جامع لجميع

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الازهار (٣) من ظ
و م ، وفى الأصل : الروج (٤) من م ، وفى الأصل : ظ : قوله (٥) زيد
فى الأصل : ظ : بقوله ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفها (٦) راجع نثر المرجان
٧ / ٣٧١ - ٣٧٢ (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : التفكير .

المصلح^١ مع دفع المضار و جلب المسار .

ولما ذكر الفائز بلزومه التقوى ترغيا ، أتبعه الحائث بسبب إفساد^٢ القوتين الحاملتين على التقوى : العلية و العملية ترهيبا ، فقال بادئا بالعلية : ﴿ والذين كفروا ﴾ أى غطوا أدلة^٣ ذلك اليوم فكانوا^٤ فى الظلام .
 ٥ ولما ذكر إفسادهم القوة العلية ، أتبعه العملية فقال : ﴿ وكذبوا ﴾ أى أوقعوا جميع التغطية و جميع التكذيب^٥ ﴿ بآيتنا ﴾ بسببها مع ما لها من العظمة باضافتها إلينا ، فلم يعملوا شيئا .

ولما بين إفسادهم للقوتين^٦ ، توعدهم بالمضار^٧ ، فقال معربا من الفاء فى جانبى الأشقياء و السعداء طرعا للأسباب ، لأن نظر هذه السورة إلى
 ١٠ الجبلات التى لامدخل فيها لغيره أكثر بقوله ” هو الذى خلقكم فنكم كافر و منكم مؤمن “ فان ذلك أجدر بالخوف منه ليكون أجدر بالبعد عما يدل على الجبلية الفاسدة من الأعمال السيئة : ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ أصحاب النار ﴾ ولما كان السجن إذا رضى الخلاص منه قلل من خوف داخله ، وكان التعبير بالصحة مشعرا بالدوام المقطع للقلوب
 ١٥ لأنه مؤسس من الخلاص ، أكد به بقوله : ﴿ تخليد فيها ﴾ وزاد فى

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : المصلح (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فساد (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : أو (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : فكان (٥) زيد فى الأصل : بأنواعه ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها . (٦) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م لحذفناها (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : بالمصادر .

الإرهاب منها^١ بقوله [مشيراً -^٢] إلى مضار القلب^٣ بعد ذكر مضار القلب: ﴿و بشئ المصير﴾ أى جمعت المذاق [كلها -^٤] الصيرورة إليها و بقعتها التى للصيرورة إليها، فكيف بـكونها^٥ على وجه الإقامة زمناً طويلاً فكيف إذا كان على وجه الخلود .

ولما كان من تعرفه من المرغبين و المرهبين لايفعل ذلك / إلا فيما ٥ / ٣٧٤

ليس^٦ قادراً على حفظه و ضبطه حتى لا يحتاج العامل فى عمل ذلك إلى رقيب يحفظه و وكيل يلزمه ذلك العمل و يضبطه، و كان قول المناقنين المتقدم فى الإنفاق و الإخراج من المصائب، و كانت المصائب تطيب إذا كانت من الحبيب، قال جواباً لمن يتوهم عدم القدرة متمماً ما مضى من خلال^٧ الأعمال بالإيمان بالتدبر خيره و شره، مرغياً فى التسليم مرها^٨ ١٠ من الجزع قاصراً الفعل ليعم كل مفعول: ﴿مأ اصاب﴾ أى أحداً يمكن المصائب أن تتوجه إليه، و ذكر الفعل إشارة إلى القوة، و أعرق فى النقي بقوله: ﴿من مصيبة﴾ أى مصيبة كانت^٩ دينية أو دنيوية^{١٠} من كفر أو غيره ﴿الا باذن الله^{١١}﴾ أى بتقدير الملك الأعظم و تمكينه، فلا ينبغي لمؤمن أن يعوقه شيء من ذلك عن التقوى النافعة فى يوم التغابن . ١٥ و لما تسبب^{١٢} عن ذلك ما تقديره: فمن يكفر بالله بتقديره عليه

(١) من ظ و م ، وفى الأصل: فيها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل: القلوب (٤) من ظ و م ، وفى الأصل: بها (٥) زيد فى الأصل: عليه أى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل: اخلال (٧-٨) من ظ و م ، وفى الأصل: دنيوية أو دينية (٨) من ظ و م ، وفى الأصل: سبب .

الكفر يغور قلبه ويزده ضلالا فيفعل ما يتوغل^١ به في المصيبة حتى
تصير مصائب عدة فتهلكه ، عطف عليه قوله باعثا على أول ركني الإسلام
و هو إصلاح القوة العلمية : ﴿ و من يؤمن بالله ﴾ أى يوجد الإيمان في
وقت من الأوقات و يمجده بشهادة أن لا إله إلا الله^٢ أن محمدا رسول الله
ه سبب الملك الأعظم و تقديره و إذنه ﴿ يهد قلبه^٣ ﴾ أى يزده هداية
بما يمجده^٤ له من التوفيق في كل وقت حتى يرسخ إيمانه فتزاح عنه
كل مصيبة . فانه يتذكر أنها من الله و أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، و ما
أخطأه لم يكن ليصيبه فيسلم بقضائه فيصبر له و يفعل ويقول ما أمر الله
به و رسوله فيخفف عليه ، و لا يعوقه عن شئ من المنجيات في^٥ يوم التغابن ،
١٠ بل يحصل^٦ له بسببها عدة أرباح و فوائد ، فتكون حياته^٧ طيبة بالعافية
الشاملة في الدينيات و الكونيات لأن بالعافية في الكونيات^٨ تطيب الحياة
في [الدنيا ، و بالعافية في الدينيات تطيب الحياة في^٩] الآخرة فتكون
العيشة راضية ، و ذلك^{١٠} بأن يصير عمله كله صوابا في سرائره و ضرائره
فيترك كل فاحشة دينية ظاهرة بدنية و باطنة قلبية و يترك الهلع في
١٥ المصائب الكونية كالخوف و الجوع و نقص الأموال و الأنفس و الثمرات

- (١) من ظ و م ، و في الأصل : يتوغل (٢) زيد في الأصل : اضهد ، و لم تكن
الزيادة في ظ و م لحذفها (٣) من م ، و في الأصل و ظ : يحدد (٤) من ظ
و م ، و في الأصل : المحبات (٥ - ٥) من م ، و في الأصل و ظ : ليحصل .
(٦) من ظ و م ، و في الأصل : حياة (٧) من م ، و في الأصل و ظ : الكون .
(٨) زيد من م (٩) من ظ و م ، و في الأصل : بذلك .

و ذلك لانه بصلاح القلب ينصلح البدن كله .

و لما كان التقدير تعليلا لذلك : فالله على كل شيء قدير [فهو -]

لا يدع شيئا يكون إلا بأذنه . عطف عليه قوله : ﴿ والله ﴾ أى الملك

الذى لا نظير له ﴿ بكل شيء ﴾ مطلقا من غير مشيئة ﴿ عليم ﴾ فاذا

تحقق من هدى قلبه ذلك زاح كل اعتقاد باطل من كفر أو بدعة هـ

أو صفة خيئة . و لما كان التقدير : فاصبروا عند هجوم المصائب ، / عطف ٣٧٥ /

عليه قوله تحذيرا من أن يشتغل بها [فتوقع فى الهلاك و تقطع عن

أسباب النجاة دالا على تعلم أمور الدين من معاداتها -] مشيرا إلى أن

العبادة لا تقبل إلا بالاتباع لا بالابتداع : ﴿ و اطيعوا الله ﴾ أى الملك

الأعلى الذى له الأمر كله فافعلوا فى كل مصيبة و نائبة تنوبكم و قضية ١٠

تعروكم ما شرعه لكم . و أكد باعادة العامل إشارة إلى أن الوقوف عند

الحدود و لاسيما عند المصائب فى غاية الصعوبة فقال : ﴿ و اطيعوا الرسول ﴾

أى الكامل فى الرسلية - صلى الله عليه و سلم - فانه المعصوم بما خلق فيه

من الاعتدال [و -] ما زكى به من شق البطن و غسل القلب

مرارا ، و ما أيد به من الوحي ، فما كانت الأفعال بإشارة العقل مع ١٥

الطاعة لله و المتابعة لرسوله صلى الله عليه و سلم فى كل إقدام و إحجام

كانت معتدلة ، سواء كانت شهوانية أو غضبية ، و متى لم تكن كذلك

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من ظ (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : مما .

(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : دى (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : عن .

(٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اريد .

كانت منحرفة إلى أعلى و إلى أسفل فكانت^١ مذمومة ، فان الله تعالى
بلطف تديره ركب في الإنسان قوة غضبية دافعة لما يهلكه و يؤذيه ،
و قوة شهوانية جالبة لما ينمي و يقويه ، فاعتدال الغضبية شجاعة و نقصها
جن^٢ و زيادتها^٣ تهور ، فالناس باعتبارها جان و شجاع و متهور ، و اعتدال
الشهوانية عفة و نقصانها زهادة و زيادتها^٤ شره ، و الناس باعتبارها
زهيد و تقيف و شره ، و كلا طرفي قصد الأمور ذميم ، و ميزان العدل
متابعة الرسول صلى الله عليه و سلم فيما شرعه ، فبذلك تنزاح الفتن الظاهرة
و الباطنة ، و لا طريق إلى الله إلا بما شرعه . و كل طريق لم يشره ضلال
من الكفر إلى ما دونه . ثم سبب عن^٥ أمره ذلك قوله معبرا بأداة
الشك إشارة إلى البشارة بحفظ هذه الأمة من الردة و مشعرا^٦ بأن
بعضهم يقع منه ذلك ثم يقرب رجوعه أو هلاكه : ﴿ فان توليتم ﴾
أى كلفتم أنفسكم عند ما تدعو إليه الفطرة الأولى من الإعراض عن
هذا النور الأعظم و الميل إلى طرف من الأطراف المفهومة من طرفي^٧
القصد فإلى رسولنا شئ من توليكم ﴿ فانما على رسولنا ﴾ أضافه
إليه على وجه العظمة تعظيما له و تهديدا لمن يتولى عنه^٨ ﴿ البالغ المبين هـ ﴾

(١) من ظ و م . وفي الأصل : كانت (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : خير .
(٣) من م ، وفي الأصل و ظ : زياداتها (٤) من ظ و م ، وفي الأصل :
زيادة (٥) من م ، وفي الأصل و ظ : على (٦) من ظ و م ، وفي الأصل :
مستعرا (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : اطراف (٨) من ظ و م ، وفي
الأصل و ظ : عليه .

أى الظاهر فى نفسه المظهر لكل أحد أنه أرضح له غاية الإيضاح
و لم يدع لبسا ، ليس إليه خلق الهداية فى القلوب .

و لما كان هذا موجعا^١ لإشعاره بأعراضهم مع عدم الحيلة فى ردهم ،
عرف بأن ذلك إنما هو إليه و [أنه - ٢] القادر عليه فقال جوابا لمن
كأنه قال : فالحيلة فى أمرهم - مكلا لقسمى الدين بالاستعانة بعد بيان ه
قسمه الآخر و هو العبادة : ﴿ الله ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال

﴿ لا اله الا هو ﴾ / فهو القادر على الإقبال [بهم - ٣] و لا يقدّر على
ذلك غيره ، فاليه اللجوء فى كل دفع و نفع و هو المستعان فى كل شأن
فإياه فليرج فى هدايتهم المهتدون ﴿ وعلى الله ﴾ أى الذى له الأمر
كله لا على غيره . و لما كان [مطلق - ٤] الإيمان هو التصديق بالله : ١
باعتقاد أنه القادر على كل شيء فلا أمر لأحد معه و لا كفوء له فكيف
بالرسوخ فيه ، نبه على [هذا - ٥] المقتضى^٢ للربط بالقاء و التأيد بلام
الأمر فى قوله : ﴿ فليتوكل المؤمنون ه ﴾ أى يوجد التوكيل بإيجادا هو
فى غاية الظهور و الثبات العريقون فى هذا الوصف فى رد المتولى منهم
إن حصل منهم تول و كذا فى كل مفقود فالعفة^٣ ليست محتصة بالموجود ١٥

فكما أن قانون العدل فى الموجود الطاعة فقانون العدل فى المفقود التوكل
و كذا فعل الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، فكان لهم الحظ الأوفر فى كل

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : موجبا (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م .

(٤) زيد من ظ (هـ) من ظ و م ، وفى الأصل : المتقضى - كذا (٦) من ظ

و م ، وفى الأصل : فاعلة .

توكل لاسيما حين ارتدت^١ العرب بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم
وكان أحقهم بهذا الوصف الصديق رضى الله تعالى عنه كما يعرف
ذلك من ينظر الكتب المصنفة في السير وأخبار الردة لاسيما كتابي المسمى
بالعدة في أخبار الردة .

٥ ولما كانت أوامر الدين تارة تكون باعتبار الأمر الديني من
سائر الطاعات المحضة ، و تارة باعتبار الأمر التكويني وهو ما كان بواسطة
مال أو أهل أو ولد، أتم سبحانه القسم الأول في الآيتين الماضيتين ، شرع
في الأمر الثاني لأنه قد ينشأ عنه فتنة في الدين وقد ينشأ عنه فتنة في الدنيا ،
ولما كانت الفتنة^٢ بالإقبال عليه والإعراض عنه أعظم الفتن ، لأنها
١٠ تفرق بين المرء وزوجه و بين المرء وابنه و تذهل الخليل عن خليله - كما
شاهد ذلك في بدء الإسلام ، وكان أعظم ذلك في الردة ، وكان قد تقدم
النهي عن إلهاء الأموال والأولاد ، وكان النهي عن ذلك في الأولاد نهياً
عنه في الأزواج بطريق الأولى . فلذلك اقتصر عليهم دون الأزواج ، وكان
المأمور بالتوكل ربما رأى أن تسليم قياده لكل أحد لا يقدح في التوكل ،
١٥ أشار إلى [أن - ٣] بناء هذه الدار على الأسباب مانع من ذلك فأمر بنحو
« اعقلها و توكل » ، و احرص على ما ينفعك و استعن بالله و لا تعجز ،
الحديث ، فقال جواباً عن ذلك لمن يحتاج إلى السؤال عن مثله مبيناً
للاوامر بالاعتبار للامتحان التكويني و إن كان أولى الناس ببذل الجهد
في تأديبه و تقويمه و تهذيبه أقرب الأقارب و ألصق الناس بالإنسان

(١) من ظ و م ، و في الأصل : ارتدت (٢) في م : فتنة (٣) زيد من م .

و هو كالعلة لآخر " المناقون " : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ولما كان الأزواج أقرب عداوة من الأولاد قدمهن ، فقال مؤكدا لمن يستبعد ذلك : ﴿ إِنْ مِنْكُمْ أَزْوَاجٌ ﴾ وإن أظهرن / غاية المودة ﴿ وَأُولَادُكُمْ ﴾ وإن أظهروا أيضا ' غاية ' الشفقة و ' الحنان ' ﴿ عَدَاؤُكُمْ ﴾ أى لشغلهم لكم عن الدين أو ' لغير ذلك من جمع المال و تحصيل الجاه لأجلهم و التهاون به بالنهى عن المنكر فإن الولد بحبته و غير ذلك ' ، قال أبو حيان ' رحمه الله تعالى : و لا أعدى على الرجل من زوجه و ولده إذا كانا عدوين و ذلك فى الدنيا و الآخرة ، أما فى الدنيا فإذهاب ماله - ٢ - كما هو معروف - ٢ - و عرضه ، و أما فى الآخرة فيما يسمى فى اكتسابه ١ من الحرام لأجلهم و بما يكسبانه منه بسبب جاهه . فالرجل من رأى ذلك نعمة من الله فجعله ١٠ معينا ٢ له على طاعته لا قاطعا و معوقا عما يرضيه بأن [يلتهى - ٤] بحبته و عداوته و بعضته . و لما أخبر عن العداوة ، عبر بما قد يفهم الواحد فقط تخفيفا ، و لما أمر بالحذر [جمع إشارة إلى زيادة التحذير و الخوف من كل أحد و لو كان أقرب الأقرباء لأن الحزم سوء الظن كما رواه الطبرانى فى الأوسط ، فسبب عن الإخبار بالعداوة الأمر بالحذر - ٥] ١٥ فى قوله : ﴿ فَاحْذَرُوهُمْ ٥ ﴾ أى بأن تتقوا الله فى كل أمرهم فتطلبوا فى

(١) سقط من ظ و م (٢-٢) سقط من ما بين الرقین من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : « و » (٤) زيد فى الأصل و ظ : فافهم ، و لم تكن الزيادة فى م لحذفها (٥) فى البحر المحیط ٨/٢٧٩ (٦) من م و البحر ، و فى الأصل و ظ : الاكتساب (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : بمعنا (٨) زيد من ظ و م .

السعى عليهم الكفاف من حله و تقتصروا عليه ، و لا يحملنكم حبهـم' على غير ذلك ، و ليشـتد حذركم منهم بالعمل بما أمر الله حتى في العدل بينهم ثـلا يتمكنوا من أذاكم فيعظم بهم الخطب و يكون فاتنا لكم في الدين إما بالردة - و العياذ بالله تعالى - أو بالشغل عن الطاعة أو بالإقحام في المعصية و مخالفة السنة و الجماعة .

و لما كان قد يقع منهم ما يؤذى مع الحذر لأنه لا يغنى من أدر أو مع الاستسلام ، و كان وكل المؤذى إلى الله أولى و أعظم في الاستنصار ، قال مرشدا إلى ذلك : ﴿ و ان تغفوا ﴾ أى توقعوا المجاوزة عن ذنوبهم بعدم العقاب عليها فانه لافائده في ذلك لأن من طبع على شئ لا يرجع ، ١٠ و إنما النافع الحذر الذى أرشد إليه سبحانه ثـلا يكون سببا للو المنهى عنه .

و لما كان الرجوع عن الحظوظ صعبا جدا ، أكد سبحانه فقال : ﴿ و تصفحوا ﴾ أى بالإعراض عن المقابلة بالثريب باللسان ﴿ و تغفروا ﴾ [أى - ٢] بأن تستروا ذنوبهم سـترا تاما شاملا^٢ للعين و الأثر بالتجاوز ١٥ بعد ترك العقاب عن العتاب ، فلا يكون منكم اشتغال بعداوتهم' و لا ما قد يجرحها عما ينفع من الطاعة . و لما كان التقدير : يغفر الله لكم ، سبب عنه قوله : ﴿ فان الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال ﴿ غفور ﴾ أى بالغ (١) من ظ و م ، و فى الأصل : جهنم (٢) زيد من م (٣ - ٣) من م ، و فى الأصل و ظ : شاملا تاما (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بعداوة .

المحو 'الاعيان الذنوب و آثارها' جزاء لكم على غفرانكم لهم و هو جدير بأن يصلحهم لكم بسبب غفرانكم لهم فانه ﴿رحيم ه﴾ يزيدكم بعد ذلك الستر الإكرام بالإنعام إن أكرمتهم ، فتخلقوا بأخلاقه سبحانه يزدكم^١ من فضله .

و لما^٢ حكم على البعض ، كان كأنه قيل : فاحكم سائرهم ؟ فكان الحكم ه بذلك يلزم منه الحذر من الكل لكن للتصريح سر كبير في ركون النفس إليه ، فقال حاصرا / الجميع ضامما إليهم المال الذي به قيام ذلك كله وقدمه لانه أعظم فتنة : ﴿انما﴾ وأسقط الجار لان شيئا من ذلك لا يخلو عن شغل القلب فقال : ﴿اموالكم﴾ أى عامة ﴿واولادكم﴾ كذلك ﴿فتنة^٣﴾ أى اختبار يميل عن الله لكم و هو أعلم بما في نفوسكم ١٠ منكم لكن ليظهر في عالم الشهادة من يميله ذلك فيكون عليه تقمة بمن لا يميله فيكون له نعمة ، فربما رام الإنسان صلاح ماله و ولده فبالغ فأفسد نفسه ثم لا يصلح ذلك ماله و لا ولده ، وذلك [أنه -^٤] من شأنه أن يحمل على كسب الحرام "ومنع" الحق والإيقاع في الإثم ، روى عن أبي نعيم في الحلية في ترجمة سفيان^٥ الثوري عنه أنه قال : يؤتى برجل ١٥ يوم القيامة فيقال له : أكل عياله حسانة . و يسكنى فتنة المال [قصة -^٦]

(١-١) من ظ و م ، وفي الأصل : لآثار الذنوب و اعيانها (٢) من م ، وفي الأصل و ظ : يزيد (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : كما (٤) زيد من ظ و م (٥-٥) من م ، وفي الأصل و ظ : دمع (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : ابي سفيان .

ثعلبة بن حاطب أحد من نزل فيه قوله فتنة تعالى " ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن " وكأنه سبحانه ترك ذكر الأزواج في الفتنة لأن منهن من يكون صلاحا وعونا على الآخرة .

و لما كان التقدير : ففي الاحتراز من قنتهم^٢ تعب كبير ، لا يفوت به منهم إلا حظ يسير ، وكانت النفس عند ترك مشتبهاتها ومحبوباتها قد^٢ تنفر ، عطف عليه مهونا له بالإشارة إلى كونه فانيا وقد وعد عليه بما لانسبة له منه مع بقاءه قوله : (والله) أى ذو الجلال (عدة) وناهيك بما يكون منه بسبيل جلاله وعظمه (أجر) ولم يكف سبحانه بدلالة السياق على أن التنوين للتعظيم حتى وصفه بقوله : (عظيم) ١٠ أى لمن ائتمر بأوامره التى إنما نفعها لصاحبها ، فلم يقدم على رضاه ما لا ولا ولدا ، وذلك الاجر أعظم من منفعتكم بأموالكم وأودلاكم على وجه ينقص من الطاعة .

و لما كان التقدير : وعنده عذاب أليم لمن خالف ، سبب عنه قوله فذلكم أخرى لما تقدم من^١ السورة كلها : (فاتقوا الله) مظهرا ١٥ غير مضمّر تعظيما للمقام واحترازا من أن يتوهم نوع تقيد فأفهم الإظهار أن المعنى : اجعلوا بينكم وبين سخط الملك الأعلى وقاية من غير نظر إلى حيثية ولا خصوصية بشىء ما ، باجتناب نواحيه بعد امتثال أوامره ، فان التقوى إذا انفردت كان المراد بها فعل الأوامر وترك المناهى ،

(١-١) سقط ما بين البرتين من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فنتهم .

(٤) من ظ و م : فقد (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : فى .

وإذا جمعت مع غيرها أريد بها اجتناب [النواهي -^١] فقط .

ولما كان الأمر إذا نسب إليه سبحانه أعظم من مقالة قاتل ،

فلا يستطيع أحد أن يقدره سبحانه حق قدره ، خفف و يسر بقوله :

﴿ ما استطعتم ﴾ أى ما دتم فى الجملة قادرين مستطيعين ، ويتوجه عليكم

التكليف فى العمليات والعمليات ، وابدلوا جهدكم فى ذلك فى الإيمانيات ٥

لما علمت من ذاته ومرتبته وصفاته تعالى / وأفعاله ، وغير ذلك من ٣٧٩ /

جميع أعمالكم الظاهرة والباطنة ، وأعظمه الهجرة والجهاد ، فلا يمنعكم

الإخلاق إليهم ذلك والتقوى فيما وقع من المكروهات بالندم والإفلاع

مع العزم على ترك العود ، وفيما لم يقع بالاحتراس عن أسبابه ، وبذل

الإنسان جميع جهده هو الإتقاء حق التقاة^٢ فلا نسخ^٣ - والله أعلم . ١٠

ولما كان إظهار الإسلام ليس فيه مشقة كالأعمال قال : ﴿ واسمعوا ﴾

أى سماع إذعان و تسليم لما توعظون به و لجميع أوامره ﴿ واطيعوا ﴾

أى وصدقوا ذلك الإذعان بمباشرة الأفعال الظاهرة فى الإسلاميات

من القيام بأمر الله و الشفقة على خلق الله فى كل أمر ونهى على حسب

الطاقة ، وحذف المتعلق ليصدق الأمر بكل طاعة من^٤ الكل والبعض ١٥

و كذا فى الإهاق . و لما كان الإنفاق شديدا أكد أمره بتخصيصه

بالذكر فقال : ﴿ وانفقوا ﴾ أى أوقعوا [الإنفاق -^٥] كما حد لكم فيما

(١) زيد من م (٢ - ٢) من ظ و م ، وفى الأصل : وهو النسخ (٣) زيد فى

الأصل و ظ : الأمر ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م .

أوجه أو ندب إليه وإن كان في حق من اطلعت منها^١ على عداوة،
و الإتيان لا يخص نوعاً بل يكون بكل ما رزق الله من الذاتى والخارجى .
ولما كان الحامل على الشح ما يخطر فى البال من الضرورات
التي أعزها ضرورة^٢ النفس، رغب فيه بما ينصرف إليه بادئ بدئ و يعم
٥ جميع ما تقدم فقال : (خيراً) أى يكن ذلك أعظم خير واقع^٣
(لانفسكم^٤) فان الله يعطى خيراً منه فى الدنيا ما يزكى به النفس، و يدخر
عليه من الجزاء فى الآخرة ما لا يدري كنهه، فلا يغرنكم عاجل شيء من
ذلك فانما هو زخرف^٥ و غرور لا طائل تحته^٦ . ولما ذكر ما فى الإتيان
من الخير عم فى جميع الأوامر فقال : (ومن يوق) بناء للفعول
١٠ تعظيماً للترغيب فيه نفسه مع قطع الناظر عن الفاعل أى يقيه واق أى
واق كان - وأضافه إلى ما الشؤم كله منه فقال : (شح نفسه) فيفعل
فى ماله وجميع ما أمر به ما يطيقه^٧ أمر به موقناً [به -^٨] مطمئناً
إليه حتى يرتفع عن قلبه الأخطار، و يتحرز عن رق المكونات، والشح :
^٩ خلق باطن^{١٠} هو الداء العضال رأس الحية وكل فتنة ضلالة، و البخل
١٥ فعل [ظاهر -^{١١}] ينشأ عن الشح، و النفس تارة تشح بترك الشهوة من
المعاصى ففعلها. و تارة باعطاء الأعضاء فى الطاعات فتركها، و تارة بانفاق^{١٢}
(١) من ظ و م ، وفى الأصل : منه (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : صورة .
(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : اوقم (٤ - ٤) سقط ما بين الرقيين من م .
(٥) من ظ و م ، وفى الأصل : ما (٦) زيد من م (٧ - ٧) من ظ و م ، وفى
الأصل : فوق باكل (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م ، وفى الأصل :
بالإتيان الى إتيان .

المال، و من فعل ما فرض عليه خرج عن الشح . و لما كان الواقع إنما هو الله تعالى سبب عن وقايته قوله : ﴿ فاولئك ﴾ أى العالو الرتبة ﴿ هم ﴾ أى خآصة ﴿ المفلحون ﴾ أى الذين حازوا جميع المرادات بما اتقوا الله فيه من الكونيات^١ من المال و الولد و الاهل و المشوشات / من جميع القواطع . و لما أمر^٢ و رهب^٣ من ضده على وجه أعم ، هـ / ٣٨٠

رغب فيه تأكيذا لأمره لما فيه من الصعوبة لاسيما فى زمان النبي صلى الله عليه و سلم فان المال فيه كان فى غاية العزة و لاسيما إن كان فى لوازم النساء اللاتى افتتح الامر بأن منهن أعداء و لاسيما إن كان فى حال ظهور العداوة ، فقال بيانا للافلاح مطلقا فى الاستدعاء بالتمبير^٤ بالقرض مشيرا إلى أنه على خلاف الطبع بأداة الشك : ﴿ ان تقرضوا الله ﴾ أى ١٠ الملك الأعلى ذا الغنى المطلق المستجمع لجميع صفات الكمال بصرف المال وجميع قواكم التى جعلها فتنة لكم فى طاعاته ، و رغب فى الإحسان فيه بالإخلاص و غيره فقال : ﴿ قرضا حسنا ﴾ أى على^٥ صفة الإخلاص و المبادرة و وضعه فى أحسن مواضعه على أيسر الوجوه و أجملها و أهنأها و أعدلها ، و أعظم الترغيب فيه بأن رتب عليه الربح فى الدنيا و الفقران فى الآخرة ١٥ فقال : ﴿ يضعفه لكم ﴾ أى لأجلكم خاصا أقل ما يكون للواحد عشرا^٦

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الكائنات (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : امرهم (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : رهبهم (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فى التعمير (هـ) سقط من م (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : عشر .

إلى ما لا يتناهى على حسب النيات ، قال القشيري : يتوجه^١ الخطاب بهذا على^٢ الأغنياء في بذل أموالهم وعلى الفقراء في إخلاء أيامهم وأوقاتهم عن مراداتهم وإيثار مراد الحق على مراد أنفسهم ، فالغنى يقال له : آثر على مرادك^٣ في مالك [وغيره -^٤] ، والفقير يقال له : آثر حكى في نفسك وقلبك ووقتك .

ولما كان الإنسان لما له النقصان وإن اجتهد لا يبلغ جميع ما أمر به لأن الدين وإن كان يسيرا^٥ فهو متين "لن يشاده أحد إلا غلبه" قال : ﴿ ويغفر لكم ﴾ أى يوقع الغفران وهو محو ما فرط عنه وأثره لأجلكم ببركة الإنفاق ، وقد تضمنت هاتان الجملتان جلب السرور و دفع الشرور ، ١٠ وذلك هو السعادة كلها .

ولما كان التقدير : فآله غفور رحيم ، عطف عليه قوله : ﴿ والله ﴾ أى الذى لا يقاس عظمته [بشئ -^١] ﴿ شكور ﴾ أى بليغ^٢ الشكر لمن يعطى لأجله ولو كان قليلا فيشبه ثوابا جزيلا خارجا عن الحصر^٣ وهو ناظر إلى المضاعفة ﴿ حلیم لا ﴾ لا يعاجل بالعقوبة على ذنب من الذنوب وإن عظم بل يمهل كثيرا طويلا ليتذكر العبد الإحسان مع العصيان فيتوب ، ولا يهمل^٤ ولا يعتر بجله ، فإن غضب الحليم لا يطاق ،

(١) زيد في الأصل : به ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخذفها (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : الى (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : مدارك (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفي الأصل يسترا (٦) زيد من م (٧) زيد في الأصل وظ ، في ، ولم تكن الزيادة في م لخذفها (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : المقصر (٩) من ظ و م ، وفي الأصل : لا يمهل .

و هو راجع إلى الغفران .

ولما كان الحليم قد يتهم في حله بأن ينسب إلى الجهل بالذنب
أو بمقداره قال : ﴿ علم الغيب ﴾ وهو ما غاب عن الخلق [كلهم -^١]
فيشمل ما هو داخل القلب مما تؤثره الجبلة ولا علم لصاحب القلب به فضلا

عن غيره . ولما كان قد يظن أنه لا يلزم من علم ما غاب علم ما شهد ، هـ

أو يظن أن العلم إنما يتعلق بالكليات ، قال موضحاً أن^٢ علمه بالعالمين بكل

من / الكليات و الجزئيات قبل الكون و بعده على حد سواء : ﴿ والشهادة ﴾ ٣٨١ /

و هو كل ما ظهر فكان بحيث يعلمه الخلق ، وهذا الوصف داع إلى

الإحسان من حيث أنه يوجب للأؤمن ترك ظاهر الاسم و باطنه و كل

قصور و فتور و غفلة و تهاون فيعبده الله كأنه يراه . ١٠

ولما شمل ذلك كل ما غاب عن الخلق و ما لم يغيب عنهم فلم

يبق إلا أن يتوهم أن تأخير العقوبة للمعجز قال : ﴿ العزيز ﴾ أى الذى

يغلب كل شيء و لا يغلبه شيء . و لما كان ذلك قد يكون لأمر آخر

لا يمدح عليه قال : ﴿ الحكيم ﴾ أى أنه ما أخره إلا لحكمة بالغة يعجز عن

إدراكها الخلائق ، و قد أقام الخلائق فى طاعته بالجرى تحت إرادته ، ١٥

و تارة يوافق ذلك أمره فيسمى طاعة . و تارة يخالف فيسمى معصية ، فن

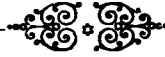
أراد أتم نعمته عليه بالتوفيق للطاعة بموافقته^٣ أمره [باحاطة -^٤]

(١) زيد من ظ و م (٢) فى م : انه (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : بالمعللين .

(٤) من ظ و م ، وفى الأصل : عنه فهو (٥) من ظ و م ، وفى الأصل :

بمواقفة (٦) زيد من م .

عليه والإتيان في التدوير ببالغ حكمته وإدانة ذلك وحفظه عن كل آفة^١ ياهر عزته، ومن أراد منه^٢ ذلك [بذلك - ٣] أيضا والكل^٣ تسريح له^٤ سبحانه بأفاده أنه الواحد القهار، وقد أحاط أول الجمعة بهذه^٥ السورة [اولها - ٢] وآخرها، فجاءت هذه شارحة له^٦ وكاشفة عنه^٧ على وجه أعظم لأن مقصود هذه نتيجة مقصد تلك، وقد رجع - بالنزاهة عن شوائب النقص والاختصاص بجميع صفات الكمال وشمول القدرة للخلق وإحاطة العلم بأحوال الكافر والمؤمن - على افتتاحها حسن ختامها، وعلم علما ظاهرا جلالة انتظامها^٨، و'بداعة اناساق' جميع آياتها وبراعة التأمها - والله الموفق للصواب^٩ .



(١) من ظ وم ، وفي الأصل : امر (٢) زيد في الأصل : من ، ولم تكن الزيادة في ظ وم فحذفنا (٣) زيد من ظ وم (٤ - ٤) من ظ وم ، وفي الأصل : تسريحه (٥) من ظ وم ، وفي الأصل : باول هذه (٦) من م ، وفي الأصل وظ : لها (٧) من م ، وفي الأصل وظ : عنها (٨) من ظ وم ، وفي الأصل : اختصاصها (٩) من ظ وم ، وفي الأصل : بدعته البيان (١٠) سقط من ظ وم .

سورة الطلاق، وتسمى النساء القصرى

مقصودها تقدير حسن التدبير فى المفارقة والمهاجرة بهتذيب الاخلاق ،
 بالتقوى لاسيما [فى الإنفاق ، لاسيما - ٢] إن كان ذلك عند الشقاق ،
 لاسيما إن كان فى أمر النساء لاسيما عند الطلاق ، ليكون الفراق على
 نحو التواصل والتلاق ، [واسمها - ٢] الطلاق أجمع ما يكون لذلك ، ه
 فلذا سميت به ، وكذا سورة النساء القصرى لأن العدل فى الفراق بعض مطلق
 العدل الذى هو محط مقصود سورة النساء ﴿ بسم الله ﴾ الذى له جميع صفات
 الكمال ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم رحمته النوال ﴿ الرحيم ه ﴾ الذى خص
 بالرحمة ذرى الهمم العوال .

لما ختمت التقابن بأنه تعالى شكور حلیم عزيز حكيم مع تمام العلم ١٠
 وشمول القدرة ، بعد التحذير من النساء بالعداوة ، وكانت العداوة تبحر إلى
 الفراق ، افتتح هذه بزم الانفس عند ثوران الحظوظ بزمم التقوى ، وأعلى
 الخطاب / جدا بتوجيهه إلى أعلى الخلق تنبيهها على عظمة الاحكام
 الواردة فى هذه [السورة - ٥] فانها مبنية على الاسماء الاربعة لتلقى بغاية
 الرغبة فقال : ﴿ يا ايها النبى ﴾ مخصصا له صلى الله عليه وسلم ، ذا كرا الوصف ١٥
 الذى هو سبب التلقى لغرائب العلوم وغائب الحكم والفهوم .
 ولما علم من الإقبال عليه صلى الله عليه وسلم عظمة الحكمة ، و من

- (١) الخامسة والستون من سور القرآن الكريم ، مدنية ، وعدداً بها (١٢) .
 (٢) ريد من ظ وم (٣) من م ، وفى الأصل وظ : بانعمة (٤) زيد فى الأصل :
 عظمت ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها (٥) زيد من م (٦) من ظ وم ،
 وفى الأصل : لسى .

التعبير 'في النداء' بأداة التوسط التي لا تذكر إلا في أمر مهم جدا أن الذي هو أقرب أهل الحضرة غير مقصود بها من كل وجه، وأن القصد التنبية لجلالة هذه الأحكام، وبذل الجهد^٢ في تفهيمها والعمل بها، فلذا [أقبل - ٢] على الأمة حين اتبها وألقوا أسماعهم، فقال معبرا

هـ بأداة التحقق لأنه من أعظم مواضعها: ﴿إذا طلقتم﴾ وعلم من ذلك عموم الحكم له صلى الله عليه وسلم لكن لما كان للانسان مع نسائه حالان أحدهما المشاحنة، كان غيره أولى بالخطاب فيه، وثانيها الجود والمصالحة بالحلم والعفو، فكان هو صلى الله عليه وسلم أولى بذلك فجاءت له سورة التحريم ﴿النساء﴾ أى أردتم طلاق هذا النوع واحدة منه ١٠ فأكثر ﴿فطلقوهن﴾ أى إن شئتم مطلق طلاق ثلاثا^٣ أو دونها، وكلما قل^٤ كان أحب بدليل ما يأتى من لواحق الكلام من الإشارة إلى الرجعة ﴿لعدتهن﴾ أى في وقت أو عند استقبال العدة أى استقبال طهر يحسب منها، وهو الطهر الذى لم يجامع فيه إن كانت مدخولا بها، ذلك معنى قراءة ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم "في قبل عدتهن" فهذا طلاق ١٥ السنة وغيره طلاق البدعة، فإن الطلاق في الحيض تطويل للعدة لأنه غير محسوب، ولا بد أن يكون الطهر لم يجامع [فيه - ٢] لأنها إذا

(١-١) من ظ و م، وفي الأصل: بالنداء (٢) في ظ و م: الجد (م) زيد من

ظ و م (٤) في م: مواقعها (٥) من ظ و م، وفي الأصل: ثلاثة (٦) من

ظ و م، هـ. في الأصل: كان اقل (٧) راجع البحر ٢٨١/٨.

جومعت ربما حملت فطالت العدة، وهذه اللام للوقت مثلها^١ في « كُتِبَ
 هذا الخمس بقين من شهر كذا » واختير التعبير بها لأنها تفهم مع
 ذلك أن ما دخلت عليه كالعلة الحاملة على متعلقها، فصار كأنه قيل^٢ :
 طلقوا لاجل العدة وإذا^٣ كان لاجلها علم أن المراد تخفيفها على المرأة بحسب
 الطاقة لأن مبنى الدين على اليسر، وذلك دال على أن العدة بالأسفار، هـ
 وأن الطلاق في الحيض حرام لأن الأمر بالشيء نهى عن ضده، ولا يدل
 على عدم الوقوع لأن النهى غير مستلزم للفساد، وقد بين ذلك كله
 حديث ابن عمر رضى الله عنهما في طلاقه زوجته في الحيض الذي كان
 سبب النزول، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وأمره^٤ أن يراجعها ثم
 يمسكها حتى تطهر^٥ ثم إن^٦ شاء أمسك وإن شاء طلق قبل أن يمس، و علم ١٠
 [أن - ١] من عدتها بغير الأقراء التي يمكن^٧ طولها وقصرها وهي غير
 المدخول بها والتي لم تحض والآتية والحامل لاستة في طلاقها ولا بدعة،
 وكذا للخالعة لأن النبي صلى الله عليه وسلم أذن لثابت بن قيس رضى الله
 عنه في الخلع من غير استفصال / عن حال امرأته لأنه إنما يكون في ٣٨٣ /
 الغالب عن تشاجر و تسؤال من المرأة، ويقع الطلاق البدعي لأن النبي ١٥
 صلى الله عليه وسلم أمر ابن عمر رضى الله عنهما بالمراجعة منه، ويأثم به
 (١) من ظ و م ، وفي الأصل : ما لها (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : قال .
 (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : إن (٤ - ٥) من ظ و م ، وفي الأصل :
 بمراجعتها (٥ - ٥) من ظ و م ، وفي الأصل : فإن (٦) زيد من ظ و م .
 (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : يكون .

بعد العلم ، و لو طلق في الحيض و راجع جاز له ان يطلق حال انقضاء الحيض قبل المجامعة ، و الامر بالإمساك إلى كمال الطهر و الحيض الذي بعده للندب حتى لا يكون في صورة من راجع للطلاق ، و لا بدعة في جمع الثلاث لأنه لا إشارة إليه في الآية و لا في حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي هو سبيلها ، نعم قد يدعى ذلك في آية البقرة في قوله تعالى ” الطلاق مرتان “ و الطلاق أبغض لإحلال إلى الله كما رواه أبو داود^٢ و ابن ماجه^٣ عن ابن عمر رضي الله عنهما فأبغضه إليه أنهما ، و ما حلف به و لا استحلف [إلا -^٤] مناقق - كما في الفردوس عن أنس رضي الله عنه .

و لما كان نظر الشارع إلى العدة شديدا لما فيها من الحكم بالتأني ١٠ لاحتمال الندم و بالظن لبرائة الرحم احتياطا للانساب و بقطع المنزعات و المشاجرات المفضية إلى ذهاب الأموال و الأرواح ، و قد أفهمه التعبير باللام ، صرح به بصيغة الأمر فقال : ﴿ و احصوا ﴾ أي اضبطوا ضبطا كأنه في إتقانه محسوس بعد الحصى ﴿ العدة ج ﴾ لتكملوها ثلاثة أقراء كما تقدم الأمر به ليعرف^٥ زمان النفقة و الرجعة و السكنى و حل النكاح لاخت المطلقة ١٥ مثلا و نحو ذلك من الفوائد الجليلة . و لما كان الطلاق على غير هذا الوجه حراما للضرار و مخالفة الأمر و كذا التهاون في الضبط حتى يحتمل أن تسكع المرأة قبل الانقضاء ، أمر بمجانبة ذلك كله بقوله : ﴿ و اتقوا ﴾ أي في ذلك ﴿ الله ﴾ أي الملك الأعظم الذي له الخلق و الأمر لذاته

(١) سقط من م (٢) راجع ٢٠٣/١ (٣) راجع ص : ١٤٦ (٤) زيد من ظ و م .

(٥) من ظ و م ، و في الأصل : يعلم .

في الزمن والإحصاء لأن في ذلك ما هو حقه ﴿ ربكم ج ﴾ أى لإحسانه
في تربيتكم في حملكم على الخفيفة السمحة ودفع جميع الآصار عنكم .

ولما أمر بالتقوى وناط بعضها بصفة الإحسان فسره بقوله :

﴿ لا تخرجوهن ﴾ أى أيها الرجال في حال العدة ﴿ من يوتهن ﴾ أى

المساكن التي وقع وهى سكنهن ، وكأنه^١ عبر بذلك إشارة^٢ إلى أن^٣ هـ

استحقاقها لإيفاء العدة به في العظمة كاستحقاق المالك ، ولأنها كانت في

حال العصمة كأنها مالكة له ، فليس من المروءة إظهار الجفاء بمنعها منه ،

ولأنها إن روجعت كانت حاصلة في الحوزة ولم يفحش الزوج في

المقاطعة ، وإن لم يحصل ذلك فظهر أنها حامل لم تحصل شبهة في الحمل .

ولما كان ذلك ربما أفهم أنه لحقهن فقط نفاه بقوله : ﴿ ولا يخرجن ﴾ ١٠

أى بأنفسهن إن اردن ذلك من غير مخرج من جهة الزوج أو غيره ،

فلم من ذلك نحتم استكمال العدة في موضع السكنى ، أن الإسكان على

الزوج ، وتخرج لضرورة / بيع الغزل وجذاذ النخل ونحوه . ولما كان ٣٨٤

منطوق^٢ ذلك أنه لا يجوز له^٤ إخراجها كارهة ، ولا يجوز لها أن

تخرج بنفسها فقط ، هو كاره [فافهم ذلك - *] أنهما^٥ لو اتفقا جاز ١٥

لأن ذلك خارج عن المنهى ، استثنى من كلا شتى المنهى عنه [بقوله -^٦] :

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : لأنه (٢ - ٢) من ظ و م ، وفي الأصل :

لأن (٣) من م ، وفي الأصل وظ : المنطوق (٤) وقع في الأصل بعده إخراجها ،

والترتيب من ظ و م (٥) زيد من ط و م (٦) من ظ و م ، وفي الأصل :

فانها (٧) زيد من م .

﴿الَا ان ياتين﴾ أى جنس المطلقات الصادق بواحدة و' أكثر (بفاحشة)
 أى خصلة محرمة شديدة القباحة ﴿مبينه^١﴾ أى ظاهرة^٢ فى نفسها ظهورا
 بينا^٣ عند كل من اريد بيانها له ، وذلك كالبدءا منها على الزوج أو
 أقاربه فانه كالنشوز يسقط حقها من السكنى ، فيجوز له إخراجها لقطع
 الشر ، وهو معنى قراءة أبى رضى الله عنه : ' إلا ان يفحش عليكم ، وكالزنا
 فتخرج بنفسها ويخرجها غيرها من الزوج وغيره لإقامة الحد عليها وغير
 ذلك من الفواحش ' كما أنه يطلقها للنشوز فانه لاسكنى لها حيثئذ .
 ولما كان التقدير : هذه^٤ أحكام هذا الفرع ، عطف عليه تعظيما
 لها^٥ قوله تعالى : ﴿وتلك﴾ أى الاحكام العالية جدا بما فيها من الجلالة
 ١٠ و بانتسابها إلى الملك الأعلى من هذا الذى ذكر فى هذه السورة وغيره
 ﴿حدود الله^٦﴾ أى الملك الأعظم الذى هو^٧ نور السموات والارض .
 ولما كان التقدير : فمن تحاماهما فقد أنصف نفسه بأخذه النور المبين ،
 عطف عليه قوله : ﴿من يتعد﴾ أى يقع منه فى وقت من الاوقات
 أنه يتعمد^٨ أن يعدو ﴿حدود الله﴾ أى الملك الأعظم ﴿فقد ظلم نفسه^٩﴾

(١) من ظ و م ، وفى الاصل : او (٢) من م ، وفى الأصل : ظاهر (٣) من م ،
 وفى الأصل و ظ : مبينا (٤) نسيها فى تفسير الطبرى ١١٦/٨ إلى ابن مسعود .
 (٥-هـ) فى م : كذلك (٦) زيد فى الأصل و ظ : الاحكام ، ولم تكن الزيادة فى
 ظ و م لحذفها (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٨) سقط من م (٩) من
 ظ و م ، وفى الأصل : يعتد .

بأن مشأما في الظلام فصارت تضع الأشياء في غير مواضعها، فصار
بمعرض الهلاك بالعقاب كما أن الماشي في الظلام معرض للوقوع في
حفرة والدرس^١ على شوكة أو حية أو عقرب أو سبع، أو لأن ينفرد
بقاطع، أو أن يضل عن الطريق إلى مهالك لا يمكن النجاة منها، ومثال
ذلك الحكيم إذا وصف دواء بقانون معلوم في وقت محدود ومكان مخصوص ه
نخولف لم يضر المخالف ذلك الحكيم وإنما ضر نفسه .

ولما كان له^٢ الخلق جميعاً تحت أوامره سبحانه مع أنها كلها خير
لأشرفه^٣ بوجه إسرار وإغوار، لا تدرك ولا تحصى، وقد يظهر بعضها
لسان الحدثن بيد القدرة، وكان متعديها ظالماً^٤ وكان من أقرب ظله
وأبينه الإيقاع في مهاوى العشق، فسره سبحانه بقوله مبينا عظمتة بخطاب ١٠
الإعلاء: ﴿ لا تدري ﴾ أي يا أيها النبي الكريم ما يكون عن ذلك من
الأمور التي يحدثها الله لتشير على المطلق بشيء مما يصلحه فغيرك من باب
الأولى . ولما نفى عنه^٥ العلم المغيب^٦ لاختصاصه سبحانه به وحذف المتعلق
إعراقاً في التعميم، وكان كل أحد فيما يحدث له / من الأمور ما بين رجاء
وإشفاق، عبر عن ذلك بأداة صالحة لها^٧ فقال: ﴿ لعل الله ﴾ أي الذي ١٥

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : الدوسي (٢ - ٣) سقط ما بين الرقنين من
ظ و م (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : فيها (٤) من ظ و م ، وفي الأصل :
ظهر (٥) في الأصل بياض ملائناه من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفي الأصل :
عنهم (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : للغيب (٨) من ظ و م ، وفي
الأصل : كما .

بيده القلوب و مقاليد جميع الأمور ﴿ يحدث ﴾ أى يوجد شيئاً حادثاً لم يكن إيجاداً ثابتاً لا يقدر الخلق على التسبب^١ فى زواله فيكون مستغنياً لزمان العمر كما أشار إليه نزع الخافض^٢ فى قوله تعالى : ﴿ بعد ذلك ﴾ أى الحادث من الإشارة بالضرار بالإخراج أو تطويل العدة أو غير ذلك ﴿ امراه ﴾ أى من الأمور المهمة^٣ كالرغبة المفرطة فى الزوجة فلا يتأتى ذلك إما بأن كان الضرار بالطلاق الثلاث أو [بأن -^٤] كانت من ذوى الأنفة فأثرت فيها الإساءة و فيمن ينتصر لها فنتع نفسها منه .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تقدم قوله ” يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ١٠ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ “ و قوله فى التغابن ” إِنْ مِنْكُمْ أَزْوَاجٌ وَأَوْلَادُكُمْ وَعَدْوَاكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ “ وقوله تعالى ” إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَالْمُؤْمِنُ قَدْ يَعْرِضُ لَهُ مَا يَضْطَرُّهُ إِلَى فِرَاقٍ مِنْ نَبِّهِ “ على فتنته و تعظيم محنته ، وردت هذه السورة منبهة على كيفية الحكم فى هذا الاقتراق ، و موضحة أحكام الطلاق ، و أن هذه العداوة^٥ و إن استحسنت و نار هذه الفتنة ١٥ ، إن اضطرمت^٦ لا توجب التبرء بالجملة^٧ و قطع المعروف ” لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً “ و وصى سبحانه بالإحسان المجمع فى قوله

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : السبب (٢) فى ظ و م : الجار (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الهمة (٤) زيد من م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : نبيه (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اسورة (٧) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى م لحذفها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : بالحكمة .

”او تسريح باحسان“ و بين تفصيل ذلك و ما يتعلق به ، فهذا الرق المطلوب بإيقاع الطلاق في أول ما تستعده^١ المطلقة في عدتها و تحسبه من مدتها تحذيرا من إيقاع^٢ الطلاق في الحيض الموجب تطويل^٣ العدة و تكثير المدة ، و أكد هذا سبحانه بقوله ”و اتقوا الله ربكم“ ثم نبه سبحانه على حقهن أيام العدة من الإبقاء في مستقرهن حين إيقاع الطلاق إلى ٥ انقضاء العدة فقال ”لا تخرجوهن من بيوتهن“ إلى ما استمرت عليه السورة من بيان الأحكام المتعلقة بالطلاق و تفصيل ذلك كله . و لما كان الأولاد إذا ظهر منهم ما يوجب هراهم و إبعادهم غير مفرقين^٤ إلى ما سوى الرض و الترك بخلاف المرأة ، لم يحتج [إلى ما احتج إليه -^٥ في حقهن فقد وضع وجه ورود سورة الطلاق في هذا الموضع - و الله ١٠ سبحانه و تعالى^٦ أعلم -] انتهى - .

و لما حد سبحانه ما يفعل في العدة^٧ ، أتبعه ما يفعل عند انقضائها فسيب عما أمره به فيها معبرا بأداة التحق لأن الخطاب على تقدير الحياة ، معلما أن له الرجعة إلى آخر جزء من العدة لأنها إذا ثبتت في آخرها البعيد من الطلاق كان ما قبله أولى لأنه أقرب إلى الطلاق فقال : ١٥ ﴿ فاذا بلغن ﴾ أى المطلقات ﴿ اجلهن ﴾ أى شارفن انقضاء العدة مشاورة عظيمة ﴿ فامسكوهن ﴾ أى بالمراجعة ، وهذا يدل على أن الأولى

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : ستيقه (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : وقوع .

(٣) في ظ و م : طول (٤) من م ، وفي الأصل و ظ : متفرقين (٥) زيد

من ظ و م (٦-٧) من ظ و م ، وفي الأصل : بالعدة .

/ من الطلاق ما دون البائن لاسيما الثلاث^١ . ولما كان الإنسان لما له من النقصان لا يقدر على كمال الإحسان قال منكرا : ﴿ بمعروف ﴾ أى حسن عشرة لا يقصد المضارة بطلاق آخر لاجل إيجاب عدة أخرى ولا غير ذلك ﴿ او فارقوهن ﴾ أى بعدم المراجعة لتتم العدة فتملك نفسها ٥ ﴿ بمعروف ﴾ بايقاف الحق مع حسن الكلام وكل أمر عرفه الشرع - أى حسنه - فلا يقصد أذاها بتفريقها من ولدها مثلا أرمنه إن كانت محبة^٢ له مثلا^٣ بقصد الأذى فقط من غير مصلحة وكذا ما أشبه ذلك من أنواع الضرر بالفعل أو القول ، فقد تضمنت الآية بإفصاحها الحث على فعل الخيرات و بابها ما اجتناب المنكرات .

١٠ ولما كان كل من المراقبة^٤ والمفارقة أمرا عظيما ، تبنى عليه أحكام تحل فحرم^٥ أضدادها ، فيكون الخلاف فيها فى غاية الخطر ، وكان الإشهاد أليق بالمراد ، وأقطع للزاع ، قال تعالى حائثا على الكيس واليقظة والبعد عن أفعال المغفلين العجزه : ﴿ واشهدوا ﴾ أى على المراجعة أو المفارقة ﴿ ذوى عدل ﴾ أى مكلفين حرين ثقتين يقظين ١٥ ﴿ منكم ﴾ أى مسلمين وهو أمر إرشاد مندوب إليه ؛ وعن الشافعى رضى الله تعالى عنه وجوبه [فى الرجعية - '] والصحيح الأول ، ومن

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : ثلاث (٢) فى ظ و م : عاشقة (م) سقط
من ظ و م (٤) من ظ ، وفى الأصل و م : ضمنت (٥) زيد فى الأصل وظ ،
والموافقة ، ولم تكن الزيادة فى م لخلفائها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل :
ومحرم (٧) زيد من ظ و م .

فوائده أن لا يموت أحدهما فيدعى^١ الآخر الزوجية ببقاء علقه العدة ليرث .
ولما كان أداء الشهادة يعسر على الشاهد لترك مهماته و عسر لقاء
الحكم^٢ الذى يؤدى عنده ، و ربما بعد مكانه ، وكان للعدل^٣ فى الأداء عوائق
أيضا ، وكان الشهود من المأمورين بالإشهاد^٤ ، حث على الأداء على وجه
العدل بقوله : ﴿ واقبوا ﴾ أى [أيها - °] المأمورون حيث كنتم °
شهودا ﴿ الشهادة ﴾ أى التى تحملتموها بأدائها على أكمل أحوالها كما يفعل من
يريد إقامة شئ ليصير واقفا بنفسه غير^٥ محتاج إلى ما يدعمه . ولما كان ربما
ميل أحد من المشهود عليهما الشاهد^٦ بشئ من المرغبات^٧ فأداها على
وجهها لذلك الشئ لا لكونه الحق ، قال مرغبا مرهبا : ﴿ لله ° ﴾ أى مخلصين
لوجه الملك الأعلى المحيط^٨ بكل شئ^٩ . علما و قدرة و هو ذو الجلال ١٠
والإكرام فى أدائها على وجه الحق ظاهرا و باطنا ، لا لأجل المشهود
[له - °] ولا المشهود عليه ، ولا شئ سوى وجه الله .

ولما كانت أحكامه سبحانه و تعالى لاسيما فى هذا الكتاب المعجز
مقرونة بعلمها ، و فيها عند التأمل رقائق^{١١} و دقائق^{١٢} تخشع لها القلوب
وتحب الأفتدة فى داخل الصدور قال : ﴿ ذلكم ﴾ أى الذى ذكرت ١٥

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : قيد - كذا (٢) من م ، وفى الأصل وظ : الحاكم .
(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : للعد (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : بالشهادة .
(٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : بيس (٧) من ظ و م ،
وفى الأصل : تشاهد (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : الرغبات (٩-٩) سقط ما بين
الرقين من ظ و م (١٠) من م ، وفى الأصل وظ : التى .

لكم أيها الأمة من هذه الأمور البديعة النظام العالية المرام، وأولاهما
بذلك هنا / الإشهاد وإقامة الشهادة . ولما كانت أوامر الله تعالى وقصصه
وأحكامه وجميع كلامه مختصا من [بين - '] كلام الناس بأنه يرقق
القلوب ويلين الشكائم لكونه روحا لما فيه العدل الذي تهواه النفوس،
و تعشقه الالباب، وتميل إليه الطبايع، وقامت به^٢ السماوات والأرض،
ولما فيه أيضا من ذكر [من - '] تعشقه الفطر القويمة من جميع أهل
الخير من الأنبياء والملائكة والأولياء، مع تشريف الكل^٣ بذكر الله، سمي
وعظا، وبنى للجهول إشارة إلى أن الوعظ بنفسه نافع ولو لم يعرف
قائله، وإلى أن الفاعل معروف أنه الله لكونه سمي^٤ وعظا مع كونه أحكاما
١٠ فقال: ﴿ يوعظ به ﴾ أى يلين ويرقق ﴿ من كان ﴾ أى كونا راسخا، من
جميع الناس ﴿ يؤمن بالله ﴾ أى يوقع ويحدد منكم ومن غيركم على
سبيل الاستمرار من صميم قلبه الإيمان بالملك الذى له الكمال كله .

ولما كان البعث محط الحكمة لأن الدنيا مزرعة للآخرة، ولا يكون
زرع بغير حصاد، كان خلو الإيمان عنه معدما للإيمان فقال:
١٥ ﴿ واليوم الآخر ﴾ فانه المحط الأعظم للتريق،^٦ أما من^٦ لم يكن متصفا
بذلك فكأنه لتساوة^٧ قلبه ما وعظ به لانه لم ينفع به أبدا^٨ .

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد في الأصل : أهل ، ولم تكن الزيادة في ظ و م
لحذفها (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : الله (٤) في ظ و م : نفسه (هـ) من
ظ و م ، وفي الأصل : يسمى (٦-٦) من ظ و م ، وفي الأصل : لما (٧) من
ظ و م ، وفي الأصل : لشقاوة (٨) سقط من ظ و م .

و لما كانت العبادة لا تكون إلا بالإعانة، وكان التقدير: فمن
 اتعظ بذلك كان اتعاضه شاهدا له بإيمانه بذلك، وكان متقيا، عطف
 عليه قوله اعتراضا بين هذه الأحكام تأكيدا للترغيب في الإعانة المترتبة
 على التقوى: ﴿ومن يتق الله﴾ أى يخف الملك الأعظم فيجعل بينه وبين
 ما يسخطه وقاية بما يرضيه، وهو اجتلاب ما أمر به واجتناب ما نهى
 عنه من الطلاق وغيره ظاهرا وباطنا، وذلك صلاح قوى العلم بالإيمان
 والعمل بفعل الأمور به وترك المنهى عنه^١ لأنه تقدم أن التقوى إذا
 انفردت في القرآن [عن مقارن عمت الأمر والنهى، وإذا قرنت^٢]
 بغيرها نحو إحسان أو رضوان خصت المناهى^٣: ﴿يجعل﴾ أى الله
 سبحانه بسبب التقوى ﴿له مخرجا لا﴾ بدفع المضار من [ل-^٤] ضيق^٥
 أحاط به في نظير ما اجتنب من المناهى ﴿ويرزقه﴾ بحوله وقوته
 يحلب المسار في الدين والدنيا والآخرة في نظير ما اجتلب^٦ من
 فعل الأوامر.

ولما كان أحلى الهبات ما جاء من مكان لا يرجى قال:
 ﴿من حيث لا يحتسب^٧﴾ أى لا يقوى رجاؤه له، و [لما] أكد في هذا^٨
 وأعظم الوعد لأنه وإن كان عاما لكل متق فتعلقه بما تقدم أقوى والنظر
 فيما تقدم إلى حقوق العباد أكثر، والمضايقة فيها أشد، والدواعى إليها
 أبلغ، فالانتقاء فيه بعدم الطلاق في الحيض والإضرار بالمرأة بتطويل العدة

(١) سقط من ظ و م (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد في الأصل: الله بسبب
 التقوى، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، وفي
 الأصل: اجتنب.

أو الإخراج من المسكن و كتمان الشهادة و العسر / في أدائها و الإخلال
 بشيء منها و التأكيد و الإبلاغ في الوعد لأجل ما جبل عليه الإنسان من
 القلق في أموره، عطف على ذلك قوله : ﴿ و من يتوكل ﴾ [أى - ١]
 يسند أموره كلها و يفوضها معتمدا فيها ﴿ على الله ﴾ أى الملك الذى
 ٥ يده كل شيء و لا كفوء له فقد جمع الأركان الثلاثة التى لا يصلح التوكيل
 إلا بها، و هى العلم المحيط لثلاث يدلس عليه، و القدرة التامة لثلاث يعجز، و الرحمة
 بالتوكل [و العناية به - ١] لثلاث يحيف عليه، و التوكل يكون مع مباشرة
 الأسباب و هو من المقامات العظيمة و إلا كان أنكالا، و ليس بمقام
 بل خسة همة و عدم مروءة، لأنه إبطال حكمة الله التى احكمها فى الدنيا
 ١٠ من ترتيب المسببات على الأسباب - قاله الملوى^٢ ﴿ فهو ﴾ أى الله فى
 غيب غيبه فضلا عن الشهادة بسبب توكله ﴿ حسبه^٣ ﴾ أى كافيه،
 و حذف المتعلق للتعميم، و حرف الاستعلاء للإشارة إلى أنه قد حمل أموره
 كلها عليه سبحانه لأنه القوى الذى لا يعصيه شيء، و الكريم الذى يحسن
 حمل ذلك و رعيه، و العزيز الذى يدفع عنه كل ضار و يجلب له كل
 ١٥ سار، إلى غير ذلك من المعانى الكبار، فلا يبدو له فى عالم الشهادة شيء
 يشقيه لامن الغيب و لامن غيب الغيب، و فى الحديث " لو انكم توكلتم
 على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خفاصا و تروح^٤

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل : اتوكل (٣) من ظ
 و م، و فى الأصل : المولى، و الملوى هو محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله (٤) من
 ظ و م، و فى الأصل : يعصيه (٥) من ظ و م، و فى الأصل : الغيب (٦) من
 ظ و م، و فى الأصل : ترجع .

بطلانا .

ولما كان ذلك أمرا لا يكاد [يحيط - '] به الوهم ، علله بقوله مهولا [له - '] بالتأكيد والإظهار في موضع الإضمار : (ان الله) أى المحيط بكل كمال المنزه عن كل شائبة نقص (بالغ امره ') أى جميع ما يريد فلابد من قهوده سواء حصل توكل أم لا ، وسماه أمرا إشارة ه إلى أنه عما يستحق أن يؤمر به وإلى أنه في سرعة ' الكون إذا أريد لم يتخلف بوجه بل يكون كال مؤتمر الحقير للملك الجليل الكبير .

ولما كان ضرب المقادير من القادر موجبا لعدم الإخلال بشئ^٢ منها ، علل ذلك بما اقتضى تحم الوعد والتوكل فقال : (قد جعل الله) أى الملك الذى لا كفوء له ولا معقب لحكمه جعلنا مطلقا من غير تقيد ١٠ بجهة ولا حيثة (لكل شئ قدره) أى تقديرا لا يتعداه في مقداره وزمانه ومكانه وجميع عوارضه وأحواله^٣ وإن اجتهد^٤ جميع الخلاق في^٥ أن يتعداه ، فن توكل استفاد الأجر^٦ وخفف عنه الألم ، وقذف في قلبه السكينة ، ومن لم يتوكل لم ينفعه ذلك ، وزاد ألمه وطال غمه بشدة سعيه وخيبة أسبابه التى يعتقد أنها هى المنجحة ، فمن رضى فله الرضى ١٥ ومن سخط فله السخط ، جف القلم فلا يزداد^٧ في المقادير شئ ولا ينقص

- (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : شرعة (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : فى شئ (٤-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : أحواله وعوارضه . (٥) زيد فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : جميع الخلاق (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : الامر^٨ (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : فلا يزارو .

منها شيء، ويحكي^١ أن رجلاً أتى عمر رضي الله عنه فقال: أولئ^٢ ما أولئك^٣ الله / فقال: أنقرأ القرآن؟ قال: لا، قال: إنا لآنولئ^٤ من لا يقرأ القرآن، فانصرف الرجل واجتهد حتى تعلم القرآن رجاء أن يعود إلى عمر فيوليه، فلما تعلم القرآن تخلف^٥ عن عمر فرآه ذات يوم فقال: يا هذا! هـ أهجرتنا، فقال: يا أمير المؤمنين! لست بمن يهجر؟ ولكني^٦ تعلمت القرآن فأغنانى الله عن عمر وعن باب عمر، قال: أى آية أغتكت؟ قال: قوله تعالى "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا" ويرزقه من حيث لا يحتسب^٧ انتهى. و من توكل^٨ على غيره سبحانه وتعالى ضاع لأنه لا يعلم المصالح وإن علمها لم يعلم أين هي، وإن علم^٩ لم يعلم متى^{١٠} يستعملها [وإن علم لم يعلم كم المقدار المستعمل، وإن علم لم يعلم كيف يستعملها - "] وهو سبحانه المنفرد^{١١} بعلم ذلك^{١٢} كله وما لا يعلمه حق علمه غيره، والآية تفهم أن من لم يتق الله يفتقر عليه، وهو موافق لما روى ابن جبان في صحيحه والحاكم واللفظ له - وقال: صحيح الإسناد - عن ثوبان رضي الله عنه قال:

- (١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢ - ٣) من ظ و م، وفي الأصل: من الولاك (٣) من ظ و م، وفي الأصل: نوع (٤) من م، وفي الأصل وظ: فيوايه (٥) من ظ و م، وفي الأصل: تخفف (٦) من م، وفي الأصل وظ: لكن (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٨) من ظ و م، وفي الأصل: يتوكل (٩) زيد في الأصل: إذ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها. (١٠) من ظ و م، وفي الأصل: بشيء (١١) زيد من ظ و م (١٢-١٢) من ظ و م، وفي الأصل: بذلك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر ، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه .^١ و تفهم أن من لم يتوكل لم يكف شيئاً من الأشياء .

ولما وسط بين العدد هذه الجمل^٢ الواعظة دلالة على عظمتها حثا على امتثالها والمبادرة إليها ، وختم بالتقدير ، أتبع ذلك بيان مقادير العدد ه على وجه أبان أن الكلام الماضي كان في الحوائض الرجديات فقال :
(و آلى^٣ يئسن) أى من المطلقات (من المحيض) أى الحيض وزمانه لوصولها إلى سن يجاوز القدر الذى ترجو فيه النساء^٤ الحيض فصارت بحيث لا ترجوه ، وذلك السن خمس وخمسون سنة أو ستون سنة ، وقيل : سبعون^٥ وهن^٦ القواعد ، وأما من انقطع حيضها في زمن ١٠^٧ ترجو فيه الحيض فانها تنتظر^٨ سن اليأس .

ولما كان هذا الحكم خاصا بأزواج المسلمين لحرمة فرشهم وحفظ أنسابهم قال : (من نساكنكم) أى أيها المسلمون سواء كن مسلمات أو من أهل الكتاب ، ولما كان الموجب للعدة إنما هو الدخول لا مجرد الانطلاق قال : (ان ارتبتم) بأن أجلتم النظر في أمرهن ، فأدركم إلى ريب ١٥ [فى -^٩] هل هن حاملات أم لا ، وذلك بالدخول عليهن الذى هو

(١) راجع أيضا مسند الإمام أحمد ٢٨٠/٢ من ظ وم ، وفى الأصل : شىء .

(٢) من ظ وم ، وفى الأصل : الجملة (٤-٥) من ظ وم ، وفى الأصل : النساء فيه .

(٥) زيد فى الأصل : سنة ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لخذفها (٦) من م ، وفى

الأصل وظ : هى (٧) من ظ وم ، وفى الأصل : سو - كذا (٨) زيد من ظ وم .

سبب الريب بالحمل^١ في الجملة ﴿فعدتهن ثلثة أشهر﴾ كل شهر يقوم مقام حيضة لأن أغلب عوائد النساء أن يكون كل قرء في شهر .

ولما أتم قسمي ذوات الحيض^٢ إشارة وعبارة قال :

﴿وَأَلَىٰ لَمْ يَحْضُنَّ﴾ أي لصفرهن أولانهن لا حيض لهن أصلا وإن كن بالغات فعدتهن ثلاثة أشهر أيضا، وهذا مشير إلى أن أولات

الحيض بائنات^٣ / كن أولاً عدتهن ثلاثة قرء كما تقدم في البقرة لأن / ٣٩٠

هذه الأشهر عوض عنها، فاما أن يكون القرء - وهو الطهر - بين حيزتين، أو بين الطلاق والحيض، وهذا كله في المطلقة، وأما المتوفى عنها زوجها فأربعة أشهر وعشرا كما في البقرة .

١٠ ولما فرغ من آثسات الحوامل أتبعه ذكر الحوامل فقال :

﴿واولات الاحمال﴾ أي من جميع الزوجات المسلمات والكفار .

المطلقات على كل حال^٤ والمتوفى عنهن إذا كان حملهن من الزوج مسلما

كان أو لا ﴿اجلهن﴾ أي لمتنهي^٥ العدة سواء كان لهن مع الحمل

حيض أم لا ﴿ان يضعن﴾ ولما كان توحيد الحمل لا ينشأ عنه لبس،

١٥ وكان الجمع ربما أومأ أنه لا نخل واحدة منهن حتى يضع جمعا^٦ قال :

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : في الحمل (٢) من ظ و م ، وفي الأصل :

الحيض (٣) زيد في الأصل : الحيض ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .

(٤) من ظ و م ، وفي الأصل : ثلاث (٥) زيدت الواو في الأصل ، ولم تكن

في ظ و م لحذفها (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : أو (٧) من ظ و م ، وفي

الأصل : منتهى (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : جميعا .

(حملهن^١) وهذا على عمومه مخصص لآية "يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا" لأن المحافظة على عمومه أولى من المحافظة على عموم ذلك في قوله "ازواجاً" لأن عموم هذه بالذات لأن الموصول من صيغ العموم، وعموم "ازواجاً" بالعرض لأنه بدلى لا يصلح لتناول جميع الأزواج في حال واحد، والحكم معلل هنا بوصف الحلية بخلاف ذاك^٢ ولأن سيعة بنت الحارث وضعت حملها بعد وفاة زوجها بليال، فأذن لها النبي صلى الله عليه وسلم أن تنزوج، ولأن هذه الآية متأخرة النزول عن آية البقرة، فتقديمها على تلك تخصيص، وتقديم تلك في العمل بعمومها رفع لما في الخاص من الحكم فهو نسخ والأول هو الراجح للوقاق عليه، فإن كان الحمل من زنا أو شبهة فلا حرمة له، والعدة بالحيض . ١٠

ولما كانت أمور النساء في المعاشرة والمفارقة من المعاصرة والمياسرة في غاية المشقة، فلا يحمل على العدل فيها والعفة^٣ إلا خوف الله، كرر تليعا بالحث على التقوى إشارة إلى ذلك ورغيبا في لزوم ما حده سبحانه، فقال عاطفا على [ما -] تقديره: فمن لم يحفظ هذه الحدود عسر الله عليه أموره: ﴿و من يتق الله﴾ أى يوجد الخوف من الملك ١٥ الأعظم إيجادا مستمرا ليجعل بينه وبين سخطه وقاية من طاعانه اجتلابا للأمر واجتنابا للنهي ﴿يجعل له﴾ أى يوجد إيجادا مستمرا باستمرار

- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : الا ان (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : ذلك .
 (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : اعدة (٤) زيد من ظ و م (٥) وقع في الأصل : بعد « للنهي » مع زيادة « الملك الأعظم » والترتيب من ظ و م .

التقوى « إن الله لا يمل حتى تملوا ، (من امره) أى كله فى النكاح وغيره (يسراه) أى سهولة وفرجا وخيرا فى ' الدارين ' بالدفع والنفع ، وذلك أعظم من مطلق المخرج المتقدم فى الآية الأولى .

/ ٣٨١

ولما كان تكرير الحث على التقوى / للسؤال عن سببه ، استأنف قوله كالتعليل له : (ذلك) أى الامر المذكور من جميع هذه الاحكام العالية المراتب (امر الله) أى الملك الاعلى الذى له الكمال كله ، ونبه على علو رتبة الامر بقوله : (انزله اليكم) ولما كان التقدير : فن أباه هوى فى مهاوى المهلكات إلى أسفل سافلين ، عطف عليه قوله : (ومن يتق الله) أى الذى لا أمر لاحد معه بالاجتلاب والاجتناب ، ولما كان الإنسان ١٠ محل المعجز والنقصان ، أنسه بأنه إذا وقع منه [زلل - ٢] فراجع بالتقوى لطف به فيه جزاء على تقواه بالدفع والنفع فقال : (يكفر) أى يغطى تغطية عظيمة ويستر ويغيب ويسقط (عنه) جميع (سيئاته) ليتخلى عن المبعديات فان الحسنات يذهبن السيئات . ولما كان الكريم لا يرضى لمن أقبل إليه بالعفو فقط قال : (ويعظم له اجراه) بأن ١٥ يبدل سيئاته حسنات ويوفيه أجرها فى الدارين * مضاعفا فيتحدى بالمقربات ، وهذا أعظم من مطلق اليسر المتقدم . ولما قدم ٦ التكفير وأتبعه الاجر الكبير ، وكان قد تقدم إيجاب ترك المطلقة فى منزل الطلاق

(١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : فى الدين بالنفع والضرر (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فقال (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ و م (٥-٥) من ظ و م ، وفى الأصل : بالدارين (٦) فى م : قد تقدم .

و أذن في إخراجها عند الفاحشة الميئة ، وكان ربما كان منزل الطلاق مستعرا ، وكان عما لا يليق بالزوج ، وكان ربما نزل^١ الكلام السابق عليه ، استأنف البيان له^٢ بما لا يَحْتَمِل^٣ لبسا فقال آمرا بعد ذلك النهى على وجه مشير بسابقه ولاحقه^٤ إلى الحلم^٥ عنهن فيما يمكن الحلم فيه حفظا للقلوب وإبعادا للشقاق^٦ بعد الإيجاش بالطلاق لثلا يعظم الكسر والوحشة : ٥
(اسكنوهن) أى هؤلاء [المفارقات - ١] في العدة إن كن مطلقات حاملات كن أو لامبتوات كن أو رجعيات بخلاف ما كان من العدة عن وفاة بغير حمل أو كان عن شبهة أو فسخ .

ولما كان المراد مسكننا يليق بها وإن كان بعض مسكن الرجل ، أدخل أداة التبعض فقال : (من حيث سكنتم) أى من أماكن سكنكم ١٠ لتكون قرية منكم ليسهل تفقدهم لها للحفظ وقضاء الحاجات . ولما كان الإنسان ربما سكن في ماضى الزمان ما لا يقدر عليه الآن قال مينا للسكن المأمور به مبقيا للوادة بعدم التكليف بما يشق : (من وجدكم) أى سعتكم وطاقتم باجارة أو ملك أو إعارة حتى تنقضى العدة بحمل كانت^٧ أو غيره . ولما كان الإسكان قد يكون مع الشئان قال : ١٥
(و لا تضاروهن) أى حال السكنى في^٨ المسكن ولا في غيره . ولما

- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : ترك (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : عليه .
- (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : لا يحصل (٤-٤) من ظ و م ، وفي الأصل :
- بعد الحكم (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : لا شقاق (٦) زيد من ظ و م .
- (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : كان (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : من .

كانت المضارة قد يكون لمقصد حسن بأن يكون تأديبا^١ لامر بمعروف
 ليتوصل بصورة شر قليلة ظاهر إلى خير كثير قال: ﴿ لتضيّقوا ﴾ أى
 / ٣٩٢ / تضيّقوا بالغا لاشبهة فى كونه كذلك مستعليا ﴿ عليهن^٢ ﴾ حتى يلجنهن
 ذلك إلى الخروج . ولما كانت النفقة واجبة للرجعية ، وكانت عدتها
 ٥ تارة بالأقراء وتارة بالأشهر وتارة بالحمل ، وكان ربما توهم أن ما بعد
 الثلاثة الأشهر^٣ من مدة الحمل للرجعية وجميع المدة لغيرها لا يجب
 الإنفاق فيه قال: ﴿ وان كن ﴾ أى المعتدات ﴿ اولات حمل ﴾ أى من
 الأزواج كيف ما كانت العدة من موت أو طلاق بائن أو رجعى
 ﴿ فانفقوا عليهن ﴾ وإن مضت الأشهر ﴿ حتى يضعن حملهن ج ﴾ فإن
 ١٠ العلة الاعتداد بالحمل ، وهذه الشرطية تدل على اختصاص الحوامل من
 بين المعتدات البوائن بوجوب النفقة .

ولما غي سبجانه وجوب الإنفاق بالوضع ، وكانت [قد - ٣] تريد
 إرضاع ولدها ، وكان اشتغالها بارضاعه يفوت عليها كثيرا من مقاصدها
 ويكسرهما ، جبرها^٤ بأن قال حائنا على مكافأة الإخوان على الإحسان مشيرا
 ١٥ بأداة الشك إلى أنه لا يجب عليها الإرضاع: ﴿ فان أرضعن ﴾ وبين أن النسب
 للرجال بقوله تعالى : ﴿ لكم ﴾ أى بأجرة بعد انقطاع علقه النكاح
 ﴿ فأتوهن أجورهن ج ﴾ على ذلك الإرضاع . ولما كان ما يتعلق بالنساء

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : بديا (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : اشهر .
 (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : خير .

من مثل ذلك ' موضع المشاجرة لاسيما أمر الرضاع ، و كان الخطر في أمره شديدا ، و كان الله تعالى قد رحم هذه الأمة بأنه يحرك لكل متشاحين^١ من يأمرهما بخير لاسيما في أمر الولد رحمة له قال مشيرا إلى ذلك : ﴿ واتمروا ﴾ أى ليأمر بعضكم بعضا في الإرضاع و الاجر فيه و غير ذلك و ليقبل بعضكم أمر بعض ، و زادهم رغبة في ذلك بقوله : هـ ﴿ بينكم ﴾ أى إن هذا الخير لا يعدوكم ، و أكد ذلك بقوله : ﴿ بمعروف ج ﴾ و نكره سبحانه تحقيقا على الأمة بالرضى بالمستطاع ، و هو يكون مع الخلق بالإنصاف ، و مع النفس بالخلاف ، و مع الحق بالاعتراف .

ولما كان ذلك موجبا للياسة ، و كان قد يوجد في الناس من الغالب عليه الشر ، قال مشيرا بالتعبير بأداة اشك إلى أن ذلك " وإن وجد فهو " ١٠ قليل عاطفا على ما تقديره : فان تياسرتم فهو حظكم و أنتم جديرون بسماع هذا الوعد بذلك : ﴿ و ان تعاسرتم ﴾ أى طلب [كل - *] منكم ما يعسر على الآخر بأن طلبت المرأة الاجرة و طلب الزوج إرضاعها مجانا فليس له أن يكرهها . و لما كان سبحانه قد تكفل بارزاق عباده و قدرها قبل إيجادهم ، قال مخبرا جبرا للاب بما يصلح عتبا للأم : ﴿ فسترضع ﴾ ١٥

(١) زيد في الأصل : في ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لخذفها (٢) من ظ و م و في الأصل : متشاحين (٣-٢) من ظ و م ، و في الأصل : قد يوجد وهو . (٤) زيد في الأصل : وان ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لخذفها (٥) زيد من ظ .

[أى - ١] بوعد لاخلف فيه ، و صرف^١ الخطاب إلى الغيبة إذنا بأن
 الأب / ترك الأولى فيما^٢ هو جدير به من المياسرة لكونه حقيقا بأن
 يكون أوسع بطانا^٣ و أعظم شانا^٤ من أن يضيق عما ترضى به المرأة
 استئناا به صلى الله عليه و سلم فى أنه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما
 ه ما لم يكن إيماء أو قطيعة رحم فقال : ﴿لَهَ﴾ أى الأب ﴿أخرى﴾ أى
 مرضعة غير الأم و يغنى الله عنها^٥ و ليس له إكراهها إلا إذا لم يقبل ثدى
 غيرها ، و هذا الحكم لا يختص بالمطلقة بل المنكوحة كذلك .

و لما كانت المعاصرة فى الغالب فى ترك السباح ، و كان ترك السباح
 من خوف الإعدام ، به سبحانه على أن ذلك^٦ ليس بعذر بتقسيم الناس
 ١٠ إلى موسع عليه وغيره ، و لأن الألقى بالموسع عليه أن يوسع و لا يسيء
 الظن بربه و قد جرب رفده ، و أن المقتر عليه لا ينبغي أن يفعل فعل
 من يخاف أن يخلف وعده ، فقال شارحا للمياسرة : ﴿ لينفق ذو سعة ﴾
 أى مال واسع و لم يكلفه سبحانه جميع وسعه بل قال : ﴿ من سعته ﴾
 التى أوسعها الله عليه . و لما كان الإعطاء من غير تقدير ملزوما للسعة ،
 ١٥ كان التقدير كناية عن الضيق فقال : ﴿ و من قدر ﴾ أى ضيق و سكنت
 عليه حركته و رقدت عنه معيشته ﴿ عليه رزقه ﴾ بأن جعله الله الذى
 لا يقدر على التضيق . و التوسيع غيره بقدر ضرورياته فقط من غير

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : طرف (٣) من ظ
 و م ، وفى الأصل : بما (٤-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : اوسع (٥) من ظ
 و م ، وفى الأصل : عنها (٦) من م ، وفى الأصل و ظ : هذا .

وسع لشيء غيرها لأمر من الأمور التي يظهر الله بها عجز العباد رحمة لهم ليذهب به نفوسهم، وبناءه للفعول تعلما للآداب معه^١ سبحانه وتعالى: ﴿فلينفق﴾ أى وجوبا على الموضع وغيرها من كل ما أوجبه الله عليه أو نذبه إليه، وبشر سبحانه وتعالى بأنه لا يخلى أحدا من شيء يقوم به ما دام حيا بقوله مشيرا بالتبعيض إلى أن ما أوجبه سبحانه لا يستغرق^٥ ما وهبه: ﴿عما أنه الله﴾ أى الملك الذى لا ينفد ما عنده ولا حد لجوده، ولو من رأس المال ومتاع البيت ومن ثمن الضيقة إن لم يكن له من الغلة لأنه سبحانه قد ضمن الإخلاف، ومن ملك ما يكفيه للوقت ثم اهتم للزيادة للغد فذلك اهتمام غير مرحوم، وصاحبه غر معان، وفى هذا إرشاد^٢ إلى الاقتداء به صلى الله عليه وسلم فى عدم التكلف واليسر^{١٠} فى [كل -^١] أمر على حسب الأوقات.

ولما كان تعالى له التكليف بما [لا -^٤] يطاق، أخبر بأنه رحم العباد بأنه لا يفعله، فقال معللا أو مستأفا جوابا لمن يقول: [فما -^٤] يفعل من لم يكن له موجود أصلا، محببا فى دينه صلى الله عليه وسلم بما فيه من اليسر: ﴿لا يكلف الله﴾ أى الذى له الكمال^٥ بأوصاف الرحمة والإنعام^{١٥}

علينا بالتخفيف^٥ ﴿نفسا﴾ أى نفس كانت ﴿الامأأ اننها﴾ وربما / أفهم، ٣٩٤ / أن من كلف إنفاقا وجد من فضل ما عنده ما يسده من الأثاث الفاضل

(١) من ظ وم، وفى الأصل: مع (٢) من ظ وم، وفى الأصل: صاحت.

(٣) من ظ وم، وفى الأصل: اشار (٤) زيد من ظ وم (ه-ه) فى ظ وم: كله.

عن سد جوعته و ستر عورته .

ولما كان التذكير بالإعـدام ربما أوجع ، قال تعالى جابرا له
وتطيبيا لقلبه نادبا إلى الإيمان بالغيب : ﴿ سيجعل الله ﴾ أى الملك الذى
له السـكـال كله فلا خلف لوعده ، و نزع الجار زيادة فى الخبر فقال :
هـ ﴿ بعد عسر ﴾ أى من الأمور التى تعسرت لا أنه يجعل ذلك بعد كل
عسر ﴿ يسراع ﴾ أى لا بد من ذلك ولا يوجد [أحد - ٢] يستمر التقدير
عليه طول عمره فى جميع أحواله ، قال القشيري : و انتظر اليسر من الله صفة
المتوسطين فى الأحوال الذين انحطوا عن درجة الرضى واستواء وجود
السبب و فقده و ارتقوا عن حد اليأس و القنوط و يعيشون فى أفناء
١٠ الرجاء و يتعللون بحسن المواعيد - انتهى . و لقد صدق الله [وعده - ٢]
فيمن كانوا موجودين حين زول الآية ، ففتح عليهم جميع جزيرة
العرب ثم فارس و الروم و انتشلوا كنوزها حتى صاروا أغنى الناس ،
و صدق الآية دائم غير أنه كان فى الصحابة رضى الله تعالى عنهم أبين
لأن إيمانهم أتم .

١٥ و لما كان الامر قد بلغ النهاية فى الأحكام و المواعظ و الترغيب
لمن أطاع ، فلم يبق إلا التهديد لمن عصى بما شوهده من المثلثات و بالغ

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : يفعل (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : لا يزيد .
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : فيما (٥) من ظ و م :
وفى الأصل : من .

العقوبات ، فان من الناس البليد الذى لا يتعظ بما يرى . وكان التقدير : فكأى من ناس^١ كانوا فى غاية الضيق فأطاعوا أوامرنا فجعلناهم فى غاية السعة بل جعلناهم ملوكا ، عطف عليه تزهيدا فى الرفاهية بأنها تطفى فى الأغلب ، و تهديدا لأهل المعاصى قوله مفيدا لكثرة القرى الخارجة عن الحد : ﴿ وكان من قرية ﴾ أى مدينة كبيرة جامعة ، عبر عن أهلها هـ بها^٢ مبالغة ﴿ عنت ﴾ أى استكبرت و جاوزت^٣ الحد فى عصيانها وطغيانها فأعرضت عنادا ﴿ عن امررها ﴾ أى الذى أحسن إليها و لا يحسن [إليها - '] غيره بكثرة الرزق و طيب العيش و اللطف فى التربة و الرحمة بعد^٤ الإيجاد و الملك ﴿ و رسله ﴾ فلم يقبل منهم ما جاؤوا به عن الله ، فان طاعتهم من طاعة الله .

١٠

ولما كانت محاسبة مثل هؤلاء [للاهلاك - '] لان الحساب هو ذكر الأعمال و المجازاة عليها بما^٥ يحق لكل منها ، قال ملتفتا إلى مقام التكلم فى مظهر العظمة : ﴿ فحاسبناها ﴾ أى فتسبب عن عدم شكرهم للاحسان أن أحصينا أعمالها . ولما كان ذلك على وجه المناقشة على^٦ النقيير و القطمير بالمجازاة على [كل - '] فعل بما يليق به قال : ﴿ حسابا شديدا لا ﴾ ١٥ بمعناه المطابق^٧ من ذكر الأعمال كلها و المجازاة / عليها ، وهذا هو

٣٩٥ /

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : كاس (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : بانها .
 (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : حاوز (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م .
 وفى الأصل : وقت (٦) م م ، وفى الأصل و ظ : مما (٧) من ظ و م .
 وفى الأصل : د و (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : المطابق .

المنافسة و هي^١ أن العامل إذا أثر أثرا بعمله هو كالنقش في الجامد
 أثر المجازي له فيه^٢ أثرا بحسب عمله على سبيل الاستقصاء ، وأما الحساب
 اليسير فهو عرض الأعمال فقط من غير جزاء على قبيحها^٣ فهو دلالة
 تضمن ، وإنما^٤ شدد على^٥ هذه القرية لأن إعراضها كان كذلك بما به
 ه عليه تسميته عتوا^٦ (وعذبنها) أي في الدنيا جزاء على ما أحصناه
 من ذنوبها (عذابا نكرا) أي شديد النكارة لأن العقل يحير في
 أمره لأنه لم ير مثله ولا قريبا منه ليعتبره به^٧ ، وأزال ذكر الكثرة شبهة
 أن يكون الإهلاك وقع اتفاقا في وقت من الأوقات (فذاقت)
 بسبب ذلك بعد ما كان لها من الكثرة والقوة (وبال) أي وغامة
 ١٠ وعقوبة وشدة^٨ وثقل وفساد^٩ (امرها) أي في العتو وجميع ما كانت
 تأتمر فيه^{١٠} ، مثله بالمرعى الوخيم الذي يمرض ويهلك . ولما كان كل
 مقهور إنما يسلى نفسه بانتظار الفرج ورجاء العاقبة ، أيا^{١١} من ذلك
 مذكرا للفعل إشارة إلى الشدة بقوله : (وكان عاقبة) أي آخر
 و انتهى و عقيب (امرها) [أي - ١٠] في جميع عملها الذي^{١٢} كانت

-
- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : هو (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : في .
 (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : قبيحها (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : ان .
 (٥) زيد في الأصل : أهل ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخفتها (٦) من ظ
 و م ، وفي الأصل : بذلك (٧-٧) من ظ و م ، وفي الأصل : فسادا وثقل وعاقبة .
 (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : قبله (٩) من ظ و م ، وفي الأصل : ليسر .
 (١٠) زيد من م (١١) من ظ و م ، وفي الأصل : التي .

فيه (خسراره) أى نفس الخسر فى الدارين ، فكلمها امتد الأمر وجدوه
 أمامهم فإن من زرع الشوك^١ كما قال القشيري^٢ لا ينجى الورد ، [و-^٣]
 من أضاع حق الله لا يطاع فى حظ نفسه ، و من احترق بمخالفة أمر الله
 تعالى فليصبر على مقاساة عقوبة الله تعالى ، ثم فسر 'الخسر' أو 'استأنف'
 الجواب لمن يقول : هل لها غير هذا فى هذه الدار ، بقوله : (اعد الله) ه
 أى الملك الاعظم (لهم) بعد الموت^٤ و بعد البعث (عذابا شديدا) .
 و لما تمت الأحكام و دلائلها ، و أحكمت الآيات و فواصلها ،
 و التهديدات و غوائلها ، كانت فذلكتها و ثمرة سياقتها و موعظتها ما تسبب
 عن ذلك من قوله تعالى تنبئها على ما يحى الحياة الطيبة و ينجى فى
 الدارين : (فاتقوا الله) أى الذى له الأمر كله بامثال أوامره ١٠
 واجتنب نواحيه .

و لما كان فى تخلص^١ المواعظ من الأحكام و استثمارها من فواصل
 هذا الكلام أمر^٢ عظيم هو من الرقة بمكان لا يصره إلا ذرو الأفهام
 قال تعالى : (يا أولى الاباب : ع) أى العقول الصافية النافذة من الظواهر
 إلى البواطن (الذين آمنوا) أى خلصوا من دائرة الشرك و أوجدوا ١٥

- (١) زيد فى الأصل : جنى ثمرة ما زرع ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها .
 (٢) زيد فى الأصل : من زرع الشوك ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها .
 (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : الخسران و (ه) زيد
 فى الأصل : وقيله ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٦) من ظ و م ،
 وفى الأصل : تخلص (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : هذه الأحكام آمنوا .

الإيمان حقيقة، ثم علل هذا الأمر بما أزال العذر فقال تنبيها على ما
من علينا / به من المراسلة فإن مراسلات الأكابر نخر فكيف بمراسلات
الملوك فكيف بمراسلة ملك الملوك حثا بذلك على شكره: ﴿قد أنزل الله﴾
أى الذى له صفات الكمال ﴿اليك﴾ خاصة ﴿ذكرنا﴾ أى كاملا
مذكورا فيه غاية الشرف لكل من يقبله بل تشرفت الأرض كلها
بزوله ورفع عنها العذاب وعمها النور والصواب لأن فيه تبيان
كل شيء، فن استضاء بنوره اهتدى، ومن لجأ إلى رد أفئاته وصل
من داء الجهل إلى شفائه .

ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم صورة سورة القرآن،
١٠ فالقرآن باطنه وهو ظاهره لأنه خلقه لاقول له ولا فعل إلا به، فكان
كأنه هو، أبدل منه قوله: ﴿رسولا﴾ على أن الأمر فيه غنى عن
تأويل، فإن الذكر بكسر الهمزة في اللغة كما في القاموس من الرجال
القوى الشجاع الأبى، ثم بين كونه ذكرا بقوله: ﴿يتلوا﴾ أى يتابع
أن يقص ﴿عليكم آيت الله﴾ أى دلائل الملك الأعظم ذى الجلال
١٥ والإكرام الظاهر جدا حال كونها ﴿مبينت﴾ أى لاليس فيها بوجه .

(١) زيد في الأصل: أى، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٢-٢) من
ظ و م، وفي الأصل: لكل احد (٣) من ظ و م، وفي الأصل: داله .
(٤) من ظ و م، وفي الأصل: صورة (٥) من ظ و م، وفي الأصل: لا
(٦) زيد في الأصل: الرجل، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٧) من
ظ و م، وفي الأصل: يبانع .

ولما تبين أن الذكر والرسول صارا شيئا واحدا ، وعلم ما في هذه المراسلة من الشرف ، أتبع ذلك بيان شرف آخر ببيان ثمرة إنزاله فقال : ﴿ ليخرج الذين آمنوا ﴾ أى أقروا بالشهادتين ﴿ وعملوا ﴾ تصديقا لما قالوه ^١ بألسنتهم ، وتحقيقا لأنه من قلوبهم ﴿ الصلحت ﴾ ^٢ من الأعمال ^٣ ﴿ من الظلمت ﴾ أى النفسانية والأخلاق الرذيلة ^٤ المؤدية إلى ظلمة الجوارح بعملها ^٥ الظلم وانتشارها في السبل الشيطانية ﴿ إلى النور ﴾ ^٦ الروحاني العقلي الخالص الذي لا دنس فيه بسلوك صراط ^٧ الله الذي هو [واحد - ^٨] لا شتات فيه وبين لا لبس فيه ^٩ ” وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل “ كما بادروا ^{١٠} إلى إخراج أنفسهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ، ومن فساد الأعمال الصالحة [إلى سداد الأعمال الصالحة - ^{١١}] ، وذلك بأن يصيرهم متخلقين بالقرآن ليكونوا ^{١٢} ظهورا [له - ^{١٣}] في حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم وأفعالهم فيكونوا ^{١٤} ذكرا . ولما كان التقدير : فمن آمن بالله وعمل صالحا شاهد بركات ^{١٥} ذلك في نفسه عاجلا ، عطف عليه بيانا لسعادة الآجلة قوله تعالى :

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : المراسلات (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : قالوا (٣-٤) سقط ما بين اربعين من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : الدائمة (٥) زيد في الأصل : في ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها . (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : طريق (٧) زيد من ظ و م (٨-٩) من ظ و م ، وفي الأصل : بإخراج (٩) من ظ و م ، وفي الأصل : قدم (١٠) في ظ و م : بركة .

(ومن يؤمن بالله) أى يحدد فى كل وقت على الدوام الإيمان بالملك
 الاعلى بأن لا يزال فى ترقى فى معارج معارفه^١ (ويعمل) على التجديد
 المستمر (صلحا) لله وفى الله فله دوام النعماء، وهو معنى إدخاله
 الجنة، ولما كان قد تقدم^٢ قريبا فى آية التقوى أنه يكفر عنه سيئاته،
 ٣٩٧ / هـ قال / شارحا لقوله ” ويعظم له اجرا “: (يدخله) أى عاجلا مجازا
 بما يتيح^٣ له من لذات العرفان ويفتح^٤ له من الانس أجلا حقيقة
 (جنت) أى بساتين هى فى غاية ما يكون من [جمع - °] جميع
 الأشجار وحسن الدار، وبين دوام ريبها بقوله: (تهرى) وبين
 انكشاف كثير من أرضها بقوله: (من تحتها) أى تحت غرفها
 ١٠ (الانهر) أو [هو - °] كناية عن أن أرضها فى غاية الرى بحيث
 أن ساكنها يهرى فى أى موضع أراد [نهر، و - °] إلى زيادة عظمتها
 أشارت قراءة نافع وابن عامر بنون العظمة^٥.

ولما أفرد الشرط والجزاء إجراء على لفظ ” من “ إشارة إلى أنه
 لا يشترط [فى - °] الإيمان ولا [فى - °] جزائه مشاركة أحد، وأنه
 ١٥ لا يتوقف للقبول^٦ على شئ غير الوصف المذكور، جمع الحال بشارة

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : منافع (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : قدم .
 (٣) من م ، وفى الأصل وظ : ينتج (٤) من م ، وفى الأصل : ينتج ، وفى
 ظ : يتبع (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و م لحذفها (٧) راجع نثر المرجان ٣٩٨/٧ (٨) من ظ و م ، وفى
 الأصل : المقبول .

بأن الداخلين كثير ، و أن الداخل ' إلى دار الكرامة لا يحصل له^٢ هوان
بعد ذلك أصلاً فقال : ﴿ تخلص فيها ﴾ و أكد معنى الخلود ليفهم الدوام
بلا انقضاء فقال : ﴿ ابداً^٣ ﴾ و لما أعلم أن الخلود لكل الداخلين إلى الجنة
رجع إلى الأسلوب الأول تنصيها على كل فرد إبلاغاً في عظمة هذا
الجزاء بقوله نتيجة لذلك ، منها على أن هذه النتيجة من حقها أن يتوقع ه
قولها [من - ٢] كل من سمع هذه البشارة : ﴿ قد احسن الله ﴾ أى
المملك الأعلى ذو الجلال و الإكرام ﴿ له ﴾ أى خاصة ﴿ رزقاه ﴾
أى عظيماً عجيباً ، قال القشيري : الرزق الحسن ما كان على حد الكفاية
لا نقصان فيه يتعطل عن أموره بسببه و لا زيادة تشغله عن الاستمتاع
بما رزق لحرصه ، كذلك أرزاق القلوب أحسنها أن يكون له من الأحوال ١٠
ما يستقل بها من غير نقصان و لا يتعذب بتعطشه^٤ و لا يكون زيادة
فيكون على خطر من مغالط لا يخرج منها إلا بتأييد من الله سماوى .
و لما تقدم [أن - ٢] فائدة الذكر النقل من خلق إلى خلق ،
و كان من المعلوم أن تحويل جبل من مكانه أسير من تحويل شخص
عن خلقه و شأنه ، و تقدم أن أجر المجاهدة في ذلك الجنات الموصوفة ، ١٥
و كانت ذلك يحتاج إلى قدرة تامة ، دل على قدرته سبحانه عليه
بقوله : ﴿ الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال التى^٥ القدرة الشاملة

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : الداخلين (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
لهم (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : من تعطشه (٥) من
ظ و م ، وفى الأصل : الذى به .

إحداها^١، [ثم - ٢] أخبر عنه بما يدل على ذلك لأن الصنعة تدل على الصانع وعلى ما له من الصفات فقال: ﴿الذى خلق﴾ أى أوجد وحده من العدم بقدرته على وفق ما دبر بعلمه على هذا المنوال البديع القريب ﴿سبع سموت﴾ أى^٣ وإنهم يشاهدون^٢ عظمة ذلك ويشهدون ه أنه لا يقدر عليه إلا تام العلم كامل القدرة، ثم زاد على ذلك ما أتم أعرف به فقال: ﴿ومن الأرض مثلهن^٤﴾ أى سبعا كما دل عليه

/ ٣٩٨

حديث سعيد بن زيد و عبد الله / بن عمر رضى الله عنهما في الصحيحين^٥ "من اخذ شبرا من الأرض بغير حقه طوقه من سبع أرضين" [ولفظ ابن عمر رضى الله عنهما: خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين - ٥] ، ١٠ وقد تقدم في سورة السجدة ما ينفع^٦ في ذلك ، وظاهره يدل على أنها كما هي مثلها في العدد فهي مثلها في الكربة^٧ وإحاطة كل واحدة منها بالتي تحتها ، و أن التي نحن عليها هي السابعة العليا كالسما^٨ السابعة^٩ التي سقفها الكرسي لأن^{١٠} ذلك أدل على [ما - ٥] السياق له من تمام العلم وشمول القدرة في الاستدلال عليه [بقوله - ٥] : ﴿ يتنزل ﴾ أى بالتدرج ﴿ الامر ﴾ [أى - ٥] الذى يحود به الرحمن من التدبير من

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : أحدهما (٢) زيد من م (٣-٢) من م ، وفي الأصل و ظ : أنتم تشاهدون (٤) راجع المظالم من صحيح البخارى و المساقاة من صحيح مسلم (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد في الأصل : هنا ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناهما (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : السكوبة (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : كما ان السما (٩) زيد في الأصل : هي ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناهما (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : و .

أمر الدين والتكوين من العرش و الكرسي ﴿ بينهن ﴾ بالوحي من
 السماء السابعة العليا إلى الأرض السابعة السفلى وأتم تروهن بلا فروج
 فانفذ بينهن حتى نفذ فيهن، [و-^١] ذالك - والله اعلم - هو ما يريد من
 عظيم تديره بانزال^٢ الكتب وإرسال الرسل وإثبات شريعة ومحو
 أخرى وتوجيه الأسباب إلى المسببات من المطر والنبات والليل والنهار
 والفصول وخلق الحيوانات والمعادن وسائر النباتات، وترديد الملائكة
 بسائر المصنوعات، هذا ما دل عليه ظواهر الكتاب والسنة، وأولها
 بعضهم بأنها سبعة أقاليم، وهو مردود بعد القاعدة في أن التأويل بغير
 دليل لعب بما يأتي من صريح الحديث النبوي والكلام الضابط فيما
 يؤول وما لا يؤول أن النقليات أربعة أقسام: قطعي السند، والدلالة،^{١٠}
 ظنيهما^{١١}، ظني السند قطعي الدلالة، عكسه: قطعي السند ظني الدلالة،
 فالأول يجب اعتقاد ظاهره، ومن خالفه كفر، والبقية يجب اعتقاد
 ظواهرها ما لم تعارض، فإن عورضت بقطعي وجب العدول عن الظاهر
 إجماعاً، فن اعتقده كفر، ثم للناس بعد ذلك مذهبان: أما السلف
 فيفوضون المراد إلى الله تعالى، وأما الخلف فإن كان لذلك محل واحد^{١٥}
 عينه، وإن كان ثم محامل سردوها ولم يعينوا شيئاً منها مع اعترافهم
 بأنهم ليسوا على قطع من أن المراد شيء مما ذكروه، وإنما هو شيء
 يليق بالمقام^{١٤} والعلم عند الله وبأن طريق السلف أقرب^{١٣} وأسلم وبأنه

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: بانزاه (٣) من ظ و م، وفي
 الأصل: طنيها (٤-٥) من ظ و م، وفي الأصل: ولا يعلمه إلا الله .
 (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ و م .

ما حملهم على التأويل^١ الا إنتشار المتدعين وإشهارهم بدعتهم بين الناس ،
 قال الإمام علاء الدين القونوى رحمه الله تعالى فى باب السير من شرحه
 الحارثى : قال الإمام - يعنى إمام الحرمين : ولو ثبت للناس على ما كانوا
 عليه من صفوة الإسلام لما أوجبنا التشاغل بعلم الكلام بل ربما نهينا
 عنه ، وأما الآن وقد ثارت / البدع فلا سبيل إلى تركها لتلطم^٢ أمواجها ٥ / ٣٩٩
 فلا بد من إعداد ما يدعى به إلى المسلك الحق وتحل به الشبه ، فصار
 الاشتغال بأدلة المعقول وحل^٣ الشبه من^٤ فروض الكفايات ، ومن
 استراب فى أصل من أصول الاعتقاد فعليه^٥ السعى فى إزاحته إلى أن
 يستقيم عقده - انتهى - ثم إنك تجد العلماء يختلفون فى بعض الأدلة
 ١٠ فبعضهم يحريها على الظاهر وبعضهم يؤول ، وذلك للاختلاف فى المعارض
 هل هو قطعى الدلالة [أم لا - ٦] ، وهذا^٦ الموضوع منه ، فان ظواهر
 الكتاب [والسنة - ٧] تدل على أن الارضين مثل السماوات فى العدد
 فى أن بينهما خلاء ، و [فى - ٩] أن فى كل واحدة مخلوقات لا يعلمها
 إلا الله ، بل بعض الاخبار يكاد يقطع به فى ذلك ، ولكنه لم يخرج عن
 ١٥ أن يكون ظنياً أكثر العلماء ومحققهم على أن المعارض - وهو ما قاله

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : انتبديل (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
 ينظم (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : حق (٤) من ظ و م ، وفى الأصل :
 « و » (٥) من م ، وفى الأصل وظ : وعليه (٦) من ظ و م ، وفى الأصل :
 لزالته (٧) زيد من ظ و م (٨-٨) من ظ و م ، وفى الأصل : انه لا فعل .
 (٩) زيد من م .

أهل علم الهيئة من^١ الأدلة على كونها واحدة - ليس بقطعي، فأولوا كونها
سبعة بالاقاليم^٢ السبعة، وقد رأيت في التعداد [حقيقة - ٢] حديثا صريحا
لكن لا أدري حاله^٣، ذكره ابن برجان^٤ في اسمه تعالى الملك من شرحه
للأسماء الحسنی قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أتدرون ما تحت^٥
هذه الأرض، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: [ماء - ٢]، أتدرون ما تحت ه
ذلك، قالوا: الله ورسوله أعلم، [قال: هواء، أتدرون ما تحت ذلك:
قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أرض، أتدرون ما تحت ذلك؟ قالوا:
الله ورسوله أعلم - ٢] - حتى عد سبع أرضين، ثم رأيت^٦ في الترمذي^٧
عن أبي رزين العقيلي ولفظه: هل تدرون ما الذي تحتم، قالوا: الله
ورسوله أعلم، قال: إنها الأرض، ثم قال: هل تدرون ما تحت ذلك؟ ١٠
قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إن تحتها أرضا أخرى بينهما خمسمائة سنة -
حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة، ثم رأيت في
الفردوس^٨ عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
ما بين السماء إلى السماء [مسيرة - ٢] خمسمائة عام، وعرض كل
سما وثمانة كل سما خمسمائة عام، وما بين السماء السابعة وبين الكرسي ١٥

(١) من ظ و م، وفي الأصل: مع ان (٢) من ظ و م، وفي الأصل: الاقاليم.
(٢) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفي الأصل: ما حاله (هـ) من ظ
و م، وفي الأصل: ذكره ابو حبان (٦) زيد في الأصل: الارض، ولم تكن
الزيادة في ظ و م نخذناها (٧) من ظ و م، وفي الأصل: قال (٨) في ظ:
رايت (٩) راجع أيضا مسند الإمام أحمد ٢ / ٣٧٠ (١٠) من ظ و م، وفي
الأصل: أندرون (١١) راجع المحظوظة ٢٥٠ / ب.

والعرش مثل ذلك، وما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام،
والأرضون وعرضهن ومخاتهن مثل ذلك .

ولما ذكر سبحانه الصنعة تنبيها على التفكير فيها والاعتبار بها،
ذكر أن ثمرتها العلم بصفاته بعد العجز عن إحاطة العلم عقب ذاته تعالى
هـ [فقال - ١] : ﴿ لتعلوا ﴾ أى بهذا^٢ العالم الذى أوجده بتسوية كل
واحد من القيلين^٣ سبعا كل واحد بينها وبين الأخرى مسافة بعيدة
مع الكثافة الزائدة وأتم تعلون أنه لا يفصل [الجسم - ١] ولا سيما
الكثيف عن آخر مثله إلا فاصل قاهر^٤ بقوة باهرة^٥ وقدرة ظاهرة وعلم
شامل لما يحتاج إليه ذلك، فكيف إذا كان على هذا المنهج البديع
١٠ / ٤٠٠ / والوجه المنيع على مر الدهور والاحقاب وتعاقب^٦ الشهور والأعوام على
حساب معلوم ونظام منظوم، لا يدركه إلا أعلى الناس حسابا وأعظمهم
صوابا، مع المنافع التى تفضل عن سكانها^٧، والمرافق التى تنزه الخالق
بآثارها وأعيانها، وتوقظ الغافل وتنبيه الجاهل وتدمغ المعاند ببرهانها^٨،
فانه لا يسمع^٩ احدا المنازعة^{١٠} فى خلقه لها، ومن خلقها قدر على تدبيرها

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : ان هذا (٣) من م ،
وفى الأصل و ظ : اقبلتين (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : ظاهر (٥) من
ظ و م ، وفى الأصل : قاهرة (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : عواقب (٧) من
ظ و م ، وفى الأصل : يكانها (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : بنزاهتها .
(٩) من ظ و م ، وفى الأصل : لا يسمع (١٠) من ظ و م ، وفى
الأصل : المعازة .

على الوجه المذكور ، ومن كان كذلك كان منزها عن الشريك قطعاً ،
ومن كان كذلك قدر على كل شيء فلذا^١ قال : (ان الله) أى
الملك الأعلى الذى له الإحاطة كلها (على كل شيء) أى من غير هذا
العالم يمكن أن يدخل تحت المشيئة فانه بمعنى مفعول^٢ من عالم آخر مثل
هذا العالم ، وأبدع منه وأبدع من ذلك الإبداع إلى ما لا نهاية له ه
بالاستدلال بهذا العالم . فان من قدر على إيجاد ذرة من العدم قدر على
إيجاد ما هو دونها ومثلها وفوقها إلى ما لا نهاية له لانه [لا - ٢]
فرق فى ذلك بين قليل ولا كثير جليل أو حقير ” ما ترى فى خلق
الرحمن من تفاوت “ و إياك أن تلفت إلى من قال : [إنه - ٢] ليس فى
الامكان أبدع^٣ من هذا العالم ، فانه مذهب فلسفى خيث ، والآية نص ١٠
فى إبطاله وإن نسيه بعض الملحدین^٤ إلى الغزالي^٥ فانى لا أشك^٦ أنه
مدسوس عليه فانه مذهب فلسفى خيث بشهادة الغزالي كما بينت ذلك
فى كتابي ” تهديم الأركان “ على من قال^٧ ليس فى الإمكان أبدع مما
كان “ و كتابي [” دلالة البرهان على أن فى الإمكان أبدع مما كان “
و كتابي - ٢] ” إطباق الأغلال فى أعناق الضلال “ ومع كونه مذهب ١٥

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : فلذلك (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : مفعول .

(٣) زيد من ظ و م (٤) بهامش الأصل : مطلب ما فى الرد على من قال :

ليس فى الامكان أبدع من هذا العالم (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : المحدثين

(٦-٦) من ظ و م ، وفى الأصل : فانه لا شك (٧-٧) فى ظ و م : من .

الفلاسفة أخذه^١ أكفر المارقين ابن عربى وأودعه^٢ فصوصه وغير ذلك من كتبه واستند [فيه -^٣] فى بعضها إلى الغزالى إقناعا لمكره - أعاذنا^٤ الله من شره، والغزالى يرى منه بشهادة ما وجد من عقائده فى الإحياء وغيره ﴿ قدير ٥ ﴾ أى بالغ القدرة .

٥ ولما كانت إحاطة العلم دالة على تمام القدرة وإليهما يرجع جميع الأسماء والصفات قال : ﴿ وان الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ قد احاط ﴾ لتمام قدرته ﴿ بكل شيء ﴾ مطلقا، ولما أسند^٥ الإحاطة إليه^٥ سبحانه تعظيما لها، بين جهتها بتميز محول^٦ عن الفاعل فقال : ﴿ علما ٦ ﴾ .
فله الخبرة النامة بما يأمر به من الأحكام فى العلم بمصلحه ومفاسده .
١٠ فعاملوه معاملة من يعلم إحاطة عليه فيعلم أنه رقيب عليه فاذا طلقتم^٧ فافعلوا ما أمركم به لتسلوا فى الدين و تسعدوا فى الآخرة والأولى ، ودروا فى جميع أموركم مثل ما دبر به أمركم فى تربيتكم ومسكنكم أرضه وسقفه / فإنه جعل فيه جميع ما تحتاجونه وبسطه نواله على من يرضيه ومن يسخطه ونشر حلمه وفضله وأخر بأسه وعدله فقد عاتق
١٥ أخرها أولها و بين^٨ مجملها و مفصلها^٩ والله يعلم بذات الصدور^{١٠} .

/ ٤٠١

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : أكثره (٢) زيد فى الأصل : فى ، ولم تكن
ازيادة فى ظ و م فحذفها (٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ و م : أعاذ (٥-٥) من
ظ و م ، وفى الأصل : إليه الإحاطة (٦) من م ، وفى الأصل و ظ : نحو (٧) من
ظ و م ، وفى الأصل : اطعم (٨-٨) من ظ و م ، وفى الأصل : مفصلها
ومجملها (٩-٩) سقط ما بين الرقنين من ظ و م .

سورة التحريم^١ و تسمى سورة النبي صلى الله عليه و سلم

مقصودها الحث على تقدير التدبير فى الأدب مع الله و مع رسوله
 صلى الله عليه و سلم و مع سائر العباد و التدب إلى التخلق بالأدب^٢
 الشرعى و حسن المباشرة لا سيما [للنساء - ٣] اقتداء بالنبي صلى الله عليه
 و سلم فى حسن عشرته و كرم صحبته و بيان أن الأدب الشرعى تارة ه
 يكون باللين و الأناة ، و أخرى بالسوط و ما دانه و مرة بالسيف و ما
 و الاله ، و كل من اسميها التحريم و النبي^٣ صلى الله عليه و سلم موضع لذلك
 ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الكمال كله على الدوام ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم
 عباده بعبادته العظيم الإنعام ﴿ الرحيم ه ﴾ الذى أم على خواصه^٤ نعمه الإسلام .
 لما ختم سبحانه الطلاق بأحاطة عليه^٥ و تنزل أمره بين الحافقين ١٠

فى تدبيره ، دل عليه أول هذه بأعلاء أمور الخلق بأمر^٦ وقع بين خير
 خلقه و بين نسائه اللاتى من خير النساء و اجتهد^٧ كل فى إخفاء ما تعلق
 به منه فأظهره سبحانه عتابا لأزواج نبيه صلى الله عليه و سلم فى صورة
 عقابه^٨ لأنه أبلغ رققا به لأنه يكاد^٩ من شففته أن يخضع نفسه الشريفة

- (١) السادس و الستون من سور القرآن الكريم ، مدنية ، و عدد آياتها (١٢) .
 (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : و الأدب (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ
 و م ، و فى الأصل : التسمية بالنبي (هـ) من ظ و م ، و فى الأصل : على
 عباده خواص الانعام (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : علم (٧) فى ظ و م :
 امر (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : اجتهد (٩) من ظ و م ، و فى الأصل :
 عذابه (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : لا يكاد .

رحمة لامته تارة لطلب رضام و أخرى رغبة في هدام ، لانه صلى الله عليه وسلم بالغ في تهذيب أخلاقه مع ما طهره الله به من نزاهتها عن كل دنس حتى ضيق [عليها - '] بالامتناع عن بعض ما أبيع له حفظا لحاظر الغير ، فقال تعالى مناديا له بأداة البعد و هو أقرب أهل الحضرة مع أنها معدة لما يكون ذا خطب جليل و معنى جسم جليل ، وفيها إيماء إلى تنبيه الغير و إسماعه إرادة لتأديبه و تزكيته و تهذيبه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ مخاطبه ^٢ بالوصف الذي يعلم ^١ بالعصمة و يلائمه ^٣ أشد الملائمة ^٤ خلو البال و سرور القلب و انشراح الصدر لانه للتلقى ^٥ عن الله تعالى فيبحث كل سامع على البعد عن ^٦ كل ما يشوش عليه صلى الله عليه وسلم ١٠. ﴿ أَدْنَى تَشْوِيشٍ ﴾ (لم تحرم) أى تفعل [فعل المحرم - '] بمنع نفسك الشريفة / ٤٠٢ ﴿ مَا أَحَلَّ اللَّهُ ﴾ أى الملك الذى لا أمر لاحد / معه ﴿ لك ج ﴾ بالوعد ^٧ لبعض أمهات ^٨ المؤمنين رضى الله عنهم بالامتناع من شرب العسل الذى كان عند حفصة أو زينب رضى الله عنهما و الامتناع من ملامسة مريتك مارية رضى الله تعالى عنها فتضيق على نفسك لإحسان العشرة مع نسائك ١٥ رضى الله عنهم أجمعين ، فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يشرب عسلا عند حفصة بنت عمر أو زينب بنت جحش رضى الله عنهما على اختلاف

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) تكرر ما بين الرقین فی الأصل فقط (م) من ظ و م ، و فی الأصل : بملاءمة (٤) زیدت الواو فی الأصل و لم تكن فی ظ و م لحذفها (٥) من ظ و م ، و فی الأصل : لتأقی (٦) من ظ و م ، و فی الأصل : علی (٧-٧) من ظ و م ، و فی الأصل : لامهات .

الروایتین فی ذلك فی الصحیح^١، وفی رواية أنه صلى الله علیه وسلم
 كان إذا صلى الغداة دخل علی نساءه رضی الله عنهن امرأة امرأة، وكانت قد
 أهدیت^٢ لحفصة بنت عمر^٣ رضی الله عنهما عکة من العسل، فكانت إذا
 دخل [علیها فسلم - °] حبسته^٤ و سقته منها، وأن عائشة رضی الله
 عنها أنكرت^٥ احتباسه عندها فقالت لجویریة عندها حبشية یقال لها خضرة: ه
 إذا دخل رسول الله صلى الله علیه وسلم علی حفصة فادخلی علیها^٦ فانظری
 ماذا یصنع فأخبرتها الخبر فوصت صواحباتها ففرنه من شربه بأخباره
 بأنه یوجد منه ریح كريهة لأن نخله جرس العرط، فقال: لن أعود له،
 وروی الطبری^٧ و ابن مردويه أنه صلى الله علیه وسلم خلا بمارية رضی
 الله عنها أم ولده إبراهيم علیه السلام فی بیت حفصة رضی الله عنها ١٠
 [فتوجعت من ذلك حفصة رضی الله عنها - °] فقال هی
 [علی - °] حرام ولا تذكری [ذلك - °] لأحد وأبشرك علی ذلك
 بشارة، وهی أن أبابكر یلی هذا الأمر من بعدی وأباك یلیه من بعد
 أبی بكر رضی الله عنهما. لا تخبری بذلك أحدا، فأخبرت عائشة رضی الله
 عنها، ویروی أن حفصة رضی الله عنها قالت فی یومها من النبی صلى الله
 علیه وسلم: إن بی إلى أبی حاجة ففقه [لی - °] عنده فأذن لی أن
 (١) راجع أبواب الطلاق (٢) من ظ و م، وفی الأصل: اهدت (٣) فی
 الأصل بیاض ملائنه من ظ و م (٤) من ظ و م، وفی الأصل: فكان.
 (٥) زید من ظ و م (٦) من ظ و م، وفی الأصل: احتبسته (٧) من ظ
 و م، وفی الأصل: علیه (٨) راجع التفسیر ٢٨ / سورة التحريم.
 (٩) من ظ و م، وفی الأصل: من طریق.

أزوره و آتى بها، فاذن لها فلما خرجت أرسل إلى جاريته مارية القبطية
 رضى الله عنها فوقع عليها فأتت حفصة فوجدت الباب مغلقا فجلست
 عنده فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة
 تبكى فقال لها: ما يبكيك؟ قالت^٢: إنما أذنت [لى - ٢] من أجل
 ه هذا وقعت عليها في يومى وعلى فراشى، أما رأيت [لى - ٤] حرمة
 وحقا ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن، فقال صلى الله عليه وسلم: اليس
 هى جاريتى قد أحلها الله لى اسكتى فهى على حرام^٣ ألمس بذاك رضاك
 فلا تخبرى بهذا أحدا، فلما خرج أخبرت عائشة رضى الله عنها لحلفت على
 ترك مارية رضى الله عنهن. ثم علل ذلك سبحانه بقوله: (تبتغى)
 ١٠ [أى - ٤] تريد إرادة عظيمة من مكارم أخلاقك وحسن صحبتك
 / (مرضات أزواجك^٤) أى الأحوال والمواضع والأمور التى يرضين
 ٤٠٣ / بها ومن أدلى بأن^٥ تبتغين رضاك وكذا جميع الخلق لتفرغ لما يوحى
 إليك من ربك لكن ذلك للزوجات أكد.

ولما كان أعلى ما يقع به المنع من الأشياء من جهة العباد الايمان،
 ١٥ و كان تعالى قد جعل من رحمته لعباده لايمانهم كفارة قال: (والله)
 أى^٦ تفعل ذلك لرضاهن والحال أن الله الملك الأعلى (غفور رحيم)
 (١) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل: فقال .
 (٣) زيد من م (٤) زيد من ظ و م (هـ-هـ) من ظ و م ، وفى الأصل: حرام
 على (٦) من ظ و م ، وفى الأصل: ان (٧) زيد فى الأصل: المحيط بكل شئ .
 علما وقدرة ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

أى محاء ستور لما يشق على خلص عباده مكرم لهم ، ثم علل أو^١ بين بقوله : ﴿ قد فرض الله ﴾ أى قدر ذو الجلال والإكرام الذى لا شريك له ولا أمر لأحد معه ، وعبر بالفرض حثا على قبول الرخصة إشارة إلى [أن -^٢] ذلك لا يقدح فى الورع ولا يخل بحرمه اسم الله لأن أهل الهمم العوالى لا يحبون الثقلة من عزمة إلى رخصة بل من رخصة إلى عزمة ، أو عزمة إلى مثلها .

ولما كان التخفيف على^٣ هذه الأمة^٤ ، إنما هو كرما منه^٥ ، وتعظيما لهذا النبي^٦ صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ لكم ﴾ [أى -^٧] أيتها الأمة التى أنت رأسها ، و غير بمصدر حلل المزيدي مثل كرمه و تكرمه إظهارا للمزيد الغاية فقال : ﴿ تحلة ﴾ أى تحلة ﴿ إيمانكم^٨ ﴾ أى شيئا يحللکم مما أوثقتم به ١٠ أنفسكم منها تارة بالاستثناء وتارة بالكفارة تحليلا عظيما بحيث يعيد الحال إلى ما كان عليه قبل اليمين ، وقد بين ذلك فى سورة المائدة فحل يمينك و اخرج من تضيقك على نفسك و اشرح من صدرك لتتلق ما بأتيك من أنباء الله تعالى و أنت [متفرغ -^٩] له بطيب النفس و قرة العين ، وهذا يدل على أن قوله « أنت على حرام ، كالين إذا لم يقصد به ١٥ طلاقا^{١٠} للزوجة ولا إعتاقا للأمة ، وإذا كان الله قد فرض ذلك^{١١} لكافة الأمة^{١٢} تيسيرا عليهم فرأسهم أولى بأن يجعل له ذلك ، قال مقاتل :

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : ايضاً و (٢) زيد من ظ و م (٣-٢) فى ظ و م ؛ امته (٤-٤) سقط ما بين الرقعتين من ظ و م (٥-٥) فى ظ و م : له (٦) فى ظ و م : إذا (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : طلاق (٨-٨) من ظ و م ، وفى الأصل : للأمة .

فأعتق صلى الله عليه وسلم في هذه الواقعة رقبة، و [قد - '] قيل : إن
 تحريره صلى الله عليه وسلم هنا كان يمين حلفها و حينئذ لا يكون فيه
 حجة لمن رأى أن ه أنت على حرام ، يمين (والله ') أى والحال أن
 المختصر^٢ بأوصاف الكمال (مولكم ع) أى يفعل معكم فعل القريب
 الصديق (وهو) أى وحده (العليم) [أى - '] البالغ العلم بمصالحكم
 وغيرها إلى ما لا نهاية له (الحكيم ه) أى الذى يضع كل ما يصدر عنه
 لكم فى أتمن محالة بحيث لا يفسخه هو ولا يقدر غيره أن يغيره ولا شيئاً
 منه ، وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لا خفاء بشدة اتصال هذه السورة
 بسورة الطلاق لاتحاد مرماهما وتقارب معناهما ، وقد ظن أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم طلق نساءه حين اعتزل فى المشربة حتى سأل عمر
 رضى الله عنه والقصة معروفة وتخييره صلى الله عليه وسلم لإيهان أثر ذلك
 وبعد اعتزالهن / شهراً كاملاً و عتب الله عليهن فى قوله " وإن تظاهرا
 عليه فإن الله هو مولاه " وقوله " عسى ربه أن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً
 منكن " الآية ، فهذه السورة وسورة الطلاق أقرب شئ وأشبه بسورة
 ١٥ الاقوال وبراءة لتقارب المعانى والتحام المقاصد - انتهى .

/ ٤٠٤

- (١) زيد من ظ و م (٢) ليس فى الأصل (٣) من ظ و م ، وفى الأصل ؛
 المتصف (٤) زيد فى الأصل : لا شريك له ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .
 (٥) زيد فى الأصل فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦) من
 ظ و م ، وفى الأصل ؛ المدينة .

ولما كانت العادة فيمن رأى حبيبه قد ضاق صدره أن يسعى
أولا في شرح 'صدره وطيب نفسه' ثم يزيده بسطا بأن يقول للحاضرين:
إن حيننا هذا الكريم علينا اتفاق له كذا، وقد كرهت [هذا - ٢]
وضمنت زواله، وكان تعالى قد طيب نفسه صلى الله عليه وسلم بأول
السورة، ثم^٢ أتبعه الأمر الآخر، فكان التقدير: اذكروا هذا الذي ذكرته ه
من حسن عشرة نبيكم صلى الله عليه وسلم لنسائه رضى الله تعالى عنهن
'وكريم صحبته وشريف أخلاقه و [جميل - ٣] أفضاله وجليل حلمه
واذكروا ما خفف الله به عنكم في الأيمان التي لامشوية فيها [واذكروا
فيها - ٤] اسمه المقدس، عطف عليه قوله تعالى تشريفا لنيه صلى الله عليه
وسلم بالمعاتبه [عليه - ٥] و باظهار ما هو حامل له من ثقل هذا السر ١٠
على أجل وجه تخفيفا عنه وترويحاً له: ﴿ واذ ﴾ أى [و - ٦]
اذكروا كريم اخلاقه صلى الله عليه وسلم و طاهر شمائله في عشرين حين
﴿ اسر النبي ﴾ أى الذى شأنه أن يرفعه الله دائماً بأن يتلقى من فياض علمه
ما يخبر به الناس فانه ما ينطق عن الهوى وأبهم الزوجة ولم يعينها
سبحانه تشريفا له صلى الله عليه وسلم ولها رضى الله عنهن فقال ١٥
تعالى: ﴿ الى بعض ارواجه ﴾ وهى حفصة رضى الله [عنها، كنى - ٧]
عنها صيانة لمن لأن حرمتهم رضى الله عنهن من حرمة صلى الله عليه
(١-١) من ظ و م، وفى الأصل: نفسه وطيب صدره (٢) زيد من ظ و م
(٣) سقط من ظ و م (٤-٤) من ظ و م، وفى الأصل: لطيف صحبته
و كريم (٥) زيد من م.

وسلم ﴿حديثاً﴾ ليس هو من شأن الرسالة ولو كان من شأنها لهم به وأعلمه ولم يخص به ولا أسرته وذلك هو تحريم مارية رضى الله عنها ووعده بأن يترك العسل وبشارته بولاية أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ولم يبين الحديث ويفصله إكراماً له صلى الله عليه وسلم وحفظاً لسهرة لأن العادة جارية بأن الإنسان لا يحب تفصيل سره وإن كنا اطلعنا عليه بعد ذلك لتناسى به فيما فيه من الأحكام ، فإن أحواله صلى الله عليه وسلم كلها أحكام لنا إلا ما اختص به وأشار إلى قرب زمن إفشائه من زمن التحديث بالقاء في قوله تعالى : ﴿ فلما نبات ﴾ أى أخبرت إخباراً عظيماً جليلاً لشرفه في نفسه ولأنه من عند الله وبالغت في ذلك وأخبرت ١٠ ﴿ به ﴾ كله من جميع وجوهه ، وجعل ذلك في سياق حكاية لانه أستر لحرمته صلى الله عليه وسلم حيث لم يقل : فنبأت [به - ١] ولا قال : أساءت بالإنباء به ، ونحو ذلك مما يفهم/ أنه مقصود بالذات ﴿ و أظهره الله ﴾ أى أطلعه الملك الذى له الإحاطة بكل شيء ﴿ عليه ﴾ أى الحديث بأنه قد 'فشى' مناصحة له في إعلامه بما يقع في غيبته ليحذره إن كان ١٥ شراً وينيب عليه إن كان خيراً ﴿ عرف ﴾ أى التئى صلى الله عليه وسلم التى أسر إليها ﴿ بعضه ﴾ وهو أمر الخلافة نتابها لها عليه لانه كان أوصاها أن لا تظهره ، والكف عن بعض العتب^٥ أبعث على حياء

/ ٤٠٥

(١) في ظ و م : أن (٢) زيد في الأصل : حكم ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : لحرمته (٤) زيد من ظ و م . (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : الغيب .

- المعتوب وأعون على توبته وعدم عدده إلى فعل مثله ﴿ واعرض
عن بعض ج ﴾ وهو أمر السرية والعلل تكريما منه أن يستقصى في العتاب
وحياء وحسن عشرة، قال الحسن: ما استقصى كريم قط، وقال
سفيان الثوري: ما زال التغافل من فعل الكبراء^١ وإنما عاتب على أمر
الخلافه خوفا [من - ٢] أن ينتشر في الناس ويزيد، فربما أثار حسدا ه
من بعض المنافقين وأورث الحسود للصديق والفاروق كيدا أو جر إلى
مفسدة^٢ لا نعلها، وخفف الكسائي: عرف أى أقرب به والمعرفة سبب
التعريف والتعريف عن المعرفة فاطلاق أحدهما على الآخر شائع وعلاقته
ذلك وأشار إلى مبادرته بتعريفها ذلك لئلا ينتشر ما يكبره منه بقوله:
﴿ فلما نبأها ﴾ بما فعلت من إنشاء ما عرفها منه على وجه لم يذادر من ذلك ١٠
الذى عرفها ﴿ به ﴾ شيئا منه ولا من عوارضه ليزداد بصيرة، روى أنها
قالت: قلت لعائشة رضى الله عنها سرا وأنا أعلم أنها لا تظهره. قاله الملوى
وهو معنى قوله: ﴿ قالت ﴾ أى ظنا منها أن عائشة رضى الله عنها أفشت
عليها ﴿ من انباك هذا^٣ ﴾ أى مطلق إخبار، واستأنف قوله: ﴿ قال بنأي ﴾
وحذف المتعلق اختصارا للفظ وتكثيرا للمعنى بالتعميم إشارة إلى أنه ١٥
أخبره بجميع ما دار بينها وبين عائشة رضى الله عنها بما عرفها به ومن
غيره على أتم ما كان ﴿ العليم ﴾ أى المحيط بالعلم ﴿ الخبير ﴾ أى المطلع
(١) من ظ وم، وفى الأصل: الكرام (٢) زيد من ظ وم (٣) فى ظ وم؛
فساده (٤) راجع نثر الرحان ٤٠٤ / ٧ (٥) من ظ وم، وفى الأصل: عن .
(٦) زيد فى الأصل: أى، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفناها .

على الضمائر^١ والظواهر فهو أهل لأن يحذر فلا يتكلم سرا ولا جهرا
إلا بما يرضيه .

ولما عرف من هذا أن المعاتب المنبئة ومن نبأته، وكان قد يكون
عددا^٢ أشار إلى أنه واحد فالمعاتب ثقتان، وكانت قد اتسعت قلوبها
٥ لما يأتي من قبل الله من الرغائب [بهذا العتاب على هذا الأمر الخفي جدا
والكرم عليهما فيه بعدم الاستقصاء فالت قلوبها إلى المعالي و غاصت
على جليل المعارف فصاغت من جواهر ذلك دقيق المعاني، لفت إليهما
الخطاب بلطيف العباد - ٢] لشريف المتاب، فقال تشريفا آخر له صلى الله
عليه وسلم بالإقبال على نسائه رضى الله تعالى عنهن بالعتاب لأجله قياما
١٠ عنه بما ربما أزعجه لو بآشره حفظا لحاظه الشريف بما قد يغره ﴿ان تنوباً﴾
أى يا عائشة ويا حفصة مما صنعت حفصة بالافشاء وعائشة بالاحتيال على
المنع من شرب العسل والتحليف / على مارية ﴿الى الله﴾ أى الملك
الذى أحاط عليه فجالت قدرته ولطف بهما لأجله صلى الله عليه وسلم
غاية اللطف فى قوله: ﴿فقد صغت﴾ أى مالت و غاضت بما صاغت
١٥ ﴿قلوبكما﴾ وفى جمع القلوب جمع كثرة تأكيد لما فهمته من ميل
القلب بكثرة المعارف بما أفادهما إظهار هذا السر والعتاب عليه من
الحياء، فصارتا جدريتين بالمبادرة إلى التوبة متأهلتين لذلك غاية التأهل .
ولما أورد ما صارتا حقيقتين^٣ به بأداة الشك إقامة للسامع بين

/ ٤٠٦

(١) من م، وفى الأصل و ظ : ابواط (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : عدوا
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : جميع (٥) فى م : تايد
(٦) من ظ و م ، وفى الأصل : حقيقين .

الخوف والرجاء من ذلك وهو أعلم بما يكون أكمل ذلك بذكر شق
الخوف، فقال معلما بأن^١ الملك وأوليائه أنصار^٢ له ﴿ وان نظهرا ﴾
بالتشديد للادغام في قراءة الجماعة لأن النظهر^٣ هنا إن وقع كان
على وجه الحفاء في أعمال^٤ الخيلة في أمر مارية رضى الله عنها والعسل
وما يأتي من مثل ذلك مما يبعث عليه الغيرة ﴿ عليه ﴾ أى النبي صلى الله عليه
عليه وسلم المنبأ من قبل الله^٥ بما يرفع قدره ويعلى ذكره، وقراءة الكوفيين
بالتخفيف باسقاط إحدى التائين إشارة إلى سهولة أمر هذه المظاهرة وقلة
أذائها له صلى الله عليه وسلم .

ولما كان المعنى كأنه لا يبالي بمظاهرة كما عبر عنه بعلته، فقال مؤكدا
إعلاما بأن حال المتظاهرين عليه حال المنكر لمضمون الكلام : ﴿ فان الله ﴾ ١٠
أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له ﴿ هو ﴾ أى بنفسه الأقدس وحضرة
غيب غيبه^٦ التى لا يقوم لما لها من العظمة شئ. ﴿ مولاه ﴾ أى
ناصره والمتولى من أمره ما يتولاه القريب الصديق القادر^٧ وكل من
له وعى يعلم كفايته سبحانه فى ذلك فهو يعمل^٨ أبلغ ما يعمل^٩ مولا مع
من^{١٠} هو متول لأمره^{١١} وفى معاونته^{١٢} لنيه صلى الله عليه وسلم إظهار ١٥

(١) فى م : ان (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : انصارا (٣) من م ، وفى
الأصل و ظ : انظهر (٤) من و م ، وفى الأصل و ظ : الأعمال (٥) من
ظ و م . وفى الأصل : الصادق (٦) من ظ و م . وفى الأصل : يعلم (٧) من
ظ و م ، وفى الأصل : يعلمه (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : ما (٩) من ظ
و م ، وفى الأصل : أمره (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : معاونته .

لشرفه ومراعاة الحفظ خاطره' وشرح' لصدوره.

ولما كانت النفوس لمبى هذه الدار على حكمة الاسباب مؤكلة^٢ بها ناظرة أتم نظر إليها، وكان نساء النبي صلى الله عليه وسلم لكثرة ما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام وكثرة تردده إلى النبي صلى الله عليه وسلم في بيوتهن ويعلمهن قد صار عندهن بذلك من الاسباب الظاهرة المألوفة، وكان هو أعظم أنصار النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿و جبريل﴾ لانه من أعظم الاسباب التي يقيمها الله سبحانه.

ولما كان الحامل على مظهرته صلى الله عليه وسلم على [كل - °] ١٠ ما يريد الإيمان [فكل - °] ما كان الإنسان فيه أمكن [كان - °] له أشد مظهرة وأعون قال: ﴿وصالح المؤمنين ج﴾ أى الراغبين في رتبة الإيمان والصالح من الإنس والجن وأبوهم رضى الله عنهما أعظم مراد بهذا، وقد روى أن عمر رضى الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: لو أمرتني لأضربن عنقها، والصالح وإن كان / للفظ مفردا فعتاه الجمع ٤٠٧ / المستغرق لأنه للجنس، ودل على ذلك مع دلالة السياق إضافته للجمع ولعله عبر بالإفراد مع أن هذا المراد للإشارة إلى قلة المتصف بهذا^٣

(١ - ١) من ظ و م : وفي الأصل : لخاطره (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : شرحا (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : هو كلمة (٤) زيد في الأصل : ويهيهن ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : بمنا .

جدا لقلّة الراسخين في الإيمان وقلة الراسخين في الصلاح من الراسخين في الإيمان فهو قليل من قليل و [قد - ١] جوز بعضهم أن يكون جمعا وأنه حذفت واؤه في الرسم على خلاف القياس وهي محذوفة^٢ في الوصل لانتقاء^٣ الساكنين، فظن لذلك مفردا ودخل^٤ في ذلك جبريل عليه السلام أيضا .

و لما كان الله سبحانه وتعالى قد أعطى الملائكة من القوى والتصرف في الظواهر و البواطن ما يحل عن الوصف ، قال تعظيما للمقام بعد تعظيمه بما ذكر من رئيس الكرويين عليهم الصلاة والسلام ﴿ والملائكة ﴾ أى كلهم ومنهم جبريل عليهم الصلاة والسلام فهو مذكور خصوصا وعموما ثلاث مرات إظهارا لشدة محبته وموالاته للنبي صلى الله عليه ١٠ عليه وسلم . و لما كان المراد التعميم في الزمان والمكان بعد التعميم في الصالحين من الملائكة والانس والجان ، قال من غير جار معظما لنصرة الملائكة لما لهم من العظمة في القلوب لما تقرر لمن باشر منهم العذاب تارة بالرجفة وأخرى بالصعقة ، وتارة بالخسف وأخرى بغير ذلك ، فكيف إذا تصور الآدمي المقيد بالمحسوسات اجتماعهم على ما لهم من الأشكال ١٥ المهولة ﴿ بعد ذلك ﴾ أى الأمر العظيم الذى [تقدم - ١] ذكره وهو مظاهرة الله ومن ذكر معه ﴿ ظهيره ﴾ أخبر عن الجمع باسم الجنس

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م ، وفي الأصل ؛ للوصل عند انتقاء .
(٣) من ظ و م ، وفي الأصل : ذلك (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : بالصعق .

إشارة إلى أنهم على كلمة واحدة في المظاهرة، نخوف بهذا^١ كله لأجل المتاب لطفاً به صلى الله عليه وسلم وإظهاراً لعظمته وفي قصة صاحب ياسين قال "وما أزلنا على قومه" الآية، تحقيراً لقومه وإهانة لهم، ويجوز أن يكون "ظهير" خبر جبريل عليه الصلاة والسلام، وخبر ما بعده محذوف لدلالته عليه^٢ أى كذلك .

ولما حذر بما تقدم، زاد في التحذير ما^٣ يقطع القلوب لأن أشد ما على المرأة أن تطلق ثم إذا طلقت أن تستبدل بها ثم أن يكون البديل خيراً منها فقال مينا لأدنى أنواع المظاهرة سابقاً الأمر مساق الرجاء إشارة إلى أنه يكفى العاقل في الخوف [تجوز -^٤] احتمال الضرر ١٠ فكيف إذا كان الأمر حتماً لأن من المعلوم أن «عسى» من الله على طريق الكبرياء لا سيما الملوك في اكتفائهم بالإشارات والرموز فن^٥ هنا كانت واجبة لأنه ملك الملوك وهو ذو الكبرياء في الحقيقة لا غيره (عسى ربه) أى المحسن إليه بجميع^٦ أنواع الإحسان^٧ التى عرفتموها^٨ وما لم تعرفوها^٩ جدير^{١٠} وحقيق، ووسط بينهما وبين خبرها اهتماماً وتخويفاً ٤٠٨ / ١٥ قوله: ﴿إِنْ طَلَّقْتَنِ﴾ أى بنفسه من / غير اعتراض عليه جمع أو بعضكن

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : بذلك (٢) زيد فى الأصل : له ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣) من ظ و م . وفى الأصل : بما (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : لأنه (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل ومن (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : الاحسانات (٨ - ٨) من ظ و م ، وفى الأصل : لم تعرفوها (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : أكبر وأجدر .

بإيجاد الطلاق لمن لم يطلقها وادامته^١ من طلقها ﴿ان يدلّه﴾ منكن
بمجرد طلاقه لكن من غير أن توجه إلى التفتيش^٢ تبديلا مبالغا
فيه بما أشارت إليه قراءة نافع وأبي جعفر وأبي عمرو بالتشديد^٣، فهي
أبلغ من قراءة الباقيين بالتخفيف الدال على مطلق الابدال الصالح للبالغ
فيه وغيره، ومن التشريف أيضا إضافة الطلاق [إليه -^٤] والابدال ٥
إلى^٥ الله مع [التعير -^٤] بصفة الإحسان وتخصيص الإضافة بضميره .

ولما كان الأوجع لقب الحرة حرة مثلها لا سرية قال: ﴿ازواجاً﴾
ولما كان علوها عليها في الرتبة هو النهاية في التأسف^٦ قال: ﴿خيلاً﴾
ودل على أنها للتفضيل بقوله: ﴿منكن﴾ وهذا على سبيل افترض
وعام في الدنيا والآخرة فلا يقتضى وجود من هو خير منهن مطلقاً ١٠
وإن قيل بوجوده في خديجة رضى الله عنها لما جرب من تحملها على
نفسها في حقه صلى الله عليه وسلم وبلوغها في حبه والادب معه ظاهراً
وباطناً النهاية القصوى ومريم عليها السلام التي أحصنت فرجها^٧ حتى
كانت من القاتنين، وذلك في الآخرة، والكلام خارج مخرج الشرط
بالطلاق وقد علم سبحانه أنه لا يقع لكته^٨ سبحانه علم أنه لو وقع ١٥
أبدله صلى الله عليه وسلم من هو بالصفات المذكورة المقتضية للاخلاص

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : ادامة (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : تفتت
و - كذا (٣) راجع نثر المرجان ٤٠٨/٧ (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ،
وفي الأصل : على (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : التأسف (٧) سقط من
ظ و م (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : لكن .

في طاعته كما أشار إليه^١ " قاتات " ولا شك أن من لازم طاعته وقيد الاتصال به في الدارين كان خيرا من غيره، وتعلق تطبيق الكل لا يدل على أنه لم يطلق حفصة رضي الله عنها فقد^٢ روى أنه طلقها ولم يردّها ذلك إلا فضلا من الله تعالى لأن الله تعالى أمره بأن^٣ راجعها لأنها^٤ صوامع قوامه - والله الموفق . ولما وعد بما ذكر، وكان أول منظور إليه^٥ الظاهر، فصل ذلك الوعد وفسر الخيرية بادئا بقوله (مسلمات) أي ملقيات لجميع قيادهن ظاهرا وباطنا لله ولرسوله^٦ صلى الله عليه وسلم على وجه الخضوع .

ولما كان المشاهد من الاسلام إنما هو الظاهر قال : (مؤمنات) أي ١٠ راسخات في القوة العلمية بتصديق الباطن .

ولما كان ذلك قد يكون فيه نوع شوب قال : (قنشت) أي مخلصات في ذلك لا شائبة في شيء منه فهن في غاية ما يكون من ادامة الطاعة له من الذل والانكسار والمبادرة إلى امتثال أمره صلى الله عليه وسلم في المنشط والمكروه .

١٥ ولما كان الإنسان مجبولا على النقصان، وكان الإخلاص يدل صاحبه على تقصيره^٧ فكان ربما قهره ذلك، قال تسهلا لخدمته وتقريبا

(١) زيد في الأصل : بقوه ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : وقد (٣) من م ، وفي الأصل : وأن (٤) زيد في كانت ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٥) زيد في الأصل : في ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : رسوله . (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : تحليمه .

لدوام طاعته معلما الأدب محتاجه ﴿ تثبت ﴾ أى راجعات من الهفوات
أو الزلات سريعا إن وقع منهن شيء من^١ ذلك . ولما كان هذا مصححا
للعادة سهلا لدوامها / قال : ﴿ عذت ﴾ أى مديمت للعبادة بسبب إدامة
تجديد التوبة . ولما كان دوام العبادة سهلا للخروج عن الدنيا قال :
﴿ نسحت ﴾ [أى -^٢] متصفات بصفات الملائكة من التخلي عن الدنيا ه
والاستغراق فى الآخرة بما ادناه الصيام ماضيات فى ذلك غاية المضاء
ليتم الانقياد لله ولرسوله^٣ صلى الله عليه وسلم ، لأن من كان هكذا
لم يكن له مراد ، فكان تابعا لربه [فى أمره -^٤] دائما ويصير لطيف
الذات حلوا الشوائب ، قار الملوى : والمرأة إذا كانت كثيرة الصيام قليلة
الأكل يقل عرقها ، يصغر كرشها وتلطف^٥ رانحتها وتخف حركتها لما
يراد منها - انتهى . وسوق هذه الأوصاف هذا السياق فى عتاب من
هو متصف بها معبر أن المراد منها التمام لا سيما وهى لا يوجد
[رصف -^٦] منها على سبيل الرسوخ إلا^٧ كان مستلزما لساؤها ، فلذلك
لم يحتج فى تعدادها إلى العطف بالواو ، والتجريد عنه أقعد فى الدلالة
على إرادة اجتماعها كلها .

١٥

ولما أكمل الصفات الدينية النافعة فى أمر العشرة ولم يبق إلا الصفات

(١) من ظ م ، وفى الأصل : فى (٢) زيد من م (٣) فى م : رسونه (٤) زيد
من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : خال من شهوات نفسه (٦) من
ظ و م ، وفى الأصل : تطيب (٧) زيد من ظ (٨) زيد فى الأصل : ماء ،
ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

الكونية و كان التنويع إلى عارفة بالعشرة و باقية على أصل الفطرة ، الذ
و أشهى إلى النفس ، قال مقسما للنساء المتصفات بالصفات الست عاطفا
ثاني الوصفين بالواو للتضاد ﴿ ثببت ﴾ قدمهن لانهن أخبر بالعشرة التي
هذا سياقها ﴿ ٢ و ابكارا ١ ﴾ .

٥ ولما أبلغ سبحانه في عتاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مع
صياتهن عن التسمية إكراما له صلى الله عليه وسلم و علم اتصافهن بهذه
الصفات العظيمة على سبيل الرسوخ من دوام صحبته صلى الله عليه وسلم
لهن ليكن من جملة أزواجه في الجنة و كان اتصافهن بذلك الذي
أداهن إلى السعادة العظمى إنما هو بحسن تأديب أولياتهن هن و إكمال ذلك
١٠ الأدب بحسن عشرته صلى الله عليه وسلم و تأديبهن بكرم أخلاقه أمر
ذلك أمر الأمة بالناسي به في هذه الأخلاق الكاملة و التأسى بأوليائهن
في ذلك ليعرفن حق الله و حق الأزواج فيحصل بذلك صلاح ذات
البين المثمرة للخير كله فقال تعالى متبعا لهذه الموعظة الخاصة بموعظة
عامة دالة على وجوب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر للأقرب
١٥ فالأقرب ﴿ إنايها ﴾ مخاطبة لأدنى الإنسان إشارة إلى أن من فوقهم

(١) من م ، وفي الأصل : ف ، وفي ظ : ثانيا في (٢ - ٢) ورد في الأصل بعد
« ثببات » و اترتيب من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : أخبر .
(٤) سقط من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : لحسن (٦) من
ظ و م ، وفي الأصل : بامر (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : فيصلحن (٨) من
ظ و م ، وفي الأصل : المنزة (٩) من ظ و م ، وفي الأصل : مثبتا .

تأسي^١ من حين دخوله في الإسلام فهو غنى عن أمر جديد (الذين آمنوا) أي أقروا بذلك (قوا أنفسكم) أي اجعلوها وقاية / بالناسي به صلى الله عليه وسلم في أدبه مع الخلق و الخالق في لينة لمن يستحق اللين من الخلق تعظيماً للخالق فعاملوه قبل كل شيء بما يعاملكم به من الأدب، وكذا كونوا مع بقية الخلق .

و لما كان الإنسان راعياً لأهل بيته مسؤولاً عن رعيته قال تعالى : (واهلكم) من النساء و الأولاد وكل من يدخل في هذا الاسم^٢ قوم (نارا) بالنصح و التأديب ليكونوا متخلقين بأخلاق أهل النبي صلى الله عليه وسلم كما روى أحمد^٣ و الطبراني عن سعد بن العاص رضي الله عنه رحمه : ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن . و لما كانت ١٠ الأشياء لا تعظم في نفسها [و -^٤] عند المخبر بها إلا بأخباره بما يشتمل عليه من الأوصاف قال : (وقودها) [أي -^٥] الذي توقد به (الناس و الحجارة) أي ألين الأشياء و اصلها ، فما بين ذلك هو لها وقود^٦ بطريق الأولى .

و لما^٧ وصفها بقاية الأدب في الائتمار اتبعه وصف القوام فقال ١٥ معبراً بأداة الاستعلاء [دلالة على تمكنهم من التصرف فيها -^٨] :

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : باس (٢) زيد في الأصل : فقال ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٣) راجع المسند ٤١٢/٣ (٤) زيد من ظ و م . (هـ - هـ) من ظ و م ، وفي الأصل : وقودها (٦) زيد في الأصل : كان ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها .

('عليها مَلْسَكٌ') [أى يكون امرها على سبيل الاستعلاء - ١]
 فلا تعصمهم شيئا لتأديب الله لها (غلاظ ٢) [أى [فى - ٢] الإبدان
 و القلوب فظاظة على أهلها لاستحقاقهم لذلك بمعصياتهم الملك الأعلى .
 و لما كان الغلظ قد يكون مع الرخاوة قال : (شداد) [أى - ٢]
 ٥ فى كل شيء يحاولونه ، بالقول * و الفعل حتى روى أن الواحد منهم
 يلقي بالدفة الواحدة فى النار من الكفار سبعين ألفا .

و لما كان المعنى انهم يوقعون غلظتهم و شدتهم بأهل المعاصى على
 مقادير استحقاقهم ، بين ذلك بما يخلع القلوب لكونه بأمر الله تعالى
 فقال : (لا يعصون الله) أى الملك الأعلى فى وقت من الاوقات
 ١٠ (ما أمرهم) أى أوقع الامر لهم به فى زمن ما .

و لما كان المطيع منا قد يخل ببعض المأمور به فى ذاته بنقص ركن
 أو شرط ١ أو وقت لنسيان ، أو نوم و نحوه أو بترك مندوب و نحوه أو ما
 فى معناه بوسوسة أو حديث نفس و ٢ نحوه يقصر عن إيقاعه على أعلى
 الدرجات كما قال صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه ابن ماجه ٣ عن
 ١٥ عبد الله بن عمرو رضى الله عنها و الطيالسى عن ثوبان رضى الله عنه :
 استقيموا و لن نحصوا ، قال نافيا لذلك عنهم : (و يفعلون) أى
 يجددین مع كل أمر على سبيل الاستمرار (ما يؤمرون ٥) أى ما يقع

(١-١) وقع فى الأصل بعد « لتأديب الله لها » و الترتيب من ظ (٢) زيد من
 ظ و م (٣) وقع فى الأصل بعد « الرخاوة قال » و الترتيب من ظ و م .
 (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : تناولونه (٥) من ظ و م ، وفى الأصل :
 بالعقول (٦-٦) من ظ و م ، وفى الأصل : شرط أو ركن (٧) سقط من ظ
 و م (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : أو (٩) راجع السنين ص ٢٤ .

لهم الأمر به في أي وقت [كان من غير نقص - '] ما ، و بنى الفعل لما لم يسم فاعله كناية عن سهولة انقيادهم وإشارة إلى أن الذي أمرهم معلوم أنه الله سبحانه و تعالى .

ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم اعظم من أريد بأمر الأمة بالتأديب معه فكان تعمد الإخلال بالأدب معه كفرا ، علم أن هذه النار ه لاوئك فعل أن التقدير : يقولون / : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي بالإخلال^٢ ٤١١/ بالأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم فادام ذلك إلى الإخلال^٢ بالأدب مع الله و بالأدب مع سائر خلقه ﴿ لا تعتذروا ﴾ أي تبالغوا في إظهار العذر و هو إيساع الحيلة في وجه يزيل ما ظهر من التقصير ﴿ اليوم^٣ ﴾ فانه يوم الجزاء لا يوم الاعتذار ، و قد فات زمان الاعتذار ، و صار ١٠ الأمر إلى ما صار ، و إذا نهى عن المبالغة في الاعتذار لعدم نفعها كان النهى عن^٢ مطلقه من باب الأولى ، و هذا قطع لرجائهم و لإحباب لباسهم ليعظم مهمهم و تنقطع قلوبهم لأن معناه ان الاعتذار لا ينفعكم و إن بالغتم فيه ، و لذلك استأنف قوله على سبيل الحصر : ﴿ إنما تجزون ﴾ أي في هذا اليوم ﴿ ما كنتم ﴾ أي بما هو لكم كالجلبة و الطبع^٤ ١٥ ﴿ تعملون^٥ ﴾ [أي - '] على سبيل الإصرار و لا بعد^٦ على الله في أن

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : بالاحلاص (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : على (٤) من م ، وفي الأصل و ظ : كذلك . (٥) زيد في الأصل : فصرتم ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : لا يبعد .

يصور لكل إنسان صورة عمله بحيث لا يشك أنها عمله ، ثم يجعل تلك الصورة عذابه الذي يجد فيه من الألم ما علم سبحانه أنه بمقدار استحقاته^١ .
ولما أفهم الأمر بالوقاية و المدح للثانكة أن المأمورين بالوقاية مقصرون قال مرشدا إلى دواء التقصير : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ناداهم
٥ بما هو أليق بهم من أداة البعد ﴿ توبوا ﴾ أى ارجعوا رجوعا تاما ﴿ إلى الله ﴾ أى الملك الذى لا كفوء له .

و لما كان كل فعول بمعنى فاعل يستوى فيه المذكر و المؤنث قال :
﴿ توبة نصوحا ﴾ أى بالغة فى كونها ناصحة^٢ عن الإسناد المجازى أى منصوحا فيها بالإخلاص فى الأزمان الثلاثة ، الماضى بالندم ، و الحال بالإقلاع . و المستقبل بالعزم على عدم العود إلى الذنب ، فلا يقع فيها رجوع كما لا يعود الحليب إلى الضرع ، فلا يؤذى أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان أذى رسوله من أذاه ، قال القرطبي :
النصوح جمعها أربعة أشياء : الاستغفار باللسان ، و الإقلاع بالأبدان ، و إضمار ترك العود بالجنان ، و مهاجرة سىء الإخوان ، و قال رويم الراعى :
١٥ هى أن تكون لله وجهها بلا قفا كما كنت له عند المعصية قفاه بلا وجه .
و لما أمر بالتوبة عللها بما يفيد الإطماع من الإقامة بين الرجاء و الخوف إعلاما بأن هذا المقام هو المنجى لأنه اعتقاد الكمال له سبحانه و هو [أن -] له أن يفعل ما يشاء فى المطيع و غيره بقوله :

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : استحقاتها (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :

صححة (٣) زيد من ظ و م .

(عنى ربكم) [أى - ١] افعلوا ذلك ليكون المحسن إليكم بهذا
البيان جديرا أو حقيقا (ان يكفر) أى ١ يفتى تغطية عظيمة
(عنكم) أى بالتوبة ، وإذا كان التائب على خطر فما ظنك بالمصر
٢ على ذنوبه ٢ (سيئاتكم) أى [ما - ١] بدا منكم ما يسوءه .

ولما ذكر نفع التوبة فى دفع ١ المضار ، ذكر نفعها فى جلب المسار ٥
فقال : (ويدخلكم) أى ١ يوم الفصل (جنت) أى بساتين
/ كثيرة الاشجار تستر داخلها لانها (تجرى) .

ولما كان ذلك الجرى فى بعض أرضها قال معبرا بأداة التبويض :
(من تحنها) أى تحت غرفها وأشجارها (الانهرا) ٢ فهى لا ٢
تزال ريا .

١٠

ولما ذكر الغفران والإكرام ، ذكر وقته فقال مبشرا لأهله ٨
معرضا لغيرهم ٩ مستحمدا لأهل وده لكونه وقفهم ولم يخذلهم كأعدائه :
(يوم لا يخزى الله) أى الملك الأعظم ٢ الذى له الإحاطة
بالكمال ٢ (النبى) أى الرجل الذى ينبئه الله بما يوجب له الرفعة

التامة من الاخبار التى [هى - ١] فى غاية العظمة (والذين) أى ١٥

(١) زيد من م (٢) زيد فى الأصل : ان ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لخذناها .
(٣-٣) سقط ما بين الرهين من ظ وم (٤) زيد من ظ وم (٥) من ظ وم ،
وفى الأصل : رفع (٦) زيد فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم
لخذناها (٧-٧) من ظ وم ، وفى الأصل : فلا (٨) من ظ وم ، وفى
الأصل ، لأهلها (٩) من ظ وم ، وفى الأصل : عن غيرهم .

ولا يخزى الذين ﴿ امنوا معه ﴾ وهم الصحابة رضى الله تعالى عنهم إن
 [كان المراد - '] المعية فى مطلق الزمان، وسابقوهم إن كان المراد فى الوصف
 أو زمان مخصوص كبدر وبيعة الرضوان لأن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال: لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة - كما رواه مسلم^١ عن
 هـ [أم - '] مبشر رضى الله عنها وأبو داود و الترمذى عن جابر رضى الله
 عنه: ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت
 لكم»، وقال تعالى: " لا يستوى منكم من افق من قبل الفتح^٢ " وقاتل
 اولئك اعظم درجة من الذين افقوا^٣ " إلى قوله " وكلا وعد الله الحسنى "
 ونسؤه رضى الله عنهن أحق بأن يكن أول راغب فى الكون معه فى
 ١٠ الإيمان ليعبدن عن النيران، وإذا استحضرت قصص الأنبياء من سورة
 هود عليه الصلاة والسلام اتضح لك حسن هذا الوجه، ويجوز أن
 يكون «الذين» مبتدأ خبره «نورهم» أو يكون الخبر «معه» إشارة
 إلى أن جميع الأنبياء و صالحى أمهم من أمته [و - '] تحت لوائه،
 وذلك فى غاية ما يكون من الشرف والرفعة له صلى الله عليه وسلم
 ١٠ و الإيمان المقيد بمعيته، أى تأمله لمصاحبة إيمانه صلى الله عليه وسلم غير
 الإيمان المطلق، فلا مانع من أن يدخل غيرهم من المؤمنين النار ثم يخرج
 منها بشعاعة الشافعين فلا متمسك للعزلة بها فى أن مرتكب الكبائر
 مخلد فى النار لأنه داخل النار فهو محزى، فهو غير موصوف بالإيمان
 لأن من اتصف بالإيمان لا يخزى بدليل هذه الآية، قال أبو حيان^٤:

(١) زيد مس ط وم (٢) راجع صحيحه ٣٠٢/٢ - ٣٠٣ (٣-٢) سقط ما بين الرقيين

مس ط وم (٤) راجع البحر المحيط ٢٩٣/٨

وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم تضرع في أمر أمته فأوحى الله إليه: 'إن شئت جعلت حسابهم إليك'، فقال: يا رب! أنت أرحم بهم مني، فقال تعالى: إذا لا أخزيك فيهم .

ولما نفى عنهم الخزي، فسر به بقوله 'مقدما للنور لأن السياق لتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف ما مضى في الحديد: ((نورهم يسعى)) ٥ أي سعيًا مستمرًا بالتجدد، وعلى التفسير الآخر تكون هذه الجملة حالية، ويجوز أن تكون خبراً له الذين، إذا جعلناه مبتدأ ((بين أيديهم)) وحذف الجار إشارة إلى أنه ملائكة تلك الجهة (و) كذا ((بأيامهم)) وأما ما يلي شئنا لهم فأنهم لا يلتفتون إليه لأنهم [إما - ٧] من السابقين وإما من أهل اليمين، فهم يمشون [فيما - ٧] بين الجهتين / ويوتون ١٠ / ٤١٣ صحائف أعمالهم منها، وأما أهل الشمال فيعطونها من وراء ظهورهم ومن شئنا لهم وهم بما لهم من النور إن قالوا سمع لهم وإن شفّعوا شفّعوا .

ولما كانت إدامة التعبد للملك هي أشرف صفات العبد قال: ((يقولون)) أي مجددين لذلك دائماً لعلمهم أن الله تعالى [له أن - ١] ١٥

-
- (١) من م والبحر، وفي الأصل وظ: عليه (٢) من م والبحر، وفي الأصل: عليك (٣) زيد في الأصل: مفسراً، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها؛ (٤ - ٤) من ظ وم، وفي الأصل: مستمرا يتجدد (٥) من ظ وم، وفي الأصل: المبتدا (٦) من ظ وم، وفي الأصل: الحنة (٧) زيد من ظ وم . (٨) من ظ وم، وفي الأصل: فيعطون (٩) زيد من م :

يعمل ما يشاء ، لا حق لاحد عليه^١ ولا سيما إذا^٢ رأوا انطفاء نور المنافقين ، قال سهل : لا يسقط الافتقار إلى الله تعالى عن المؤمنين في الدنيا ولا في الآخرة بل هم في الآخرة أشد افتقارا إليه وان كانوا في دار العز^٣ لشوقهم إلى لقائه : (ربنا) أى أيها المتفضل علينا بهذا النور ه وبكل خير كنا^٤ أو نكون فيه (اتمم) فاعظروا لأن المقام له . ولما كان الإنسان ربما رزق شيئا فاتفع به غيره دونه قالوا : (لنا نورنا) أى الذى مننت به علينا حتى يكون فى غاية التمام ٤١٢/ توصلنا به إلى المأمن فى دار السلام ، ولا تجملنا كالمنافقين الذين أطفأت أنوارهم فكانت عاقبتهم إلى الظلام .

١٠ ولما كان كل من حسن أدبه لابد أن يعتقد فى نفسه النقص ، قالوا^٥ على سبيل الذلة والمسكنة والتواضع : (واغفر لنا) أى امح عنا كل نقص كان يميل بنا إلى أحوال المنافقين عينه وأثره ، وهذا النور هو صورة أعمالهم فى الدنيا لأن الآخرة تظهر فيها حقائق الأشياء وتبع الصور معانيها ، وهو شرع الله الذى شرعه وهو الصراط الذى ١٥ يضرب بين ظهراى جهنم لأن الفضائل فى الدنيا متوسطة بين الرذائل ، فكل فضيلة تكتنفها رذيلتان : إفراط وتفریط ، فالفضيلة هى الصراط المستقيم ، والرذيلتان ما كان من جهنم عن يمينه وشماله ، فمن كان

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : عليهم (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : لما .

(٣) زيد فى الأصل : له ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فخذناها (٤) من ظ وم ،

وفى الأصل : ما ا-ه-ه) سقط ما بين الرافعين من ظ وم .

يمشى فى الدنيا على ما أمر به سواء من غير إفراط ولا تفريط كان
نوره تاما، ومن أمالته الشهوات طفى نوره - أعاذنا الله من ذلك
ورزقنا حسن الثبات، وكان ذلك الطفى^١ فى بعض الاوقات واختطفته
كلايب هى صور الشهوات فتميل به فى النار بقدر ميله إليها، والمناق
يظهر له نور إقراره بكلمة التوحيد، فاذا مشى طفى^٢ لأن إقراره لاحقيقة ه
له [فنوره لا حقيقة له - ^٣] .

ولما كان ما ذكر لا يقدر عليه إلا الله تعالى، علله بقوله مؤكدا لإنكار
الكفار البعث وما تفرع عنه : ﴿ انك ﴾ أى وحدك ﴿ على كل شيء ﴾
أى يمكن دخول المشيئة فيه ﴿ قديره ﴾ أى بالغ القدرة .

ولما ذكر ما تقدم من ليله صلى الله عليه وسلم لأضعف الناس ١٠
النساء وحسن أدبه وكرمه لانه مجبول على الشفقة على عباد^٢ الله
والرحمة لهم، وختم بما للمؤمنين من الشرف والله من تمام القدرة . أنتج
ذلك القطع باذلال أعدائهم^٣ وإخزائهم فقال مداريا لهم من خطر^٤ ذلك
اليوم يد أنصح الخلق [ليكون - ^٥] صلى الله عليه وسلم جامعا فى طاعته

٤١٤ /

سبحانه وتعالى بين المتضادات من اللين والشدّة والرضى والغضب ١٥
والحلم والانتقام وغيرها^٦، فيكون ذلك أدل على التعبد لله بما أمر به
سبحانه وتعالى والتخلق بأوامره وكل ما يرضيه : ﴿ يا أيها النبي ﴾

(١-١) سقط ما بين الرفين من ظ و م (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، وفى
الأصل : خلق (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : أعدائه (٥) من ظ و م ، وفى
الأصل : جعل (٦) زيد من ظ (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : غيره .

مناديا بأداة التوسط إسماعا للامة الوسطى تنبها على أنهم المنادون^١ في الحقيقة، ولأجل دلالتها على التوسط والله أعلم كان لا يتعقبا إلا ما له شأن عظيم، معبرا بالوصف الدال على الرفعة بالإعلام بالأخبار الإلهية المبني على الإحكام والعظمة المثمرة^٢ للغبية، وأما وصف الرسالة فيغلب فيه الرحمة فيكثر إقباله على^٣ اللين والمسايسة^٤ نظرا إلى وصف الربوبية : ﴿ جاهد الكفار ﴾ أى المجاهرين^٥ بكل ما يجهدهم فيكشفهم من السيف ومادونه ليعرف أن الاسود إنما اكتسبت من صولتك، فيعرف أن ذلك اللين لأهل الله إنما هو من تمام عقلك وغزير علمك وفضلك، وكبير حلمك وخوفك من الله ونبلك : ﴿ والمنفقين ﴾ [أى - ٦]

١٠ المسارين بما يليق بهم من الحجة إن استمروا على المسطرة، والسيف إن احتيج إليه إن أبدوا نوع مظاهرة ﴿ واغلظ ﴾ أى كن غليظا بالفعل والقول بالتوبيخ والزجر والإبعاد^٧ والهجر ﴿ عليهم ﴾ فإن الغلظة عليهم من اللين لله كما أن اللين لأهل الله من خشية الله، وقد أمره سبحانه باللين [لهم - ٨] فى أول الأمر لإزالة أعذارهم^٩ وبيان

١٥ إصرارهم، فلما بلغ الرفق أقصى مداه جازه إلى الغلظة وتعداه، وقد بان بهذه الآية أن أفعل التفضيل فى قول الندوة لعمر رضى الله عنه :

- (١) من ظ وم ، وفى لأصل : المبادرون (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : المشر .
 (٣) فى م : الى (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : المساهلة (٥) من ظ وم ، وفى الأصل : المجاهدين (٦) زيد من ظ وم (٧) زيد فى الأصل : والزجر ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لخذلتها (٨) زيد من م (٩) من ظ وم ، وفى الأصل : اعذار .

« أنت أظف وأعظم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على بابه
ولا محذور .

ولما كان انتقام الولي من العدو إنما هو لله سبحانه وتعالى ، لاحظ
له فيه ، فكان موجبا لعدم اكتفاء الله به في حق الولي ، فكان التقدير :
فانهم ليس لهم عصمة ولا حرمة في الدنيا ولا قوة وإن لاح في ه
أمرهم خلاف ذلك ، عطف عليه قوله ^١ : « وماؤنهم » أي في
الآخرة ^٢ « جهنم » [أي - ^٣] الدركة النارية التي تلقى داخلها
بالعبوسة والكراهة .

ولما كان التقدير : إليها مصيرهم لا محالة . عطف عليه قوله :
« وبئس المصير » أي هي ، فذلك جزاء الله لهم عن الإساءة إلى أوليائه ^{١٠}
والانتقاص لأجابه .

ولما كان أمر الاستئصال في الإنجاء والإهلاك أشبه شيء بحال
أهل الآخرة في الدينونة بالعدل والفضل ، وكان المفتوح به السورة
عتاب النساء ، ثم أتبع بالأمر بالتأديب ، لجميع الأمة إلى / أن ختم بهلاك
المخالف في الدارين ، وكان للكفار قرابات بالمسلمين ^٥ وكانوا يظنون ^{١٥}
أنها ربما تنفعهم ، وللمسلمين قرابات بالكفار وكانوا ربما توهموا ^٦ أنها
تضرهم ، قال مجيبا لما يتخيل من ذلك تأديبا ^٧ لمن ينكر عليه ^٨ صلى الله

(١) زيد في الأصل وظ : مصيرهم ، ولم تكن الزيادة فيم فحذفها (٢) زيد في
الأصل : من كل بد ، ولم تكن الزيادة في ظ وم فحذفها (٣) زيد من ظ
وم (٤) من م ، وفي الأصل وظ : للتأديب (هـ-هـ) سقط ما بين الرقين من
ظ وم (٦) في م : توهم (٧) من ظ وم ، وفي الأصل : تكذيبا (٨) من ظ
وم ، وفي الأصل : به .

عليه و سلم من النساء و غيرهن : ﴿ ضرب الله ﴾ [اى - ١] الملك
الذى أحاط بكل شيء ^٢ قدرة و علما ^١ ﴿ مثلا ﴾ يعلم به من فيه قابلية
العلم و يتعظ [به - ١] من له أهلية الاتعاظ ﴿ للذين كفروا ﴾ اى
غطوا الحق على أنفسهم و على غيرهم سواء كانوا مشاqqين أو منافقين فى
عدم انتفاعهم مع كفرهم بما بينهم و بين المؤمنين من الوصل و العلائق
فيغفلظ عليهم فى الدارين معاملة بما يستحقون من غير محابة لاحد و إن
جل مقامه ، و علا منصبه و مرامه ، لأن الكفر قاطع للعلائق بين
الكافر و المسلم : ﴿ امرات نوح ﴾ الذى أهلك الله من كذبه بالفرق
و نصره و آواه عليه الصلاة و السلام و كان اسمها فيما يقال واعلة
١٠ ﴿ و امرات لوط ﴾ الذى أهلك الله أيضا من كذبه بالحصب و الخسف
و الإغراق ، و اسمها فيما قيل واهلة ، و دل على وجه الشبه بقوله :
﴿ كاتنا ﴾ اى مع كونها كافرتين . و لم يقل : تحتها ، بل أظهر بالوصف
العبودية المضافة إليه سبحانه و تعالى و الوصف بالصلاح لأن ذلك أنفم ،
فيكون أشد تأثيرا للوعوظ ^٢ و أعظم ^١ ، و دفعا لأن يتوم ^١ أحد بشئ ^١
١٥ لا يليق بمقامها ^{١٠} عليهما الصلاة و السلام فقال : ﴿ تحت عبين ﴾ اى

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) فى ظ و م : علما و قدرة (٣) من ظ و م ، وفى
الأصل : يكن العبودية (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : اهل (٥) سقط من ظ
و م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : الوصف (٧) من ظ و م ، و الأصل :
للعوطة (٨) زيد فى الأصل : فعلا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها .
(٩ - ٩) فى ظ و م : ثنى (١) من ظ و م ، وفى الأصل : بمقاماتهم .

كل واحدة^١ منهما تحت عبد^٢، و عبر بذلك لأن أثر الناس عند الملك كما تقدم عيده، ودل على كثرة عيده تنيها على غناه بقوله: ﴿ من عبادنا ﴾ .

ولما كانت طبقات القرب متفاوتة بحسب الصلاح قال: ﴿ صالحين ﴾

وهما^٣ نوح و لوط عليهما الصلاة والسلام ﴿ نجاتهما ﴾ بعدم المتابعة هـ

في الدين نفاقا منهما لا بالخيانة في الفرش، فقد صان الله جميع الأنبياء

من ذلك فلم تقل واحدة منهما لاجل كفرهما: رب اجعلني مع نبيك

في الجنة، وأذن بعدم قبول الشفاعة فيمن أساء إلى الحبيب وبعباده حتما

للتشني^٤ بقوله: ﴿ فلم ﴾ أى قسب عن ذلك أن العبدین^٥ الصالحين

لم ﴿ يغنيا عنهما ﴾ أى المرأتين بحق الزواج ﴿ من الله ﴾ أى من ١٠

عذاب الملك الذى له الأمر كله فلا أمر لغيره ﴿ شيئا ﴾ أى من إغناء

لاجل خيائتهما بالمخالفة في الدين^٦، ودل على كمال قدرته تعالى بالتعبير

بالمجهول^٧ فقال: ﴿ وقيل ﴾ أى للمرأتين ممن أذن له في القول الناقد

الذى لا مرد له: ﴿ ادخلا النار ﴾ أى مقدماتها من الإصرار على

الكفر ثم الإهلاك بعذاب الانتقام في الدنيا / وحقيقتها في الآخرة لأن الله ١٥ / ٤١٦

أبغضهما لأنهما عدو لأوليائه، وذلك كما قيل: عدو صديق ليس لى بصديق^٨.

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : واحد (٢) فى ظ و م : واحد (٣) من ظ و م ،

وفى الأصل : هم (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : لتشتى (٥) زيد فى الأصل :

الذين هما من ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، وفى

الأصل : الدارس (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : للمجهول (٨) من ظ و م ،

وفى الأصل : صديق .

ولما فعلنا فعل الرجال في استقلالهما وعدم عدهما لأنفسهما تبعاً،
 غلط عذابهما بالكون مع الرجال في عذابهم فقال دالا على نفوذ الحكم
 فيمن هو أقوى منهما بعد نفوذه فيهما: ﴿مع الداخلين﴾ [أى - ١]
 الذين هم أعظم منهما بمن لهم وصلة بأهل الله ومن لا وصلة لهم بهم،
 ٥ فليأدب كل أحد مع النبي صلى الله عليه وسلم غاية الأدب خوفاً من
 مثل ذلك، وهذا خالغ لقلوب من ابتدأ بتأديبهم^٢ - رضى الله تعالى عنهم.
 ولما أتم مثل النذارة بأن طاعة المطيع لا تنفع العاصي وإن كان
 أقرب الناس إلى المطيع إلا إن كان له أساس يصح البناء عليه، ويجوز
 الاعتماد به والنظر إليه، أتبعه مثل البشارة بأن عصيان العاصي لا يضر
 ١٠ المطيع فقال: ﴿و ضرب الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له صفات
 الكمال ﴿مثلاً للذين آمنوا﴾ ولو كان فى أدنى درجات الإيمان مينا
 لأن وصلة الكفار إذا كانت على وجه الإكراه والإجبار لا تضر
 ﴿امرات فرعون﴾ واسمها آسية بنت مزاحم، آمنت وعملت صالحاً فلم
 تضرها الوصلة بالكافر بالزوجة التى هى من أعظم الوصل ولا تنفعه
 ١٥ إيمانها "كل امرئ بما كسب رهين" وأثابها ربها سبحانه أن جعلها زوجة
 خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم فى دار كرامته بصبرها على عبادة الله
 وهى [فى - ١] حباله عدوه، وأسقط وصفه بالعبودية دليلاً على تحقيره
 وعدم رحمته لأنه أعدى أعدائه، وأشار إلى وجه الشبه فى المثل وهو

(١) زيد فى الأصل: فقال، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفناها (٢) زيد من م.

(٣) من ظ وم، وفى الأصل: بتأسيسهن (٤) زيد من ظ وم.

التحيز إلى حزب الله بقدر الوسع [فقال - ١] : (إذ) أى مثلهم مثلها حين (قالت) تصديقا بالبعث منادية نداء الخواص باسقاط الآداة لأجل أنها مؤمنة وإن كانت تحت كافر بنا فلم تضر صحبته شيئا لأجل إيمانها : (رب) أى أيها المحسن إلى بالهداية وأنا فى حباله هذا الكافر الجبار ولم تغرنى بعز الدنيا وسعتها (ابن لى) .

ولما كان الجار^٢ مطلوباً - كما قالوا - قبل الدار . طلبت خير جار وقدمت الظرف اهتماماً به لنصه على المجاورة ولدلالته على الزلفى فقالت : (عندك بيتا) وعينت مرادها بالعندية فقالت : (فى الجنة) لأنها^٣ دار المقربين فظهر من أول كلامها و آخره أن مطلوبها أخص داره ، وقد أجابها سبحانه بأن جعلها زوجة لخاتم رسله الذى هو خير خلقه ١٠ وأقربهم منه ، فكانت معه فى منزله الذى هو ' أعلى المنازل ' .

ولما سألت ما حيزها إلى جناب الله سألت ما يبايعها فى الدارين من أعدائه فقالت : (ونجى) أى تنجية عظيمة (من فرعون) أى فلا أكون عنده ولا تسلطه على بما / يضرنى عندك (وعمله) أى ان ٤١٧ / أعمل بشئ منه (ونجى) أعادت العامل تا كيدا (من القوم الظالمين) ١٥

أى الناس الأقوياء العريقين فى أن يضعوا أعمالهم فى غير مواضعها التى أمروا بوضعها فيها فعل من يمشى فى الظلام عامة ، وهم القبط ، لا تخالطنى بأحد منهم ، فاستجاب الله تعالى دعاءها وأحسن إليها لأجل محبتها

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الجبار (٣) فى ظ و م :
أى (٤ - ٤) من ظ و م ، وفى الأصل : اعظم المنازل واعلاهم .

للحبيب وهو موسى عليه الصلاة والسلام كما يقال: صديق^١ صديق
داخل في صداقتي، وذلك [أن -^٢] موسى عليه الصلاة والسلام لما
غلب السحرة آمنت به فعذبها فرعون فأتت بعد أن أراها الله يبتها في الجنة
ولم يضرها كونها تحت فرعون شيئا لأنها كانت معذورة في ذلك،
هـ فالآية من الاحتباك: حذف أولا "فلم تسألا^٣ الجنة" لدلالة "رب ابن
لى" ثانيا عليه، وحذف ثانيا "كانت تحت كافر" لدلالة الاول عليه .
ولما أتم المثل بمن أساءتا الادب فلم تنفعهما الوصلة بالاولياء بل
زادتهما ضررا للاعراض عن الخير مع قربهما وتيسره، وبمن أحسنت
الادب فلم تضرهما الوصلة بأعدى الأعداء [بل -^٤] زادتها خيرا لإحسانها
١٠ مع قيام المغتر بها عن الإحسان ضرب مثلا بقريفتها في قوله صلى الله عليه
وسلم كما رواه الشيخان^٥ عن أبي موسى رضى الله عنه: كمل من الرجال
كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم [بنت عمران -^٦] وآسية بنت
مراحم، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام. ومع مقارنتها
لها في الكمال، فبين^٧ حالهما في الثوبة والبكورة طباق، فلم يبتلها سبحانه
١٥ بخلة زوج جمعا بين ما تقدم من صنفي الثيات والابكار اللاتي يعطيها^٨
لنبيه صلى الله عليه وسلم فأحسنت الادب^٩ في نفسها^{١٠} مع الله ومع
سائر من لزمها الادب [معه -^{١١}] من عباده فأحسن إليها رعاية لها
(١) من ظ و م، وفي الأصل: صديق (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م
وفي الأصل: لم تسأل (٤) راجع صحيح البخارى - كتاب الأنبياء وغيرها وصحيح
مسلم كتاب فضائل الصحابة (٥) من ظ و م، وفي الأصل: وبين (٦) من ظ و م،
وفي الأصل: بواطيها (٧-٧) من ظ و م، وفي الأصل: لاحتبال .

على^١ ما وقفها إليه من الإحسان ، وذلك [رعاية - ٢] لاسلاها
 إذ كانوا من أعظم الاجاب فقال : ﴿ و مريم ﴾ أى و ضرب الله مثلا
 لاهل الانفراد والعزلة من الذين آمنوا مريم ﴿ ابنت عمران ﴾ أى^٢
 أحد الاجاب ، وذكر وجه الشبه فقال : ﴿ التى احصنت فرجها ﴾ أى
 عفت عن السوء وجميع مقدماته عفة كانت كالحصن العظيم المانع من^٥
 العدو فاستمرت [على - ٢] بكريتها إلى الممات فنزوها فى الجنة
 جزاء لها بخير عبادنا^٥ محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء و إمام المرسلين .
 ولما اغتنت بأنسها^٦ بروح الله الذى بثه فى قلبها من محبة الذكر
 والعبادة عن الانس بأرواح الناس ، كان ذلك سببا لأن وهبها روحا
 منه جسده فى أكمل الصور^٧ المقدرة فى ذلك الحين^٨ فقال مخبرا عن^{١٠}
 ذلك : ﴿ فنحننا ﴾ أى بعظمتنا بواسطة ملكنا روح القدس .

ولما كانت هذه السورة لتشريف التى صلى الله عليه وسلم و تكميل
 نسائه فى الدنيا والآخرة ، نص على المقصود بتذكير الضمير ولم يؤثـ
 [قطعاً - ٢] للسان من يقول تمتا : إن المراد نفخ روحها فى جسدها :
 ﴿ فيه ﴾ أى فرجها الحقيقى و هو جيبها و كل جيب يسمى فرجا ، ويدل^{١٥}
 على الاول قراءة " فيها " شاذة ﴿ من روحنا ﴾ أى روح هو أهل لشرفه بما
 عظمنا^٩ من خلقه [و لطف - ٢] تكوينه أن يضاف إلينا لكونه خارجا

- (١) من م ، وفى الأصل وظ : مع (٢) زيد من ظ و م (٣) سقط من ظ و م .
- (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : العدل (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : عباده .
- (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : بابه (٧) من م ، وفى الأصل وظ : الصورة .
- (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : الحيز (٩) من م ، وفى الأصل وظ : عظمتنا .

عن التسبيب المعتاد وهو جبريل عليه الصلاة والسلام أو روح الحياة.
ولما كان التقدير: فكان ما أردنا، فحملت من غير ذكر [و-١]
ولدت عيسى عليه الصلاة والسلام الذي كان من كلمتنا وهي «احمل»، ثم
كلمتنا «كن يا حمل من غير ذكر»، ثم كلمتنا «لديه يا مريم من غير مساعد»،
ثم كلمتنا «تكلم يا عيسى في المهد بالحكمة، عطف عليه قوله: ﴿وصدقت﴾»
فاستحقت لذلك أن تسمى صديقة ﴿بكلمت ربها﴾ أي المحسن إليها
بما تقدم وغيره مما كان من كلام جبريل عليه الصلاة والسلام بسببه
ومن عيسى عليه الصلاة والسلام [و-١] مما تكلم به عن الله سبحانه
و تعالى ﴿وكتابه﴾ أي وكتابه الضابط الجامع لكلامه الذي أنزل
١٠ على ولدها وغيره من كتب الله كما دل على ذلك قراءة البصريين
و حفص بالجمع .

ولما كان المصدق ربما كان تصديقه في الظاهر أو مشوبا بشيء
من الضمائر قال: ﴿وكانت﴾ أي جبلة وطبعا، وشرفها بأن جعلها
في رتبة الاكمل وهم الرجال فقال^٢: ﴿من القوتين ع﴾ أي المخلصين
١٥ الذين هم في غاية القوة والكمال لأنها كانت من بنات الاحباب المصطفين
على العالمين، فلم تكن عبادتها تقصر عن عبادة الاقوياء [الكلمة -١]،
وقد اسم سبحانه الامثال في الآداب بالثقيات والابكار الاخيار
والاشرار، فانهطف آخر السورة على أولها في المعاني بالآداب، وزاد

(١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم، وفي الأصل . في (م) زيد في الأصل:
وكانت، ولم تكن الزيادة في ظ وم فحذفناها .

ذلك حسنا كَوْنُهَا فِي النِّسَاءِ وَ فِي الذَّوَاتِ وَ الْأَعْيَانِ بِزَوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَسِيَّةَ^١ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ وَ مَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ فِي الْجَنَّةِ دَارَ الْقَرَارِ السَّالِمَةِ عَنِ الْإِكْدَارِ [الزَّوْجِ الْإِبْدَى -^٢] فَصَارَ أَوَّلُ السُّورَةِ وَ آخِرُهَا فِي أَزْوَاجِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَ فِي خَتَامِهَا^٣ بِالْقُنُوتِ الَّذِي هُوَ خِلَاصَةُ الْأَوْصَافِ الْمَاضِيَةِ فِي الْإِبْدَالِ الْمَذْكُورَاتِ أَعْظَمُ مَنَاسِبَةٍ هـ - وَ اللَّهُ الْهَادِي .

سورة الملك

و تسمى تبارك و المانمة و الواقية و المنجية ، قال الولي الملوي :
هذه السورة كانت النبي صلى الله عليه وسلم / يحبها لكثرة ٤١٩ /
علومها . وقال : وددت لو كانت في صدر كل مسم . مقصودها ١٠
الخضوع لله لاتصافه^١ بكمال الملك^٢ الدال عليه [تمام القدرة الدال
عليه -^٣] قطعاً أحكام المكونات الدال عليه تمام^٤ العلم الدال عليه
مع إحكام المصنوعات علم^٥ ما في الصدور^٦ لينتج ذلك العلم بتحتم
البعث لدينونة العباد على ما هم عليه من الصلاح و العناد كما هي عادة
الملوك في دينونة رعاياهم لتكتمل الحكمة و تتم النعمة و تظهر سورة ١٥
الملك ، و اسمها الملك واضح في ذلك لأن الملك محل الخضوع من كل

- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : بِأَسِيَّةَ (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، وفي
الأصل و ظ : خَتَامَهُ (٤) زيد في ظ : النعم (٥) السابعة والستون من سور القرآن
الكريم ، مكية و عدد آياتها (٣٠) آية (٦-٧) من ظ و م ، وفي الأصل : بكل كمال .
(٧) من ظ و م ، وفي الأصل : بتمام (٨) من م ، وفي الأصل و ظ : على .
(٩) زيدت الواو في الأصل و ظ ، ولم تكن في م فحذفناها .

من^١ يرى الملك وكذا تبارك لأن من كان كذلك كان له تمام الثبات والبقاء، و كان له من كل شيء كال^٢ الخضوع والافتاء، وكذا اسمها المانعة والواقية والمنجية لأن الخضوع حامل على لزوم طريق السعادة ومن لزمها نجما بما يخاف ومنع من كل هول ووقى^٣ كل محذور،^٤ وترد السؤال عن لازم عليها وهذا من أهم الأمور^٥ (بسم الله) الذي خضعت لكمال عظمته الملوك (الرحمن) الذي عم بنعمة الإيجاد وتيان محل السلوك (الرحيم) الذي خص أوليائه بتمام الهداية وزوال الشكوك^٦.

لما ختمت تلك بأن من أعرض عنه سبحانه أهلكته ولم يغفر عنه أحد، ومن أقبل عليه رفته واستخلصه ولم يضره أحد، وختم بأنه قوى مريم عليها السلام حتى كانت في درجة الكلمة^٧ ورزقها الرسول في الإخلاص، وكان مثل هذا لا يقدر على فعله إلا من^٨ لا كفوء له، وكان من لا كفوء له أهلا لأن^٩ يخلص له الأعمال ولا يلتفت إلى سواه بحال، لأنه الملك الذي يملك الملك^{١٠} قال مثيرا للهمم إلى

(١) من ظ و م، وفي الأصل: ما (٢) من ظ و م، وفي الأصل: تمام .
(٣) زيد في الأصل و ظ : من، ولم تكن الزيادة في م لحذفها (٤-٥) سقط ما بين الرقنين من ظ و م (٥) زيد في الأصل : وخلفهم اصطفاهم اصنفاهم واختصهم، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٦) من ظ و م، وفي الأصل : الكلمة (٧) زيد في الأصل : كان، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .
(٨) من ظ و م ؛ وفي الأصل : بأن (٩) من ظ و م، وفي الأصل : المالك .

الاستبصار المثير للإرادة إلى رياضة ثمر جميع أبواب^١ السعادة:
(تبارك) أى تكبر و تقدس و تعالى [و تعاظم - ٢] و ثبت ثباتا
لا مثل له مع اليمن و البركة و تواتر الإحسان و العلى .

و لما كان من له الملك قد لا يكون متمكنا من إبقائه فى يده
أو إعطاء ما يريد منه لغيره و زعه منه متى أراد قال : (الذى يده) هـ
أى بقدرته و تصرفه لا بقدرة غيره (الملك ذ) أى أمر ظاهر العالم
قالية كل تدبير له و تدبير فيه و بقدرته إظهار ما يريد ، لا مانع له
من شئ . و لا كفوء له بوجه ، و هو كناية عن الإحاطة و القهر ، و ذكر
اليد إنما هو تصوير للإحاطة و لتمام القدرة لأنها [محالها - ٣] مع
التنزه عن الجارحة ؛ و عن كل ما يفهم حاجة أو شبهها بالخلق . ١٠

و قال [الإمام - ٣] أبو جعفر ابن الزبير : ورود ما افتتحت به
هذه السورة من التنزيه و صفات تعالى إنما يكون عقيب تفصيل
و إبراد عجائب من صنعه سبحانه كورود قوله تعالى « تبارك الله أحسن
الخالقين » عقيب تفصيل القلب* الإنسانى من لدن خلقه من سلالة من
طين إلى إنشائه خلقا آخر و كذا كل^٦ ما ورد^٦ من هذا ما لم يرد أثناء ١٥
أى قد جردت للتنزيه و الإعلام بصفات^٧ تعالى [و - ٢] الجلال .

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الذارع ارباب (٢) زيد من ظ (٣) زيد من
ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الحاجة (هـ) من ظ و م ، و فى الأصل :
القلب (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ورود (٧) من ظ و م ، و فى
الأصل : صفات .

و لما كان قد / أوقع في آخر سورة التحريم ما فيه اعظم عبرة
 لمن تذكر، و اعلى آية لمن استبصر، من ذكر امرأتين كانتا تحت عبيد
 من عبادنا صالحين قد بعثهما الله [تعالى رحمة لعباده - ٢] واجتهدا
 في دعاء الخلق، فحرم الاستنارة بنورهما و العياذ بهما من لم يكن احد
 ٥ من جنسهما اقرب إليهما منه و لا أكثر مشاهدة لما مداه به من الآيات و عظيم
 المعجزات، و مع ذلك فلم يغنيا عنهما من الله شيئا، ثم أعقب^٢ هذه
 العظة بما جعل في طرف منها و تقيض من حالها^٤، و هو ذكر امرأة
 فرعون التي لم يفرها مرتكب صاحبها و عظيم جرأته مع شدة الوصلة
 و استمرار الافة لما سبق لها في العلم القديم من^١ السعادة و عظيم الرحمة
 ١٠ فقالت " رب ابن لي عندك بيتا في الجنة " و حصل في هاتين القصتين
 تقديم سبب رحمة حرم التمسك به أولى الناس في ظاهر الامر و تقديم
 سبب امتحان^٥ عصم منه أقرب الناس إلى التورط [فيه - ٢]، ثم
 أعقب ذلك بقصة^٦ عريت عن مثل هذين [السيئين - ٣] و انفصلت
 في^٤ مقدماتها عن تينك القصتين، و هو ذكر مريم ابنة عمران ليعلم
 ١٥ العاقل حيث يضع الاسباب، و أن القلوب يد العزب الوهاب، أعقب
 تعالى ذلك بقوله الحق " تبارك الذى بيده الملك و هو على كل شئ

(١) سقط من ظ و م (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و م، وفي الأصل: أعقب.
 (٤) من ظ و م، وفي الأصل: حالها (٥) من ظ و م، وفي الأصل: الامتحان.
 (٦) من ظ و م، وفي الأصل: قصة (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م،
 وفي الأصل: عن.

قدير“ و إذا كان الملك سبحانه و تعالى بيده الملك فهو الذى يؤتى الملك و الفضل من يشاء و يزرعه بمن يشاء و يعز من يشاء و يذل من يشاء كما صرحت به الآية الاخرى فى آل عمران، فقد اتضح اتصال سورة الملك بما قبلها ثم بنيت سورة الملك على التنبيه^١ و الاعتبار^٢ ببسط الدلائل و نصب البراهين حسبما يبسطه التفسير - انتهى .^٥

و لما كان المتصرف فى الملك قد لا يكون قدرته تامة و لا عامة قال تعالى : (و هو) أى وحده له عظمة تستولى على القلوب و سياسة نعم كل جلب نفع^٢ و دفع ضرر^٢ لانه (على كل شيء) أى يمكن يشاؤه من الملك و غيره من باطنه و^٢ هو الملكوت و غيره^٢ بما وجد و ما لم يوجد (قدير دلائل) أى تلم القدرة، و دل على ذلك بقوله : ١٠ (انتهى خلق) أى قدر و أوجد .

و لما كان الخوف من إيقاع المولم أدعى إلى الخضوع لانه أدل على الملك مع أن الأصل^٤ فى الأشياء العدم^٤، قدم قوله : (الموت) أى هذا الجنس و هو زوال الحياة عن الحي الذى هو فى غاية الاقتدار على القلب بجعله جمادا كأن لم يكن به حركة أصلا ، أول ما يفعل ١٥ فى تلك الدار بعد / استقرار^٥ كل فريق فى داره و أن^٦ يعدم هذا الجنس فيذبح بعد أن يصور فى صورة كبش (و الحياة) أى هذا

٤٢١ /

(١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : بالاعتبار (٢) سقط من ظ و م (٣-٣) من ظ و م ، وفى الأصل : هم الملوك و غيرهم (٤-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : شيئا الا لعدم (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : استقرار (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : بأن .

الجنس وهو المعنى الذى يقدر المجادبه على التقلب بنفسه و بالإرادة^١ ،
وقال ابن عباس رضى الله عنهما : الموت خلقه الله على صورة كبش
أملح لا يمر بشيء ولا يحمد ربحه إلا مات ، والحياة على صورة
فرس بقاء وهى التى كان جبريل والانبياى يركبونها فلا يحمد ربحها
هـ شيء إلا حي ، وهى التى أخذ السامرى قبضة من أثرها وألقاه على
الحلى الذى ألقاه بنو إسرائيل ونوى أن يكون عجلا [فصار عجلا - ٢] .

ولما ذكر الدال على القدرة أتبعه غايته ، وهو الحكم الذى هو
خاصة الملوك فقال تعالى : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ أى يعاملكم وهو^٢ أعلم بكم^٣
من أنفسكم معاملة المختبر لإظهار ما عندكم من العمل بالاختيار
١٠ ﴿ أَيْكُم أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ أى من جهة العمل أى عمله أحسن من عمل
غيره ، وعبارة القرآن فى إسناد^٤ الحسن إلى الإنسان تبدل على أن
من كان عمله أحسن^٥ كان هو احسن ولو أنه أشبع الناس منظرا ،
ومن كان عمله أسوأ^٦ كان بخلاف ذلك ، والحسن إنما يدرك
بالشرع ، فاحسنه الشرع فهو الحسن^٧ وما قبحه فهو القبيح ، وكان ذلك

١٥ مفيدا للقيام بالطاعة لأن من تفكر فى حاله علم أنه مباين لبقية
الحيوانات بعقله والنباتات بحياته ، وللجهدات بنموه ، وأن ذلك
ليس^٨ له من^٩ ذاته بدليل موته ، فما كان له^{١٠} ذلك إلا بفاعل مختار ،
له الحياة من ذاته ، فيجتهد فى رضاه باتباع رسله إن كان عاقلا ،

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : الارادة (٢) زيد من ظ (٣-٣) من ظ وم ،
وفى الأصل : لكم (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : سناد (٥) من ظ وم ، وفى
الأصل : حسن (٦) من ظ وم ، وفى الأصل : ساء (٧-٧) من ظ وم ، وفى
الأصل : بعض (٨) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فجذفتها .

فيشكره إذا أنعم ، و يصبر إن ^١ امتحن و انتقم ، و يخدمه بما أمر و ينزجر عما عنه زجره ، فهذه الآية مشتملة على وجود المقتضى للسعادة و انتفاء المانع ^٢ منها و وجود المقتضى لإعداد و إرشاد ، فالإعداد إعاقته سبحانه للعبد بأعداده لقبول السعادة كالحداد يلين الحديد ^٣ بالنار ليقبل أن يكون سكيناً ، و الإرشاد أخذه بالناصية إلى ما أعد له كالضرب ^٤ بالسكين ^٥ و إصلاحها للقطع بها ، و انتفاء المانع هو الموقف ^٦ عن ذلك و هو دفع ^٦ المشوشات و المفسدات ^٦ كتلّم السكين و هو يجرى مجرى السبب و سبب السبب ، و هو ما اشتمل [عليه - ^٧] قوله صلى الله عليه و سلم « اللهم أغنى و لا تن علي » ، الحديث ^٨ ، فذكره لتمام القدرة و العزة مع ذكر الأحسن دال على توفيقه بما ذكر ، و من تأمل الآية ^{١٠} عرف أنه ما خلق إلا ليميز جوهره من صدق غيره أو صدقه من جوهر غيره ، و أن الدنيا مزروعة ، و [أن - ^٩] الآخرة محصدة ، فيصير من نفسه على بصيرة ، و ثارت ^{١١} إرادته لما خلق له تارة بالنظر إلى جمال ربه من حسن و إحسان ، / و أخرى إلى جلاله من قدرة ^{١٢} / ٤٢٢ و إمكان ^{١٣} ، و تارة بالنظر لنفسه بالشفقة عليها من خزي الحرمان ^{١٥} ، فيجتهد في رضا ربه و صلاح نفسه خوفاً من عاقبة هذه البلوى .

- (١) من م ، وفي الأصل و ظ : اذا (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : الموانع .
 (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : الحديد (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : بالضرب .
 (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : المتوقف (٦-٦) من ظ و م ، وفي الأصل ، المفسدات المشوشات (٧) زيد من ظ و م (٨) راجع سنن ابن ماجه - الدعاء .
 (٩) زيد من م (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : تأثرت (١١) من ظ و م ، في الأصل : احكام .

ولما كان لا يغفل الابتلاء منا إلا جاهل بالعواقب و عاجز عن
رد المصيبة عن^١ إساءته وجعله محسنا من أول نشأته، قال نافيا لذلك
عن منيع جنابه بعد أن قناه بلطف تدييره و عظيم أمره في [خلق -^٢
الموت و الحياة، و مزينا بوصف العزة لما قد يقوله من يكون قوى
الهمة: أنا لا أحتاج إلى تعب كبير في الوصول إليه سبحانه بل أصل
إليه^٣ أى وقت [شئت -^٤] بأيسر سعى (و هو) أى و الحال
أنه وحده (العزيم) [أى -^٥] الذى يصعب الوصول إليه جدا،
من العزاز و هو المكان الوعر [و -^٦] الذى يقلب كل شيء و لا
يغلبه شيء، فلو أراد جعل الكل محسنين، و لا يكون كذلك^٧ إلا
١٠ و هو تام القدرة فيلزم تمام^٨ العلم و الوحدانية و وجوب الوجود
أزلا و أبدا .

ولما كان العزيز منا يهلك كل من خالفه إذا علم مخالفته^٩، قال
مبيناً سبب إمهاله للعصاة مرغبا للمصيبة فى التوبة، بعد ترهيه من الإصرار
على الحوبة، لأنه قد يكون مزدرئاً لنفسه قائلاً: إن مثلى لا يصلح
١٥ للخدمة لما لى من الذنوب^{١٠} القاطعة و أين التراب من [رب -^{١١}] الأرباب
(الغفور) أى [أنه -^{١٢}] مع ذلك يفعل فى محو الذنوب
عينا و أثرا فعل المبالغ فى ذلك و يتلقى من أقبل إليه أحسن تلقى كما
(١) من ظ و م، و الأصل: الى (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل:
أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لخدمتها (٤) زيد من م (٥) من ظ و م،
و فى الأصل: ذلك (٦) من ظ و م، و فى الأصل: تام (٧) من ظ و م،
و فى الأصل: بمخافته (٨) من ظ و م، و فى الأصل: الذنوبة .

- قال تعالى في الحديث القدسي "و من اتانى يمشى اتيته هرولة" ١ .
- ولما أثبت له سبحانه صفى العز والغفر^٢ على أبلغ ما يكون ، دل على ذلك بقوله دالا على كمال تفرده بعد آيات الانفس بآيات الآفاق إرشادا إلى معالى الاخلاق : (الذى خلق) أى أبداع [على - ٢] هذا التقدير من غير مثال سبق (سبع سنوت) حال كونها (طباقا^٣) جمع طبق ٥ كل واحدة منها كأنها لشدة مطابقتها للآخرى طالبة مطابقتها بحيث يكون كل جزء منها مطابقا لجزء من الآخرى ، ولا يكون جزء منها خارجا عن ذلك ، وهى لا تكون كذلك إلا بأن تكون الأرض كرة والسماء الدنيا محيطة بها إحاطة قشر البيضة بالبيضة من جميع الجوانب والثانية محيطة بالدنيا و* هكذا إلى ان يكون العرش ١٠ محيطا بالكل ، والكرسى الذى هو اقربها إليه بالنسبة إليه كحلقة ملقاة فى فلاة ، فباظنك بما تحته ، وكل سماء فى التى فوقها بهذه النسبة ، وقد قرر أهل الهيئة أنها كذلك ، وليس فى الشرع ما يخالفه بل ظواهره توافقه ولا سيما التشبيه بالحلقة [الملقاة - ٢] فى فلاة كما مضى بسط ذلك فى سورة السجدة ، وأحاط سبحانه بالأرض منافعها من جميع الجوانب ، وجعل ١٥ المركز بحيث يجذب إليه الأسفل فكيفما مشى الحيوان فى^٦ جوانبها اقتضى المركز أن تكون رجلاه الى الأرض ورأسه الى السماء لتكون السماء فى رايه دائما / أعلى ، والأرض أسفل فى أى جانب كان

٤٢٣ /

(١) الحديث مستفيض (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : العفو (٣) زيد من ظ وم .
 (٤) زيد فى الأصل : لا ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها (٥) زيد فى الأصل : بسائتها ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها (٦) من م ، وفى الأصل وظ : من .

هو عليها، فسبحان اللطيف الخبير، ولا شك ان من تفكر في هذه العظمة مع ما لطف بنا فيما هيأ^١ فيها لنا^٢ من المنافع، آثره سبحانه بالحب وأفرده عن كل ضد، فاقطع^٣ باللجاء إليه ولم يعول^٤ إلا عليه في كل^٥ دفع ونفع^٦، وسارع في مرضيه^٧ ومحابه في كل خفض ورفع^٨.

ولما كان [ذلك - ١] في حد ذاته خارجا عن طوق المخلوق، و كان سمك كل سماء مسيرة خمسمائة عام، و [ما - ٢] بين كل سمانين كذلك مع عدم الفروج و العمد و الاطناب^٣، فكان ذلك^٤ الهاية في الخروج عن العادة في حد ذاته و لانه قيل: إن القبة إذا بنيت بلا فروج و لا شيء يدخل^٥ الهواء منه تفسد و تسقط، دل على عزته بعظيم صنعه في ذلك بقوله واصفا لها: (ما ترى في) و كان الاصل: خلقها. ولكنه^٦ دل على عزته و عموم عظمته بقوله: (خلق الرحمن) أى لها و غيرها و لولا^٧ رحمته و عموم عظمته^٨ التي اقتضت إكرامه لخلقه بعد غفرانه لما لهم من النقائص ما أحسن إليهم [بها - ١] في اتساعها^٢ وزينتها و ما فيها من المنافع، وأعرق في النى بقوله:

(١-١) من ظ و م، وفي الأصل: فيه (٢) من ظ و م، وفي الأصل: فاقطع.
(٣) من ظ و م، وفي الأصل: لم في كل اموره (٤-٤) من ظ و م، وفي الأصل: نفع و ضر (٥) من ظ و م، وفي الأصل: مرضاته (٦) زيد من ظ و م (٧-٧) من ظ و م، وفي الأصل: فذلك (٨) من ظ و م، وفي الأصل: لا يدخل (٩) من ظ و م، وفي الأصل: لكن (١٠) من ظ و م، وفي الأصل: لا (١١) في م: رحمته (١٢) من ظ و م، وفي الأصل: ابتداعها.

(من نفوت^١) بين صغير^٢ ذلك الخلق وكبيره بالنسبة إلى الخالق في إيجاد له على حد سواء، إنما قوله [له - '] إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون، لا فرق^٣ في ذلك بين الذرة مثلا والفرس ولا بالنسبة إلى الخالق من عجز صغيرم وكبيرم عن إيجاد شيء من العدم صغيرا كان أو كبيرا جليلا كان أو حقيرا، ولا ترى تفاوتنا في ه الخلق بأن ' يكون شيء منه ' فأتى للآخر^٤ بالمخالفة والاضطراب والتناقض في الخلقة غير مناسب له بأن يكون خارجا عنه أو متافرا له في مقتضى الحكمة، وآثار الإحسان في الصنعة، والنزول عن الإتيان والاتساق، والمخرج عن الإحكام والاتفاق، والدلالة للخالق على كمال القدرة وللخلق على الحدوث بنوع من ضعف البنية بحيث يكون ١٠ [كل - '] واحد كالمطالب لأن يخالف الآخر، أو تعتمد لأن يفوت الآخر ويخالفه - على قراءة حذف الألف والتشديد بحيث يكون التفاضل^٥ في المزدوجات وعدم المساواة كأنه مقصود بالذات وبالقصد الأول، بل لا توجد المخالفة إلا نادرا بحيث يعلم أن المشكلة هي المقصود بالذات^٦ وبالقصد الأول، فإذا وقع في شيء منه مخالفة كان على وجه الدور ١٥ يعلم أنه ليس مقصودا بالذات^٧، وإنما أريد به الدلالة على الاختيار وأن الفاعل هو القادر المختار لا الطبيعة، قال الرازي: كأن التفاوت الشيء

(١) من ظ وم، وفي الأصل: صغير (٢) زيد من ظ وم (٣) من ظ وم، وفي الأصل: فرقة (٤-٤) من ظ وم: وفي الأصل: منه شيء (٥) من م، وفي الأصل وظ: بالآخر (٦) من ظ وم، وفي الأصل: التفاوت. (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ.

المختلف لأعلى النظام ، وقال ^١ البغوى : من اعرجاج و اختلاف
وتناقض ، وقال غيره : [عدم - ^٢] التناسب كأن بعض الشيء يفوت
بعضا ولا يلائمه ، وهو من الفوت / وهو أن يفوت بعضها بعضا لقلة
استوائها ، وقال أبو عبيان ^٣ : و التفاوت ^٤ تجاوز الحد الذى يجب له
زيادة أو نقصان - انتهى . يظهر ذلك بأن أغلب الخلق أجوف ^٥ ،
والأجوف يعمل مبسوطا ثم يضم ويوصل أحد جانبيه بالآخر فيكون
ثم نوع فطر ^٦ يعرفه أهل الحذق وإن اجتهد صانعه فى إخفائه وإن
كان فيه أشياء متقابلة كان فيها تفاوت ولو قل وإن اجتهد الصانع
فى المساواة ، و خلق الله لا تفاوت فيه بوجه ، فالسماوات كرية ولا ترى
^٧ فى جانب منها ^٨ شقا ولا فطرا ظاهرا ولا خفيا ، والحيوان أجوف ^٩
ولا ترى فى شيء من جسده فصا يكون الضم والتجويف وقع به . وكل
من متقابليه مساو للآخر كالعينين والأذنين والمنخرين والساقين
ونحوها مما يقصد فيه التساوى لا تفاوت فيه أصلا - إلى غير ذلك مما
يطول شرحه ، ولا يمكن ضبطه ، فسبحان من لا تنهاى قدرته
^{١٥} فلا تنهاى مقدوراته ، ولا تحصى بوجه معلوماته ، وكل ذلك عليه هين ،
والأمر فى ذلك واضح بين ، هذا ^{١٠} مع الاتساع الذى لا يدرك مقداره بأثر

(١) فى العالم بهامش اللباب ١٠٤/٧ (٢) زيد من ظ (٣) فى البحر المحيط ٢٩٨/٨ .
(٤-٤) من ظ و م والبحر ، وفى الأصل ، التجاوز (٥) من ظ و م ، وفى
الأصل : غلب (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : نظر (٧-٧) من ظ و م ، وفى
الأصل : منها فى جانب (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : جوف (٩) زيد فى الأصل :
ان ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها .

من [أن - ١] كل سماء بالنسبة إلى التي فوقها كحلقة ملقاة في فلاة إلى أن يوصل إلى الكرسي ثم العرش العظيم ، و من سر كونها كذلك حصول النفع بكل ما فيها من كواكب^٢ مرطبة أو ميبسة أو منورة و اتصالات ممطرة و منبتة يجري كل ذلك منها على ترتيب مطرد ، و نظام غير منحزم مقدر جريه بالقسط مراتب^٣ على منافع الوجود ه و مصالح الكائنات كلها مكفوفة على هواء لطيف بتدبير شريف^٤ لا يتعدى شيء منها طوره و لا يتخطى حده ، و لا يرسب فيما تحته من الهواء فيهبى ، و لا يرتفع عن محله بمقدار ذرة فيطفو ، قد أحاط بكلها الأمر^٥ ، و ضبطها صاغرة القهر .

و لما كان العلم الناشئ عن الحس أجل^٦ العلوم ، دل على بديع ١٠ ما ذكره بمشاهدة الحس له كذلك ، فسبب عنه قوله منبها بالرجع الذي هو تكرير الرجوع على أن كل أحد يشاهد ذلك كذلك من حين يعقل إلى أن يبلغ حد التكليف المقتضى للخاطبة بهذا الكلام^٧ : ﴿ فارجع البصر لا ﴾ أى بعد ترديدك له قبل ذلك ، و دل بتوجيه^٨ الخطاب نحو أكل الخلق صلى الله عليه و سلم في السمع و البصر و البصيرة ١٥ و كل معنى إلى أن ذلك لا شبهة فيه .

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : كوكب (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : مركب (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : الشريف (ه) من ظ و م ، وفي الأصل : الأرض (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : ابل (٧) زيد في الأصل : فانهم ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخذفها (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : توجيه .

ولما كان السؤال عن ' الشيء يدل على شدة الاهتمام بالبحث عنه، به ' على أن هذا [بما - ٢] اشتدت عناية الأولين به قال: (هل ترى) أى فى شيء منها .

ولما كان هذا الاستفهام مفيدا للنفي، أعرق [فى النفي - ٢] بقوله: ٥ (من فطوره) أى خلل بشقوق وصدوع أو غيرها لتغاير ما [هى - ٢] عليه وأخبرت به من تناسبها و ' استجماعها واستقامتها ' ما يحق لها بما يدل على عزة ما فيها و بليغ غفرانه، وهذا أيضا يدل على إحاطة كل منها بما درته فانه لو كان لها ' فروج لفات / المنافع التى رتبت لها النجوم المفرقة فى طبقاتها ' أو بعضها أو كالألها، فالهواء وجميع المنافع منجسة فيها ١٠ محوطة [بها - ٢] بمضطربة متصرفة ' فيها على حسب التدبير والحيوان فى الهواء كالسمك فى الماء، لو انحبس الهواء عنه لمات كما أنه لو انكشف الماء عن السمك لمات ' .

/ ٤٢٥

ولما كان فى سياق المجازاة بالأعمال الصالحة والطالحة التى دل " عدم الاتصاف من الظالمين فى هذه الدار على أنها تكون بعد البحث

- (١) من ظ وم، وفى الأصل: على (٢) من ظ وم، وفى الأصل: معه .
 (٣) زيد من ظ وم (٤-٤) فى ظ وم: استقامتها واستجماعها (٥) زيد فى الأصل: شيء، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها (٦) من ظ وم، وفى الأصل: فيها.
 (٧) من ظ وم، وفى الأصل: طباقها (٨) من ظ وم، وفى الأصل: محسبه (٩) من ظ وم، وفى الأصل: منفردة (١٠) زيد فى الأصل: أولفات، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها (١١) زيد فى الأصل: عليها، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها .

و كانت العزة مقتضية لذلك ، و كان خلقه سبحانه و تعالى لهذا الوجود
على هذا النظام مثبتا لها ، و كانت أعمالهم أعمالا المنكر لها ، و لاسيما
تصريحهم بأنه لا بعث ، دل على عظمة عزته^١ بما أبدعه من هذا السقف
الرفيع البديع ، ثم يجعله محظوظا بهذا الحفظ المنيع ، على تعاقب الاجقاب^٢
و تكرر^٣ الستين ، فقال معبرا بأداة التراخي دالا على جلاله بادامة ه
التكرير طول الزمان : (ثم ارجع البصر) و أكد ما^٤ أفهمته الآية
من طلب التكرير بقوله تعالى : (كرتين) أى مرتين أخريين - هذا
مدلولها لغة ، و بالنظر إلى السياق علم أن المراد مرة بعد مرة لا تزال^٥
تكرر ذلك لارتداد الخلل لا إلى نهاية ، كما أن عليك ، مراد به إجابة إلى غير
غاية ، و على ذلك دل قوله سبحانه و تعالى : (ينقلب اليك) أى من غير ١
اختيار بل غلبة و إعياء و انكسار (البصر خاسئا) أى صاغرا مطرودا
[ذليلا -^٦] بعيدا عن إصابة المطلوب (وهو) أى و الحال أنه
(حسيه) أى كليل تعب معي من طول المعاودة و تدقيق النظر و بعد
المسرح ، وإذا كان هذا الحال فى بعض المصنوع فكيف يطلب^٧
العلم بالصانع فى كماله من جلاله و جماله ، فكيف بمن يتفوه بالحلول ٥
أو الاتحاد حسبه جهنم و بنس المهاد .

ولما أخبر سبحانه و تعالى عن بديع هذا الخلق ، و نبه على بعض

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : عزة (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الاحكام .
(٣) من م ، وفى الأصل و ظ : تكرر (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : بما .
(٥) من ظ و م ، وفى الأصل : لارتك (٦) زيد من ظ و م (٧) فى م : عند طلب .

دقائقه و أمر بالإبصار^١ و تكريره، و كان السامع اول ما يصبوب نظره
إلى السماء لشرفها و غريب صنعها و بديع وضعها و منيع رفعها، فكان
بحيث يتوقع الإخبار عن هذه الزينة التى رصعت بها، قال فى جواب
[من - ٢] توقعه مؤكدا بالقسم إعلاما بأنه ينبغى أن يبعد العاقل عن
إنكار شيء مما ينسب إلى صاحب هذا الخلق من الكمال، [عاطفا - ٢]
على ما تقديره : لقد كفى هذا القدر فى الدلالة على عظمة^٢ مبدع هذا
الصنع^٣ و تمام قدرته : ﴿ ولقد ﴾^٤ و استجلب الشكر بجلب المسار فقال
ناظرا إلى مقام العظمة صرفا للعقول عما اقتضاه الرحمن، من عموم الرحمة
تذكيرا بما فى الآيات الماضية، و تنبيها على ما فى الزينة بالنجوم من مزجها
بالرجوم الذى هو عذاب^٥ الجن المتمردين الطاغين^٦ : ﴿ زينا ﴾ دلالة
أخرى^٧ تدل على العظمة^٨ بعد تلك الدلالة الأولى / ١٠
أدنى السماوات إلى الأرض و هى التى تشهد و أنتم دائما^٩ تشاهدونها و هى
سقف الدار التى اجتمعتم فيها فى هذه الحياة الدنيا^{١٠} ﴿ بمصايح ﴾ أى
نجوم متقدمة عظيمة جدا، كثرتها تفوت الحصر، ظاهرة سائرة مضية
١٥ زاهرة. و هى الكواكب التى تنور الأرض بالليل إنارة السرج التى تزينون
بها سقف دوركم، فتفيد شعبة من ضوء الصباح، و التزيين بها لا يمنع أن
تكون مركوزة فيما فوقها [من السماوات - ٢] و هى تترأى لنا بحسب الشفوف

/ ٤٢٦

(١) من ظ و م، وفى الأصل : بالاستبصار (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) فى ظ
و م : مبدعه (٤) زيد فى الأصل : فقال أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م
لحذفها (٥ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٦) زيد فى الأصل : فقال،
و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٧) سقط من ظ و م .

بما للأجرام السماوية من الصفاء، و لتلك المصاييح من شدة الإضاءة.

ولما أخبر - 'جلت قدرته' - بعظيم قدرته فيها منبها على ما فيها من
 جلب المسار بتلك الأنوار و الهداية في الدين و الدنيا التي لولا هي لما
 انتفع أحد في ليل اتفعا تاما، أخبر بما فيها مع الزينة من دفع المضار
 بعبارة عامة و إن كان المراد البعض^٢ الأغلب فإن ما للرجوم منها غير ه
 ما للاهتداء و الرسوم فقال: ﴿ وجعلناها ﴾ أى النجوم من حيث
 [هي - ٢] بعظمتنا مع كونها زينة و أعلاما للهداية ﴿ رجوما ﴾ جمع
 رجم و هو مصدر و اسم لما يرمم به ﴿ للشيطين ﴾ الذين يستحقون^٣
 الطرد 'و البعد و الحرق' من الجن لما لهم من الاحتراق، 'و ذلك ييانا
 لعظمتنا' و حراسة للسما الدنيا التي هي محل تنزل أمرنا بالقضاء و القدر، ١
 و إزال هذا الذكر* الحكيم ثلا يفسدوا باستراق السمع منها على الناس
 دينهم الحق، و يلبسوا عليهم أمرهم بخلط الحق الذى ختمنا به الأديان
 بالباطل، فيخرجوهم - لأنهم أعداؤهم - من النور إلى الظلمات [كما - ٢]
 كانوا في الجاهلية مع ما فيها بما خلق سبحانه فى أمرجتها من ترطيب
 و تجفيف و حر و برد و اعتدال ينشأ عنه الفصول الأربعة و قهرها به ٥١
 من شروق و غروب و حركة و سكون يعرف بها ما إليه المآل، بما
 أخبرت به الرسل من الزوال، مع ما يدل من الليل و النهار و العشى

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) زيد فى الأصل: اعم، و لم تكن
 الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ و م: يحق لها .
 (٥) زيد فى الأصل: حراسة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها .

والأبكار و أشياء بكل عنها الوصف في ذواتها وعن إحصاء منافعها حتى
لو عدم^١ شيء مما في السماوات مما دبره الحكيم لصلاح^٢ هذا العالم يهلك
كل حيوان و نبات على وجه الأرض، و الشهاب المرجوم به منفصل
من نار^٣ الكواكب و هو قار^٤ في فلكه على حالة كقبس النار يؤخذ
منها و هي باقية^٥ على حالها لا تنقص، و ذلك مسوغ لتسميتها بالرجوم،
فإن لحقه الشهاب منهم قتله أو ضعضع أمره و خبله، و يحتمل مع ذلك أن
يكون المراد: ظنونا لشياطين الإنس و هم المتجمون يتكلمون بها رجما بالغيب
في أشياء هي^٦ من عظيم^٦ الابتلاء ليتبين الموقن من المزلزل و العالم
من الجاهل، و في البخارى^٧: قال قتادة: خلقت النجوم لثلاث: زينة
للسماء، و رجوما للشياطين، و علامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير^٨
ذلك أخطأ و أضاع نصيبه و تكلف بما لا علم له به. / و لما كان التقدير:
و رجماهم بها بالفعل عند استراقهم للسمع إبعادا لهم عن مسكن المكرمين
و محل الزمامة و الانس و مهبط القضاء و التقدير، و نكالا لغيرهم من
أمثالهم عذابا لهم في الدنيا، عطف عليه قوله ترهيبا من جلاله بعد
١٥ ما رغب في عظيم جماله^٩: ((واعتدنا)) أى^{١٠} هيأنا في الآخرة مع هذا

/ ٤٢٧

- (١) من ظ و م، وفي الأصل: ان (٢) من ظ و م، وفي الأصل: من صلاح.
(٣) زيد في الأصل: أى من نار، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها.
(٤) من ظ و م، وفي الأصل: مادر (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ و م.
(٦-٦) من ظ و م، وفي الأصل: عظيمة (٧) راجع ٤٥٤/١ (٨) من ظ و م،
وفي البخارى: بغير، وفي الأصل: خلاف (٩) من ظ و م، وفي الأصل: جلاله.
(١٠) زيد في الأصل: بما، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها.

الذى فى الدنيا بما لنا من العظمة ﴿لهم﴾ اى الشياطين 'الذين يسترقون' السمع' ﴿عذاب السعيرة﴾ اى [النار-^٢] التى هى فى غاية الانتقاد، 'فى الآيه'^٢ بشاره لاهل السمع والبصر والعقل 'وفىها من التنبيه ما لا يخفى' .
ولما أخبر سبحانه عن تهيته العذاب لهم بالخصوص . أخبر أيضا 'عن تهيته' لكل عامل باعمالهم على وجه اندرجوا هم فيه فقال حاشا ه على التفكير فى عظيم انتقامه الخارج عن العادة 'فى عدم الانطفاء' .
لكونه [ليس -^٢] - بسيف ولا عصا . ولا بسوط ونحوه بل النار الخارجة عن العادة فى 'عدم الانطفاء' . ولا للعذب من الخلاص منها 'مسلك ولا رجاء' . [بل -^٢] كلما طال الزمان تلقته بالشدّة والامتداد ، بنس الجامعة 'للاذام' 'فى كل انتقام مع الإمامة والاحتقار' ١٠
﴿وللذين كفروا﴾ [اى أوقعوا -^٢] التغطية لما [من -^٢] حقه ان يظهر ويشهر من الإذعان للاله ، فقال صارفا القول عن مقام العظمة إلى صفة الإحسان الخاصة بالترية تنبيها على ما فى إنكاره من عظيم الكفران : ﴿بربهم﴾ اى الذى تفرد بإيجادهم والإحسان اليهم فانكروا إيجاده لهم بعد الموت وذلك كفرا منهم' بما شاهدوا من اختراعه لهم ١٥
من العدم ﴿عذاب جهنم^٣﴾ اى الدركة النارية التى تلقاهم بالتجهيم

(١-١) سقط ما بين الرقيبتين من ظ وم (٢) زيد من ظ وم (٣-٣) فى ط وم :
فلاية (٤-٤) سقط ما بين الرقيبتين من م (٥) سقط من ظ وم (٦-٦) من ظ وم ، وفى الأصل : بنهته (٧) زيد من م (٨) من ظ وم ، وفى الأصل : عن -
(٩) من ظ وم ، وفى الأصل : الجامع (١٠) زيد فى الأصل : بل ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها .

و العبوسة و الغضب .

ولما كان التقدير: هي مصيرهم، قال دالا على عدم خلاصهم منها أصلا أزلا و أبدا: ﴿ و بئس المصير ﴾ أي هي ^١.

ولما عبر ^٢ عن ذمها ^٣ بمجمع المذام، اتبعه الوصف لبعض

٥ تجهمها على وجه التعليل، فقال دالا بالإلقاء على خساستهم و حقارتهم

معبرا بأداة التحقيق دلالة على أنه أمر لا بد منه، و بالبناء للفعول على

أن إلقاءهم في غاية السهولة على كل من يؤمر به: ﴿ إذا القوا ﴾ أي

طرح الذين كفروا [و - ٢] الإخساء من أي ^٤ طارح أمرناه بطرحهم

﴿ فيها ﴾ حين تعلمهم ^٥ الملائكة فطرحهم كما تطرح الحطب ^٦ في النار

١٠ ﴿ سمعوا لها ﴾ أي جهنم نفسها ﴿ شهيقا ﴾ أي صوتا هائلا أشد

نكارة من أول صوت الحمار لشدة توقدها و غليانها، أو لاهلها - على

حذف مضاف ﴿ وهي تفور ﴾ أي تغلي بهم كغلي الرجل بما فيه

[من - ٧] شدة التلهب و التسمر، فهم لا يزالون فيها صاعدين هابطين

كالخب إذا كان [الماء - ٨] يغلي به، لا قرار لهم أصلا .

١٥ ولما وصفها بالفوران، بين سببه تمثيلا لشدة ^٩ اشتعالها عليهم

فقال: ﴿ تكاد تميز ﴾ أي تقرب [من - ٧] أن يفصل بعضها من

(١) زيد في الأصل: النار، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٢ - ٣) من

ظ و م، وفي الأصل: بذمها (م) زيد من ظ (٤) من ظ و م، وفي الأصل:

كل (٥) من ظ و م، وفي الأصل: تعلمهم (٦ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

(٧) زيد من ظ و م (٨) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ و م لحذفها .

٤٢٨ /

/ بعض كما يقال : يكاد فلان ينشق من غيظه و فلان غضب فطارت
 شقه منه في الأرض و شقه في السماء - كناية عن شدة الغضب (من الغيظ^١)
 أى عليهم، وكأنه حذف إحدى التائين إشارة إلى أنه يحصل [منها -^١]
 اقتراق و اتصال على وجه من السرعة لا يكاد يدرك حق الإدراك ،
 و ذلك كله لغضب سيدها ، و تأتى يوم القيامة تقاد إلى المحشر بألف ٥
 زمام لكل زمام سبعون ألف ملك يقودونها به ، و هى شدة الغيظ
 تقوى على الملائكة و تحمل على الناس فتقطع الأزيمة^٢ جميعا و تحطم
 أهل المحشر فلا يردوا عنهم إلا النبي صلى الله عليه و سلم يقابلها بنوره
 فترجع مع أن لكل ملك من القوة ما لو أمر [به -^١] أن يقتلع
 الأرض و ما عليها من الجبال و^٢ يصعد بها في^٣ الجو فعل من غير ١٠
 كلفة ، و هذا كما أطفأها في الدنيا بنفخة كما رواه الجماعة إلا الترمذى
 و هذا لفظ أبى داود^٤ عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال :
 انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم - فذكر صلاته
 الى أن قال : ثم قفخ في آخر سجوده فقال : أف أف ألم تعدنى أن لاتعذبهم^٥
 و أنا فيهم^٦ و هم يستغفرون ، و فى رواية النسائى أنه قال : قال صلى الله ١٥
 عليه و سلم : لقد أدنيت منى النار حتى جعلت ألفتها خشية أن تنشاكم .
 و لما ذكر سبحانه حالها ، اتبعه حالهم فى تعذيب القلب باعتقادهم

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الامته (٣) من ظ و م ،
 و فى الأصل : ثم (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الى (٥) راجع السنن ١ / ١٧٦ .
 (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ و م .

أنهم ظلمة على وجه . بين السبب في عذابهم وزجرا عنه فقال : ﴿ كَلِمَاتٍ ﴾
 و لما ' كان المنكى . مجرد الإلقاء بنى للفعول دلالة على ذلك و على
 حقارتهم بسهولة إلقائهم قوله ' : ﴿ أَلْقَى فِيهَا ﴾ أى ' جهنم يدفع الزبانية
 بهم الذين هم اغيظ عليهم من النار ﴿ فُوج ﴾ أى جماعه هم فى غاية
 ٥ الإسراع موجفين مضطربى الأجواف من شدة السوق ' ﴿ سَالَهُمْ ﴾
 أى ذلك الفوج ﴿ خَزَنَتَهَا ﴾ أى ' النار سؤال توبيخ و تقريع و إرجاف .
 و لما كان ذاته قيل : ما كان سؤالهم ؟ قال : قالوا موجنين لهم مبتكين
 محتجين عليهم فى استحقاقهم العذاب زيادة فى عذابهم بتعذيب أرواحهم
 بعد تعذيب اشباحهم : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ ﴾ أى فى الدنيا ﴿ نَذِيرُهُ ﴾ أى يخوفكم
 ١٠ هذا العقاب . و يذكركم بما حل بكم و بما حل بمن قبلكم من المثلات ،
 لتكديهم بالآيات ، و يقرأ عليكم الكتب المنزلات ﴿ فَالْوَالِي ﴾ و لما
 طاق هذا الجواب فتوقع السامع لإيضاحه . افصحوا بما أفهمه و شرحوه
 تأسفا على انفسهم بما حل بهم . تحسرا فقالوا : ﴿ قَدْ جَاءَنَا ﴾ و اظهروا
 موضع الإضمار تأكيداً و تنصيها فقالوا ' : ﴿ نَذِيرُهُ ﴾ أى مخوف ببلغ
 ١٥ التحذير ﴿ فَكَذَّبْنَا ﴾ أى فسبب عن مجيئه أننا اوقعنا التكذيب بكل

(١) من ظ و م ، و فى لاصل : كلمة (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فيها .
 (٣) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م
 و فى الأصل : الاسواق (٥) زيد فى الأصل : حزمة ، و لم تكن الزيادة فى ظ
 و م فحذفناها (٦) زيد فى الأصل : اطاق و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
 (٧) زيد فى الأصل : جاءنا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

ما قاله النذير ﴿ و قلنا ﴾ أى زيادة فى التكذيب ' او النكايه له والعناد
الذى حل شؤمه بنا: ﴿ ما نزل الله ﴾ أى الذى له الكمال كله عليكم
و [لا - '] على غيركم ، و لعل التعبير بالتفعيل إشارة إلى إنكارهم الفعل
بالاختيار الملازم للتدريج - تعالى الله عن / ذلك علوا كبيرا ، وأغرقنا
فى النفى قلنا: ﴿ من شئ مـ طـ ﴾ لا وحيا ولا غيره ، وما كفانا هذا الفجور ه
حتى قلنا مؤكدين : ﴿ ان ﴾ أى ما .
ولما كان تكذيبهم برسول واحد تكذيبا لجميع الرسل قالوا
عنادا^٢: ﴿ اتم ﴾ أى ابها النذر المذكورون فى «نذير» المراد به الجنس ،
وفى خطاب الجمع إشارة ايضا إلى ان جواب الكل للكل كان متحدا
مع افتراقهم فى الزمان حتى كأنهم كانوا [على - '] ميعاد ١٠
﴿ الا فى ضلل ﴾ أى بعد عن الطريق و خطأ و عى محيط بكم
﴿ كبيره ﴾ فبالغنا فى التكذيب و السفه بالاستجهاال و الاستخفاف .
ولما حكى سبحانه ما قالوه للغزوة تحسرا على انفسهم حكى ما قالوه
بعد ذلك فيما بينهم زيادة فى التحزن و مقنا لأنفسهم بأنفسهم فقال تعالى :
﴿ وقالوا ﴾ أى الكفرة زيادة فى توبيخ أنفسهم : ﴿ لو كنا ﴾ أى ١٥
بما هو لنا كالغريزة .

ولما كان السمع أعظم مدارك العقل الذى هو مدار التكليف
قالوا : ﴿ نسمع ﴾ أى سماعا ينفع بالقبول للحق و الرد للباطل
﴿ او نعقل ﴾ أى بما أدته إلينا حاسة السمع و غيرها عقلا ينجى و إن

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ و م (٢) زيد من م (٣) سقط من ظ و م .
(٤) زيد من ظ و م .

لم يكن سمع ، وإنما قصرُوا الفعلين إشارة إلى إن ما كان لهم من السمع
و العقل عدم لكونه لم يدفع عنهم هذا البلاء بالقبول من الرسل لما
ذكروهم به من نصائح ربهم وشهادة الشواهد من الآيات البينات
(ما كنا) أى كونا دائما (فى أصحاب السعير) أى فى عداد من
أعدت له النار التى هى فى غاية الاتقاد والحر والتلهب^١ والتوقد^٢
حتى كأن بها جنونا ، وحكم بخلودهم فى صحبتها ، وأعظم ما فى هذا من
العذاب بكونهم الجثوا إلى أن ياشروا^٣ تويخ أنفسهم ومقتها بأنفسهم
انه لا يقبل منهم خروجا عن العادة فى الدنيا^٤ من أن الانسان إذا
أظهر الخضوع باعترافه ولومه نفسه وإنصافه رحم وقبل ، وفى الآية
أعظم فضيلة للعقل^٥ ، روى ابن المحبر فى كتاب العقل والحارث عن
أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل
شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته ، اما^٦ سمعتم
قول الفجار لو كنا نسمع^٧ أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير^٨ .

ولما كان هذا الإقرار زائدا فى ضررهم ، وإنما كان يسكون نافعا
١٥ لهم لو قالوه فى دار العمل وندموا عليه وأقلعوا عنه ، سبب عنه قوله
ضاماً - إلى ما تقدم من تعذيب أرواحهم بمقت الملائكة لهم ثم مقتهم

(١-١) سقط ما بين الرمين من ظ وم (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : يباشروا .
(٣) من ظ وم ، وفى الأصل : الدين (٤) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن
الزيادة فى ظ وم لحذفها (٥) من ظ وم ، وفى الأصل : لها (٦-٦) فى ظ
وم : الآية .

لأنفسهم^١ - مقت الله لهم : ﴿ فاعترفوا ﴾ أى بالغوا جامعين إلى مقت الله
وملائكته لهم مقتهم لأنفسهم فى الاعتراف وهو الإقرار عن معرفة^٢ .
ولما كان الذى أوردتم المهالك هو الكفر الذى تفرعت عنه
جميع المعاصى ، أفرد فقال تعالى : ﴿ بذنبهم ج ﴾ أى فى دار الجزاء كما كانوا
يالفون فى التكذيب فى دار العمل فلم [يكن - ٣] ينفعهم لقوات محله ، ه
أو أنه لم يجمع الذنب إشارة إلى أنهم كانوا كلهم فى المبالغة فى التكذيب
على حد واحد ، كما قال تعالى كذلك ما أتى الذين / من قبلهم من رسول
الآ قالوا ساحر أرمجون أتواصوا به بل هم قوم طاعون ، أو أن الأفراد
أشد فى التحذير من كثير^٤ الذنوب وقليلها^٥ حقيرها وجليها .

ولما كانوا قد أبلغوا فى كل^٦ الدارين فى إبعاد انفسهم عن مواطن ١٠
الرحمة وتسفيلها إلى محال^٧ النعمة أتبع ذلك وسبب قوله : ﴿ فسحقا ﴾
أى بعدا فى جهة السفلى وهو دعاء عليهم مستجاب^٨ ﴿ لاصحب ﴾
وأظهر تنبيها على عظيم توقدها وتفيظها وتهدها فقال : ﴿ السعيرة ﴾ أى
الذين قضت عليهم أعمالهم بملازمتها .

(١) زيد فى الأصل : ثم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٢) فى الأصل
بياض ملأناه من ظ و م (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل :
الافراد (٥) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .
(٦) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م لحذفها (٧) من ظ ، وفى
الأصل و م : تلك (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : حاة (٩) زيد فى الأصل :
وذلك ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

ولما ذكر سبحانه اهل المعاملة بصفة العزة لما حصل لهم من العزة،
أتبعهم أضدادهم المطوعين أنفسهم ' لإشارة العقل ' المأهلين لتعت
المعرفة ، فقال مؤكدا لما للأضداد من التكذيب : (ان الذين يخشون)
اي يخافون [خوفاً - ٢] أرق ٢ قلوبهم وأرق ٢ غيرهم بحيث كانوا كالحب
٥ على المقل لا يقر لهم قرار من توقعهم العقوبة ، كلما ازدادوا طاعة
ازادوا خشية ، يؤتون ما آتوا و قلوبهم وجلة فوقوا أنفسهم فوران
النار بهم ، وعدل عن سياق الجلالة الجامع إلى صفة الإحسان تنبيها على
أنهم غلب عليهم النظر إلى الإحسان فقادهم إلى الشكر مع ما نهت *
عليه الحشية من اتصافهم بالفرق الذي أدام إلى الذعر فقال : (رهم)
١٠ الذي أحسن إليهم يتطویرهم بما جعل لهم من الاسباب في أطوار الخير
وإذا كانوا يخشونه مع نظرهم ٦ إلى صفة إحسانه فاظنك بهم عند النظر
إلى صفات انتقامه (بالغيب) أى حال كونهم غائبين عنه سبحانه
ووعيده غائبا عنهم وهم غائبون عن أعين الناس وقد ملا الخوف ما غاب
عنهم عن الناس وهى قلوبهم فهم مع الناس يتكلمون و قلوبهم تنلظي
١٥ بنيران ٧ الخوف و تكلم بسيف الهيبة ، فيتركون المعصية حيث
لا يرام أحد من الناس ! ولا يكون لهم هذا إلا بريضة عظيمة لما عند

(١-١) من ظ وم ، وفي الأصل : اشارة لعقل (٢) زيد من ظ وم (٣) من ظ
وفي الأصل : وم ، رقة (٤) من ظ وم ، وفي الأصل : فكلمنا (٥) من ظ وم ، وفي
في الأصل : ريد نهنا ، ولم تكن الزيادة في ظ وم (٦) من ظ وم ، وفي الأصل :
فطهرهم (٧) من ظ وم ، وفي الأصل : نبار .

الناس من القهى الموجبة للطغيان ، قال بعض العارفين : فى الإنسان
 [خواص - ١] يستدعى العلم بما يشوبها من الحظوظ فتشأ منها
 - والعباد بالله - المنازعة فى الكبرياء والعظمة والجلال والجمال ، فالقلب
 يستدعى التفرد بالوجود والامر والنهى ، فما من احد إلا وهو مستبطن
 ما قال فرعون ، ولكن لا يحد له مجالا كما وجد^٢ فرعون ، والعقل ه
 يستدعى فى تدبيره وتأثيره اعتقاد أنه لو مكن من الوجود لدبره ، ويرى
 أن تدبيره هو التدبير وإن كان أفسد الفاسد ، وكذلك^٣ لا يزال يقول :
 لو^٤ كان كذا^٥ لكان كذا ، والنفس لا تتخيل أنها من القوة
 والاقدار بحيث لو ارادت أن تخرب مدنا وتبنيها / فعلت ، فليحذر الإنسان / ٤٣١
 فان أعدى عدوه^٦ نفسه^٧ التى هى بين جنبيه^٨ ، فهما تركها انتشرت ، ١٠
 قال تعالى^٩ : كلا ان الإنسان ليطغى ان رآه استغنى ، وينسى ما بعدها
 : إن إلى ربك الرجعى ، ولهذا كان بعض الأكاسرة - وكانوا أعقل الملوك -
 يرب واحدًا يكون وراه بالقرب منه ، [يقول له - ١] إذا اجتمعت
 جنوده بعد كل قليل^{١٠} : أنت عبد ، لا يزال^{١١} يكرر ذلك^{١٢} ، والملك يقول
 له كلما قاله^{١٣} : نعم ، فعلى العاقل أن يطوع نفسه لأن ترجع مطمئنا بان ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : قال (٣) من ظ و م ، وفى
 الأصل : لذا (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : لولا (٥) تكرر فى الأصل فقط .
 (٦) فى ظ و م : عدوله (٧ - ٧) سقط ما بين الرقنين من ظ و م (٨) زيد فى
 الأصل : يقول ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفنا (٩ - ٩) من ظ و م ، وفى
 الأصل : يكررها (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : قلما .

يرضى بالله ربا ليدخل في رق العبودية ، و بالإسلام ديناً ليصير عريقاً فيها ، فلا ينازع الملك في رده الكبريا و إزاره العظمة و تاجه الجلال و حلة الجلال ، و لا ينازعه فيما يديره^١ من الشرائع^٢ ، و يظهره من المعارف ، و يحكم به على^٣ عبيده من قضائه و قدره .

٥ و لما كانت الخشية مشيرة إلى^٤ الذنوب ، فكان^٥ أم ما إليهم^٦ الإراحة منها^٧ قال تعالى : ﴿ لهم مغفرة ﴾ أى ستره^٨ عظيمة تأتي على جميع ذنوبهم .

و لما كان السرور إنما يتم بالإعطاء قال : ﴿ و اجر ﴾ أى من فضل الله ﴿ كبيره ﴾ يكون لهم به من الإكرام ما ينسيهم ما قاسوه ١٠ فى الدنيا من شدائد الآلام ، و تصغر فى جنبه لذائد الدنيا العظام^٩ . و لما كانت الخشية من الأفعال الباطنة ، و كان كل أحد يدعى أنه يخشى الله ، قال مخوفاً لهم بعلبه نادياً إلى مراقبته لئلا يغتروا بحمله ، عاطفاً على ما تقديره لإيجاب المراقبة : فأبطنوا أفعالهم^{١٠} و أظهروها : ﴿ و اسروا ﴾ أى أيها الخلائق .

١٥ و لما كان أفراد الجنس دالا على قليله و كثيره قال : ﴿ قولكم ﴾

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : دبر (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : ابدائع .
 (٣) زيد فى الأصل . عبد من ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) زيد فى الأصل : ترك ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : فكانت (٦ - ٦) من ظ و م ، وفى الأصل : الرحة (٧) سقط من ظ و م (٨) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .
 (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : أعمالهم .

أى خيرا كان أو شرا (أو اجهروا به^١) فانه يعلمه ويجازيكم به لأن
 علمه لا يحتاج إلى سبب، وذلك أن المشركين كانوا يقولون: أسروا
 وإلا يسمع إله محمد: ثم علل ذلك مؤكدا لأجل ما للناس من استبعاد
 ذلك بقوله: (انه) أى ربكم (عليم) أى بالغ العلم (بذات الصدوره)
 أى بحقيقتها وكنهها وحالها وجلتها وما يحدث عنها سواء كانت قد
 تخيلته ولم^٢ تعبر عنه، أو كان بما لم تتخيله بعد بدليل ما يخبر به سبحانه
 وتعالى عنهم بما وقع و هم يخفونه، أو لم يقع بعد ثم يقع كما أخبر به سبحانه؛
 ثم دل على ذلك بقوله معجبا بمن يتوقف فيه^٣ أدنى توقف ومنكرا عليهم
 بآثبات العلم ونفى ضده على أبلغ وجه: (الا يعلم) أى و كل ما يمكن
 ان يعلم، وحذف المفعول للتعميم^٤، ثم ذكر الفاعل واصفا له بما يقرب
 المخبر [به -^٥] [للافهام فقال: (من خلق)] أى الذى أوجد الخلق
 من القلوب الحاوية للاسرار والابدان وغير ذلك، وطبع فى كل
 شىء من ذلك ما طبع بما قدره بعلمه وأتقنه بحكمته، فان كل صانع
 أدرى بما صنعه، ويجوز - وهو احسن - أن يكون «من» مفعولا والفاعل
 مستترا، أى^٦ «ألا يعلم» الله مخلوقه / على الإطلاق وله صفتا اللطف والخبر ١٥ / ٤٣٢

اللتان شأنهما إدراك البواطن إدراكا لا يكون مثله لأن الغرض إثبات
 العلم لما أخفوه لظنهم انهم إذا أسروا يخفى، لا إثبات مطلق العلم فانهم

(١) من ظ و م، وفى الأصل: ما (٢) من ظ و م، وفى الأصل: منه (٣) من
 ظ و م، وفى الأصل: للتفهيم (٤) زيد من ظ و م (هـ-هـ) من ظ و م، وفى
 الأصل: لا يعلمه (٦) فى الأصول: صفة .

لم يسكروم ﴿ و هو ﴾ أى و الحال أنه هو ﴿ اللطيف ﴾ [اى - ٢]
 الذى يعلم ما به^٢ فى القلوب^٣ لانه يصل إلى الاشياء بأضدادها فكيف
 بغير ذلك^٤ ﴿ الجبير ﴾ أى بالغ العلم بالظواهر و البواطن فكيف يخفى
 عليه شيء من الاشياء، و هو أعظم تهديد يكون، فان من علم^٥ أن
 هـ من يعصيه علما به و هو قادر عليه لا يعصيه أبدا .

و لما كان ذلك أمرا غامضا، دل عليه بأمر مشاهد أبده بلفظه
 و أتقنه بخبرته لاستدعاء الشكر من عباده على ما أبدع لهم و من عليهم^٦
 به من النعم الباهرة التى بها قوامهم^٧. ولولاه لما كان لهم بقاء فقال
 مستأنفا: ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى جعل لكم ﴾ لتوصلوا إلى ما ينفعكم^٨
 ١٠ ﴿ الارض ﴾ على سعتها و عظمها^٩ و جزوة كثير منها ﴿ ذلولا ﴾
 أى مسخرة لا تمتنع، قابلة للانقياد لما تريدون^{١٠} منها من مشى و إنباط
 مياه و زرع حبوب و غرس اشجار و غير ذلك غاية الانقياد، بما تفهمه
 صيغة المبالغة مع أن فيها أماكن خواراة تسوخ فيها الأرجل و يغوص
 فيها ما خالطها، و مواضع مشتبكة بالاشجار يتعذر أو يتعسر سلوكها، و أماكن

(١) من ظ و م ، وفى الأصل: الخبير (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) فى الأصل
 بياض ملأناه من ظ و م (٤) زيد فى الأصل: وانه تعالى هو، ولم تكن الزيادة
 فى ظ و م لحذفناها (هـ) من ظ و م ، وفى الأصل: يعلم (٦) من ظ و م ، وفى
 الأصل: عليه (٧) من ظ و م ، وفى الأصل: قوامهم (٨) زيد من الأصل: من ،
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٩) من ظ و م ، وفى الأصل: عظمتها .
 (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل: يريدونه .

١ ملأى سباعا و حيات ١ و غير ذلك من الموانع ، و اما كن هي جبال شاهقة إما يتعذر سلوكها كجبل السد نيتنا و بين ياجوج و ماجوج ٢ ، ورد في الحديث أنه تزلق عليه الارجل و لا تثبت ، أو يشق سلوكها ، و مواطن ٣ هي بحور عذبة أو ملحة فلو شاء لجعلها كلها كذلك ليكون بحيث لا يمكن الارتفاع بها ، فبا قسمها إلى سهول و جبال و برور ٥ و بحور و أنهار و عيون و ملح و عذب و زرع و شجر و تراب و حجر و رمال و مدر و غير ذلك إلا لحكمة بالغة و قدرة باهرة ، لتكون قابلة لجميع ما تريدون منها ، صالحة لسائر ما ينفعكم فيها ٤ .

ولما كان معنى التذليل ما تقدم ، سبب عنه قوله تمثيلا لغرض التذليل لأن منكبي البعير و ملتقاهما من الغارين أرق ٥ شيء و أبناء ١٠ عن أن يطأه الراكب بقدمه و يعتمد عليه : ﴿ فامشوا ﴾ [أى - ١] الهوينا مكتسبين و غير مكتسبين إن شئتم من غير صعوبة توجب لكم وثبا أو حبا ﴿ في مناكبها ﴾ أى أماكنها التى هى لولا تسهيلنا لمناكب الحيوانات لكانوا ٦ يتكبون عن الوقوف عليها ، فكيف بالمشى ، [و - ١] قال ابن عباس رضى الله عنها ٧ : إنها ٨ الجبال - لأن تذليلها أول دليل ٩ ١٥

(١ - ١) من ظ و م ، وفى الأصل : قدملت من الحيات و السباع (٢) زيد فى الأصل : لانه ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لغذقتها (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : مواضع (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : منها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : ادق (٦) زيد من ظ و م (٧) سقط من ظ و م (٨) راجع المعالم بهامش الباب ٧ / ١٠٥ (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : هى .

على تذليل غيرها ، وليكن مشيتكم فيها و تصرفكم بذل وإخبات
وسكون^١ استصغارا لانفسكم وشكرا لمن سخر لكم ذلك - 'واؤه الهادي' .

ولما ذكر سبحانه انه يسرها للنهي ، ذكرهم بأنه سهلها لإخراج الخيرات

/٤٣٣

والبركات / قال : ﴿ واكلوا ﴾ ودل على أن الرزق فوق الكفاية^٢ بقوله :

هـ ﴿ من رزقه^٣ ﴾ أى الذى أودعه لكم فيها و أمكنكم من إخراجها بضد

ما تعرفون^٤ من أحوالكم فان الدفن فى الارض مما يفسد المدفون

ويجمله إلى جوهرها كما يكون لمن قبرتموه فيها ، ومع ذلك فأنتم تدفنون

الحب وغيره مما ينفعكم فيخرجه لكم سبحانه على أحسن ما تريدون

ويخرج لكم^٥ من^٦ الأقوات والفواكه والأدهان والملابس ما تعلمون ،

١٠ و كذلك النفوس هى صعبة كالجبال وإن قدتها للخير انقادت لك كما

قيل : هى النفس ما^٧ عودتها تتعود ، .

ولما كان التقدير للبعث على الشكر و التحذير^٨ من الكفر :

و اعبدوه جزاء على إحسانه إليكم و تربيته لكم . فنه مبدأ^٩ جميع ذلك ،

عطف عليه ما يدعو إلى الحياء من السيد والتجمل من توبيخه عند

١٥ لقائه فقال : ﴿ و اليه ﴾ أى وحده ﴿ النشور^{١٠} ﴾ وهو إخراج جميع

الحيوانات التى أكلتها الارض و أفسدتها ، يخرجها فى الوقت الذى يريده

(١) زيد فى الأصل : ذلك ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها ، ٢-٣) سقط

ما بين الرعين من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : الكفاف (٤) من

ظ و م ، وفى الأصل : تعرفونه (٥) فى م : لهم (٦) من ظ ، وفى الأصل و م :

منه (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : ان (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : التحديد .

(٩) من ظ و م ، وفى الأصل : مبتدا .

- على ما كان كل منها [عليه - '] عند الموت كما أخرج تلك الارزاق،
لا فرق بين هذا و ذاك ، غير أنكم لا تأملون [فيسألکم - '] عما كنتم
تعملون ، فيا فوز من شكر و ياهلاك من كفر ، فان هذا أبث شيء على
الشكر ، وأشد شيء لإبعادا عن العصيان لا سيما الكفر ، لما قرر من حاجة
الإنسان ، [و - '] الإحسان [إليه - '] بأنواع الإحسان . ٥
- ولما لم يكن بعد الاستعطاف إلا الإنذار على الخلاف ، قال مهديا
للكاذبين بعذب دون عذاب جهنم ، منكرنا عليهم الأمان بعد إقامة
الدليل على أن يده الملك ، وأنه قادر على ما يريد منه بأسباب جنوده
' و بغير سبب ، مقررا ' بعد تقرير حاجة الإنسان و عجزه أنه [لا حصن
له و - '] لا مانع له بوجه من عذاب الله ، فهو دائم الافتقار ملازم ١٠
للصغار : (وامنتم) أى ايها المكذبون ، و خاطبهم بما كانوا يعتقدون
مع أنه [إذا - '] حمل على الرتبة و أول السماء بالعلو أو جعل كناية
عن التصرف لأن العادة جرت غالبا أن من كان فى شيء كان متصرفا فيه
صح من غير تأويل فقال : (من فى السماء) أى على زعمكم العالية قاهرة
لكم ، أو ' المعنى : من الملائكة الغلاظ الشداد الذين صرفهم فى ' مصالح ١٥
العباد ' ، أو المعنى : فى غاية العلو رتبة ، أو أن ذلك إشارة إلى أن فى
السماء أعظم أمره لأنها ترفع إليها أعمال عباده و هى مهبط الوحي
-
- (١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : مقررا بغير سبب تقريرا .
(٢-) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فخذتها (٤-٤) من ظ و م ،
وفى الأصل : المصالح .

و منزل القطر و محل القدس و السلطان و الكبرياء و جهة العرش و معدن
المطهرين و المقربين من الملائكة الذين أقامهم الله في تصريف أوامره
و نواهي، و الذي دعا إلى مثل هذا التأويل الساتع الماشي على لسان العرب
[قيام - ١] الدليل / القطعي على أنه سبحانه ليس بمتحيز في جهة لأنه
محيط فلا يحاط به، لأن ذلك لا يكون إلا لاحتاج؛ ثم أبدل من «من»
بـ «بـ» احتمال فقال: (ان) .

و لما كانت قدرته على ما يريد بلا واسطة كقدرته بالواسطة،
و قدرته إذا كان الواسطة جمعا كقدرته إذا كان واحدا، لأن الفاعل
على كل تقدير حقيقة هو لا غيره، و قد بما يقتضيه لفظ «من» إشارة إلى
١٠ هذا المعنى سواء أريد بـ «من» هو سبحانه أو ملائكته أو واحد منهم
[فقال - ١]: (يخسف) أى أأمنتم خسفه، و يجوز أن يراد بـ «من»
الله سبحانه و تعالى كما مضى خطابا على زعمهم و ظنهم أنه في السماء و إلزاما
لهم بأنه كما قدر على الإمطار و الإنبات و غيرهما من التصرفات في الأرض
فهو يقدر على غيره (بكم الأرض) كما خسف بقارون و غيره .

١٥

و لما كان الذي يخسف به من الأرض يصير كالساقط في الهواء
[وكان الساقط في الهواء - ١] | يصير يضرب، سبب عن ذلك قوله:
(فاذا هي) أى الأرض التي آتم بها (تمورا) أى تضرب و هي
تهوى بكم و بحرى هابطة في الهواء و تنكفاً إلى حيث شاء سبحانه،

(١) زيد من ظ و م (٢) من م، و الأصل و ظ: واحدا (٣) من ظ و م،
و في الأصل: يغبط .

قال في القاموس : المور الاضطراب و الجريان على وجه الأرض
والتحرك .

ولما كانوا ربما استبعدوا الحسنة . و كانوا يجهلون ما ينزل من
السماء من الندى و الأمطار و الصواعق ، عادل بذلك قوله : (ام امنتم)
أى أيها المكذبون ، و كرر لهم ذكر ما يخشونه زيادة في الترهيب فقال : ه
(من فى السماء) على التقدير (أن يرسل عليكم) 'أى من السماء'
(حاصبا) أى [حجارة - ٢] يحصبكم - أى يرميكم - بها مع ربح عاصف
بقوتها كما وقع لقوم لوط : اصحاب الفيل .

ولما كان ' هذا الكلام إنذارا عظيما ووعظا بليغا شديدا ،
وكان حالهم عنده ' مترددا بين إقبال و إدبار ، سبب عنه على تقدير ١٠
إدبارهم بتماديهم بما للانسان من النقصان قوله متوعدا بما يقطع القلوب :
ولفت القول إلى مقام التكلم إيذانا بشديد الغضب : (فستعملون)
أى عن قريب بوعد ' لا خلف فيه فى الدنيا ثم ' فى الآخرة .

ولما كان العلم بكيفية الشيء أعظم من العلم بمطلق ذلك الشيء
لأنه يلزم من العلم بها العلم ' بمطلق ذلك الشيء ' ، و كان ما هو ١٥

(١) زيد فى الأصل : أى من السماء ان يسقط ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
لحذفناها (٢ - ٣) من ظ و م ، وفى الأصل : بقدرته (٣) زيد من ظ و م .
(٤) زيد فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٥) سقط من
ظ و م (٦) من ظ ، وفى الأصل و م : عندهم (٧) فى ظ و م : بوعد (٨) من
ظ و م ، وفى الأصل : ولا (٩ - ١٠) فى ظ و م : به .

بحيث يسأل عنه لا يكون إلا عظيما قال : ﴿ كيف نذيره ﴾ اى
إنذارى البليغ إذا شاهدتم العذاب و هو بحيث لا يستطاع ، ولا تتعلق
الاطماع بكشف له ولا دفاع ، وحذف الياء منه [و - '] من «نكير»
إشارة إلى أنه وإن كان خارجا عن الطرق ليس منتهى مقدوره بل
هـ لديه مزيد ، لا غاية له بوجه ولا تحديد .

ولما كان من المعلوم أن المأمور بأبلاغهم ^٢ وإنذارهم ^١ هذا
الإنذار ^٢ صلى الله عليه وسلم ^١ في غاية ^٢ / الرحمة لهم [والشفقة عليهم - ']
فهو بحيث يشق عليه غاية المشقة ما أفهمه هذا الكلام من إهلاكهم
أن يصدقوا ، [و - '] يجب التأني بهم ، لفت سبحانه الخطاب إليه
١٠ عاطفا على ما تقديره : فلقد طال إمهالنا لهم وحلنا عنهم و تعريفنا لهم
بعضيم قدرتنا وهم لا يرجعون وكثر وعظنا لهم وتصريفنا القول
بينهم ^٢ على السنة رسلنا عليهم الصلاة والسلام ^١ وهم يتأدون ولا يتهون ،
قوله مصورا [لهم - '] ما توعدهم به في أمر محسوس لأن الأمور
المشاهدات أروع للانسان لما له من التقيد بالوهم مؤكدا للإشارة إلى
د أن التكذيب مع إقامة البراهين أمر يجب إنكاره فلا يكاد يصدق :
﴿ ولقد كذب ﴾ ^٢ و طغى وبغى و أعرض و تجر و تمرد و ولى بوجهه ^١

(١) زيد من ظ وم (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ وم (م) زيد في الأصل :
هو الرسول ، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفناها (٤) زيد في الأصل : كان ،
ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفناها (٥) زيد في الأصل : الشفقة و ، ولم تكن
الزيادة في ظ وم لحذفناها (٦) زيد من م .

و قلبه ^١ (الذين) .

ولما كان هذا ^٢ التكذيب لم يعم الماضين بقض قال :

(من قبلهم) يعنى كفار الامم الماضية .

ولما كان سبحانه قد ^٣ أملى لهم ثم أخذهم بعد طول الحلم أخذا

بقيت أخباره ، ولم تدرس إلى الآن على تمدادى الزمان آثاره ، فكان هـ

بحيث يسأل عنه لعظم أحواله ، وشدة زلازله و فظاظة أهواله ، سبب

عن ذلك قوله منها على استحضار ذلك العذاب ولو بالسؤال عنه :

(فكيف كان نكيره) أى إنكارى عليهم بما أصبتهم به من العذاب

فى تمكن كونه و هول أمره ، فقد جمع إلى التسلية غاية التهديد ^٤ .

ولما ذكر بمصارع الاولين ، و كان التذكير بالخاص تذكيرا ^{١٠}

لقريش بما حصب به على قرب الزمان عدوهم أصحاب الفيل بما أرسل

عليهم ^٥ من الطير الابابيل تحذيرا لهم من ذلك إن تبادوا على كفره ،

ولم ينقادوا إلى شكره ، فكان التقدير تقريراً لزيادة قدرته و حسن

تدبيره و لطف تربيته حيث جبر الطير لضعفها ^٦ بالطيران ليكمل بعموم

رحمانيته ^٨ أمر معاشها تقريراً لأن بيده الملك و ترهيباً من أن ينازعه

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٢) سقط من ظ و م (٣) من ظ و م ،

وفى الأصل : قدم (٤) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها .

(٥) زيد فى الأصل : به ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٦) من م ،

وفى الأصل و ظ : كفرهم (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : الى اضعفها .

(٨) من ظ و م ، وفى الأصل : رحمته .

احد في تدبيره مع بقیة القول مصروفا عن خطابهم ، ایذافا بشدة حسابهم
وسوء منقلبهم ومآبهم : ألم یروا إلى قدرتنا على مصارع الارلین
وإهلاك المكذبین وإنجاء المؤمنین ، عطف علیه قوله معرضا عنهم
زیادة فی الإنذار بالخصب من الطیر وغيرها : ﴿ اولم یروا ﴾ وأجمع
القراء على القراءة هنا بالغیب لأن السیاق للرد على المكذبین بخلاف
ما فی النحل . و اشار إلى بعد الغایة بحرف النهایة فقال : ﴿ الى الطیر ﴾
وهو جمع طائر .

ولما كان الجو كله مباحا للطیران نزع الجار فقال : ﴿ فوقهم ﴾
وبین حال الطیر فی الفوقیة بقوله واصفا لها بالتانیث إشارة إلى ضعفها
١٠ فی أنفسها ^١ لولا تقویته ^٢ لها ﴿ صَفَّتْ ﴾ أى باسطات أجنحتها تمدها
غایة المد بحيث تصیر مستویة / لا اعوجاج فیها مع أنه إذا كان جماعة
/ ٤٣٦
منها كانت صفوفها أو صفا واحدا فی غایة الانتظام نابعة لإمام منها .

ولما عبر عن الصف بالاسم لأنه الأصل الثابت ، عبر عن التحریک
بافعل لأن الطیران فی ساحة الهواء كالسباحة فی باحة الماء ، والأصل
١٥ فی السباحة مد الأطراف وبسطها ، والقبض طارئی على البسط فقال :
[﴿ و یقبض ﴾] أى یوقن قبض الاجنحة و بسطها وقتا بعد وقت
للإستراحة والاستظهار به على السبح فی الهواء . ولما تم هذا التقدير على
هذا الوجه الرائع للقلوب ترجمه بقوله - [^٣] : ﴿ ما یمسکهن ﴾ أى فی

(١) من ظ و م ، وی الأصل : نفسهم (٢) زید فی الأصل : بقوله ، ولم تكن
انزیادة فی ظ و م لحذفناها (٣) زید من ظ و م .

الجو في حال القبض و البسط عن السقوط على خلاف ما يقتضيه الطبع .
ولما كان هذا من التدبير المحكم الناظر إلى عموم الرحمة قال :
﴿ الا الرحمن ﴾ أى الملك الذى رحمته عامة لكل شئ . بأن هيأ من
- بعد أن أفاض عليهن رحمة الإيجاد - على أشكال مختلفة و خصائص مفترقة
للجوى فى الهواء بما أوجد لها من القوادم و الحوائى و غير ذلك ' ٥
من الهيئات المقابلة لذلك ، وكذا جميع العالم لو امسك عنه حفظه طرقة
عين لفسد بتهاوت الأفلاك و تداعى الجبال و غيرها ، و عبر فى النحل
بالاسم الأعظم لأن سياقتها للرد على أهل الطبائع ' و هم الفلاسفة
الذين لا يقوم بالرد عليهم إلا المتبحر فى معرفة ' جميع أصول الدين
بمعرفة جميع معانى الأسماء الحسنى و الصفات العلى التى جمعها اسم الذات . ١٠
ولما كان هذا أمرا رائعا للعقل ، ولكنه لشدة الإلف صار لا
يقبى له إلا باتفيه ، وكان الجاهل ربما ظن أن التقدير على الطيران
خاص بالطير ، به سبحانه على عظمة ما هيأ الطير له و على أنه يقدر أن
يحمل ذلك لغيره بقوله مؤكدا لأجل قصور بعض العقول عن التصديق
بذلك و تضمن الإشراك للطعن فى تمام الاقتدار المتضمن للطعن فى تمام ١٥
العلم : ﴿ انه ﴾ أى الرحمن سبحانه ﴿ بكل شئ ﴾ قل أو أكثر جليل
و حقير ظاهر و باطن ' ﴿ بصيره ﴾ بالغ البصر و العلم بظواهر الأشياء
(١) زيد فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ،
وفى الأصل : حفظته (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : الطباع (٤) من ظ و م ،
وفى الأصل : المعرفة (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : الذى (٦-٧) سقط ما بين
الرقمين من ظ و م .

وباطنها، فهما أراد كان وهو يخلق العجائب ويوجد الغرائب، فيهيى من أراد من الآدميين وغيرهم لمثل ذلك .

ولما كان التقدير تقريراً لذلك : فن يدبر مصالحكم ظاهراً وباطناً، وفعل هذه الأنواع من العذاب بالمتكذبين من قبلكم ، عطف عليه . قوله عائداً إلى الخطاب لأنه " أقعد في التكييت " والتويع ، وأدل على أن المخاطب ليس بأهل لأن يهاب مقرراً لأنه مختص بالملك : ﴿ أمن ﴾ ونبه على أن المدبر للأشياء لا بد أن يكون في غاية القرب والشهادة لها ليكون بصيراً برعيها، ويكون مع مزيد قربة على الرتبة بحيث يشار إليه، فقال مقرراً لمجز العباد : ﴿ هذا ﴾ بإشارة الحاضر ﴿ الذى ﴾ وأبرز العائد لأنه لا بد من إبرازه مع الاسم بعدم صلاحه لتحمل الضمير فقال : ﴿ هو جند ﴾ أى عسكريون ، وصرف القول عن الغيبة إلى الخطاب لأنه أبلغ في التقرع فقال : ﴿ لكم ينصركم ﴾ أى على من يقصدهم / بالخسف والحصب وغيرهما، ويجوز أن يكون التقدير : ألكم إله يدبر مصالحكم غيرنا أم كان الذى عذب من كذب الرسل سوانا أم لكم جند يصار إليه ينصركم دوننا كما قال تعالى : أم لهم الهة تمنعهم من دوننا ، ولكنه أخرجه مخرج الاستفهام عن تعيين الجند تعريفاً بأنهم لغاية جهلهم اعتقدوا أن لهم من أجناد الأرض أو السماء من ينصروهم وإلا لما كانوا آمنين .

/ ٤٣٧

(١) من ظ وم فى الأصل : مثل (٢-٢) من ظ وم ، وفى الأصل : بالتبكيث .
(٣) من ظ وم ، وفى الأصل : دونها (٤) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ وم فحذفناها (٥) من ظ وم ، وفى الأصل : جند .

ولما كانت المراتب متضائلة عن جنبه متكثرة جدا، قال تعالى مشيرا بالحرف والظرف إلى ذلك منها على ظهوره سبحانه فوق كل شيء، لم يقدر أحد ولا يقدر أن ينازعه في ذلك ولا في أنه مستغنى لكل ما دونه من المراتب: ﴿من دون الرحمن^١﴾ إن^٢ أرسل عليكم^٣ عذابه، وأظهر ولم يضر بعا على استحضار ما له من شمول الرحمة^٤، وتلويحا^٥ إلى التهديد^٦ بأنه لو قطعها [عن -^٧] أحد ممن أوجده عمه الغضب كله، ولذلك قال مستنجا عنه تنبها على أن^٨ رفع المضار وجمع المسار^٩ ليس إلا يديه لأنه المختص [بالمالك -^{١٠}] : ﴿أن﴾ أى ما، وأبرز الضمير تعبيرا وتعليقا للحكم بالوصف^{١١} ومواجهة بذلك لأنه أقدم^{١٢} في التوبيخ^{١٣} فقال: ﴿الكفرون﴾ أى العريقون في الكفر وهم ١٠ من يموت عليه ﴿الا في غرور﴾ أى قد أحاط بهم فلا خلاص لهم منه وهو أنهم يعتمدون على غير معتمد .

ولما قدم أعظم الرحمة بالحياطة والنصرة الموجبة للبقاء، أتبعه ما يتم به البقاء فقال: ﴿امن﴾ وأشار إلى القرب بالعلم والبعد بالعلو والعظمة بقوله: ﴿هذا﴾ وأشار إلى معرفة كل أحد له بصفاته العلية التي ١٥

-
- (١) من ظ وم ، وفي الأصل : اى (٢) من ظ وم ، وفي الأصل : عليهم .
 (٣) من ظ وم ، وفي الأصل : الرحمن (٤) من ظ وم ، وفي الأصل : التشديد .
 (٥) زيد من ظ وم (٦ - ٦) من ظ وم ، وفي الأصل : جميع المسار والمضار
 ليس لشيء منها (٧) من ظ وم ، وفي الأصل : لا وصف (٨ - ٨) من ظ وم ،
 وفي الأصل : للتوبيخ .

تنشأ عنها أفعاله المحكمة السنية، فقال: ﴿الذى﴾ [وأسقط العائد
لتحمل الفعل له فقال: ﴿برزقكم﴾ - ١] أى على^٢ سبيل التجدد والاستمرار،
لا ينقطع معروفة أبدا^٣ مع أنه^٤ قد وسع كل شيء. ولا غفلة له عن
شيء. ﴿ان امسك رزقه ج﴾ بامساك الاسباب التى تنشأ عنها ويكون
٥ وصوله إليكم منها كالطر، ولو كان الرزق موجودا أو كثيرا وسهل
التناول فوضع الآكلة فى فيه فأمسك الله عنه قوة الازدراء عجز أمل
السموات والارض عن أن يسوغوه^٥ تلك اللقمة^٥.

ولما قامت بهذا دلائل قدرته وشمول علمه على سبيل العموم
فالخصوص، فكان ذلك مظنة أن يرجع الجاحد ويخجل المعاند، ويعلم
١٠ الجاهل ويتنبه الغافل، فكان^٦ موضع أن يقال: هل رجعوا عن تكذيبهم،
عطف عليه قوله لافتنا الكلام إلى الغيبة^٧ إعراضا عنهم تنبيها على
سقوط منزلتهم وسوء أفهامهم وقوة غفلتهم: ﴿بل لجوا﴾ أى تمادوا
سفاهة لا احتياطا وشجاعة، قال الرازى فى اللوامع: واللجاج تقحم
الامر مع كثرة الصوارف عنه ﴿فى عتو﴾ أى مظروفين لعناد
١٥ وتكبر عن الحق وخروج^٨ إلى فاحش الفساد^٩ ﴿وفقوره﴾ أى

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: فى (٣-٢) من ظ و م،
وفى الأصل: لانه (٤) من ظ و م، وفى الأصل: يسوغوا (٥) زيد فى الأصل
لمعجزوا عن اساغتها، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م،
وفى الأصل: و كان (٧) من ظ و م، وفى الأصل: الغيب (٨) من ظ و م،
وفى الأصل: خروجا (٩) من ظ و م، وفى الأصل: العباد.

شراح عن حسن النظر / والاستماع، دعا إليه الطباع، واستولى ذلك عليهم حتى أحاط بهم مع أنه لا قوة لأحد منهم في جلب سار ولا دفع ضار، والداعى إلى ذلك الشهوة والغضب .

ولما كان هذا فعل من لا بصر له ولا بصيرة، سبب عنه قوله
مثلاً للوحد والمشارك بالكلين ولدينهما بمسلكين : ﴿ افن يمشى ﴾ أى ه
على وجه الاستمرار ﴿ مكبا ﴾ أى داخلا بنفسه فى الكعب و صارا
إليه، وهو السقوط ﴿ على وجهه ﴾ وهو كناية عن السير على رسم
مجهول وأثر [معوج - ٢] معلول، على غير عادة العقلاء لخلل فى أعضائه،
واضطراب فى عقله ورأيه، فهو كل حين يثر فيخر^٢ على وجهه، لأنه
لعدم نظره يمشى فى أصعب الأماكن؛ لإمالة الهوى له عن المنهج المسلك، ١٠
وغلبة الجهل عليه فهو بحيث لا يكون تكرار المشاق عليه زاجرا^٣
[له - ١] عن السبب الموقع له فيه، ولم يسم سبحانه وتعالى يمشاء
طريقاً لأنه لا يستحق ذلك .

ولما كان ربما صادف السهل لا عن بصيرة بل اتفاقاً قال :
﴿ اهدى ﴾ أى أشد هداية ﴿ امن يمشى ﴾ دائماً مستمرا ﴿ سوياء ﴾ قائما ١٥
رافعا رأسه ناصبا وجهه سالما من العثار لأنه لاتصابه يصير ما أمامه
وما عن يمينه وما عن شماله ﴿ على صراط ﴾ أى طريق موطأ واسع^٤

- (١) فى ظ و م : سبيل (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل :
فيخرج (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : المسالك (٥) فى ظ و م : تكرر .
(٦) من ظ و م ، وفى الأصل : زجرا (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : واسعا .

مسلوك 'سهل قويم' (مستقيم^٥) أي هو في غاية القوم، هذا مثل من رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً فإنه يقبع الفطرة الأولى السليمة عن شهوة أو غضب أو شائبة حظ، والأول مثل الكافر، حاله في سيره إلى الله حال المكب أي الذي كب نفسه بغاية الشهوة^٢ على وجهه، لا يرى ما حوله ٥ ولا يشعر بما أحاط به، ولا ينظر في الآيات ولا يعتبر بالمسموعات^٢، فهو اليوم شيء باطن لظهر يوم القيامة فيحشر على وجهه إلى النار جزاء لرضاه بحالته هذه في هذه الدار فيظهر له سبحانه ما أبطن [له - ١] اليوم، والمؤمن بخلاف ذلك فيهما، والآية من الاحتباك: ذكر الكب أولاً دليلاً على ضده ثانياً، والمستقيم ثانياً دليلاً على المعوج أولاً، وصره ١٠ أنه ذكر أنكاً ما للجرم وأسر ما للسلم .

ولما كان العرب الموعوظون بهذا الذكر^٥ يتغالون في التفاخر بالهداية^٥ في الطرق المحسوسة وعدم الإخلال بشكر المعروف لمسيديه ولو قل، فنفى عنهم الأول بقيام الأدلة على خطائهم الفاحش في كل ما خالفوا فيه الرسول صلى الله عليه وسلم من طريقهم المعنوي الذي اتخذوه ديناً، فهو اشرف من الطريق المحسوس، أتبعه / يان انسلاخهم ١٥ / ٤٣٩

من [الثاني مع التأكيد لانسلاخهم من - ١] الأول، قال أمرا للرسول صلى الله عليه وسلم بتبنيهم لأن الإنسان على نوعه أقبل لأنه إليه أمل،

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ وم (٢) من ظ وم، وفي الأصل، السهولة.
(٣) من ظ وم، وفي الأصل: في السموات (٤) زيد من ظ وم (ه-ه) من ظ وم، وفي الأصل: يتغالون بالتفاذ في الهداية.

إسقاطاً^١ لهم من رتبة الفهم عن الله سبحانه وتعالى لسفول همهم^٢
 ولقصور نظرهم مع أنه جعل لهم حظاً ما من الحضور بتأهيلهم لخطاب
 الرسول صلى الله عليه وسلم لإقامتهم بالذكر في الآية فيما^٣ يرجى معه
 العلم ويورث الفطنة [و - ٤] الفهم : ﴿ قل ﴾ أى يا أشرف الخلق
 وأشفقهم^٥ عليهم مذكراً لهم بما^٦ دفع عنهم الملك من المفسدات وجمع هـ
 لهم من المصلحات والقوى والعقل ليرجعوا إليه ، ولا يعولوا في حال
 من أحوالهم إلا عليه ، وينظروا في لطيف صنعه وحسن تربيته فيمشى
 كل منهم سوياً : ﴿ هو ﴾ أى الله سبحانه وتعالى ﴿ الذى ﴾ شرفكم
 بهذا الذكر وبين لكم هذا البيان وحده الذى^٧ ﴿ انشأكم ﴾ أى
 أوجدكم ودرجكم في مدارج التربية حيث طوركم في أطوار الخلقة في ١٠
 الرحم ويسر لكم بعد خروجكم [الخروج - ٤] الذين حيث كانت
 المدة ضعيفة عن أكثف منه .

ولما كان من^٨ أعظم النعم الجليلة^٩ بعد الإيجاد العقل ، اتبعه به ،
 [وبدأ - ٤] بطريق تنبيهه فقال : ﴿ وجعل لكم ﴾ أى خاصة
 مسبياً عن الجسم الذى أنشأه ﴿ السمع ﴾ [أى - ٤] الكامل لتسمعوا ١٥

(١) من ظ ، وفي الأصل وم : اسقط (٢) سقط من ظ وم (٣) من ظ وم ،
 وفي الأصل : مع ما (٤) زيد من ظ وم (٥) من م ، وفي الأصل وظ :
 شفقتهم (٦) زيد في الأصل : تبسح عليهم ، ولم تكن الزيادة في ظ وم فحذفناها .
 (٧) من ظ وم ، وفي الأصل : بقوته الباهرة .

ما^١ تعقله قلوبكم^٢ فيهديك^٣، و وحده لقلة التفاوت فيه ليظهر سر تصرفه
 سبحانه في القلوب بغاية المفاوطة مع أنه أعظم الطرق الموصلة للعاني
 إليها (و الابصار) لتتظروا صنائعه فتعجبوا و تزددجروا^٤ عما يرديكم^٥
 (و الاقعدة^٦) أى القلوب التى جعلها سبحانه فى غاية التوقد^٧
 ٥ بالإدراك لما [لا - °] يدركه بقية الحيوان لتفكروا فتقبلوا على
 ما يعلينكم، و جمعا لكثرة التفاوت فى نور الابصار و إدراك الافكار،
 و هذا تنبيه على [إكمال - ٤] هذه القوى فى درك الحقائق بتلطيف
 السر لتدقيق الفكر، قال الشيخ ولى الدين الملوى: انظر إلى الاقعدة
 كيف تحكم بأن الاثنين أكثر من الواحد، و أن الجسم الواحد
 ١٠ لا يكون فى مكانين^٨ فى آن واحد، و أن الضدين لا يجتمعان - و غير
 ذلك مما لا يخفى .

و لما كان التقدير: فشقيم^٩ مشى المكب على وجهه فلم تستعملوا شيئا
 من هذه الاسرار الشريفة فيما خلق^{١٠} له، كانت ترجمة ذلك: ((قليلا))
 و أكد المعنى بما صورته صورة النافى فقال: ((ما)) و لما زاد تشوف
 ١٥ النفس إلى العامل فى وصف المصدر دل عليه سبحانه و تعالى بقوله:

(١ - ١) من ظ و م ، و فى الأصل: تعقلون بقلوبكم (٢) من ظ و م ، و فى
 الأصل: فتزدجروا (٣) من ظ و م ، و فى الأصل: برديكم (٤) زيد فى الأصل:
 بالنفر، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فذفناها (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ
 و م ، و فى الأصل: المكانين (٧) من م ، و فى الأصل وظ: مشقيم (٨) من ظ
 و م ، و فى الأصل: خلقت .

(يشكرونه) أى توفون الشكر لمن أعطاكم ما لا تقدرون قدره باستعماله
/ فيما خلق لأجله وأنكم تدعون أنكم أشكر الناس للإحسان وأعلام
[فى - ١] المرقان .

ولما دل سبحانه على بديهم عن الهداية وعن الشكر الذين
يفترون على الناس كافة بكل منها، واستعطفهم بما أودع فيهم من اللطائف ه
الربانية الروحانية المقتضية بتوحيدها للعروج إلى مواطن القدس ومعادن
الانس، دل على قبرته على حشرهم تحذيرا لهم من التماهى فى الإعراض
بمضى مجده كل منهم فى نفسه على وجه دال على كمال قبرته بما أودع
فيهم مع تلك اللطائف من كثائف طباع الارض الموجبة للسفول ليكون
- إذا أعلته تلك اللطائف بالتوبة - مجتهدا فى تنقية آثار تلك الكثائف ١٠
المسئلة كما يكون للزرع إذا حصد من بقايا تلك الجذراتى إن لم تقلع من
أصلها عادت بالنبات إلى ما كان عليه الزرع أولا ، فقال مستأقفا بيانا لانه
دليل رأسه كاف فيما سبق له : (قل هو) أى وحده (الذى ذرأكم)
أى خلقكم وبشكم ونشركم وكتركم وأنشأكم بعد ما كنتم كالذر أطفالا
ضعفاء . ثم قواكم ثم جعلكم شيئا ضعفاء وأسكنكم الغضب والذعر واللجاج ١٥
الحامل لكم على الولوع بما يلجئ إليه الطباع المثيرة (فى الارض)
التي تقدم أنه ذللها لكم ورزقكم منها النبات الذى تقدم أن : إبداءه منها
(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الذى (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : عته (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : الشيب (٥) من ظ و م ، وفى
الأصل : انه .

ثم رده إليها [و-١] إفئته فيها ثم إعادته كما كان بعد ان صار رقابا
 وشيئا قائما بما كان دليل على القدرة^٢ على البعث، لا فرق في ذلك بينه
 وبينكم أصلا، فكان منه البدأ (وإليه) ^٣ وحده (تخشرونه) شيئا
 فشيئا إلى البرزخ [و-٢] دفعة واحدة يوم البعث على أيسر وجه بمن^٤
 ه أراد من عباده كرها منكم كما كان أمركم في الدنيا، فانه لم يكن إلى
 الإنسان منكم أحب من الدعة والسكون، فكان سبحانه يضطره بما
 أودعه من الطبائع المتضادة وأثار له من الأسباب في طلب رزقه وغير
 ذلك من أمره إلى السعي إلى حيث يكره، فكما أنه قدر على ذلك منكم
 في الابتداء فهو يقدر على مثله في الانتهاء، ليحكم^٥ بينكم ويمجّزى كلا
 ١٠ على عمله^٦ كما يفعل كل ملك برعيته، وكل إنسان منكم بجماسته.

ولما كان التقدير : فلقد أبلغ سبحانه في وعظهم بنفسه وعلى
 لسانك يا أشرف الخلق^٧ صلى الله عليه وسلم وذلك^٨ بما هدى
 إليه السياق قطعا، ذكر حالهم عند ذلك فقال إعلاما بكثافة طباعهم
 حيث لم تلتطف / أسرارهم لقبول محبة الله تعالى وإثارة^٩ الأحوال الحسنة

/ ٤٤١

(١) زيد من ظ (٢) زيد في الأصل : ودليل القدرة، ولم تكن الزيادة في
 ظ وم لحذفها (٣) زيد في الأصل : أي، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها.
 (٤) من ظ وم، وفي الأصل : على (٥) زيد من ظ وم (٦) من ظ وم،
 وفي الأصل : بما (٧) من ظ وم، وفي الأصل : ويحكم (٨-٨) من ظ وم،
 وفي الأصل : بعمله (٩) في ظ وم : العباد (١٠-١٠) سقط ما بين الرقيين من
 ظ وم (١١) من ظ وم، وفي الأصل : اماره .

من الصبر المثبت واليقين وحسن الانطباع لقبول النصائح والخوف
 وعدم الاعتزاز بأحد غير الله تعالى من جهة فزع أو ضرر، 'وكذلك'
 لفت القول إلى الإعراض لإيذانا بشديد الغضب منهم^٢ : ﴿ويقولون﴾
 أى يحددون هذا القول تجديدا مستمرا استهزاء وتكديبا، ويجوز أن
 يكون^٣ حالا من الواو فى [دبل -^٤] لجواء : ﴿متى هذا﴾ وزادوا ه
 فى الاستهزاء بقولهم : ﴿الوعد﴾ وأهبطوا وهيجوا إيضاها للتكذيب
 [على زعمهم -^٥] بقولهم : ﴿إن كنتم﴾ جيلة وطبعا^٦ ﴿صدقين ه﴾
 فى أنه لابد لنا منه، وأنكم مقربون عند الله، فلو كان لهم ثبات الصبر
 واليقين لما طاشوا هذا الطيش بابرار هذا القول القبيح الذى ظاهره طلب
 الإخبار بوقت الأمر المتوعد به، وباطنه الاستعجال به استهزاء وتكديبا. ١٠
 ولما كان قولهم هذا مع أنه استعجال بأمر الساعة استهانة بها حتى
 أنه^٧ عندهم كأنها من قبل الوعد الحسن وهو متضمن لإيهاهم أنها عما
 يطلع [الخلق -^٨] على تعيين وقته، نفى ذلك بيانا لعظمتها بعظمة من
 أمرها بيده فقال آمرا له بجوابهم مؤذنا^٩ بدون ذلك^{١٠} الإعراض
 لأنهم لا ينكرون عليه تعالى ذلك الإنكار : ﴿قل﴾ يا أكرم الخلق ١٥
 منها لهم على تحصيل^{١١} اليقين بأن ما علموه وحكموا بعلهم فيه وما لا

(١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : فلذلك (٢) زيد فى الأصل : فقال ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد فى الأصل : ذلك ، ولم تكن الزيادة فى
 ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد فى الأصل : خبيثا ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) فى م : انها (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل :
 بذلك (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : سبيل .

ردوا عليه إلى الله : ﴿ انما العلم ﴾ أى المحيط من جميع الوجوه بما شأتم عنه من تعيين زمان هذا الوعد وغيره ، ولأجل إظهار فضل العلم اللازم من كماله تمام القدرة صرف القول عن عموم الرحمة إلى إلهام العموم المطلق بالاسم الأعظم فقيل : ﴿ عند الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بجميع صفات الكمال ، فهو الذى يكون عنده ويده جميع ما يراذه منه ، لا يطلع عليه غيره ، وهيبته تمنع العالم بما له من العظمة ^٢ أن يجترأ على سؤاله عما لم ^٢ يأذن [فيه - ^٤] ، وعظمته تقتضى الاستئثار بالأمور العظام ، وإلى ذلك يلوح قوله تعالى : ﴿ وانما أنا ﴾ ولما كان السياق للتحويل والتخويف ، وكانت النذارة يكفى فيها تجويز ^٥ وقوع المنذور ^٥ به ١٠ فكيف [إذا - ^٦] كان مظنوننا فكيف إذا كان معلوم الوقوع فى الجملة ليكون العاقل متوقفا له فى كل وقت قال : ﴿ نذير ﴾ أى ^٧ كامل فى أمر النذارة التى يلزم منها البشارة لمن أطاع النذر ^٨ لا وظيفة لى عند هذا الملك الأعظم غير ذلك ، فلا وصول لى إلى سؤاله عما لا يأذن لى فى السؤال عنه .

١٥ ولما كان النذير قد لا يقدر على إقامة الدليل على ما ينذر به لأنه يكفى العاقل فى قبوله غلبة الظن بصدقه بل إمكان صدقه فى التحرز

(١) زيد فى الأصل : انعم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٢) زيد فى الأصل : إلى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : لا (٤) زيد من ظ و م (٥ - ٥) من ظ و م ، وفى الأصل : الوقوع للندور (٦) زيد من م (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : او (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : النذارة (٩) من م ، وفى الأصل و ظ : التحذر .

عما ينذره، بين أنه ليس كذلك فقال: ﴿مبينه﴾ أى كاشف للنذرى
غاية الكشف باقاة / الأدلة عليها حتى تضير كأنها مشاهدة لمن له
قبول للعلم . ٤٤٢/

ولما كان ما ينذره لا بد من وقوعه، وكان كل آت قريبا، عبر
عن ذلك بالقائه والماضى فقال صارفا العقول إلى الإعراض لأن وقت ه
الرؤية للعذاب فى غاية المناسبة للاهانة: ﴿فلما رآوه﴾ أى الوعد
بانكشاف الموعود به عند كونه، وحقق معنى الماضى والقائه بقوله:
﴿زائفة﴾ أى ذا قرب عظيم منهم، وذلك بالتعبير عن اسم الفاعل
بالمصدر إبلاغا فى المعنى المراد وأكد المبالغة [بالتاء لأنها ترد للمبالغة - ١]
إذا لم يرد منها التأنيث، ولا سيما إن دلت قرينة أخرى على ذلك . ١٠
ولما كان المخوف فى النذرى الوقوع فى السوء لا بقيد كونه من
معين قال: ﴿سيتت﴾ ولما كان السوء يظهر فى الوجه قال: ٢
﴿وجوه﴾ وأظهر فى موضع الإضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف
فقال: ﴿الذين كفروا﴾ أى ظهر السوء وغاية الكراهة فى وجوه من
أوقع هذا الوصف ولو على أدنى وجوه الإيقاع وعلتها الكتابة . ١٥
ولما كان لا أوجع من التبكيت عند إحاطة المكروه من غير
حاجة إلى تعيين فاعله، بنى للفعول قوله: ﴿وقيل﴾ أى لهم تقريرا
وتويخا: ﴿هذا الذى﴾ ٢ أى تقدم من عنادكم ومكركم واستكباركم ٣
(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: فقال (٣-٣) سقط ما بين
الرتين من ظ و م .

(كنتم) أى جبلّة وطبعاً (به) أى بسببه ومن أجله، وصرف القول إلى الخطاب لأنّ التقريع به أنكأ^٢ في العذاب: (تدعون) أى تطلبون وتوقعون^٣ الطلب له طلباً شديداً تبلغون فيه غاية الجهد على وجه الاستعجال أن يستنزل بكم مكروهه^٤ فعل من لا يبالى به بوجه، و تكررون ذلك الطلب وتعودون إليه في كل وقت معرضين عن^٥ السعى في الخلاص فيه^٦ من عدوان العذاب ونيل الوعد الحسن بمجزيّل الثواب ليان^٧ قوة طلبهم له^٨ وتداعيهم إليه استهزاء به حتى كأنهم لا مطلوب لهم غيره. قدم الجار المفيد غالباً للاختصاص فهو افتعال من دعا الشيء - [و-] بالشيء إذا طلبه، ودعاه الله بمكروهه: ١٠ أزلّه به .

ولما كان من المعلوم أن من نهى آخر عن هواه وبالع في ذلك أبغضه ذلك الناهي وتمنى هلاكه، فكيف إذا والى عليه الإنذار والتخويف بما لا يصل إلى دركه عقله ولا يرى له مقدمة^٩ بتحققها، وكان الكفار يسعون في هلاك النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعه ١٥ كل سعى، وكان هلاك^{١٠} النذير إنما ينفع المنذر على تقدير نجاته من

(١) من ظ وم، وفي الأصل: لا (٢-٢) من ظ وم، وفي الأصل: للعذاب.

(٣) من ظ وم، وفي الأصل: تتوقعون (٤) من ظ وم، وفي الأصل:

مكروه (٥) من ظ وم، وفي الأصل: من (٦) من ظ وم، وفي الأصل:

منه (٧) من ظ وم، وفي الأصل: بيان (٨) من ظ وم، وفي الأصل: به .

(٩) زيد من ظ وم (١٠) من ظ وم، وفي الأصل: مقدمته (١١) من ظ

وم، وفي الأصل: اهلاك .

هول ما كان يحذره منه النذير، امره سبحانه ان^١ يذكرم بهذا لينظروا
 في ذلك المتوعد به، فان كان ممكنا سعوا في الخلاص مما قد يكون
 ٤٤٣ / منه من العذاب، و سلكوا / في الحرب منه مسلكا سهلا بعيدا من سوء
 الانقلاب، ودخلوا إلى فسيح المانع منه من اوسع باب، أو كفوا^٢
 عن السعي في هلاك النذير وطوا ما يدوا له من الاسباب، ليدلهم ه
 إذا كان صادقا على شيء يحذره أو يخفف عنهم ذلك المصاب، فقال
 منها على شدة الحذر من مكر الله وعدم الاغترار [به - ٣] للؤمن
 الطائع لعله، أنه لا يقدر أن يقدر الله حق قدره فكيف بالعاصي فضلا
 عن الكافر مكررا للامر بالانزال تنبيها على أن كل جملة صدرت به
 كافية في الدلالة على مقصود السورة وعائدة إليه لما^٤ اشتملت عليه ١٠
 من باهر القدرة وافر العظمة: ﴿ قل ﴾ أي * يا أفضل الخلق
 كلهم وأشرفهم وأعظمهم وأتقاهم * لهؤلاء الذين طال تضجرهم منك
 وهم يتمنون هلاكك * حسدا منهم وعمى في قلوبهم وبعدا وطرذا،
 قد استحکم واستدار بهم ذلك تقدير العزيز العليم * ﴿ اريدتم ﴾
 أي أخبروني خباياهم في الوثوق به على ما هو كالرؤية . ١٥
 ولما كانوا غير عالمين بعاقبة الامر في هلاكه ومن معه بما
 يقصدونهم به . حذرهم عاقبة ذلك بالتعبير بأداة الشك، وإسناد الإهلاك
 (١) من ظ و م، وفي الأصل : بأن (٢) من ظ و م، وفي الأصل : وكفوا .
 (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفي الأصل : إلى ما (هـ - هـ) سقط ما بين
 الرتين من ظ و م .

إلى الله معبرا عن الاسم الدال على تهاى العظمة إلى حد لا يدع لغيره
 منها شيئا إعلاما بأنه على القطع بأنه لا شيء في أيديهم فهو لا يخافهم
 بوجه فقال : ﴿ إن اهلكني ﴾ أي أمتني بعذاب أو غيره ﴿ الله ﴾
 [أي - ١] الذي له من صفات الجلال والإكرام ما يحصم به وليه
 ٥ و يقصم به عدوه ﴿ ومن معي ﴾ أي من المؤمنين والناصريين رضي الله
 عنهم أجمعين بنصه علينا مع ما لنا من الأسباب بالطاعة بالإعمال
 الصالحة التي رتب سبحانه عليها الفوز والنجاة حتى لا يبقى أحد ٢ ممن
 يكبر عليكم بالمنع من الهوي القائد إلى القوي والحث على العقل
 الضامن للنجاة ﴿ اورحنا لا ﴾ بالبصرة وإظهار الإسلام كما يرجو
 ١٠ فأناجنا ٣ بذلك من كل سوء ووقانا كل محذور وأفلنا كل سرور،
 فالآية من الاحتباك : ذكر الإهلاك أولا دليلا على النجاة ثانيا،
 والرحمة ثانيا دليلا على الغضب أولا ﴿ فن ﴾ وكان ظاهر الحال
 يقتضي : يحيركم مع طلبكم المسيات من الفوز والنجاة بغير أسباب بل بأسباب ٤
 منافية للنجاة جالبة للعذاب ، فوضع الظاهر موضع الضمير ٥ تعميما
 ١٥ وتعليقا ٦ للحكم بالوصف واستعطافا لهم إلى إيقاع الإيمان والرجوع
 عن الكفران فقال : ﴿ يحير الكافرين ﴾ أي العريقين في الكفر بأن
 (١) ريد من ظ وم (٢) سقط من ظ وم (٣) من ظ وم ، وفي الأصل :
 احدا (٤) من ظ وم ، وفي الأصل : علي (٥) من ظ وم ، وفي الأصل : فمجدنا .
 (٦) من ظ وم ، وفي الأصل : أسباب (٧ - ٧) من ظ وم ، وفي الأصل :
 تعليقا وتعميما .

يدفع^١ عنهم ما يدفع الجار عن جاره (من عذاب اليم^ه) يصيبهم
به الذي^٢ هم عالمون بأنه لا شيء [إلا - ٣] يده، وإلا لنجى أحد من
الموت الذى خلقه و قدره بين عباده جزاء على ما كانوا يؤلمون من
يدعوم إليهم و ينصحبهم فيه، فاذا كان لا / ينجهم من عذابه شيء
٤٤٤/ سواء متا أو بقينا فالذى ينبغي لهم إن كانوا عقلاء السعى فيما ينجى من
عذابه، لا السعى فى إهلاك من هو ساع فى خلاصهم من العذاب، ولا
يقدرّون على إهلاكه أصلا إلا بتقدير الذى أمره بانذارهم.

ولما كان لا يقدر على التعميم [بالنعمه - ٢] إلا من كان عام
القدرة والنعمة^٤ والرحمة، و كان التذكير بالنعم أشد استعطافا، صرف
القول إلى التعبير بما هو صريح فى ذلك، فقال مذكرا بذلك لعلهم بأنه ١٠
لا نعمة عليهم إلا منه واعترفهم بذلك ليحذروه ويتذكروا^٥ عموم قدرته
فعللوا [قدرته - ٢] على البعث فيفصل النزاع: (قل) يا خير الخلق:
(هو) أى الله وحده (الرحمن) أى الشامل الرحمة لكل ما تناوله
الربوبية، فلا يليق بمقل^٦ عاقل أن يدع احدا من خلقه فى ظلم ظالمه
فلا يأخذ له بحقه، لأن ذلك لا يرضاه أقل^٧ الناس لنفسه^٨ مع عجزه ١٥
فكيف بمن هو كامل القدرة وإلا لما قدر^٩ على عموم الرحمة (أما به)

(١) من ظ و م، وفى الأصل: بديع (٢) من ظ و م، وفى الأصل: الذين.

(٣) زيد من ظ و م (٤-٤) سقط ما بين الرمين من ظ و م (ه) من ظ و م،

وفى الأصل: يذكروا (٦) فى ظ و م: فى عقل (٧-٧) من ظ و م، وفى الأصل:

خلقته (٨) من ظ و م، وفى الأصل: قدره.

أى أنا ومن آمن بى لهذا البرهان القاطع بأنه لا يكافئه شئ. فهو كاف فى الإيمان به (وعليه) أى وحده (توكلناج) لأنه لا شئ فى يد غيره وإلا لرحم من يريد عذابه أو عذاب من يريد رحمته، فكل ما جرى على أيدى خلقه من رحمة أو نقمة فهو الذى أجراه لأنه الفاعل بالذات، المستجمع لما يليق به من الصفات، فنحن نرجو خيره ولا نخاف غيره، وقد أقررنا له بهذه^٢ العبارة على وجه الحصر بالالوهية والربوبية فلا نحتاج^٣ فى السلوك^٢ إليه إلى معوق عن ذكره والتفكر فى آلائه ولو كان المعوق نقيسا فى ظاهر الحياة الدنيا ولو كان مخوفا فانه^٤ لا خوف معه سبحانه، فالتوكل^٥ عليه منجاة^٦ من كل ملكة مجلبة ١٠ لكل ملكة، ولم يفعل كما تفعلون أتم فى توكلكم على رجالكم وجاهكم وأموالكم.

ولما أبان هذا^٧ طريق الصواب، وجلى كل ارتياب، وكان لابد من الرجوع إليه والانتقال، لإتمام الرحمة بالثواب والعقاب، سبب عنه قوله: (فستعلمون) أى عند^٨ التجلى عليكم بصفة^٩ القهر عما قليل بوعده ١٥ لا خلف فيه (من هو) أى منا ومنكم متداع بذاته ظاهرا وباطنا

(١) من ظ و م، وفى الأصل: للذات (٢) من ظ و م، وفى الأصل: هذه .
(٣-٢) من ظ و م، وفى الأصل: بالسلوك (٤-٤) من ظ و م، وفى الأصل: محققة لأنه (٥) فى ظ و م: والتوكل (٦) من ظ و م، وفى الأصل: نجاة .
(٧) من ظ و م، وفى الأصل: بهذا (٨) من ظ و م، وفى الأصل: عن .
(٩) من ظ و م، وفى الأصل: بصفات .

(في ضلل) أى ١ أخذ في [غير - ٢] مسلك موصل إلى مقصد محيط به الضلال بحيث أنه لا قدرة له على الانفكاك منه إلا إن أطاع من يحزمه يده فيخرجه منه ، ولما كان الشيء إذا كان فيه نوع لبس كان ربما اقتضى قبول العذر قال : (مين -) أى بين في نفسه موضح لكل أحد أنه لا خفاء به .

٥

ولما افتتح سبحانه السورة بعظيم بركته وتمام قدرته و تفردته في مملكته ، ودل على ذلك بتفردته بالإمامة والإحياء ، ختم بمثل ذلك بالماه الذى وجوده هو ٢ سبب للحياة ٣ / وعدمه سبب للوثة ، فقال قارعا بالتفنية مشيرا بذكرير الامر إلى مزيد التوبيخ والجزر والتبكيت دالا على تعيين ما أبهم من اهل الضلال ، ومصرحا بما لوح [إليه - ٢] من ذلك ١٠ الإجمال : (قل) أى يا أعظم خلقنا وأعلمهم بنا : (اريتم) أى أخبروني إخبارا لا لبس فيه ٤ ولا خفاء ، ولما كان شديد العناية بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، سكن قلبه في وعيدهم بالإشارة إلى الفرق بهم لاجله ، فابتدأ الوعيد بحرف الشك فقال : (ان) ولما كانت * النعمة أشد ما يكون إذا كانت في الصباح الذى هو موضع ارتقاب ١ الفلاح قال : ١٥ (اصبح مأؤكم) أى الذى تعدونه فى أيديكم - بما نهت عليه الإضافة . ولما كان المقصود المبالغة ، جعله نفس المصدر فقال : (غورا)

(١) زيد فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٢) زيد من ظ و م (٣ - ٣) تكرر ما بين الرقعين فى الأصل (٤ - ٤) - قط ما بين الرقعين من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : كان (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : ارتفاق .

أى نازلا فى الارض بحيث لا يمكن لكم نيله بنوع حيلة - بما دل على ذلك الوصف^١ بالمصدر (فن ياتيك) على ضعفكم حيثذ و افتقاركم و انخلاع قلوبكم و اضطراب أفكاركم (بمآء معين) أى جار دائما لا ينقطع أو^٢ ظاهرا للآعين^٣ سهل المآخذ^٤ إلا الله رب العالمين فانه هو القادر على ذلك^٥، فقد رجع ذلك الآخر كما ترى على ذلك الاول، وعاقبه على أحسن وجه و أكل - والله أعلم .

سورة ن^٥ و تسمى سورة القلم

مقصودها إظهار ما استتر، و بيان ما ابهم فى آية " فستعلمون من هو فى ضلال مبين " بتعيين المهتدى^١ الذى برهن على هدايته حيازته العلم الذى هو النور الأعظم الذى لا يضل بمصاحبه بتقبل القرآن و التخلق بالفرقان الذى هو صفة الرحمن بقدر^٢ الإمكان الذى تصل إليه قوة الإنسان، و أدل ما فيها على هذا الغرض دن، و كذا و القلم، فلذا سميت بكل منهما، و بالكلام على كل منهما يعرف ذلك^٣، و حاصله أن النون^٤ مبين محيط^٥ فى بيانه كما يحيط ضوء الشمس بما يظهره

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : بالوصف (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : «و» .
(٣) زبدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م لحذفها (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٥) الثامنة و الستون من - سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آياتها ٥٢ (٦) من م ، وفى الأصل و ظ : المبتدى (٧) زيد فى الأصل : صفة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٨) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٩-٩) من ظ و م ، وفى الأصل : محيط معين .

وكما تحيط الدواة بمدادها بآية ما دل عليه ^١ بمخرجه وصفاته ^٢، واستقر الكلام الواقع فيها ^٣ وفي المعاني التي اشتركت في لفظه، وأما ^٤ القلم فابانة للعارف، أمر لا ينكر (بسم الله) الذي له الإحاطة الكاملة فهو على كل شيء قدير لأنه بكل شيء عليم (الرحمن) الذي عمت نعمة إيجاده لأهل معاده البرى منهم والسقيم (الرحيم) الذي / أتم ٥ / ٤٤٦ / تلك النعمة على من وفقه لطاعته فألزمه الصراط المستقيم .

لما أبهم الضال والمهتدي في آخر الملك، والمسيء والمحسن في العمل أولها، وختم بآية الماء المعين الذي دل حروفه بمجموعها على تمام معناه، ودل كل واحد منها على شيء منه، فدلّت ميمه على تمام شيء ظاهر، وعينه على آية هادية، وياؤه على قائم ملطف منزل مع كل مقام، ١٠ ونونه على مظهر مبين محيط بما أظهره، وروهم سبحانه إليه بعد شراهم عنه بالاستفهام في هذه الآية بما نبههم عليه من عجزم وعجز كل من يدعو من دونه وأنه لا يقدر على الإتيان بذلك الماء الذي هو حياة الأشباح بعد ذهابه إلا من تمت قدرته، فكان قادرا على كل ما يريد، وكان لا يقدر على [كل - ٦] ما يريده إلا من كمل عليه الذي يحيى ١٥ به ميت ^٧ الأرواح، دل على شمول قدرته بكمال عليه بما أفاده على هذا النبي الكريم الأسمى من العلوم التي زخرت بحارها، فأحيى مدرارها،

- (١-١) من ظ وم، وفي الأصل: صفاته ومخرجه (٢) من ظ وم، وفي الأصل: بينهما (٣) من ظ وم، وفي الأصل: امر (٤) زيد في الأصل: اتى أشرت، ولم تكن الزيادة في ظ وم فحذفناها (٥) من ظ، وفي الأصل وم: شواهدهم. (٦) زيد من ظ وم (٧) من ظ وم، وفي الأصل: موت .

وأغرق تيارها، فافتح هذه السورة بكلمة اليان وهو اسم الحرف
الذى هو آخر حروف تلك، ومن لوازم بعض ما دل عليه الماء الذى
هو الحياة المصححة، ونبه على 'نصبه له' سبحانه دليلا على العلم^١
بما دل عليه من مخرج مسماه وصفاته ومواقفه فى الكلام فى جميع
٥ تقلاباته فقال: (نَ) هذه الكلمة حرف من حروف المعجم وهى^٢
اسم لمسمى به ظهور الاشياء وعلوها وإدراكها كما دل عليه موقعه فى
اسم النور والنار والنيل والنمو والنباهة والنقاء والنصح والنبأ
والنجابة والنجاة والنحت والندم، وقد تقدم فى البقرة عن
أبي بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال: لكل كتاب سر وسر القرآن
١٠ هذه الحروف، ولا يعلم ما هى إلا واضعها سبحانه.

ولما كان هذا الحرف مشتركا فى اللغة بين حرف المعجم والدواة
والحوت وشفرة السيف، سكن للدلالة بادية بدىء على أنه حرف،
ولا يمنع إسكانه المتأصل فى البناء من إرادة بقية المعانى لأن العرب
ربما سكنت الكلمة بنية الوقت تنيها على عظمة معناها، فلا يلزم من
١٥ الإسكان عن غير عامل البناء، وقيل: التون اللوح، والنونة الكلمة من
الصواب، والسمكة، فهو صالح لحرف المعجم الكلى الصالح [لكل-^٣] فرد،
وعن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه آخر حروف [الرحمن-^٤]
والدواة لما يتأثر عنها من العلوم والحوت الذى على ظهره الكون

(١ - ١) من ظ و م، وفى الأصل: نفسه به (٢) من ظ و م، وفى الأصل:
القلم (٣) من ظ و م، وفى الأصل: هو (٤) زيد من ظ و م.

واسمه الهموت لما في ذلك من عجائب القدر و الاسرار، ويكون الإقسام
' وقع بالنون ' سفلا و القلم علوا للإحاطة ، و السيف لما يتأثر عنه ^٢
من جليل الآثار، و كيفما كان المراد فهو الإحاطة ، و هو سر باطن
لا يظهر، و إنما تظهر نتائجه، فهو ^٣ الحكم و نتائجه القضاء و القدر بالإشقاء
أو الإسعاد .

٥

و لما كان هذا الحرف آية الكشف للأشياء كان مخزجه أمكن
المخرج و أيسرها و أخفها و أوسمها ^٤ و هو رأس المقول، فانه يخرج
بما ^٥ بين طرف اللسان و فوق الثنايا ^٦ من اللثة، و هو أخرج من
مخرج اللام و من مخرج الراء أيضا، و تسمى هذه الحروف [الثلاثة - ^٧]
الزلقية مع بقية حروف « فر من لب »، لأن طرف كل شيء زلقه، ^٨
و النون أمكنها في هذا المخرج و أشدها انطباقا فيما بين اللسان و اللثة،
و هو بما كرر مسماه في اسمه فانتهى إلى حيث ابتداء، و اختص بكون
عماده و قوامه الحرف الأقوى الأظهر ذا الرفعة و العلو و هو الواو
و الزلقية التي هو أحدها ضد المصمتة ^٩ و هي أخف الحروف على
اللسان و أكثرها امتزاجا بغيرها، و اما المصمتة فنعت ^{١٠} أن تفرد بنفسها ^{١١}

(١-٢) من ظ و م، وفي الأصل : وعلى النون (٢) من ظ و م، وفي الأصل :
علمه (٣) من ظ و م، وفي الأصل : و هو (٤) من ظ و م، وفي الأصل : « و »
(٥) من ظ و م، وفي الأصل : هو أو مع (٦) في م : ما (٧) زيد في الأصل :
و اللثة ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٨) زيد من ظ و م (٩-١٠) تكرر
ما بين الرقمين في الأصل .

في لغة العرب في كلمة هي أكثر من ثلاثة أحرف، بل لابد أن يكون
 معها بعض الزلالية، والالف خارجة^١ عن الصنفين^٢ لأنها مجرد إلهاء
 لا مستقر لها، فقد ناسبت بمخرجها لسعته وخفته ووصفها بالزلافة التي
 تقع لما اتصف بها من الحروف الكمال^٣ فنية عن سواها ولا يقع
 ه لما لم يخاطبها كمال فيما ذكر ما^٤ ذكر من أن معناها البيان والإظهار
 ومن صفاتها الجهر وبين الشدة والرخاوة والانتشاح والاستفال،
 والفتة الخارجة من الخيشوم إذا سكن، وكل هذا واضح في العلم
 الذي له الانتشاح والانتشار والتغلغل في الأشياء الباطنة، ويشاركه الميم
 في الفتة كما أنه [يشاركه في أن له حظا من الظهور والنون وهو
 ١٠ الأصل في الفتة كما أنه -^٥] الأصل في الظهور لما له من العلم بالعماد،
 وهو أيضا من حروف الذبذبة والزيادة التي لا تستقر / على حال فتقع
 مرة زوائد وأخرى أصولا كما أن العلم أيضا كذلك لا استقرار له بل مهما
 وسعته اتسع، ومهما تركته اضمحل وانجمع، وهو من حروف الأبدال
 التي تبدل من غيرها ولا يكون غيرها بدلا منها فلازب ولازم الميم
 ١٥ بدل من الباء بخلاف العكس كما أن العلم أصل يتبعه غيره ولا يكون
 هو تابعا لغيره، وهي^٦ من الحروف الصحيحة وليست معتلة، والعلم
 جدير بهذا الوصف وهو إذا كان مخفي^٧ من الحروف المشربة ويقال

٤٤٧/

(١-١) من ظ و م، وفي الأصل: من الصفتين (٢) من ظ و م، وفي الأصل
 بياض (٣) من ظ و م، وفي الأصل: مما (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ
 و م، وفي الأصل: هو (٦) من ظ و م، وفي الأصل: يحسا .

٤٤٨

لها المخالطة - بكسر اللام وفتحها، وهي التي اتسعت فيها العرب فزادتها
على التسعة والعشرين المستعملة / وهي^١ من الحروف الصم وهي ماعدا
الحلقية، سميت بذلك لتمكنها في خروجها^٢ من الفم واستحكامها
فيه، يقال للحكم المصم [و-^٣] العلم أشد ما يكون مناسبة لهذا الوصف،
قد انطبقت بمخرجها وجميع صفاتها على العلم الذي هو مقصود السورة ه
فتبين حقا أنه مقصودها، وأما رتبة القلم في بيان^٤ العلم وإظهاره
وكشف خفاياه وأسراره وبه وإشهاره فهي بحيث لا يجهلها أحد
اتصف بالعقل، وبما يختص به هذا الحرف أنه يصحب كل حرف لأن
حده هو ما يعبر عنه التنوين الذي انتظامه بالحركات هو ما آتته العلم
المكمل^٥ به الحياة^٦ التي هي آية ما يعبر عنه هذه الحركات، فلما كانت ١٠
هذه الحركات آية على ما هو الحياة كان التنوين عقبها آية على ما به
كال الحياة من العلم، وهو سبب لما به القيام من^٧ الظهور، ومن معناه
اسمه تعالى النور، ثم^٨ هو اسم لكل ما يظهر ما^٩ خفي باطنا كالعلم في
الإدراك الذي تظهر حقائق الأشياء به، وظاهرا كالنيرين للعيون،
وسائر الأنوار الظاهرة والباطنة، وما هو وسيلة الظهور كالعيون عما ١٥

- (١) من ظ و م، وفي الأصل: هو (٢-٣) تكرر ما بين الرقيين في الأصل.
(٣) زيد من ظ (٤) زيد في الأصل: اظهار، لم تكن الزيادة في ظ و م
لحذفها (ه-ه) من ظ و م، وفي الأصل: بالحياة (٦) من ظ و م، وفي
الأصل: بل (٧) من م، وفي الأصل و ظ «و» (٨) من م، وفي الأصل
و ظ: من^٩

به تشاهد الأشياء و يظهر [به - ١] صورها ، و الدواة التي منها مداد
 ما كتب بالقلم في العوالم أعلاها و ادناها و كل آلة يتوصل بها إلى
 إظهار صورة تكون تماما كماء المزن الذي هو مداد كل شيء كَوْن الله
 به الكائنات و البادئات ، و جعلنا من الماء كل شيء حي ، و منه معنى
 ٥ النجم النباي الذي هو للشجر بمنزلة الفول للبشر متلبسا^١ بالنور - بالفتح -
 الذي فيه حظ من النور - بالضم - و الذرة الذي هو ظاهر في نفسه مظهر
 لطرق الاهتداء ، و كذلك الأمر في النار المخلصة من رتبة ظلماتها التي
 هي غايتها بالرماد ، و ابتدأوها بما يخرج منه من شجر و حديد و حجر .
 و لما كان هذا الحرف اسما لما به ظهور أمر لم يختص بشيء من
 ١٠ المظاهرات دون آخر بل شمل النور و الحاسة و المراد و المادة ، و لذلك
 كان مع السكاف الذي هو علم التكوين سبب ظهور كل شيء ” انما
 قولنا لشيء اذا اردناه أن نقول له كن فيكون “ و لصدقه على
 [كل - ٢] مظهر فصره ابن عباس رضى الله عنهما بالدواة ففسر بما يستمد
 منه القلم ، و ليلحظ موقعه في نجد فانه اسم لما ارتفع من الأرض
 ١٥ و ظهر في نفسه و أظهر غيره ، و في نهود الجارية و هو ظهور نهدها ،
 ٢٠ وفي ” النهب و هو ما أخذ أخذا ظاهرا كما قال صلى الله عليه وسلم “
 ” و لا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم ، و في
 النفع و النفع و النصر و النقر و النقب و ما أشبهها فانها كلها ظهور
 (١) زيد من م (٢) في ظ و م : متلبسا (٣) زيد من ظ و م (٤-٥) من ظ
 و م ، و في الأصل : وفق (٥) راجع صحيح مسلم - كتاب الإيمان .

و إظهار كالم والمن والنمؤ ولأجل علوه واستبطانه وأنه استغراق
المظهر المبين كانت إقامته ^١ يتعالى ^٢ الألف وهو الواو وانتهائوه إلى مثل
ما بدأ به ، ولكون الميم تماما كان قوامه يمتثل كالألف التي هي الياء ^٣
في قولك ميم ، ولرجوع الواو إلى علو الألف كان عمادها الألف في
قولك « واو » ، وهذه الحروف الثلاثة ظاهرة في عالمين ظاهرهما المبدوء ^٤
به ^٥ و باطنهما المختوم به ، فالنون الأولى يعبر بها عن نور الأبصار ،
والخاتمة يعبر بها عن نور القلب ، ولما كان الهاء وتر الدال ، و كان
محيطا باطنا غيبا وجب أن يكون محل تضعيفه بالياء محل محيط [باطن - °]
نازل الرتبة في الغيب عن الهاء لوقوعه في رتب العشرات وهو النون ،
فكان ظاهرا بالإضافة ^٦ إلى خفاء الهاء باطنا بالإضافة ^٧ إلى ظهور الميم ، ^٨
فيكون بالنون ظهور الميم المعبر عن " الملك " الذي سبق في السورة
الماضية كما كان ^٩ شهادة الدال وثبوته بالهاء ، ولذلك انبنى تمام كل
عمل على نور علم كما كان قوام ظاهر كل دال غير هاء ، وكان النون
مدادا ^{١٠} لمثل العلم الذي يظهر صورها بسطر القلم حتى أن آية ما بطن
منه فأظهره القلم هو ما بطن دون الأرض من النون الذي عليه الأرض ^{١١}

- (١) تكرر في الأصل فقط (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : تعالى (٣) من م ،
وفي الأصل : في الهد ، وفي ظ : كانت هي الياء (٤) من ظ و م ، وفي
الأصل : بها (٥) زيد من ظ و م (٦ - ٦) سقط ما بين الرافعين من ظ و
(٧) زيد في الأصل : قوام ظاهر كل دال ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .
(٨) من ظ و م ، وفي الأصل : مرارا .

الذى أول ما يطعمه أهل الجنة زيادة كبده مع الثور الذى عليه الأرض
 [أيضا - ١] الذى يذبح لهم - على ما ورد فى الخبر ، و قابل استبطان
 التون فى الأرض ظهور القاف على ظاهرها الذى هو جبل الزبرجد
 المحيط بالدينا ، و عن ذلك الاستيلاء على القلوب فى الدنيا إنما يكون
 ٥ بالعلم الذى هو حقيقة نون كما أن الاستيلاء على الاجسام فى ظاهر
 الدنيا إنما يكون بالقدرة التى هى حقيقة قاف على ما يظهر من إجمالى
 العلماء فى النون الابطن و الملوك فى القاف الاظهر ، و هذان الصنفان^٢
 من الخلق هما المستوليان على الناس بالابالة و نفوذ الامر ، و لذلك
 أقيم الفصل من القرآن بحرفى قاف و نون ، و اقترن أيضا هذان^٣
 ١٠ الحرفان فى كلمة القرآن و لفظ الفرقان اللذين هما فى ظواهر أسمائهم ،
 و إنما كان أول ما يطعمه أهل الجنة من الثور الذى عليه الدنيا الذى
 [كان - ٤] يرعى فى أطراف الجنة - على ما ورد عنه عليه أفضل الصلاة
 و السلام ، لأن صورة الثور هى معنى ما هو الكد و الكدح^٥ و جهد^٦
 العمل فى الأرض الذى قام عليه امر الدنيا ، و لما كان أهل الدنيا أول
 ١٥ ما يراخون منه من أمر الدنيا تقديم أمر الكد بين يدي معاشهم فى
 الجنة ، كان الذى [يذبح - ٤] لهم الثور الذى هو صورة ندم
 فياكلونه فهو جزاء ما عملوا به فى دنياهم من حيث كانوا ذوى دين ،

(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الصفتان (٣) من ظ و م ،

وفى الأصل : هذا (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : القدح .

(٦) من ظ و م ، وفى الأصل : حمل .

- فاستحقوا بذلك جزاء كدم بما هو صورته، و اضيف لذلك زيادة^١
 كبد النون التي^٢ هي صورة حظهم من أصل العلم فأطعموها وجوزوا
 بها، وروعى في أعمالهم حسن نيتهم في أصل دينهم، فلما اتوا عليها
 استقبلوا الراحة والخروج عن الكلفة في معاشهم في الجنة، و الذى
 / جرم به سبحانه إلى سقى هذه الرتبة ما أتقنه بحكمته من ثناء المفصل ٥ / ٤٥٠
 القرآن على حرفى القاف الذى به^٣ القوة والقهر^٤ و القدرة، و النون
 الذى به إظهار ذلك للعقل بنور العلم، [و -^٥] ذلك أن القرآن
 نزله سبحانه ثنائى، ضمن ما عدا المفصل منه الذى [هو -^٦] من قاف إلى
 خاتمة الكتاب العزيز، و فاتحته ما يختص بأولى العلم والفقه من مبسوطات
 الحكم و محكمات الأحكام و مطولات الاقاصيص و متشابهه الآيات، ١٠
 و السور المفتحة بالحروف العلية^٧ الإحاطة الغيبة المنحى المستندة إلى
 آحاد الأعداد مما يختص بعلم ظاهرها خاصة الأمة، و يختص بأمر باطنها
 آل محمد صلى الله عليه وسلم، فلعلو رتبة إيراد ما عدا المفصل نبي
^٨ الحق تعالى^٩ الخطاب و انتظمه في سور^{١٠} كثيرة العدد يسيرة عد
 الآى هي المفصل، ذكر فيها من أطراف القصص و المواعظ و الأحكام ١٥
 و الانباء و أمر الجزاء ما يليق بسماح العامة ليسهل عليهم سماعه و لياخذوا
 (١) من ظ و م ، و فى الأصل : لزيادة (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الذى .
 (٣-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : القهر والقوة (٤) زيد من ظ و م (٥) من
 ظ و م ، و فى الأصل : العلية (٦-٦) من م ، و فى الأصل : معالى ، و العبارة من
 « ثنى » إلى « هى المفصل » ساقطة من ظ (٧) من م ، و فى الأصل : سيرة .

يحفظ بما أخذ الخاصة ، و يتكرر على أسماعهم في قراءة الآية له في الصلوات
المفروضة^١ التي لا مندوحة لهم عنها ما يكون لهم خلقا بما يفوتهم من
مضمون سائر السور المطولات ، فكان أحق ما افتتح به مفصلهم حرف
القاف الذي هو وتر الآحاد حتى صارت عشرة ، ثم إذا ضربت^٢ في
ه نفسها صارت مائة ، فافتتح به المفصل ، ليكون مضمون ما يحتوى عليه
أظهر مما يحتوى عليه ما افتتح بآلم ، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم
يكثُر أن يقرأ في خطبة يوم الجمعة سورة [" ق " - " ٢ "] فيفتتح للعامة
المتوجه بخطبة يوم الجمعة إليهم لأنها صلاة جامعة الظاهر بفتحة المفصل
الخاص ، وفي مضمونها من معنى القدرة والقهر المحتاج إليه في إقامة أمر
١٠ العامة ما فيه كفاية ، وشغعت بسورة دن^٣ المظهرة ظاهر " ق " فخصوا
بما فيه القهر والإبادة ، واختصت سورة دن ، من مقتضى العلم بما هو
محيط بأمر العامة المنتهى إلى غاية الذكر الشامل للعالمين ، لأن القوة
المعربة عن العلم ربما كان ضررها أكثر من نفعها ، كما قال بعض
السلف : كل عز لم يوطده علم فالى ذل يؤول ، وكما كان جميع السور^٤
١٥ التسع والعشرين المفتحة بالحروف المتضمنة للراتب التسع في التسعة
والعاشر الجامع للراتب التسع بإيتار^٥ آحادها والعاشر الجامع يضرب
(١) من ظ و م ، وفي الأصل : المفروضات (٢) زيد في الأصل : مثلها وفي ،
ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد في الأصل
من مقتضى ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٥) زيد في الأصل : المفصل ،
ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : تيار .
العشر

العشر الموتر في نفسه قواما وإحاطة [في جميع القرآن كذلك كان سورة «ق» وسورة «ن» قواما خاصا وإحاطة -^١] خاصة بما يخص العامة من القرآن الذي يجمعهم الأرض بما أحاط من ظاهرها من صورة جبل «ق» وما أحاط بباطنها من صورة حيوان «ن» الذين تمام أمرهم بما بين مدى إقامتهما^٢، وبهذه السورة المفتحة [بالحروف -^١] ظهر هـ اختصاص القرآن وتميز عن سائر الكتب لتضمنه الإحاطة / التي ٤٥١ / لا تكون إلا^٢ للخاتم الجامع^٣، واقترن من التفصيل في سورها ما يليق بإحاطتها، وإحاطة معانيها وإبهامها كان كل ما فسرته به من معنى يرجع إلى مقتضاها صحيحا في إحاطتها بمتزلها^٤ من أسماء الله وترتيبها في^٥ جميع العوالم فلا يخطئ فيها مفسر لذلك لأنه كلما قصد وجهها من التفسير لم يخرج ١٠ عن إحاطة ما يقتضيه، ومهما فسرته به [من -^٦] أسماء الله أو من أسماء الملائكة أو من أسماء الأنبياء أو من [مثل -^٥] الأشياء أو صور الموجودات أو من أنها أقسام أقسم بها أو فوائج عرفت بها^٧ السور أو^٨ أعداد تدل على حوادث وحظوظ من ظاهر الأمر أو^٩ باطنه على اختلاف رتب وأحوال بما أعطيه المنزل عليه صلى الله عليه وسلم ١٥

- (١) زيد من ظ و م (٢) من م ، وفي الأصل و ظ : إقامتها (٣ - ٢) من ظ و م ، وفي الأصل : للجامع الخاتم (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : مترتيبها . (٥) من م ، وفي الأصل : من ، والعبارة من « وترتيبها » إلى « أسماء الله » ساقطة من ظ (٦) زيد من م (٧ - ٧) من ظ و م ، وفي الأصل : السورة و (٨) من م ، وفي الأصل و ظ و « .

من مقدار أمد الخلافة والملك والسلطنة وما ينتهى إليه أمره من ظهور الهداية ونحو ذلك مما يحيط بأمد يومه إلى غير ذلك وكل داخل في إحاطتها، ولذلك أيضا لا يختص بمحل مخصوص يلزمه علامة إعراب مخصوصة، فهما قدر^١ في مواقعها من هذه السور^٢ جرا أوفضا أو نصبا فداخل ه في إحاطة رتبتهما ولم يلزمها^٣ معنى خاص لما لم يكن لها انتظام، لانها^٤ مستقلات محيطات، وإنما ينتظم^٥ ما يتم معنى^٥ كل واحد من المنتظمين بحصول الانتظام، وذلك يختص من الكلم بما يقصر^٦ عن إحاطة مضمون الحروف حتى أنه متى^٧ وقع استقلال وإحاطة في كلمة لم يقع فيها انتظام^٨.

١٠ ولما كان قوام هذا الوجود بالسيف والقلم، وكان [”نون“ -^٩] مشتركا بين معان منها السيف والدواة التي هي آلة القلم، واللوح الذى هو محل ما يثبت^{١٠} ”من العلم“، وكان السيف قد تقدم في حيز القاف الذى افتتحت به سورة ”ق“ كما هو أنسب لتضمنه^{١١} القوة والقدرة والقهر^{١٢} في سورة الحديد بعد الوعظ والتهديد والتذكير بالنعم في

(١) زيد في الأصل : شك ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : السورة (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : يكن منها (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : لأنه (هـ - هـ) من ظ و م ، وفي الأصل : معنى ما لا يتم . (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : يقتصر (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : من . (٨) زيد في الأصل : والله الهادى عنه للصواب ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٩) زيد من ظ و م (١٠ - ١٠) من م ، وفي الأصل و ظ : القلم . (١١ - ١١) من ظ و م ، وفي الأصل : القهر و القوة .

السورة الواقعة بينهما ، ذكرنا ما هو لحيز النون من آية العلم فقال مقسما
 'بعد حرف "ن" : (والقلم) أى قلم القدرة الذى هو أول ما أبدعه الله ، ثم
 قال له : اكتب ، نخط جميع الكائنات إلى يوم القيامة فى اللوح المحفوظ
 حقيقة ، وفى ألواح صفحات الكائنات حالا وبمجازا ، فأظهر جميع العلوم ،
 ثم ختم على فيه فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة ، والذى يكتب فيه ^٥
 الخلق ما نولهم الله من تلك المعارف والفهوم ؛ وذلك هو قوام أمور الدنيا ،
 والإشارة به إلى القضاء الذى هو من نتائج دن ، لأنه من مصنوعات الله
 الظاهرة التى اقتضت ^٥ حكمته سبحانه إيجادها ووجهه إلى تفصيل ما جرى
 به الحكم .

ولما كان الحاصل بالقلم من بث الأخبار ونشر العلوم على تشعبها ^{١٠}
 والأسرار ما يفوق الحصر ، فصار كأنه العالم المطبق واللسن المنطوق ،
 وكان المراد به الجنس أسند إليه / كما يسند [إلى - '] العقلاء فقال :
 (وما يسطرون ^{١١}) أى قلم القدرة ، وجمعه وأجراه مجرى أولى العلم
 للتعظيم لأنه فعل أفعالهم ، أو الأقلام على إرادة الجنس ، ويجوز أن
 يكون ^{١٢} الإسناد إلى الكاتبين به لما دل عليهم من ذكره ، إما الملائكة ^{١٥}
 إن كان المراد ما كتب فى الكتاب المبين والروح المحفوظ وغيره مما

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : على ما فيه ، ولم
 تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : له (٤) من ظ
 و م ، وفى الأصل : منصوبات (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : اختصت (٦) فى
 م : فكان (٧) زيد من ظ و م (٨) زيد فى الأصل : المراد ، ولم تكن الزيادة
 فى ظ و م لحذفها .

يكتبونه ، وإما كل من يكتب منهم و من غيرهم حتى أصحاب الصحيفة
الظلمة التي تقاسموا فيها على أن يقطعوا بنى هاشم و [من - ١] لافهم
حتى يسلبوا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعون به ما شاؤوا ، وكيف
ما كان فهو إشارة إلى المقدر^٢ لانه إنما^٣ يسطر ما قضى به و حكم .

و لما كان المخاطب بهذا^٤ صلى الله عليه وسلم قد عاشر المرسل
إليهم دهرًا طويلا و زمنا مديدا أربعين سنة و هو أعلام قدرا و أطهرهم
خلايق و أمتهم عقلا و أحكمهم رأيا^٥ و أرافهم^٦ و أرفعهم^٧ عن شوائب
الادناس همة و أزكاهم نفسا بحيث أنه لا يدعى بينهم إلا بالأمين
و لم يتجدد له شيء يستحق به أن يصفوه بسببه بالجنون الذي ينشأ عنه
الضلال عن المقاصد المذكور آخر الملك في قوله " فستعلون من هو

في ضلل مبين " إلا^٨ النعمة التي ما نال أحد [قط - ١] مثلها في دهر
من الدهور و لا عصر من الأعصار ، قال مجيبا هذا القسم العظيم^٩
رادا عليهم بأجلى ما يكون و أدله على المراد تأنيسا له صلى الله عليه
وسلم بما أوجب أفترأؤهم عليه [له - ١] من الوحشة و شرحا

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : المقدور (٣) من ظ و م ،
و في الأصل : مما (٤) زيد في الأصل : النبي ، و لم تكن الزيادة في ظ و م
لحذفها (٥-٥) سقط ما بين الرفين من ظ و م (٦) من ظ و م ، و في الأصل :
أرفهم (٧) من ظ و م ، و في الأصل : الذي هو (٨) زيد في الأصل : ن والقلم
و ما يسطرون ما أنت بنعمه ربك بمجنون و أنك لعل خاق عظيم ، و لم تكن
الزيادة في ظ و م لحذفها .

لصدره وتهذبة لسه: ﴿ مَا أَنْتَ ﴾ أى يا اعلی المتأهلين لخطابنا
 ﴿ بنعمة ﴾ أى بسبب إنعام ^١ ﴿ ربك ﴾ المرنى لك بمثل ^٢ تلك الهمم
 العالیه و السجایا الکاملة بأن خصك بالقرآن الذى هو جامع لكل علم
 و حكمة، و أكد النبی زیادة فی شرفه صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿ یمجنون ٣ ﴾
 أى [بل - ٢] الذى وصفك بهذا هو الحقیق باسم الجنون و معناه ه
 فضلا عن الضلال الذى ^٤ ردد فى آخر تلك ینک و ینهم فی سلوکا
 لسیل الإنصاف لینظروا فی تلك بالادلة فیعلموا ^٥ ضلالهم و هدايتک
 بالدلیل القطعی بالنظر فی الآثار المظهرة لذلك غایة الإظهار، ففی عنه
 صلى الله عليه وسلم الشقاوة التى سببها ^٦ [فساد العقل فثبت السعادة
 التى سببها - ٢] صلاح العقل و نعمة الرب له .
 ١٠

[و - ٢] قال الإمام أبو جعفر بن الزبیر : لما تضمنت سورة الملك ^٧
 من عظیم البراهین ما یعجز العقول عن استیفاء الاعتبار ببعضه کالاعتبار
 بخلق الساعات فی قوله تعالى ” الذى خلق سبع سموات طباقا “ أى يطابق
 بعضها بعضا ^٨ من طابق النعل - إذا خصفها طبقا علی طبق ، و يشعر هذا
 بتساویها فی مساحة أقطارها و مقادیر أجزائها - والله أعلم ، و وقع / الوصف ١٥ / ٤٥٣

(١) من ظ و م ، و فی الأصل : معرفتک (٢) من ظ و م ، و فی الأصل : بمثلک .
 (٣) زید من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فی الأصل : التى (٥) زید فی الأصل :
 فی ذلك ، و لم تکن الزیادة فی ظ و م لحذفها (٦) من ظ و م ، و فی الأصل :
 به سلبها (٧) زید فی الأصل : ما ، و لم تکن الزیادة فی ظ و م لحذفها (٨) من
 ظ و م ، و فی الأصل : من بعض .

بالمصدر يشعر باستحكام مطابقة بعضها لبعض إنباءاً منه سبحانه و تعالى
 أنها من عظم أجرامها و تباعد أقطارها يطابق بعضها [بعضاً - ^١] من
 غير زيادة و لا نقص ” ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت “ أى
 من اختلاف و اضطراب في الخلقة أو تناقض، إنما هي مستوية مستقيمة ،
 ه و جىء بالظاهر في قوله تعالى ” ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت “
 و لم يقل : ما ترى فيه من تفاوت - ليشعر أن جميع المخلوقات جار على هذا ،
 كل شكل يناسب شكله ، لا تفاوت في شيء من ذلك و لا اضطراب ،
 فأعطى الظاهر ^٢ من التعميم ^١ ما لم يكن يعطيه الإضمار كما أشعر خصوص
 اسم الرحمن بما في هذه الأدلة المبسطة ^٢ من الرحمة للخلائق لمن رزق
 ١٠ الاعتبار، ثم نبه تعالى على ما يرفع الريب و يزيج ^١ الإشكال في ذلك
 فقال : ” فارجع البصر “ أى عاود الاعتبار ^٢ و تأمل ما تشاهده من
 هذه ^٣ المخلوقات حتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعينة و لا يبق معك
 في ذلك شبهة ” هل ترى من فطور “ أى من ^٤ [صدوع
 و شقوق ، ثم أمر تعالى بتكرير البصر ^٥ فيهن متصفحا و متمتعا هل تجد
 ١٥ عيباً أو خلا “ ينقلب إليك البصر خاسئاً “ أى إنك إذا فعلت هذا
 رجع بصرك بعيداً عن إصابة الملمس كأنه يطرد عن ذلك طرداً

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م ، وفي الأصل : للتعميم (٣) زيد في
 الأصل : من الرحمن ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤) من ظ و م ،
 وفي الأصل : يزيل (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : البصر (٦) سقط من ظ
 و م (٧) زيد في الأصل : و ترده مرتين ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .

بالصغار وبالإعياء وبالكلال^١ لطول الإجالة والترديد، وأمر برجع
 البصر^٢ ليكون في ذلك استجمامه واستعداده حتى لا يقع بالرجعة
 الأولى [التي - ٢] يمكن فيها [الغفلة و - ٢] الذهول إلى أن يحسر بصره
 من طول [المعاودة إذ معنى التثنية في قوله « كرتين » التكرير كقولهم :
 ليك وسعديك ، فيحسر البصر من طول - ٢] التكرار ولا يثر على هـ
 شيء من فطور ، فلولم تنطو السورة على غير ما وقع من أوله إلى هنا
 لكان في ذلك أعظم معتبر ، وأوضح دليل لمن استبصر ، إذ هذا الاعتبار
 بما ذكر من عمومه جار في كل المخلوقات ولا يستقل بفهم مجاريه^٣
 إلا أحاد من العقلاء بعد التحريك والتفيه ، فشهادته بنوة الآتي به قائمة
 واضحة ، ثم قد تكررت في السورة دلالات^٤ كقوله " ولقد زينا السماء ١٠
 الدنيا بمصابيح " وقوله " الإيعلم من خلق^٥ وهو اللطيف^٦ الخبير "
 الآيات إلى آخر السورة ، وأدناها كاف في الاعتبار فاني يصدر بعض
 عن متصف ببعض ما هزؤا به في قولهم : مجنون [و - ٢] ساحر
 وشاعر^٧ وكذاب ، " كلا^٨ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون "
 فلعظيم ما انطوت عليه سورة الملك من البراهين اتبعت بتزيه الآتي ١٥

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : بالكلام (٢) زيد في الأصل : وتردده ،
 ولم تكن الزيادة في ظ و م لغذفها (٣) زيد في ظ و م (٤) من م ، وفي
 الأصل و ظ : على (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : مجاري (٦) من ظ و م ،
 وفي الأصل : دلالة (٧ - ٧) سقط ما بين الرقنين من ظ و م .

بها محمد صلى الله عليه وسلم عما تقوله المبطلون مقسما على ذلك زيادة في
 التعظيم ، تأكيداً / في ٢ التعزير والتكرير ٢ فقال تعالى : ["ن - ٢"] والقلم
 وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون " و أنى يصح [من مجنون - ٢]
 تصور بعض تلك البراهين قد انقطعت دونها أنظار العقلاء فكيف
 ه يسطها وإيضاحها في نسق موجز ، ونظم معجز ، وتلاؤم يهر العقول ،
 و عبارة تفوق كل مقول ؛ تعرف ولا تدرك ، وتستوضح سبلها فلا تسلك
 " قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن
 لا يأتون بمثله " قوله سبحانه وتعالى " ما أنت بنعمة ربك بمجنون " جواباً
 لقوله تعالى [في - ٢] آخر السورة إنه لمجنون . و تقدم الجواب بنفى
 ١٠ قولهم و التنزيه عنه على حكاية قولهم ليكون أبلغ في إجلاله صلى الله
 عليه وسلم وأخف وقعا عليه وأبسط لحاله في تلقى ذلك منهم ،
 ولهذا قدم مدحه صلى الله عليه وسلم بما خص به من الخلق العظيم ،
 فكان هذا أوقع في الإجلال من تقديم قولهم ثم رده إذ كسر سورة
 تلك المقالة الشنعاء بتقديم التنزيه عنها آتم في الغرض وأكل ، ولا
 ١٥ موضع أليق ٦ بذكر تنزيهه ٦ عليه الصلاة والسلام ، و وصفه من
 الخلق و المنح الكريمة بما وصف بما ٧ أعقب به ذلك إذ بعض ما تضمنته
 (١) من ظ و م ، وفي الأصل : في (٢-٢) من ظ و م ، وفي الأصل : التعزير
 والتكرير (٣) ريد من ظ و م (٤) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ
 و م لحدفتها (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : تلك (٦-٦) من ظ و م ، وفي
 الأصل : تنزيهه (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : بما .

سورة الملك بما تقدم الإيماء إليه شاهد قاطع لكل عاقل متصف بصحة نبوته صلى الله عليه وسلم وجليل صدقه " ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا " قد تبين موقع هذه السورة هنا ، و تلاوم ما بعده من أيها يذكر في التفسير - انتهى .

ولما نفى سبحانه عنه صلى الله عليه وسلم ما قالوه مما تواصوا به ، هـ
ثبت له صلى الله عليه وسلم كمال العقل ، وكان المجنون من لا يكون له عمل ينظم ولا قول يرتبط ، فلا يستعمله أحد في شيء ليكون له عليه أجر ، أثبت له الأجر المستلزم للعقل فيتحقق إثباته من أحكم الحكماء على وجه أبلغ مما [لو ٢] صرح به ، فقال على وجه التأكيد لإنكارهم ٣ له بما ادعوا فيه من البهت : ﴿ وان لك ﴾ أى على ١٠
ما تحملت ٤ من ائقال النبوة وعلى صبرك عليهم بما يرمونك به وهو تسلية له صلى الله عليه وسلم ﴿ لاجرا ﴾ ولما أثبت له ما يلزم ٥
العقل ويصلح لأن يكون في الدنيا وأن يكون في الآخرة دالا بنبوته وما أفهمه السياق من مدحه صلى الله عليه وسلم على عظمته ، وكان الأجر لا يستلزم الدوام ، وقد يكون منفصا بنوع / منه قال : ﴿ غير ممنون ﴾ ١٥ / ٤٥٥
أى مقطوع ولا منقوص في دنياك ٦ ولا في آخرتك ٧ ولا لاحد

(١) زيد في الأصل : المستعمل ، ولم تكن الزيادة في ظ وم فحذفناها (٢) زيد من ظ (٣) من ظ وم ، وفي الأصل : لا بكلام (٤) زيد في الأصل : به ، ولم تكن الزيادة في ظ وم فحذفناها (٥) من ظ وم ، وفي الأصل : يلايم . (٦) في ظ وم : ديبا (٧) في ظ وم : آخرة .

من الناس عليك [به - ١] صنيع^٢ يمين به بأن يذكره^٣ على سبيل اللوم و التقرير ، فهذا^٤ بيان السعادة ، و الاجر لا يكون إلا على^٥ العمل الصالح ، و العمل رشح الاخلاق ، فصالحه نتيجة الاخلاق الحسنة و العقل الراجح .

٥ و لما ثبت بهذا العقل مع ما أفاده من الفضل ، و كان الذى يؤثر قد يكون فى أدنى رتب العقل ، بين أنه صلى الله عليه وسلم فى اعلاما بقوله مؤكدا لما مضى : ﴿ و انك ﴾ و زاد فى التأكيد لزيادتهم فى المكابرة فقال : ﴿ لعلنى خلق ﴾ و لما أفهم^٦ السياق التعظيم ، صرح به فقال : ﴿ عظيم ﴾ و هو الإسلام الذى دعا إليه القرآن ، لا بالبلاء .
١٠ ينحرف^٧ ، و لا بالعطاء ينصرف ، لأن خلقه - بشهادة أعرف الناس به - زوجه أم المؤمنين الصديقة عائشة بنت الصديق أبى بكر رضى الله عنهما - القرآن ، فلا يتحرك و لا يسكن إلا بأمره و نهي ، فهذا الخلق نتيجة الهدى و الهدى نتيجة العقل ، و هو سبب السعادة ، فأنهم ذلك عدم^٨ سعادتهم لعدم عقولهم ، [و - ١] قال الواسطى : أظهر الله قدرته فى عيسى عليه الصلاة و السلام و نفاذه فى آصف ، و سحقه و قهره فى

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الاصل : حتى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخفضها (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : يذكر (٤) زيد فى الأصل : على سبيل ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخفضها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : اعلى (٦) زيد فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخفضها (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : المعروف (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : سبب عداوتهم .

عصى موسى عليه الصلاة والسلام وأظهر أخلاقه ونوته في محمد صلى الله عليه وسلم، فكان متخلقا بأخلاق الله تعالى والتخلق بأخلاقه أن يزه عنه عن الجهل وجوده عن البخل وعدله عن الظلم وحله عن السفه، واعلم أن الخلق والخلق صورتان: الخلق صورة الظاهر، والخلق صورة الباطن؛ فتناسب^١ الأعضاء الظاهرة يعبر به عن الخلق^٥ الحسن، وتناسب المعاني الباطنة يعبر به عن الخلق الحسن، ثم الخلق الحسن تارة مع الله، وتارة مع حكم الله، وتارة مع الخلق، فمع الله بالتعظيم والإجلال ومع حكمه^٢ بالصبر^٣ في الضراء والبأساء^٤ والشكر في الرخاء والامثال للأوامر والأزجار عن النواهي عن طيب قلب مسارعة وسماحة، وحسن الخلق مع الخلق بث النصفة في المعاملة وحسن^{١٠} المجاملة في العشرة^٤، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [أنه-°] قال: الخلق وعاء الدين، لأن من الخلق يخرج الدين، وهو الخشوع والخشوع وبذل النفس لله واحتمال المكروه.

ولما كان الإسلام أشرف الأديان، أعطاه الله تعالى أقوى الأخلاق وأشرفها وهو الحياء كما روى أن لكل دين خلقا وخلق الإسلام^{١٥} الحياء، ومن الحياء حياة القلب، فكان صلى الله عليه وسلم يأخذ العفو^١

- (١) من ظ وم، وفي الأصل: تناسب (٢) من ظ وم، وفي الأصل: حكم الله.
(٣-٣) من ظ وم، وفي الأصل: بالبأساء والضراء (٤) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ وم فخذناها (٥) زيد من ظ وم (٦) من ظ وم، وفي الأصل: العرف.

و يامر بالعرف^١ ويعرض عن الجاهلين ولا يجهزى^٢ بالسيسة السيسة^٣
 لكن يغفو ويصفح ويحسن مع ذلك ويجذب^٤ برده حتى يؤثر في
 عنقه فيلتفت وهو يضحك ويقضى حاجة الجاذب^٥ ويحسن إليه، فقد
 اشتمل الكلام التديري المشار إليه بالنون والقضاء الكلى التأثري^٦
 ٥ المشار إليه بالقلم والقدر المبرم التفصيلي الواقع على وقف القضاء المشار
 إليه بالسطر، ومثال ذلك أن^٧ من أراد بناء دو لآب احتاج [أولاً-^٨
 إلى مهندس يدبر له بعلنه موضع^٩ البئر والمدار^{١٠} وموضع المحلة^{١١}
 وموضع السهم وموضع الجداول، ونحو ذلك وهو الحكم التديري^{١٢}،
 وثانياً إلى صانع يحفر البئريفي ونجار يركب الأخشاب على وفق حكمة
 ١٠ المهندس، وهو القضاء التأثري، وثالثاً إلى إقامة الثور في موضعه ودوران
 المحلة بما عليها من القواديس وجرى الماء في الجداول على وفق القضاء
 وهو القدر، ويحتاج رابعاً وخامساً إلى بيان انقسام المقدر له إلى شقي
 وسعيد، فالحكم باطن وهو سر من أسرارهِ سبحانه وتعالى - "سبحان
 من لا يعلم قدره غيره"^{١٣} .

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : بالمعروف (٢-٣) من ظ و م ، وفي الأصل :
 السيسة بالسيسة (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : يحمل (٤) من ظ و م ، وفي الأصل :
 الحاجب (٥) من م ، وفي الأصل وظ : التأثير (٦) في ظ و م : بأن .
 (٧) زيد من ظ و م (٨-٨) من ظ و م ، وفي الأصل : المدارو البئر (٩) من
 ظ و م ، وفي الأصل : انقلا (١٠) زيد في الأصل : وتحتاج ، ولم تكن الزيادة
 في ظ و م لحذفها (١١-١١) سقط ما بين الرقبتين من ظ و م .

ولما أقسم سبحانه على نفي ما بهتوه به و دل على ' ما وهبه ' له
من كمال العقل و تمام الشرف و النبل تصریحا و تلویحا ثبت غاية
الثبات باخبار العالم الحكيم^٢، دل عليه بالمشاهدة على وجه هو من أعلام
النبوة للحكم على المستقبل فقال مسيبا عن صادق هذا الإخبار: (فستبصر)
أى ستعلم^٣ يا أعلى الخلق و أشرفهم و أكملهم^٤ عن قريب بوعده لاخلفه
فيه علما أنت فى تحققة كالمبصر بالحس الباصر (و يبصرون لا) أى
يعلم^٥ الذين رموك بالبهتان علما هو كذلك .

ولما كان صلى الله عليه وسلم هو و من معه فريقا و الأعداء
فريقا، و قد أبهم آخر الملك الضال فى الفريقين قال: (بأبيكم) أى فى
أى فريقكم^٦ (المقتون^٧) [أى -^٨] بالضللال و الجنون^٩ حتى صد ١٠
عن الهدى^{١٠} و دین الحق، أو بأبيكم الفتنة بالجنون و غيره على أن يكون
مصدر فن، قال الرازى: مصدر مثل المقتون و هو الجنون بلفظ قريش
كما يقال: ما له معقول و ليس له مجلود، أى عقل و جلادة .
ولما كان هذا إخبارا بمنونهم المستلزم لضلالهم^{١١} على هذا الوجه

المتصف، و كان مثل هذا [قد -^{١٢}] يقع فى محاورات الناس بضرب ١٥
من الظن، استأنف تعالى ما هو كالتعليل لما أفاده السياق من هذا الحكم

(١ - ١) من ظ و م ، وفى لأصل : رهته (٢) زبدت الواو فى الأصل ولم
تكن فى ظ و م فخذفناها (٣ - ٣) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٤) من ظ
وم ، وفى الأصل : يعلمون (٥) زيد فى الأصل : من هو ، ولم تكن الزيادة فى
ظ و م فخذفناها (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : كان قد أبهم .
(٨) من ظ و م ، وفى الأصل : الهوى (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : اضلالهم .

عليهم إعلاما بأنه ناشئ. إذن علم قطعى لامية فيه بوجه، فقال مؤكدا
 لاجل إنكارهم لأن يكون الأمر على ما أفاده ما تقدم : (ان ربك)
 أي الذي ربك أحسن تربية وجبك على ' أعظم الخلائق (هو)
 أي وحده (أعلم) [أي - ٢] من كل أحد لا سيما من يتحرض
 ه (بمن ضل) أي حار و جار^٢ و ذهب و زل و ضاع و غاب غيبة
 عظيمة لا يهتدى منها، و سلك غير سبيل القصد، و أخطأ موضع الرشد،
 معرضا (عن سبيله) فكان أجن المجانين لأنه سبحانه و تعالى خالقهم،
 و شارعه. إلا يعلم من خلق^٣ و هو اللطيف الخبير^٤، و لا سيما و هو
 الحى القيوم الذى لا يغفل^٥ (و هو) أي خاصة (اعلم بالمهتدين ه)
 ١٠ أي الثابتين^٦ على الهدى^٦ و هم أولو الأحلام و النهى، و هذا سر القدر
 الذى يقال : إنه^٢ إنما يظهر يوم الحاقة .

ولما كان من طبع البشر أن الحليم منهم الرزين إذا اشتد
 [عليه - ٨] الأذى بمن لم تجر^٩ العادة بأن مثله يطبق مثلهم قاربهم .
 و لا ينهم فيما وقع الخلاف بسببه بعض المقاربة، و كان سبب تلك
 ١٥ المقاربة إنما هو عدم علمه بالعواقب، سبب^{١٠} سبحانه ما مضى من إعلامه

(١) من ظ و م، و فى الأصل : عن (٢) زيد من م (٣) من ظ و م، و فى
 الأصل : خاف (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى
 الأصل : لا ينجل (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل : بالهدى (٧) من ظ و م،
 و فى الأصل : ان (٨) زيد من ظ و م (٩) من م، و فى الأصل و ظ : لا يجرى .
 (١٠) زيد فى الأصل : عنه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

بحقائق الأمور و كشفه لمستورها^١ قوله إلهابا و تهيجاً على الثبات على معاصيهم إغلاما للضال بأماراته ليعلم المهتدي لأن الأمور تعلم بأضدادها، وهو خطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد أمته ليكون ذلك أبلغ في سماعهم^٢: (فلا تطع) أى أيها المأمور بانقادهم^٣ من غوائل أهوائهم^٤ وأشرائك أهلاكهم^٥ (المكذبين) أى العريقين في التكذيب، ه قال الملوى: و لا يخفى أن كل كفر ظهر و كل ضلالة ظهرت، و كل بدعة و [كل - ١] شر إنما كان سببه إفساد القوة العلية و النطقية، وهو يكون بالتكذيب^٦، ثم علل ذلك بما يكون مجتمعة على وقوعه منهم من مدة طويلة و هم مستمرين عليه بقوله: (ودوا) أى احبوا محبة عظيمة^٧ واسعة متجاوزة للحد قديما مع الاستمرار على ذلك^٨ ١٠ و أكد تهالكهم على هذه الودادة^٩ بما يفهم التمنى و إن ذلك مستمر منهم^{١٠} لا أنه^{١١} وقع و مضى، فقال مشيراً إلى إفسادهم القوة النطقية و خلق الشجاعة الغريزية: (لو تدهن) أى تلين فتوافق على^{١٢} بعض

- (١) زيد في الأصل: هو، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٢) من ظ و م، وفي الأصل: اسماعيل (٣) من ظ و م، وفي الأصل: بإبعادهم (٤) من ظ و م، وفي الأصل: إيهانهم (٥) في ظ و م: هلاكهم (٦) زيد من ظ و م. (٧) من ظ و م، وفي الأصل: بالتهذيب (٨) سقط من ظ و م (٩) زيد في الأصل: بما يكون مجموعاً، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (١٠) من ظ و م، وفي الأصل: الوازدة (١١ - ١٢) من ظ و م، وفي الأصل: لانه. (١٢) من ظ و م، وفي الأصل: لا.

ما يريدون فهادتهم^١ على ترك نهيهم عن الشرك وترك التعرض لسب
آلهمهم وتسفيه^٢ أحلامهم وتضليل آياتهم ، قال ابن برجان : والادهان
ملاينة^٣ وانجرار^٤ بالباطل وإغماض عن الحق مع المعرفة بذلك - انتهى .
وهو من الدهن لأنه يلين ما يدهن به^٥ .

٥

ولما كان من طبعهم أنهم كانوا يلينون له صلى الله عليه وسلم
بعض الأوقات [خداعاً-^٦] كما قيل في سبب نزول «الكافرون» من أنهم
قالوا له صلى الله عليه وسلم : تعال فلنصطليح على أن نعبد إلهك
سنه وتعبد آلهتنا سنة ، ونحو هذا من الأباطيل حتى أنهم سجدوا وراءه
صلى الله عليه وسلم لما تلا عليهم سورة النجم فسجد فيها فسجد وراءه
١٠ / ٤٥٨ الكفار والمؤمنون / والجن والإنس حتى سمع المهاجرون إلى الحبشة
وهم بالحبشة فرجع بعضهم^٧ [ظناً-^٨] منهم^٩ أنهم قد استبدوا
فوجدوهم على أحيث ما كانوا عليه أولاً^{١٠} ، قال سبحانه معرفاً بأن ذلك
منهم خداع : ﴿ فيدهنون ﴾ أي فبسبب ودادتهم أنك تدهن [م-^{١١}]
يدهنون ، فهو عطف على [و دوا ، لا-^{١٢}] جواب «لو» لأجل تنبيهه

- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : فنهاون (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : سفه .
(٣-٣) من ظ و م ، وفي الأصل : القول والانجرار (٤) من ظ و م ، وفي
الأصل : فيه (ه-ه) سقط ما بين الرقعتين من ظ و م (٦) زيد من ظ و م .
(٧) من ظ و م ، وفي الأصل : عقول ضل ياربها على (٨) من ظ و م ، وفي
الأصل : بعض (٩) زيد في الأصل : على ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .
(١٠) سقط من ظ و م .

صلى الله عليه وسلم على ان لينهم لما هو خداع لم يرد به غير الفساد ،
وقد أخروا الإدهان وإن كانوا قديما في ' وداده طمعا في أن تبدأ
به فيظهوره^٢ حيثذ، قال القشيري : من أصبح عليلا نهي أن يكون
الناس كلهم مرضى .

ولما نهاه^٣ عن طاعة المكذب وعلله ، وكان من الناس من ه
يخفى تكذبه ، قال ناصبا علامات المكذب : ﴿ ولا تطع ﴾ أى فى
وقت من الاوقات ' منهم ولا من غيرهم ' ﴿ كل حلاف ﴾ أى مبالغ^٤
فى الاجترار على الايمان وإن لم يظهر لك تكذبه ، وليس المراد
النهى عن العموم بل عموم النهى ، أى انه عن كل حلاف فالنهى أصل
والكل وارد عليه ، كما تقدم^٥ تخرج مثله فى آخر البقرة فى قوله تعالى ١٠
” والله لا يحب كل كفار أثيم “ وهذه الأوصاف متفرخة من الكذب
وخبث السجية ، فهى كالتفصيل ، فكثرة الحلف دالة على فساد القوة
العلمية فنشأ عنها سقوط تعظيم الحق ، فصار صاحبها لا يعرف معروفا
ولا ينكر منكرا ، فلذلك يخلف صادقا وكاذبا كيفما اتفق ﴿ مهين لا ﴾
أى حقير ضعيف وضع سافل الهمة والمروءة سافل الرأى ، لأن ١٥
الإنسان لا يكثر الحلف إلا وهو يتصور فى نفسه أنه لا يصدق إلا
بذلك ، لأنه ليس له من المهابة عند من يحدثه والجلالة ما يصدقه

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : عن (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : فيظهره .
(٣) من ظ وم ، وفى الأصل : نهى (٤-٤) سقط ما بين الرقنين من ظ وم .
(٥) من ظ وم ، وفى الأصل : بانغ (٦) زيد فى ظ وم : ونخرجه كما تقدم .

بسيئة، وهو مؤثر للبطالة لما فيها من موافقة طيبة، وذلك هو الحقارة الكبرى^١.

ولما كان كل^١ من اتصف بصفة: أحب أن يشاركه الناس [فيها - ^١] أو يقاربوه لاسيما إن كانت تلك الصفة دنية ليسلم من العيب أو الانفراد به ولأن الشيء لما دناؤه ألف قال: (هماز) أى كثير العيب للناس في غيبتهم، وقال الحسن: هو الذى يغمز بأخيه في المجلس، أى لأن الهمز العض والعصر^٢ والدفع - من الهماز الذى يطن [به - ^٣] فى بطون الدواب، وهو مخصوص بالغيبة كما أن المزمع مخصوص بالمواجهة.

١٠ ولما كانت النسيئة - وهى نقل الحديث على وجه السعاية - أشد الهمز^٤ أقاد أنه يفعلها ولا يقتصر على مجرد النقل بل يسعى به إلى غيره [وإن بعد - ^٥] فقال تعالى^٦: (مشأ) أى كثير المشى (بنميم) أى ينقل ما قاله الإنسان [فى آخر - ^٧] وأذاعه سرا، لا يريد صاحبه إظهاره على وجه الإفساد للين مبالغ فى ذلك ١٥ بغاية جهده.

ولما كان من كان هكذا يريد إعلاء نفسه بهضم الناس /، وكان / ٤٥٩

المنع لإرادة الاستئثار بالمنوع ليكون الغير محتاجا إليه وعاكفا عليه

(١) - فقط من ظ و م (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفى الأصل: العرض (٤) زيد من م (٥) من ظ و م، وفى الأصل: البر (٦) زيد فى الأصل: مبيتا، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها.

لأن من طبعه^١ أنه لا^٢ يرتبط إلا طمعا لا شكرا بضد الجواد، فانه يرفع^٣ نفسه عن المطامع، ولا يرتبط إلا شكرا على الصنائع فيجود ظناته أن الناس كذلك، قال: (مناع) أي كثير المنع شديده (للخير) أي كل خير من^٤ المال والإيمان^٥ وغيرهما من نفسه ومن غيره من الدين والدنيا-^٦ إلى غير ذلك^٧.

ولما كان من يفعل هذه^٨ المخاى من الناس ويقتصر في الهمز والنم على الواقع، وفي المنع على ما له منه-^٩ ليثما، بين أنه لا يقع^{١٠} بذلك، بل زاد عليه يبذل الجهد فيما يصير به ألام فقال: (معتد) أي^{١١} ثابت التجاوز للحدود في كل ذلك (اثم لا) أي مبالغ^{١٢} في ارتكاب ما يوجب الإثم فيترك الطيبات ويأخذ الحباث و^{١٣} يرغب في المعاصي^{١٤} ويتطلبها، ويدع الطاعات ويزهد فيها.

ولما كان كل من^{١٥} يتصف بهذه الدنيا التي من شأنها إبعاد الناس عنه و^{١٦} تفرتهم منه^{١٧} يسمى في سترها إن كان عاقلا بلين وتواضع

(١-١) من ظ و م، وفي الأصل: (٢) من ظ و م، وفي الأصل: يدلع .
(٣-٣) من ظ و م، وفي الأصل: الإيمان والمال (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٥) من ظ و م، وفي الأصل: هذا (٦) من ظ و م، وفي الأصل: لا ينفع (٧) سقط من ظ و م (٨) من ظ و م، وفي الأصل: بالغ (٩) زيد في الأصل: كان، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (١٠-١٠) من ظ و م، وفي الأصل: تفرتهم عنه .

و خداع و سهولة انقياد ، بين ان هذا على [غير -^١] ذلك فقال منها
على هذا بالبعدية : (عتل) أى أكل شديد الخصومة جاف غليظ^٢
فى خلقه و خلقه ثقيل مر ، كأنه قطعة جبل^٣ قد انقطع^٤ عن سائر
لا ينجر إلى خير إلا بصير و صعوبة و عنف ، من عتله - إذا قاده بغلظة ،
ه فهو فى غاية ما يكون من يبس الطباع و عدم الطواعية فى الخير
و الانطباع ، قال الرازى : و سئل عنه^٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم
- أى عن العتل - فقال : هو الشديد^٦ الخلق الرحيب الجوف الأكل الشروب
الظلم ، و نبه سبحانه على ثباته فى تلك المحازى الموجب لاستغراق
أوقاته و أحواله بها بنزع الخافض فقال : (بعد ذلك) الخلق الجدير
١٠ بتكلف الإبعاد عنه الذى تجمع من هذه الأوصاف التى بلغت نهاية
القباحة حتى صارت كأنها خلق واحد ثابت راسخ لا حيلة [له -^٧]
فى مداواته ، و على ذلك نبه قوله : (زعيم لا) أى صارت له علامة سوء
و شر و ثناء قبيح و لامة بينة^٨ و معرفة^٩ يعرف بها كما تعرف الشاة
بزمنتها ، و هى الجلدة التى تكون تحت حلقها مدلاة تنوس ، و العبد
١٥ بنعائيه و سفساف^{١٠} أخلاقه ، و قيل : هو الذى يتشبه بقوم و ليس منهم
فى شيء ، و لا يخلو التعبير به من إشارة^{١١} إلى أنه دعى ليس ثابت النسب

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : شديد (٣-٣) من ظ
و م ، و فى الأصل : قطع (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٥) من ظ و م ،
و فى الأصل : شديد (٦) زيد من م (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ و م .
(٨) من ظ و م ، و فى الأصل : سفاف (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : اشار .

إلى من ينتسب إليه ، ليكون منقطعا عن كل خير وإن كان ينسب إلى آباء كرام ، أخذنا من زئمة البعير ، وهي جلدة تقطع من أذنه فترك^١ معلقة ، ولا يفعل ذلك إلا بكرام الإبل ، وهذه الأفعال كلها تنافي الشجاعة المقتضية / لإحسان صاحبها إلى كل أحد وأن لا يحسب له حسابا ولا يوصل إليه^٢ أذى إلا بعد ظهور شره فيعامله حينئذ بحسب العدل بما لا يرزى بالمرودة^٣ و المشار إليه بهذا مع إرادة العموم قيل : الوليد بن المغيرة ، وقيل : الأخنس ابن شريق^٤ ، وقيل : الأسود بن عبد يغوث ، و قال ابن قتيبة : لا نعلم أن الله تعالى وصف أحدا ولا ذكر [من -] عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة .

ولما كان حطام هذه الدنيا كله عرضا فانيا وظلا متقلصا زائلا ، لا يفترخ^٥ به بل ولا يلتفت إليه إلا من كان بهذه الأوصاف ، فاذا كان أكبرهم ومبلغ^٦ عليه أئمر^٧ له^٨ الترفع^٩ "على الحقوق" والتكبر على العباد قال : " (أن) أى لأجل أن (كان) هذا الموصوف (ذا مال) أى مذكور بالكثرة (وبين^{١٠}) انعمنا عليه بهما فصار يطاع لأجلهما ،

- (١) من م ، وفي الأصل وظ : وترتك (٢) من ظ و م ، وفي الأصل ، له .
 (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : يوق (٤) سقط من ظ و م (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : لا يلتفت (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : ابلغ (٨) في الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٩) زيد في الأصل : على ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخفتها (١٠-١١) من ظ و م ، وفي الأصل : الحقوق .
 (١١) من ظ و م ، وفي الأصل : فقال .

فكان بحيث يجب عليه شكرنا بسببها ﴿ اذا تلى ﴾ اى تذكر على سبيل
 المتابعة ﴿ عليه ﴾ ولو كان ذلك^١ على سبيل الخصوص له^٢ ﴿ ايئتنا ﴾ اى
 العلامات^٣ الدالة دلالة في غاية الظهور على الملك الاعلى وعلى ماله من
 صفات العظمة ﴿ قال ﴾ اى فاجا هذا القول من غير تأمل ولا توقف
 ٥ [عوضا -^٤] عن الشكر، فـ ان، مع جازه متعلق بما ذل عليه الكلام
 فهو كذب لاحل كونه متمكنا، ولا يتعلق بقال لانه جزاء الشرط،
 ويحوز ان يتعلق بلا تطع اى لا توجد طاعته لأجل^٥ أن كان
 كذا، و قرئ بالكسر على أنها شرطية، فيكون النهى عن طاعته لغلة
 الغنى مفهما للنهى عن طاعته عند الوصف بغيره من باب الاولى كالتعليل
 ١٠ باملاق فى الواذ: ﴿ اساطير ﴾ جمع سطور جمع سطر ﴿ الاولين ﴾ اى
 اشياء سطورها ودونوها و فرغوا منها فحمله دنى^٦ طبعه على تكبره^٧ بالمال
 فورطه فى التكذيب بأعظم ما يمكن سماعه فجعل الكفر موضع الشكر
 ولم يستح من كونه يعرف كذبه كل من يسمعه، فأعرض عن الشكر
 ووضع موضعه الكفر، فكان هذا دليلا على جميع تلك الصفات السابقة
 ١٥ مع التعليل بالإسناد إلى ما هو عند العاقل^٨ أوهم^٩ وأهى من يت

(١) من ظ و م، وفى الأصل: هذا (٢) تكررت العبارة هنا من « اذا تلى »
 إلى « صفات العظمة » فى الأصل فقط (٣) من ظ و م، وفى الأصل: علامتنا،
 (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، وفى الأصل: لأن (٦) من ظ و م،
 وفى الأصل: تكبر (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

العنكبوت ، و الإستناد إليه وحده كاف في الاتصاف بالرسوخ في الدئمة ،
و لا يعمل في « أن قال ، بل ما دل عليه لأن ما في حيز الشرط لا يعمل
فيما قبله .

ولما كان هذا المذكور قد أغرق في الشر فوقع السامع جزاءه ،
قال معلما أنه يجعل له من الخزي و الفضائح ما يصير به شهرة بين ه
الخلائق في الدنيا و الآخرة : (سنسسه) أى نجعل ما يلحق به من العار
في الدارين كالوسم الذي لا ينمحي أثره ، تقول العرب : وسمه ميسم سوء ..
ولما كان الوسم منكئا ، وكان جعله^١ في موضع لا يستر أنكأ ، وكان
الوجه اشرف^٢ ما في الإنسان ، وكان أظهر ما فيه و أكرمه^٣ الآقف ، ولذلك
جعلوه مكان^٤ العز و الحمية و اشتقوا منه الآقفه قال : (على الخرطوم ه) ١٠
أى الآقف الطويل جميعه و ما قاربه من الحنكين^٥ و سما مستعليا عليه
بوضوح جدا ليكون هتكه^٦ بين الناس و فضيحة لقومه^٧ و ذلا و عارا ،
و كذا كان لعمرى له بهذا^٨ [الذكر - ١] الشنيع و الذنب القبيح من
الكفر و ما معه ، و سيكون له يوم الجمع الأعظم^٩ ما هو أشنع من هذا
على أنه قد حقق في الدنيا هذا الخطم حسا بأنه ضرب يوم بدر ضربة

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : جعل (٢) في ظ و م : اشهر (٣) من ظ و م ،
وفي الأصل : اكرامه (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : موضع (ه) زيد في
الأصل : وسمى هذا ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخذفها (٦) من ظ و م ،
وفي الأصل : هتيكه (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : بين قومه (٨) من ظ و م ،
وفي الأصل : هذا (٩) زيد من ظ و م (١) من ظ و م ، وفي الأصل : الاكبر

نخطمت أنفسه - قاله ابن عباس رضى الله عنهما^٢، والتعبير^٢ عن الآف بهذا^٢ للاستهانة والاستخفاف.

ولما ذكر [فى - ٢] أول الملك أنه خلق الموت والحياة للابتلاء فى الأعمال، وختم هنا بعيب من يقرر^٤ بالمال والبنين وهو يعلم أن الموت وزاده، أعاد ذكر الابتلاء وأكدده لأن أعمالهم مع العلم بأنه عرض زائل [أعمال - ٢] فمن يظن الملك الثابت والتصرف^٥ التام، [فقال - ٢]: (أنا بلوثهم) أى عاملنا^٦ - على مالنا من العظمة - الذين نسهم^٧ على الخراطيم من قریش^٨ و سائر عبادنا بما وسعنا عليهم به مغالبة المختبر مع علنا بالظاهر والباطن، ففرم [ذلك - ٢] وظنوا أنهم أحباب، ومن قترنا عليه من أوليائنا أعداء، فاستهانوا بهم، ونسبوا لاجل تقللهم من الدنيا إلى السفه والجنون والضلال والفتون، فيوشك أن نأخذهم بغتة كما فعلنا بأصحاب الجنة، فكل^٩ من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ابتلى به، فإن^{١٠} آمن كان ممن أحسن عملا، وإلا كان ممن أساء.

(١) راجع معالم التنزيل ١١١ / ٧ (٢-٢) من ظ وم، وفى الأصل: بهذا عن الخراطيم (٣) زيد من ظ وم (٤) من ظ وم، وفى الأصل: يعتبر (٥) من ظ وم، وفى الأصل: النصر (٦) زيد فى الأصل: هؤلاء المكذبين، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها (٧-٧) من ظ وم، وفى الأصل: من قریش وعلى الخراطيم (٨) من ظ وم، وفى الأصل: لكل (٩) من ظ وم، وفى الأصل: كان.

ولما لم تعرف عامة اهل مكة نعمة الله عليهم به صلى الله عليه وسلم ، أخرجه الله عنهم و أكرمه . بأنصار جعله أكرم الكرامات لهم ، وكل من سمع به ولم يؤمن فهو كذلك ، تكون أعماله كهذه الجنة يظنها شيئاً فتخونه أحوج ما يكون إليها ، أو كان ابتلاؤنا لهم بالقسط الذى دعا عليهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكلوا الجيف ٥
 ٢ فما تابوا ٢ كما تاب (كما بلونا) أى اخترنا بأن عاملنا ٢ معاملة المختبر مع علمنا بالظاهر و الباطن ، و حاصله أنه استخرج ما فى البواطن ٢ ليعلم العباد فى عالم الشهادة كما يعلم الخالق فى عالم الغيب ، أو أنه كناية عن الجزاء (اصحب الجنة ج) عرفها لأنها كانت شهيرة عندهم و هى بستان عظيم ٦ كان دون صنعاء بفرسخين ، يقال له الضروان ، يطأه أهل الطريق ، كان صاحبه ينادى الفقراء وقت الصرام ، و يترك لهم ما أخطأ المنجل أو ألقته الريح أو بعد عن البساط الذى يبسط تحت النخلة ، فلما مات شح بنوه بذلك لحقوا على أن يجذوها قبل الشمس حتى لا يأتى الفقراء إلا بعد فراغهم ، و ذلك معنى قوله تعالى : (إذ) أى حين (اقسوا) و دل على تأكيد القسم فقال : (ليصرمنها) عبر به ١٥
 عن الجذاذ بدلالته على القطع البائن المعزوم عليه المستأصل المانع للفقراء

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : اشياء (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : يكون .

(٣-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : فماتوا (٤) من م ، وفى الأصل و ظ :

عاملناهم (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : الباطن (٦) زيد فى الأصل : كانه ،

و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها .

ليكون قطعاً من كل وجه ، من الصريم - لعود يعرض على^١ فم الجدى
 ثلثاً يرضع ، ومن الصرماء : المفاضة لا ماء بها ، و الناقة القليلة اللبن
 ﴿ مصبحين^٢ ﴾ أى داخلين فى أول وقت الصباح ﴿ ولا ﴾ أى والحال
 انهم [لا -^٣] ﴿ يستنون^٤ ﴾ أى لا يطلبون ولا يوجدون ثياباً - أى
 ٥ عوداً - إلى ما قبل اليمين بقولهم ، إن شاء الله ، أو غير ذلك من الألفاظ
 الموجبة لأن يكون شيء من جنتهم مطلقاً غير ممنوع ، وسمى ذلك
 استثناء لأنه إخراج لشيء يكون حكمه غير المذكور أولاً ، و كان
 الأصل فيه : إلا أن يشاء الله ، وألحق به إن شاء الله لرجوعه إليه فى اتحاد
 الحكم ﴿ طاف ﴾ أى فسبب عن عملهم هذا الطامح^٥ أن طاف ﴿ عليها ﴾
 ١٠ أى جنتهم ﴿ طأف ﴾ أى عذاب مهلك محيط مع أنه امر يسير
 جداً عند الله وإن كان عظيماً بالنسبة إليها لأنه لم يدع منها شيئاً ،
 ولا يكون الطائف بهذا [المعنى -^٦] إلا بالليل ، كذا قيل ، ويرده
 ”إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا“ .

ولما كان هذا مقتناً فى الصورة أخبر بأنه لطف وترية فى المعنى
 ١٥ بقوله : ﴿ من ربك ﴾ أى المعروف بالعظمة التى لا تعد وبالإحسان
 إليك فهو جدير بأن يؤدب قومك ليقبلوا منك كما أدب أصحاب الجنة
 بما أوجب توبتهم وهو الحقيق بترية العباد يعقلوا عنك ويكونوا

(١) من ظ و م ، و م ، وفى الأصل : عن (٢) زيد من م (٣) من م ، وفى
 الأصل : الطامح ، وفى ظ : الصالح (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : عليهم .
 (٥) زيد من ظ و م .

خليقين بالتجنب للدنيا و الإقبال على المعالي (و م) أى و الحال أن أصحاب الجنة المقسمين (نأثمون هـ) وقت [إرسال - ١] الطائف (فاصبحت) [أى - ١] فتسبب عن هذا الطائف الذى أرسله القادر الذى لا يغفل و لا ينام على مآل من لا يزال أسير العجز [و النوم - ١] فعلا أو قوة أن صارت جنتهم وقت اجتنائهم لها بالغد و سرورهم بها هـ (كالصريم ٢) أى كالأشجار التى صرم عنها ثمرها ٢ أو كالشيء الذى انقطع ما بينه و بين قاصده فلا وصول إليه بوجه ، و قيل : كالليل المظلم الأسود ، و قيل : كالرماد الأسود ، ليس بها ثمرة ، لأن ذلك الطائف ألتفها لم يدع فيها شيئا ، لأنهم طلبوا الكل فلم يتركوه بما يمنع عنه الطوارق بضد ما كان لايهم من ثمرة عمله الصالح من الدفع عن ماله و البركة ١٠ فى جميع أحواله .

و لما كانوا ١ لقوة عزمهم على ما أقسموا ٥ عليه كأنهم كانوا على ميعاد ، سبب عنه قوله : (فتنادوا) أى كانوا كأنهم ٦ نادى كل منهم الآخر (مصبحين ٧) أى فى حال أول دخولهم فى الإصباح ، و فر التنادى بقوله : (ان اغدوا) أى بكروا جدا مقبلين و مستولين و قادرين ١٥ (على حرثكم) أى / محل فائدتك الذى أصلحتموه و تعبتم ٩ فيه فلا يستحقه غيركم ، فكأنهم استبطأوا قيامهم و غدوهم فكفوا عنه بقولهم :

(١) | زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل « و » (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : ثمرتها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : كان (هـ) من ظ و م ، وفى الأصل : أقسم (٦) فى م : كانه (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : تبعتم .

(ان كنتم) أى اليوم كوناً هولكم بغاية الرغبة (نرمنه) أى
 جاذين جذاذاً ليسم لكم من غير مشاركة أحد لكم كما توائمت عليه ،
 أو جازمين بما عزمتم عليه ، [و - ١] عبر عن إسرائهم إلى الذهاب
 بقوله : (فانطلقوا) أى بسبب هذا الحث وعقبه كأنهم كانوا
 متبئين (وهم) أى والحال أنهم (يتخافون لا) أى يقولون فى
 حال انطلاقتهم قولاً هو فى غاية السر [كأنهم - ١] ذاهبون إلى مرة
 من دار هى فى غاية الحراسة ، من الخفوت وهو الخجود ، ثم فسر
 ما يتخافون به بقوله : (ان لا يدخلنها) و أكدوه لأنه لا يصدق
 أن أحدا يصل إلى هذه الوقاحة وصلاية الوجه وأن جذاذاً يخلو
 ١٠ من سائل .

ولما كانت العادة قاضية بأنه لا بد أن ينسى الإنسان شيئاً أو يقفل
 باباً أو ثغرة يدخل منه ٢ و بسببه فقير ٢ قالوا : (اليوم) أى فى جميع
 النهار - بما دل عليه نزع الجافض - لنكروا عليه مراراً وتفتشوا فلا تدعوا
 فيه ثمرة واحدة ولا موضعاً يطعم بسببه أحد فى قصيدكم (عليكم)
 ١٥ أى وأنتم بها (مسكين لا) وهو نهى للمسكين فى اللفظ للبالغة فى
 نهى أنفسهم أن لا يدعوه يدخل عليهم ، فقال لهم أوسطهم سنا وخيرهم
 نفوساً وأعدلهم طبعاً بما دل عليه ما يأتى : لا تقولوا هكذا واصنعوا من
 الإحسان ما كان يصنع أنوكم ٢ ، و كانه طواه سبحانه لأنه مع الدلالة

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : سنه وهو - كذا .
 (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : ابديكم .

'عليه بما' يأتي لم يؤثر شيئا، واكد كون إنطلاقهم حال الإصباح بقوله:
 ﴿وَعُدُوا﴾ أي ساروا إليها غدوة ﴿على حرد﴾ لا غيره وهو القصد
 و شدة الغضب مع الجزم بالامر و اللجاج فيه و السرعة و التأكيد بالمنع
 و قلة الخبر، من حاربت السنة أي لم يكن فيها مطر، و الإبل: منعت درها،
 و حرد - إذا أسرع ﴿قديريه﴾ عند أنفسهم و في زعمهم بدليل عدم هـ
 استثنائهم فان الجزم على الفعل في المستقبل فضلا عن أن يكون مع
 الخلف فعل من لا كفؤ له، و دل على قربها من منزلهم بالفاء فقال:
 ﴿فلما رأوها﴾ أي بعد سير يسير و ليس للزرع ولا للثمر بها أثر
 ﴿قالوا﴾ لأنها صارت لسوء حالها من ذلك الطائف بعيدة من حال
 ما^٢ كانت عليه عند تباعدهم و تغيير نياتهم فأدهشهم منظرها و حيرهم ١٠
 خبرها، و أكدوا لأن ضلالهم لا يصدق مع قرب عهدهم بها و كثرة
 ملابتهم لها و قوة معرفتهم بها فقالوا: ﴿انا لضآلون﴾ أي عن طريق
 جنتنا لأن هذه لا تشبهها بوجه فيما كانت فيه بالأمس من النظارة^١
 و شدة الحمل و حسن الهيئة .

و لما اجملى ما ادهشهم [في الحال - °] قالوا مضربين عن الضلال: ١٥
 ﴿بل نحن محرومون﴾ أي ثابت حرماننا بما كان فيها من الخبر الذي
 لا نغيب عنها إلا سواد الليل لحرماننا الله إياها بما عزمنا عليه من حرمان
 (١-١) من ظ و م ، وفي الأصل : ما (٢) من م ، وفي الأصل و ظ : بها .
 (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : من (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : النظارة .
 (هـ) زيد من ظ و م .

المساكين لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

/ ٤٦٤

ولما كان القرع بالمصائب / مظنة الرقة^١ والتوبة لمن أريد به الخير ،

و زيادة الكفر لغيره ، استأنف قوله : ﴿ قال أوسطهم ﴾ [أى - ١]

رأيا و غلا و سنا^٢ و رئاسة^٣ و فضلا ، منكرا عليهم : ﴿ ألم اقل لكم ﴾

• أن ما فعلتموه لا ينفى ، وأن الله سبحانه و تعالى بالمرصاد لمن غير ما فى نفسه و حاد .

ولما كان منع الخير و لا سيما فى [مثل - ٢] هذا مستلزما لظن

النقص^٤ فى الله تعالى إما بأنه سبحانه لا يخلف ما حصل التصديق^٥ به

و إما أنه^٦ لا يقدر على إهلاك ما شاع الإنسان به ، قال مستأنفا :

١٠ ﴿ لولا ﴾ أى ملام و لم لا ﴿ تسبحون • ﴾ أى توقعون للتنزيه لله سبحانه

و تعالى عما أوهمه فعلكم ، و أقل التسييح الاستثناء عند الإقسام^٧ شكا

فى قدرة الإنسان و إثباتا^٨ لقدرة الملك الديان^٩ استحضارا لعظمته

سبحانه و تعالى ، و دل سياق الكلام على أنهم كانوا مهينين^{١٠} للتوبة بقوله :

﴿ قالوا ﴾ من غير تلعم بما عاد عليهم^{١١} من بركة أيهم^{١٢} فقال سبحانه^{١٣}

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الرزق (٢) زيد من ظ و م (٣ - ٣) سقط

ما بين الرقين من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : النفس (٥) من ظ

وم ، و فى الأصل : التصديق (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لانه (٧) من ظ

وم ، و فى الأصل : الانقصاص (٨ - ٨) من ظ و م ، و فى الأصل : بقدرة الملك .

(٩) من ظ و م ، و فى الأصل : متمنين (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : اليهم

حاكيا 'عن قولهم': (سجن ربنا) أى تنزه المحسن إلينا التنزيه^٢
 الأعظم عن أن يكون وقع منه فيما فعل بنا ظلم ، وأكدوا قباحة
 فعلهم مضيا لأنفسهم وخضوعا لربهم [و - ٢] تحقيقا لتوبتهم لأن
 ما كانوا عليه من الحال^٣ يقتضى أن لا يصدق رجوعهم عنه بقولهم:
 (انا كنا) أى بما^٤ فى جلاتنا من الفساد (ظلمين) أى راحنين ه
 فى إيقاعنا الأشياء فى غير مواقعها حيث لم نعزم عزما جازما على
 ما كان يفعل أبونا من البر ، ثم حيث حلفنا على ترك ذلك [ثم حيث
 لم نرد الأمر إلى الله بالاستثناء حيث حلفنا - ٢] فان الاستثناء تنزيه الله
 عن أن يجرى فى ملكه ما لا يريد ، وأكد توبتهم بقوله مسيا عن
 اعترافهم بالظلم: (فاقبل بعضهم) أى فى حال مبادرتهم^٥ إلى الخضوع ١٠
 (على بعض) ودلت التسوية [بين] فريقهم فى اللفظ على الاستواء فى
 التوبة (يتلاوون) أى يفعل كل منهم مع الآخر فى اللوم على ما قصده
 من المنع وترك ما تركوه من الإعطاء والدفع ما يفعله الآخر معه ،
 وينسب النقصان إليه كما [هو - ٢] دأب المغلوبين المعجزة .

ولما تشوف السامع إلى معرفة [بعض - ٢] ذلك قال: (قالوا) ١٥
 منادين لما شغلهم قربه منهم وملازمته [عن كل شئ - ٢]: (يا ويلنا)

(١ - ١) سقط ما بين الرهين من ظ وم (٢) فى ظ : التنزه (٣) زيد من ظ
 وم (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : كالحال (٥) زيد فى الأصل : دل ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ وم لحذفها (٦) فى م : مبادرة .

أى هذا وقت حضورك أيها الويل إيانا و منادتك لنا^١ فانه لا نديم لنا
إلا أنت ، و الويل هو^٢ الهلاك و الإشراف عليه .

و لما كان أهل الرذالة ينكرون أن يكون من يمنح الفقراء طاعيا ،
أكدوا قولهم : ﴿ انا كنا ﴾ أى جبة و طبعا ﴿ طغين ﴾ أى مجاوزين
الحدود فيما فعلنا من التقاسم على منع الفقراء و على جذها فى الصباح
من غير استثناء فعل القادر ، و كان ذلك إن كان لابد لنا منه ممكنا
بغير قسم و لا إخفاء من الغير و لا مخافة^٣ حال السير بأن يقال للفقراء :
يفتح الله ، و نحو ذلك من الكلام .

و لما قدموا ما هو أنفع لهم من اللوم المقتضى لإجماعهم على التوبة
١٠ فلم بذلك الندم الذى هو أمانة التوبة ، استأنفوا جوابا لمن سأل : هل
اقتصروا على التلادم ؟ قولهم : ﴿ عسى ﴾ أى يمكن / [ان يكون -^٤]
و هو جدير و خليق بأن يكون ﴿ ربنا ﴾ أى الذى أحسن إلينا بترية
هذه الجنة و باهلاك نمرها^٥ الآن تأديبا لنا ﴿ ان يبدلنا ﴾ أى من جنتنا
شيئا ﴿ خيرا منها ﴾ يقيم لنا أمر معاشنا فتقلب أحوالنا هذه التى نحن
١٥ فيها من المصوم و البذافة^٦ بسرور و لذافة بما أفاده^٧ إيقاع الفعل على
ضميرهم . و قراءة أبى عمرو و نافع بالتشديد و قراءة الباقرين بالنخفيف و هما

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : إيا (٢) - سقط من م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل :
مخافة (٤) زيد من ظ (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : تمرتها (٦) من ظ و م ،
و فى الأصل : الذى (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : البلادة (٨) من ظ و م ،
و فى الأصل : اداه .

مقاربتان غير أن التشديد يدل على التدرج^١، فالتخفيف أبلغ معنى:
وإنما تعلق رجاؤنا بسبب توبتنا وعلينا بأن^٢ ربنا قادر على ما يريد،
ولا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون .

ولما دل هذا الدعاء على إقبالهم على الله وحده صرحوا وأكدوا
لأن حالهم الأول كان حال من ينكر منه مثل ذلك فقالوا مطلين : ه
(أنا) ولما كان المقام للتوبة والرجوع عن الحوبة، عبروا بأداة
الإنهاء إشارة إلى بعدهم عن الحضرات الربانية تأديبا منهم فقالوا:
(إلى ربنا) أى المحسن إلينا والمربي لنا بالإيجاد ثم الإبقاء خاصة
لا إلى غيره سبحانه^٣ (رغبون^٤) أى ثابتة رغبنا ورجاؤنا الخير
والإكرام بعد العفو، وقد قيل أن الله تعالى جلت قدرته قبل رجوعهم^٥
وأخلف عليهم فأبدلهم جنة يقال لها^٦ الحيوان بحيث كان^٧ القطف
الواحد [منها-] يحمله وحده من كبره البغل - رواه البخاري عن ابن
مسعود، ولكن لما كان المقام لترهيب^٨ من ركن إلى ماله واحتقر الضعفاء
من عباد الله ولم يحلهم بجلاله طواه، وذكر ما صور هذا الكلام
وأنتجه من مسأرة حال قريش وحال هؤلاء في الإحسان وطول الحلم^٩
مع احتقار أوليائهم والتقوى عليهم بأفضاله ونعماته، فقال مرعبا:
(كذلك) أى مثل هذا الذى بلونا به أصحاب الجنة من إهلاك ما كانوا

(١) في م: تدرج (٢) من ظ وم، وفي الأصل: أن (م) يسقط من ظ وم.
(٣-٤) من ظ وم، وفي الأصل: حيث إن (ه) زيد من ظ وم (٦) في
المعالم بهامش الباب ٧/ ١١٢ (٧) من ظ وم، وفي الأصل: لترهيب .

عند انفسهم في غاية القدرة عليه والثقة^١ به مع الاستحسان منهم^٢
 لعلهم^٣ والاستصواب وهددنا به أهل مكة فلم يادروا إلى المتاب :
 (العذاب^٤) الذي تجذرم [منه -^٥] ونخوفهم به في الدنيا ، فإذا تم
 الأجل الذي قدرناه له أخذناهم به غير مستعجلين ولا مفرطين لأنه
 لا يسجل إلا ناقص يخاف الفوت .

ولما كانوا منكبين لأمور الآخرة أشد من إنكارهم لأمور الدنيا
 أكد قوله : (ولعذاب الآخرة) أي الذي يكون فيها للعصاة والجبارين
 (اكبر^٦) أي في كل ما يتوهمونه .

ولما كان هذا موجبا لمن له^٧ أدنى شعور للهروب منه قال :
 ١٠ (لو كانوا) أي الكفار (يعلون^٨) أي لو كان لهم علم بشيء
 من غرائزهم في وقت من الأوقات لرجعوا^٩ عما هم فيه بما عرفوا أنه
 ينضب الله فيكون سبب العذاب في الدارين ، وهم مع ذلك بما يرزى
 بهم^{١٠} عند الله و^{١١} عند الناس من تلك الآثار الخبيثة التي منها^{١٢} الإيمان
 / الكاذبة ، ويدل على [عدم -^{١٣}] شجاعتهم وقلة^{١٤} عقولهم ، لكنهم ليس
 ١٥ لهم نوع علم الآن ، والمحتوم بموته على الكفر لا يتجدد له نوع علم ، وغيره
 سيرجع في الوقت الذي قدره الله له .

/ ٤٦٦

(١ - ١) من ظ و م ، وفي الأصل : بهم واستحسانهم (٢) زيد من ظ و م .
 (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : به (٤) زيد في الأصل : جميعهم ، ولم تكن
 الزيادة في ظ و م لحذفها (٥ - ٥) من ظ و م ، وفي الأصل : اصحابهم .
 (٦ - ٦) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٧) زيد في الأصل : من ، ولم تكن
 الزيادة في ظ و م لحذفها (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : عدم .

ولما ذكر ما لاهل الجود الذين لا يميزون الممكنات، ذكر أصدادهم
قال مؤكدا لاجل إنكارهم : (ان للتقين) أى الفريقين فى صفة
التقوى خاصة دون غيرهم من لا يتقى ، والتقوى : الاحتراز بالوقاء الحامل
عليه الخوف من المؤذى ، الحامل عليه تمييز الممكنات ، قال المولى :
وأصلها أن الفرس الواقى - وهو المروجع الخافى - لا يضع حافره حتى ٥
يرى ' هل الموضع لين يناسب ، وكذا المتقى لا يتحرك ولا يسكن إلا على
[بصيرة من - ٢] رضا الله بذلك ، فلا يفعل أحد منهم شيئا من
تلك الآثار الخبيثة التى تقدمت للكذابين ، لحازوا الكمال بصلاح القوة
العملية الناشئة عن ٢ صلاح القوة العلية ، وزاد فى الترغيب إشارة إلى جنة
القلب [وبسط الروح بقوله : (عند ربه) أى المحسن إليهم فى موضع ١٠
قدم أولئك وخيبة آمالهم ، فان تقريهم دل على رضاه سبحانه ، ورضا
صاحب الدار مطلوب قبل نظر الدار ، ولما أشار إلى جنة القلب - ٢]
أتمها جنة القلب فقال تعالى : (جنت) جمع جنة وهى ' لغة البستان
الجامع ، وفى عرف الشرع مكان اجتمع فيه جميع السرور و اتقى منه
جميع الشرور * (النعيم *) وهو الخالص من المكدر والمشوش ١٥
و المنقص ، لا شئ فيها غيره أصلا - بما أفادته الإضافة .

ولما كان عدم إراث كل من الفريقين الدار التى تقدم وصفها

- (١) فى م : يصير (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : عنها .
(٤) من ظ ، وفى الأصل و م : هو (٥) زيد فى الأصل : مع انها مواطن ،
لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

تسوية بين المحسن و المسيء ، وكان ذلك لا يليق بحكيم ان يفعله ، وجب
 إنكاره لتحقيق أن ما أخبر به سبحانه لا يكون إلا كذلك^١ لاسيما
 وقد كان الكفار يقولون : إنهم كالمسلمين أو أحسن حالا منهم ، وذلك
 أنه إن كان لا بعث ، كما كانوا يظنون ، فقد استووا فيما بعده^٢ مع ما^٣
 ٥ فضلهم به في الدنيا من اتباع الأهواء و الظفر بالذائد ، وإن كان ثم
 بعث^٤ فقد كانوا^٥ يقولون لشبهة دعوتهم إليها شهوتهم^٦ : أما نكون على
 تقديره أحسن حالا منكم و آثر عند الله في حسن العيش كما نحن في
 هذه الدار لأنه ما بسط لنا في هذه الدار إلا ونحن عنده أفضل منكم ،
 فقال تعالى منكرا^٧ و مكذبا^٨ لذلك غاية^٩ انكار^{١٠} و التكذيب^{١١} عابثا
 ١٠ التحكم بالجهل^{١٢} غاية^{١٣} العيب نافيا للساواة ليكون انتقاما هو أعلى من باب
 الأولى مسيئا عما تقديره : و لا يكون لغير المتقين ذلك : (افجعل المسلمين)
 أى الذين هم عريقون في الانقياد لأوامرنا و الصلة لما أمرنا بوصله طلبا
 لمرضاتنا فلا اختيار لهم معنا في نفس و لا غيرها لحسن جبلاتهم
 (كالمجرمين^{١٤}) أى الراضين^{١٥} في قطع ما أمرنا به [أن يوصل -^{١٦}]
 ١٥ وأنتم لا تقرون مثل ذلك ، بل من عاندكم نوع معاندة قاطعتموه
 و لو وصل الأمر إلى القتل .

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : لذلك (٢-٣) من ظ وفى الأصل : فيها (٣-٣) فى
 ظ و م : فكانوا (٤) من ظ ، وفى الأصل : شهوة (٥-٥) سقط ما بين الرقنين
 من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : بالحمل (٧) من ظ و م ، وفى
 الأصل : كالراضين (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م .

ولما كشف هذا الدليل الشبه و رفع الستار ، فأوصل إلى أعظم
من ضوء النهار ، لفت القول ^١ 'إليهم بالخطاب لفت' المنفضب عند
العتاب ، فقال معجبا منهم منبها على ما هم فيه من اعوجاج الفطر و فساد
الفكر منكرا عليهم غاية الإنكار : { ما لكم دنة } أى أى شئ يحصل
لكم من هذه الأحكام الجائرة البعيدة عن الصواب .

ولما نبههم على أنه ^٢ ليس لهم فى مثل هذه الأحكام شئ
يمكن أن يكون نافعا ، و كان العاقل إذا علم [أن - ^٢] شيئا من الأشياء
لا تقع فيه بدمته ، أنكر عليهم ثالثا حال أحكامهم هذه لأن نفي أحوالها
أشد لنفيها ، كما تقدم فى "كيف تكفرون" فى البقرة فقال :
{ كيف تحكون } أى أى عقل دعاكم إلى "هذا الحكم الذى يتضمن" ^{١٠}
التسوية من السيد بين المحسن من عبيده ^٦ و المسىء .

ولما كان الحكم لا يمكن وجوده إلا مكيفا بكيفية ، و كان
سبحانه و تعالى قد نفي حكمهم هذا بانكار جميع كفياته التى يمكن أن
يصح [معها - ^٣] ، و كان الحكم الصحيح لا بد و أن يكون مستندا إلى
عقل أو نقل ، زاد بطلان حكمهم وضوحا بنفى الأمرين معا ، فقال عاطفا ^{١٥}

(١ - ١) من ظ و م ، وفى الأصل : إلى الخطاب لفتة (٢) من ظ و م ، وفى
وفى الأصل : انهم (٣) زيد من ظ و م (٤) فى الأصل يباض ملأه من ظ
وم (٥ - ٥) من م ، وفى الأصل : هذه الأحكام التى تضمن ، وهذه العبارة الى
« والمسىء » ساقطة من ظ (٦) من م ، وفى الأصل : سيده المطيع .

على ما تقديره: ألكم دليل من العقل^١ إليه تلجأون^٢: (أم لكم كتب) أي سماوى معروف أنه من عند الله خاص بكم^٣ (فيه) أي^٤ لا [فى -^٥] غيره من أساطير الأولين و زبر المحققين^٦ (تدرسون^٧) أي تقرأون قراءة أتقنتم مخالطتها أو أنعمتم فهمه بسببها .

٥ ولما ذكر الدرس ذكر المدرس فقال تعالى: (إن لكم) أي خاصة على وجه التأكيد الذى لا رخصة فى تركه (فيه) أي الكتاب لتكونوا فى غاية الوثوق به، لا فى غيره بما لا وثوق لكم به (لما تخبرون^٨) أي تبالغون فى اتقائه و اخذ خياره، وكسر الهمزة و كان حقها الفتح لولا اللام لأن ما بعدها هو المدرس، و يجوز أن تكون الجملة حكاية^٩ ١٠ للمدرس و أن تكون استئنافية .

ولما نفى دليل العقل و النقل مع التعجب منهم و التهكم بهم، و كان^{١١} قد بقى^{١٢} أن الإنسان ربما عاهد غيره على شيء فيلزمه^{١٣} الوفاء به و إن^{١٤} كان خارجا عما يدعو إليه العقل و النقل، نفى ذلك بقوله: (أم لكم إيمان) أي^{١٥} غليظة جدا (علينا) قد حملتمونا إياها^{١٦} (بالغة) أي

(١-١) من ظ و م، وفى الأصل: تلجأون إليه (٢) زيد فى الأصل: فتحكون بها، ولم تكن الزيادة وفى ظ و م لحذفناها (٣) -قط من ظ و م (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ، وفى الأصل: للتحققين، وفى م: للتحققين (٦) من ظ و م، وفى الأصل: حالية (٧-٧) من ظ و م، وفى الأصل: نفى (٨-٨) من ظ و م، وفى الأصل: الوقاية فإن (٩) زيد فى الأصل: إيمان، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (١٠) من ظ و م، وفى الأصل: بها .

لأجل عظمها إلى نهاية رتب التأكيد بحيث يكون بلوغ غيرها ما يقصد
بالنسبة إلى بلوغها ذلك عندما أى أن بلوغها هو البلوغ لا غيره، أو ثباتها
منته (إلى يوم القيمة) لا يمكن الخروج عن عهدها إلا في ذلك
اليوم ليحتاج لأجلها إلى إكرامكم في الدارين .

و لما ذكر^٢ ذلك القسم بالإيمان ذكر^١ المقسم عليه فقال: (أن لكم) ٥
أى خاصة دون المسلمين (لما تحكمون) أى تفعلونه فعل الحاكم الذى
يلزم قوله لعلو أمره على وجه التأكيد الذى / لا مندوحة عنه فتحكمون
لأنفسكم بما تريدون من الخير .

و لما عجب منهم [أو -]^٣ تهكم بهم ؛ ذيل ذلك بتهكم أعلى منه
يكشف عوارهم غاية الكشف وينزل بهم * أشد الخطف ، فقال مخوفاً ١٠
لهم بالإعراض: (سلمهم) أى يا أيها الرسول الذى تحت دلائله بقوة
أنوارها الأنوار .

و لما كان السؤال سبباً لحصول العلم علقت ، " سل " على^٤ مطلوبها
الثانى وكان حقه أن يعدى بمن فقال: (ايهم بذلك) أى الأمر العظيم
من المعاهدة والدليل الثقلى والعقل (زعيم) أى كفيل و^٥ ضامن ١٥
أو سيد أو رئيس أو متكلم بحق أو باطل لتلزمه في ادعائه صحة ذلك

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : غيرها (٢) في الأصل بياض ملائنه من ظ و م .
(٣) زيد في الأصل : فيه ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخذفناها (٤) زيد من
ظ و م (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : به (٦) في م : عن (٧) من ظ و م ، وفي
الأصل : أو .

ما تدعه به ضحكة للعباد، و اعجوبة للحاضر منهم و الباد، فلم يحسر لما
تعلون من حقبة هذا القرآن و [ما - ١] لاقوالهم كلها من العرافة
في البطلان أحد منهم على شدة عداوتهم و محبتهم للغلبة و^٢ شماختهم
أن^٣ يبرز لادعاء ذلك، ولما^٤ نفى أن يكون لهم منه سبحانه في تسويتهم^٥
ه بالمسلمين دليل عقلى أو نقلى أو عهد وثيق على هذا [الترتيب - ١]
المحكم و المنهاج الاقوم، أتبعه ما يكون من عند غيره إن كان ثم غير على
ما ادعوا فقال : (ام لهم شركاء ج) أى شرعوا لهم * من الدين * أمرا
و وعدوم بشئ. أقاموا عليه من الادلة ما أقننا لنينا صلى الله عليه وسلم
(فليأتوا بشركائهم) أى باقوالهم و أفعالهم كما أتينا نحن في نصر
١٠ نينا محمد صلى الله عليه وسلم من الامرين معا بما لا شبهة فيه، و يحجل
عليهم بالكتاب^٦ ملهبا مهيجا بما يحرق به أكبادهم و لا يقدرين على دفعه
بوجه، فيكون ذلك أعظم دليل على [إبطالهم - ١] : فقال (ان كانوا) أى
جبله و طبعها (صدقين ه) أى عريقين في هذا الوصف كما يدعونه، ولما
نفى جميع شبههم التى يمكن [أن - ١] يتشبثوا بها مع البيان لقدرته على ما يريد
١٥ من تفتيق الادلة و تشقيق البراهين الدال على تمام العلم اللازم منه كمال
القدرة فأوصلهم من وضوح الامر إلى حد لم يبق معه إلا العناد، أتبع
ذلك تهديدهم بما يثبت ذلك قدرته عليه من يوم الفصل و معاملتهم
(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : شماخة لا (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : لا (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : تشربتهم (ه-ه) سقط ما بين
الرقين من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : بالأمر (٧) زيد فى الأصل :
جبلوا و طبعوا عليه ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها .

فيه بالعدل فقال : ﴿ يوم ﴾ يجوز ان يكون بيانا ليوم القيامة ، و بنى لإضافته
إلى الجملة و أن يكون ظرفا ليأتوا ، أو منصوبا بما أخذ من معنى الكلام من
[نحو-'] : سيعلمون ما يلقون من غب هذه المعاملات و إن نالوا في هذه
الدار جميع اللذات في جميع اليوم الذى ﴿ يكشف ﴾ أى يحصل الكشف فيه ،
و بنى للفعول لأن الخيف وقوع^٢ الكشف الذى هو كناية عن تفاقم الأمور ه
و خروجها عن حد الطوق ، لا كونه من معين ، مع أن من المعلوم أنه
لا فاعل هناك غيره سبحانه ﴿ عن ساق ﴾ أى يشتد فيه الأمر غاية الاشتداد
لأن من اشتد / عليه الأمر وجد فى فصله شمر عن ساقه لأجله و شمרת حرمة
عن سوقهن غير محتشمات هربا ، فهو كناية عن هذا و لذلك نكره تهويلا
[له-'] و تعظيما ، نقل هذا التأويل عن ابن عباس رضى الله عنهما و سعيد ١٠
ابن جبير رضى الله عنه و غيرها ، و عن انكشاف جميع الحقائق و ظهور
الجلال فى و الدقائق من الأحوال و غيرها كما كشفت هذه الآيات
جميع الشبه و تركت السامع لها فى مثل ضوء النهار ، و فى الجزء الخامس
و الثلاثين من مسند أبى يعلى الموصلى عن أبى بردة عن أبيه رضى الله
تعالى عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا قال : عن نور عظيم ١٥
يمخرون له سجدا ، و هو لا ينفى ما ذكر من التأويلين^٣ : الشدة و الكشف .
ولما كان هذا الكشف الذى كشف لهم المعانى فى هذا القرآن إنما
هو لأجل العبادة التى هى الخضوع الذى يعبر عنه بالسجود و هو
(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : وقع (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : التأويل (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : الذى .

آيتها و^١ أماره ما اشتمل عليه الباطن منها و علامتها فيأتونها و هم
 قادرون عليها ذكرهم يوما يريدونها فيه فلا يتأتى لهم تنديما لهم
 و زيادة تحسير و إظهار تظليل و تحسير لأن ظهورهم و أعضائهم تكون
 طبقا واحدا لا تنفى، فكما أرادوا أن يسجدوا اقلبوا على أقدانهم، قال
 ٥ بانيا للفعول دلالة على إرادتهم للاقتياد و رغبتهم فيه من أى داع كان،
 و هو دال على أن التكليف لا ينقطع إلا بدخول كل من الفريقين داره
 و (يدعون) أى من داعى الملك الديان (الى السجود) توبيخا على تركه
 الآن و تنديما و تعنيفا لا تعبدا و تكليفا فيريدونه ليضروا أنفسهم بما يرون^٢
 من المخاوف (فلا) أى فينسب عن ذلك أنهم [لا-^٣] (يستطيعون^٤)
 ١٠ أى لأنهم غير سالمين لا أعضاء لهم تنقاد به مع شدة معالجتهم لأنفسهم
 على أن تطوع لهم أعضاؤهم بما تفهمه هذه الصيغة من أن الإنسان منهم^٥
 إذا أراد الفعل و عاجله بقوة فلم يطقه فان ظهورهم تكون على حالة
 لا تنفى معها بل كان فيها السفايف فيكون لهم فى ذلك أشد ندم لتركهم
 إياه فى الدنيا و هم يقدرون عليه و هو إذ ذاك نافع لهم [و معالجتهم
 ١٥ فعله أشد معالجة و هم غير قادرين عليه و هو غير نافع لهم-^٦] و إذا
 عجزوا مع المعالجة كانوا بدونها أعجز، و ذلك أنه يبعث المرء على ما مات عليه
 و يحشر على ما بعث عليه إن خيرا بخيرا و إن شرا فشر، ولما كان ربما ظن
 ظان أن المانع [لهم-^٧] الكبير كما فى هذه الدنيا، قال مينا لئن الكبر فى

(١) زيد فى الأصل : هو ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٢) من ظ
 و م ، وفى الأصل : يريدون (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل : اذا ،
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

مثل هذا اليوم العظيم ﴿عاشعة﴾ أى محبة متواضعة ﴿ابصارهم﴾ لأن ما فى القلب يعرف فى العين، وذلك أن المؤمنين يرضون رؤسهم ووجوههم أضوا من الشمس، ووجوه الكافرين و المناقين سود مظلة .

ولما كان الخاشع لذلك قد يكون خشوعه لخير عنده / حمله على ذلك مع ' المز قال: ﴿ترهقهم﴾ أى تغشاهم و تقهرهم ﴿ذلة﴾ ه
أى عظيمة لأنهم استعملوا الاعضاء التى أعطاهاهم سبجانه و تعالى ليتقربوا بها إليه فى دار العمل فى التمتع بما يبعد منه .

ولما دلت هذه العبارة مطابقة لما ورد فى الحديث الصحيح على أن من كان فى قلبه مرض فى الدنيا يصير ظهره طبقا واحدا^٢ قفارة واحدة فيعالج السجود فيصير كلها أرادته اقلب لقفاه، عجب منهم فى ١٠ ملازمة الظلم الذى هو إيقاع الشيء^٣ فى غير موقعه فقال: ﴿وقد﴾ أى و الحال أنهم ﴿كانوا﴾ أى دائما بالخطاب الثابت ﴿يدعون﴾ فى الدنيا من كل داع يدعو إلينا ﴿الى السجود وهم﴾ أى فيأبونه^٤ و الحال أنهم ﴿سلبون ه﴾ أى^٥ [فهم - ٦] مستطيعون، ليس فى أعضائهم ما يمنع من ذلك. وإنما يمنعهم منه الشياخة والكبر، فالآية من ١٥ [الاحتباك - ٦]: ذكر عدم الاستطاعة أولا دال على حذف الاستطاعة ثانيا، و ذكر السلامة ثانيا دال على حذف عدم السلامة أولا .

(١) من ظ و م، وفى الأصل: من (٢) زيد فى الأصل: فقال، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخذفناها (٣) من ظ و م، وفى الأصل: شيء (٤) من م، وفى الأصل: فيأتون إليه، وفى ظ: فيأتونه (٥) سقط من ظ و م (٦) زيد من ظ و م .

ولما علم بهذا^١ أنه سبحانه^٢ المتصرف وحده بما يشاء^٣ كيف يشاء
 من المنع والتمكين، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يجد من تكذيبهم
 له - مع إتيانه بما لا يحتمل التكذيب بوجه - من المشقة ما لا يعلم مقداره
 إلا الله سبحانه وتعالى، وكان علم المغموم^٤ بأن له متقدرا يخفف عنه،
 ٥ وكان عليه باقتداره على ما يراده منه^٥ أقر لعينه سبب عن كمال اقتداره
 قوله مخففا عنه عليه أفضل الصلاة والسلام، لافتا القول إلى التكلم
 بالإفراد تنصيحا على المراد زيادة في^٦ تسكين القلب وشرح الصدر^٦ :
 ﴿ قدرني ﴾ أي اتركني على أي حالة اتفقت ﴿ ومن يكذب ﴾ أي
 يوقع التكذيب لمن يتلو ما جدت إزاله من كلامي القديم على أي
 ١٠ حالة كان إيقاعه، وأفرد الضمير نصا^٧ على تهديد كل واحد من
 المكذبين : ﴿ بهذا الحديث^٨ ﴾ أي بسببه^٩ أي خل يفي وبينهم و كل
 أمرم إلى ولا تكثر بشيء منه أصلا فاني أكفيكم لأنه [لا - ١]
 مانع منهم فلا تهتم بهم^{١٠} أصلا .
 ولما كان كأنه قيل : وما ذا تعمل فيه^{١١} إذا خلعت بينك وبينه^{١٢} ؟

(١-١) من ظ وم ، وفي الأصل : سبحانه انه (٢) زيد في الأصل : أن من ،
 ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها (٣) من م ، وفي الأصل وظ : العلوم .
 (٤) زيد في الأصل ، أو خرب ، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها (٥) من ظ
 وم ، وفي الأصل : على (٦) من ظ وم وفي الأصل : الصدور (٧) في الأصل
 بياض ملأناه من ظ وم (٨) من ظ وم ، وفي الأصل : سبب (٩) زيد من
 ظ وم (١٠) من ظ وم ، وفي الأصل : به (١١) من ظ وم ، وفي الأصل : فيهم .
 (١٢) من ظ وم ، وفي الأصل : بينهم .

أجابه بقوله جامعا الضمير ليكون الواحد مهدياً من باب الأولى :
 (سنستدرجهم) أى فأخذهم بعظمتنا^١ عما قليل^٢ على غرة بوعد لا
 خلف فيه^٣ و نذنيهم^٤ إلى الهلاك درجة درجة بواسطة من شئنا من
 جنودنا و بغير واسطة بما نواتر عليهم من النعم التى توجب [عليهم -^٥]
 الشكر فيجعلونها سبباً لزيادة الكفر فنوجب^٦ لهم النقم .

ولما كان أخذ الإنسان من مأمته على حالة غفلة بتوريطه فى
 أسباب الهلاك حتى لا يحس بالهلاك إلا وهو لا يقدر على التفصى
 فيها بوجه قال تعالى : (من حيث) أى من جهات (لا يعلمون)
 أى لا يتجدد لهم علم ما فى وقت من الأوقات بغوائلها^٧ ، وذلك انه
 سبحانه يفرم بالإمهال ولا يعاجلهم بالعقاب فى وقت^٨ / المخالفة كما يتفق ١٠ / ٤٧١
 لمن يراد به الخير فيستيقظ بل يمهلهم و يمدد بالنعم حتى يزول عنهم
 خاطر التذكر فيكونوا منعمين فى الظاهر مستدرجين فى الحقيقة فيقولون :
 قد قلتم : إن القدر فائض عن القضاء و أن الأعمال [قضاء -^٩]
 و جزاءها قدر ، ويقولون : إن أفعالنا فى الدنيا قيحة ونحن لارضى جزاءها
 إلا ما يسرنا لولا يعذبنا الله بما نقول^{١٠} فأتى كاذبون فى توعدها فانا كلما ١٥
 أحدثنا ما تسمونه معصية تجددت لنا نعمة ، وذلك كما قادم إلى تدريجهم

(١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : قليل بعظمتنا (٢-٢) من م ، وفى الأصل
 وظ : فنذنيهم (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : فأوجب ذلك .
 (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : بفانها (٦) العبارة من د فى وقت ، إلى هنا تكرر
 فى الأصل فقط (٧) زيد فى الأصل : حسبهم فهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ
 و م لحذفها .

وهم في غاية الرغبة^١، قال القشيري: والاستدراج أن يريد السقي
ويطوى عن صاحبه وجه القصد حتى يأخذه بغته فيدرج إليه شيئاً بعد شيء.^٢
ولما كان الاستدراج يكون بأسباب كثيرة من بسط النعم وغيرها،
فأبرزه بالنون^٣ المشتركة بين الاستباع والعظمة، و كان تأخير الأجل
ه لا يكون إلا لله وحده بغير واسطة شيء قال سبحانه: ﴿و املئ﴾
أى أواخر أنا وحدي في آجالهم^٤ وأوسع لهم^٥ في جميع تمتعهم^٦ ليزدادوا
إنما ﴿لهم^٧﴾ لأنه لا يقدر على مد الأجل وزفيه العيش غيرى^٨.

ولما سلاه صلى الله عليه وسلم بهذا غاية التسلية، علل أو استأنف
في جواب من لعله يقول: لم يكون أحدهم على هذا الوجه؟ مسمياً لإنعامه
١٠ كيدا: ﴿ان كيدى﴾ أى سترى لأسباب^٩ الهلاك عنم أريد^{١٠}
إهلاكه وإبدائى^{١١} ذلك له^{١٢} في ملابس الإحسان وخلع البر والامتنان
﴿متين^{١٣}﴾ أى في غاية القوة حيث كان حاملاً للإنسان على إهلاك
نفسه باختياره وسيعلم^{١٤} عند الأخذ^{١٥} أنى^{١٦} لما^{١٧} أمهله ما أمهله^{١٨} وإن

(١) زيد في الأصل: انتهى. ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها (٢) من ظ وم،
وفي الأصل: من النون (٣-٤) من ظ وم، وفي الأصل: او منهم (٤) زيد
في الأصل: أما املئ لهم، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها (٥-٥) من ظ
وم، وفي الأصل: ستراسباب (٦) من ظ وم، وفي الأصل: يريد.
(٧-٧) من ظ وم، وفي الأصل: له ذلك (٨-٨) من ظ وم، وفي الأصل:
انى عند الأخذ (٩-٩) من ظ وم، وفي الأصل: امهله ما امهله.

إمهالى إنما كان استدراجا .

ولما كان هذا القرآن اعظم إحسان ، ساقه سبحانه وتعالى إليهم ، فكان موجبا للشكر عليهم للذى أنزله ولإكرام الآتى به ، فكان سببا لمباشرتهم^١ من التكذيب [به - ٢] والآذى للآتى به إليهم ما يوجب أخذهم ، قال دالا [على - ٢] متانة كيده سبحانه ودقة استدراجه . عاطفا على ما تقديره لبيان أنهم يباشرون ما يهلكهم باختيارهم من غير موجب : أكان تكذيبهم بهذا الذكر لشيء فيه يرتابون ؟ قوله منكرا عليهم ، مينا أن تكذيبهم إنما هو لآنه طبع وخبث سجية لا شهوة لهم فيه ولا شبهة : ﴿ ام تسئلهم ﴾ أنت يا أعف الخلق وأعلامهما ﴿ اجرا ﴾ على^٢ إبلاغك إياهم^٣ ﴿ فهم ﴾ أى قتسب عن ذلك وتعقب أنهم^{١٠} ﴿ من مغرم ﴾ كلفتهم به^٤ فهم لشدة^٥ ﴿ مثقلون ﴾ أى واقع إقتالهم به حتى أوجب / لهم ذلك الغرم الناقص لآموالهم * التقاعد عن التصديق بما^٦ جئت به إليهم من^٧ عندنا فصاروا يشتهون إقلاعه عنه . ولما نفى أن يكون تكذيبهم بشهوة^٨ دعتهم إلى ذلك نفى أن يكون لهم فى ذلك شبهة من^٩ شك فى الذكر [أو حيف فى المذكر - ١] ١٥

(١) زيد فى الأصل : له ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) فى ظ و م : إبلاغه (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من م (٥) زيد فى الأصل : الموجب ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦-٦) سقط ما بين من ظ و م (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : بشبهة (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : من .

وأن يكونوا^١ على ثقة أو ظن من^٢ سلامة العاقبة فقال: ﴿ام عندم﴾
 أى خاصة ﴿الغيب﴾ أى علموه^٣ من اللوح المحفوظ أو غيره
 ﴿فهم﴾ بسبب ذلك ﴿يكتبون﴾ أى ما يريدون منه ليكونوا قد
 اطلموا على أن هذا الذكر ليس من عند الله أو على أنهم لا درك
 ه عليهم فى التكذيب به، فقد علم بهذا أنه لا شهوة لهم فى ذلك عادية
 ولا شبهة، وإنما تكذيبهم مجرد خبث طباع، وظلمة نفوس وأمالى
 فارغة وأطباع.

ولما اتقى جميع ذلك ثبت أنهم على خطر عظيم، وأنه سبحانه
 المختص بعلم الغيب، وقد أخبر بأهلاكمهم من أجله صلى الله عليه وسلم،
 ١٠ وأن كفر من كفر وإيمان من آمن بقضائه وتقديره، فكان لا بد
 منهما، كان ذلك سبباً حاملاً له [على - °] الصبر إلى الوقت الذى ضرب به
 سبحانه للفرج، فقال مسياً عما تقديره: لم يكن له شيء مما ذكر، وإنما
 هو القضاء والقدر: ﴿فاصبر﴾ أى أوفر الصبر وأوجده على كل
 ما يقولون^٤ فيك وعلى غير ذلك من كل ما يقع منهم ومن غيره من
 ١٥ مر^٥ القضاء والقدر ﴿الحكم ربك^٦﴾ أى للقضاء^٧ الذى قضاه وقدره^٨

(١) من ظ و م، وفى الأصل: يكون (٢) من م، وفى الأصل و ظ: فى .
 (٣) فى ظ و م: علموا (٤) فى الأصل بياض ملاءم من ظ و م (٥) زيد من
 ظ و م (٦) فى م: يقولونه (٧) من ظ و م، وفى الأصل: امر (٨) ليس فى
 الأصل ققط (٩) من ظ و م، وفى الأصل: لقضائه (١٠) زيد فى الأصل: فانه
 هو، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

- المحسن إليك الذى أكرمك [بما أكرمك به من الرسالة و أزمك بما أزمك من البلاغ و خذلهم بالتكذيب - ١] و مد لهم على ذلك ' فى الآجال ' و أوسع عليهم النعم و آخر ما وعدك به من النصر ٢ .
- و لما كان حاصل قصة يونس - على نبينا و عليه أفضل الصلاة و السلام - أنه استنقل الكرامة بالرسالة ' لما فيها من الامور الشديدة ٥ من معالجة الخلق فامتحن ، كان سببا لقبوله ذلك ، ثم كان سبب إسلام قومه إثناء العذاب منهم و تقرب غشيانهم ، أشار [له - ١] بقصته إلى أنه يراد لإعلاؤه - صلى الله عليه و سلم عليه و على سائر الأنبياء - و إعلاء أمته على ' سائر الأمم ' بما يحتاج إلى صبر [على - ١] ما يستنقل من ضرر أو أمر شديد مر فقال : ﴿ ولا تكن ﴾ أى ولا يكن ١٠ حالك فى الضجر و العجلة ' إلى غير ذلك ' . و لما كان قد افتتح السورة بالنون الذى من مدلولاته الحوت ، عبر به هنا تحقيقا لإرادته فقال : ﴿ كصاحب ﴾ أى كحال صاحب ﴿ الحوت ٢ ﴾ و هو يونس ' بن متى ' عليه الصلاة و السلام ﴿ اذ ﴾ أى حين ، و العامل فى هذا الظرف المضاف المحذوف من الحال و نحوها ، أو يكون التقدير : لا يكن حالك ١٥ كحاله يحصل لك [مثل - ١] ما حصل له حين ﴿ نادى ﴾ أى ' ربه
-
- (١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : بالاجمال .
 (٣) زيد فى الأصل : الى يوم الجزاء ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .
 (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : و ارساله (ه-ه) من ظ و م ، وفى الأصل :
 أمته (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٧) زيد فى الأصل : نادى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

/ ٤٧٣

المربى له باحسانه في الظلمات من^١ بطن الحوت و ظلة ما يحيط به من
الجنة و ظلة^٢ لحج البحار^٣ (وهو) أى و الحال أنه / عند ندائه
(مكظوم^٤) أى علوه كربا و هما و شدة و غما^٥ محمول على السكوت
يظنه فهو لا ينطق من شدة حزنه ، و محبوس عن جميع ما يريد من
التصرف إلى أن ألجأه سبحانه بذلك إلى الدعاء و التضرع ، من الكظم ،
وهو السكوت عن امتلاء و تخرج للرات^٦ ، و من هذا كظمت السماء
أى^٧ شدته و ملائته^٨ فكان مكظوما . و المكظوم^٩ : المكروب - كأنه
قد أخذ بكظمه و هو مخرج نفسه .

و لما تشوف السامع إلى ما كان من أمره بعد هذا الأمر العجيب
١٠ قال : (لو لا أن) و عظم الإحسان بالذكر و صيغة التفاعل فقال :
(تدرك) أى أدركه إدراكا عظيما كأن كلا من النعمة و المنة يريد
أن تدرك [الآخر - ٧] (نعمة) أى عظيمة جدا (من ربه)
أى الذى أرسله و أحسن إليه بارساله و تهذيبه للرسالة و التوبة عليه
و الرحمة له (لنبد) أى لولا هذه الحالة السنية التى أنعم الله عليه بها
١٥ لطرح طرحا هينا جدا (بالعرآء) أى الارض القفر التى^{١٠} لا بناء
فيها و لا نبات^{١١} ، البعيدة من الإنس حين طرح فيها كما حكم بذلك من^{١٢}

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : فى (٢-٢) فى م : اللجج (٣) زيدت الواو فى
الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : عليه الصلاة والسلام
و على جميع الأنبياء والمرسلين ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥-٥) فى
م : ملائته و شدته (٦) سقط من ظ و م (٧) زيد من ظ و م (٨-٨) من ظ
و م ، وفى الأصل : لا نبات فيها و لا بناء (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : فى .

الازل (وهو) اى والحال انه (مذموم ه) اى ملوم على الذنب ،
ولما كان التقدير : ولكنه تداركه بالعمه فلم يكن ' فى نبذه ملوما ' ،
سبب عنه قوله : (فاجتبه) اى اختاره لرسالته (ربه) ثم ' سبب
عن اجتنائه قوله : (فجعله ^٢ من الصالحين ه) اى الذين رشحوا ' فى
رتبه الصلاح فصلحوا فى انفسهم للنبوته والرسالة و صلح بهم غيرهم ، ه
فنبذ بالعراء وهو محمود ، ومن صبر أعظم من صبره كان أعظم أجرا
من أجره ، وأنت كذلك * فانت أشرف العاملين والعالمين * .

ولما نهاه صلى الله عليه وسلم عن طاعة المكذبين وحذره ادهانهم
و ضرب لهم الامثال ، و توعدهم إلى أن قال : قرئى ومن يكذب
بهذا الحديث فسفستدرجهم^٦ - و ختم بقصة يونس عليه السلام للتدريب ١٠
على الصبر وعدم الضعف ولو بالصغى إلى المدفن^٧ ، فكان التقدير
تسببا عما فيها من النهى : فانهم إنما يبالغون فى أذاك لتضجر فتترك
ما أنت فيه ، قال عاطفا على [هذا - ^٨] المقدر مخبرا له بما فى صدورهم
من الاحزن عليه وفى قلوبهم من الضغائن له ليشدد حذره من ادهانهم ،
مؤكدًا لأن من يرى ادهانهم يظن إذعانهم وينكر لمبالغتهم فيه طغيانهم : ١٥

(١ - ١) فى الأصل بياض ملئناه من ظ و م (٢) من م ، وفى الأصل و ظ :
اى (٣) زيد فى الأصل : اى ربه سبحانه لى اجتنائه من الازل جعله ، ولم تكن
الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : هم راسخون .
(٥) فى ظ و م : شرف العالمين (٦) سقط من ظ و م (٧) من ظ و م ، وفى
الأصل : المدنين (٨) زيد من ظ و م .

(وان) أى وإنه (يكاد) وأظهر موضع الإضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال : (الذين كفروا) أى ستروا ما قدروا عليه مما جئت به من الدلائل .

ولما كانت ["ان" - "] مخفية ، أتى بالإلام التى هى عليها فقال :

٤٧٤ / ٥ (لنلقونك) أى من شدة / عداوتهم وحسبهم وغيط قلوبهم (بابصارهم)

أى يوجدون لك التحية عما أنت فيه و الزلل العظيم الذى صاحبه فى

موضع دحض لا مستمسك^١ فيه بالهلاك فما دونه من الأذى حتى

يرموك من قامتك إلى الأرض كما يزلق الإنسان فينطرح^٢ لما يترامى فى

عيونهم حين تصويب [النظر - ١] للفظن من الخنق والسخط الدال

١٠ على أن صدورهم تغلي ، وهو من قولهم : نظر إلى^٣ نظرا كاد^٤ يصرعنى ،

[يعنى - ١] لو أمكنه أن يصرعنى به لصرعنى كما قال تعالى : يكادون

يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا ، وقيل : يهلكونك باصابة العين^٥ ،

قال القشيري : كانوا إذا أرادوا أن يصيبوا شيئا بأعينهم جاعوا ثلاثة

أيام ثم نظروا إلى ذلك الشيء وقالوا : ما أحسنه من شيء ، فيسقط

١٥ المنظور إليه فى الوقت ، ففعلوا ذلك بالنبي^٦ صلى الله عليه وسلم وقالوا :

ما انصحه^٧ من رجل ، لحفظه الله منهم ، وللشيخين^٨ عن أبى هريرة

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : ممسك (٣) من ظ و م ،

وفى الأصل : فيطرح (٤-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : منظر كان (٥) زيدت

الواو بيده فى الأصل ولم تكن فى ظ و م لحذفنا (٦) من ظ و م ، وفى

الأصل : للنبد (٧) زيد فى الأصل وإنه ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفنا .

(٨) راجع صحيح البخارى : الطب - وصحيح مسلم : السلام .

رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : العين حق ، [١] وفي رواية عند أحمد^١ وابن ماجه^٢ : يحضر بها الشيطان وحسد ابن آدم ، ولاحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما ربه : العين حق - [٢] ولو أن شيئاً سبق القدر سيفته العين ، وإذا استغسلتم فاغسلوا^٣ ، ولأبي نعيم في الحلية من حديث جابر رضى الله عنه ربه : العين حق تدخل الجبل ٥ القدر والرجل القبر ، ولأبي داود^٤ من حديث أسلم^٥ بنت يزيد رضى الله عنها : وإنها لتدرك الفارس فتدعره .

ولما ذكر هذا الإزلاق العظيم ، ذكر ظرفه معبراً بالماضى تذكيراً بالحال الماضية فقال : ﴿ لاسمعوا الذكر ﴾ أى القرآن الذى [غلب - ٢] عليه التذكير بأمر يعليها كل احد من نفسه ، ومن الآفاق حتى كان ١٠ هوأيه أول ما سمعوه حسدا على ما أوتيت من الشرف فكان سماعهم له باعثاً لما عندهم من البغض والحسد على أنه لم يزدتم تمدى الزمان إلا حقاً بدلالة^٦ ﴿ ويقولون ﴾ أى قولاً لا يزالون يحددونه .

ولما كان صلى الله عليه وسلم فى غاية البعد عما يشين ، أكدوا قولهم : ﴿ انه مجنون ﴾ حيرة فى أمرك وتنفيرا عنك لما يعلمون من ١٥ أنه لا يسمعه أحد لا غرض له إلا كذبهم ومال بكليته إليك وكان

(١) راجع للسند ٢ / ٤٣٩ (٢) ليس فى السنن فى مظانها (٣) زيد من ظ و م .
(٤) زيد فى الأصل وظ : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٥) راجع السنن : الطب (٦) زيد فى الأصل : بقوله ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

معلك^١ وارتبط بك واغبط بما جئت به، وعن الحسن أن قراءة هذه الآية دواء^٢ للاصابة بالعين .

ولما كان معنى قولهم هذا أن ما يقوله تخاليط^٣ من يصرع بالجن، أكد بقصر القلب قوله معجبا منهم ﴿ وما ﴾ أى والحال أن هذا القرآن أو الرسول صلى الله عليه وسلم ما ﴿ هو الا ذكر ﴾ أى موعظة و شرف ﴿ للعلين ﴾ أى / كلهم عاليهم ودانيهم ليس منهم أحد إلا / ٤٧٥ وهو يعلم أنه لا شيء يشبهه فى جلالة معانيه و حلالة ألفاظه وعظمة سبكه^٤ ودقة فهمه^٥ ورقة حواشيه و جزالة نظومه ، ويفهم منه على حسب ما يراه الله له ليناسب عموم ذكره عموم الرسالة للرسول به ، ١٠ وكل ما فيه من وعد وعيد وأحكام ومواعظ شامل لهم كلهم ، فوجبت التفرقة بين مسلمهم ومجرمهم لتصدق أقواله^٦ فيكمل^٧ جلالة وجماله^٨ فقد رجعت خاتمها - كما ترى - على فاتحتها بالنون والقلم وما يسطرون من هذا الذكر ، وسلب ما قالوا فيه من الجنون والإقسام على الخلق العظيم الذى هو هذا الذكر الحكيم ، ونبه كونه ذكرا لجميع ١٥ الخلق بما فيه من الوعد والوعيد على أنه لا بد من الحاقة وهى القيامة ليظهر فيها تأويله وإجماله وتفصيله ، ويتضح غاية الاتضاح سيده ،

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : معه (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : وا - مع يسير مع إلياض (٣) زيد فى الأصل : كتخاليط ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٤-٥) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : اقوالهم (٦-٦) من ظ و م ، وفى الأصل : جماله و جلالة .

و تحق فيها حقائقه و تظهر جلائله و دقائقه بما يقع من الحساب ،
و يتبين غاية اليان و يظهر الخطأ من الصواب - ٢ و اقه الهادى ٣ .

سورة الحاقة ٢

مقصودها تنزيه الخالق يبعث الخلائق لإحقاق الحق و إزهاق الباطل
بالكشف التام لشمول العلم ٤ للكليات و الجزئيات ، و كمال القدرة ٥ على
العلويات ٥ و السفليات ، و إظهار العدل بين سائر المخلوقات ، ليميز المسلم
من المجرم بالملئذ و المؤلم ٦ ، و تسميتها بالحاقة في غاية الوضوح في ذلك
و هو أدل ما فيها عليه ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الكمال كله نزاهة و حمدا
﴿ الرحمن ﴾ الذى عم جوده ٧ بالعدل كبرا و مجدا ﴿ الرحيم ﴾ الذى
خص أهل وده بالوقوف عند حدوده لينالوا بطيب جواره ٨ علوا و جدا ٩
و فوزا بالأمانى و سعدا ٩ .

لما قدم سبحانه في « نون » الإنكار الشديد لأن ١ يسوى المسىء
بالمحسن ، و ذكر القيامة و بينها يوم كشف الساق و زيادة المشاق ،
و هدد التهديد العظيم بآية الاستدراج الذى لا يدفع بعلاج ، و ختم بأن
القرآن ذكر - أى شرف - و تذكير ، و مواعظ للعالمين فى شمولهم كلهم ١٥

(١) سقط من ظ و م (٢ - ٢) سقط ما بين الرقنين من ظ و م (٣) التاسعة
و الستون من سور القرآن الكريم ، مدنية ، و عدد آياتها اثنان و نحسون
(٤ - ٤) من ظ و م ، وفى الأصل : بالجزئيات و الكليات (٥ - ٥) من ظ
و م ، وفى الأصل : للعلويات (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : المالم (٧) من ظ
و م ، وفى الأصل : وجوده (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : علوه (٩ - ٩) من ظ
و م ، وفى الأصل : بالأمانى و الفوز (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : لا .

برحمته ، أما من بعد^١ إزاله فبوعيده و وعده و وعظه و قصه و امره و نفيه ، و أما من قبل إزاله فبالشهادة^٢ لهم و عليهم^٣ ، و كان تأويل ذلك و جميع آثاره إنما يظهر ظهورا تاما يوم الجمع الأكبر ، و كان ذلك اليوم أعظم مذكر للعالمين و واعظ^٤ لهم و زاجر ، تنفى جميع

٤٧٦ / ٥ الخيرات / على تذكره^٥ و تذكر العرض على الملك الديان ، و السر في

إزال القرآن هو التذكير بذلك اليوم الذى هو نظام الوجود ، قال واصفا للقيامة و اليوم الذى يكشف فيه عن ساق ، واعظا بذكرها و محذرا من أمرها : (الحاقة لا) [أى - °] الساعة التى يكذب بها هؤلاء . و هى^٦ أثبت الأشياء و أجلاها فلا كاذبة لها و لا لئى عنها ،

١٠ فلا بد من حقوقها فهى ثابتة فى نفسها ، و من إحضار الأمور فيها بحقائقها ،

و المجازاة عليها بالحق الذى لا مرية^٧ فيه لأحد^٨ من الخلق ، فهى فاعلة بمعنى مفعول فيها ، و هى فاعلة أيضا لأنها غالبية لكل خصم ، من حاقته

لحقته^٩ أحقه أى^{١٠} غالبته فى الحق فقلبت فيه ، فهى تحقق الحق و لا بد فتعلو الباطل فتدمغه و تزهقه فتحق العذاب للجرمين و الثواب للسلين ،

١٥ و كل ما فيها دأثر على الثبات و البيان ، لأن ذلك مقتضى الحكمة^{١١} و لا

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : بعيدا (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : بينهم

و لهم (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : وعظ (٤) فم : تذكيره (٥) زيد من م .

(٦) من ظ و م ، وفى الأصل : هو (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : واحد

فيه (٨-٨) من ظ و م ، وفى الأصل : إلى أحقه (٩) من ظ و م ، وفى

الأصل : الحكم .

يرضى لاحد من الحكم ترك رعيته بغير إنصاف بينهم على زعمه فكيف بالحكيم العليم، وقصة صاحب الحوت عليه السلام أدل دليل على القدرة عليها .

ولما كان ذلك كله أمرا رائعا للعقول، هازا للقلوب، مزجها للنفوس، وكان ربما توقف فيه الجلف الجافي، أكد أمره وزاد في هـ تهويله، وأطنب في تفخيمه و تبجيله، إشارة إلى أن هوله يقوت الوصف بقوله، معلما^١ أنه مما يحق له أن يستفهم عنه سائقا^٢ له بأداة الاستفهام مرادا بها التعظيم للشأن، وأن الخبر^٣ ليس كالبيان: (ما الحاقه هـ) فأداة الاستفهام مبتدأ أخبر^٤ عنه بالحقاقه وهما خبر عن الأولى، والرابطة تكرير المبتدأ بلفظه نحو زيد ما زيد أى ما هو، [و-°] أكثر ما يكون ١٠ ذلك إذا أريد معنى التعظيم والتهويل .

ولما كان السياق لترجمة المراد بكشف الساق، عظم التهويل بقوله: (وما أدركك) أى فى الزمن الماضى، وقصره لتذهب النفس فيه كل مذهب، أى و أى شيء اعلمك بشيء من الأشياء مع تعاطيك للبحث و المداورة، ثم زاد التحذير منها^٥ بقوله على النهج الأول مستفهما ١٥ والمراد^٦ به التفخيم^٧ و مزيد التعظيم: (ما الحاقه هـ) أى أنها بحيث

(١) زيد فى الأصل: فى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فخذفناها (٢) من ظ و م، وفى الأصل: مستاقا (٣) من ظ و م، وفى الأصل: أخبر (٤) من ظ و م، وفى الأصل: خر (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، وفى الأصل: المداوة. (٧) من ظ و م، وفى الأصل: بها (٨-٨) من ظ و م، وفى الأصل: تفخيم او.

لا يعلم كتبها أحد ' ولا يدركها ' ولا يبلغها درايتها ' وكيف ما قدرت
[حالها - ٢] فهي أعظم من ذلك ، فلا تعلم حق العلم إلا بالبيان .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما بنيت سورة "ن والقلم" على
تقريع ' مشركي قرش وسائر العرب و توبيخهم و تنزيه نبي الله صلى الله
عليه وسلم عن شنيع قولهم و قبيح بهتهم ، و بين حسدهم * و عداوتهم
"و ان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم" أنبت بسورة الحاقة
و عدا لهم و يباا أن حالهم في سوء ذلك المرتكب قد سبق إليه غيرهم
"كذبت ثمود و عاد بالقارعة" "فهل ترى لهم من باقية" [دالم يروا كم
أهلكنا قبلهم من قرن فهل ينظرون الا مثل ايام الذين خلوا من
١٠ قبلهم - *] ، و هم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد
أوتسمع لهم ركزا ، فسورة الحاقة جارية / مجرى هذه الآي المعقب بها
/ ٤٧٧
ذكر عناد مشركي العرب ليتعظ بها من رزق التوفيق لنجعلها لكم تذكرة
و تعيها أذن و اعية .

١ و لما ذكر حال من هلك من الأمم السالفة بسوء تكذيبهم
١٥ و قبيح عنادهم ، أتبع ذلك بذكر الوعيد الآخر اوى "يومئذ تعرضون
لا تخفى منكم خافية" ثم عاد الكلام إلى ما بنيت عليه سورة "ن والقلم"
(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : درايتها .
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : توزيع (٥) زيد في
الأصل : بين ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فخذناها (٦-٦) من ظ و م ، وفي
الأصل : كان حالين اهلك .

من تنزيهه صلى الله عليه وسلم و تكريمه مقسما على ذلك " انه لقول
رسول كريم وما هو بقول شاعر - ولا بقول كاهن ^١ قليلا ما تذكرون " و
و ^٢ انتهى نفى ^٣ ما تقوله منصوبا على نزاهته عن ^٤ كل خلوة منها في
السورتين " ما أنت بنعمة ربك بمجنون ، وما الذى جئت به بقول
شاعر ولا بقول كاهن بل هو تنزيل من رب العالمين ، وانه لتذكرة للنفين ^٥
و إنه لحق اليقين ، فزه ربك و قدسه عن عظيم ما ارتكبه - [انتهى - ^٦]
فلما بلغ التهويل حده ، و كان سبب الإنكار للساعة ظن عدم القدرة
عليها مطلقا ^٧ أو لعدم العلم بالجزئيات ، [قال دالا على تمام القدرة و العلم - ^٨]
^٩ بالكيلات و الجزئيات ^{١٠} محذرا من ^{١١} أنكرها بأنه ^{١٢} قادر على تعجيل
الانتقام ولكنه لإكرامه لهذه ^{١٣} الأمة آخر عذابها إلى الآخرة إلا لمن ^{١٤}
كان منهم من الخواص فانه يظهرهم في الدنيا ليم نعيمهم بعد الموت
بادئا بأشد القبائل تكذيبا بالبعث لكون نافتهم أول دليل على القدرة
عليه ، و قالوا مع ذلك " أبشر منا واحدا نتبعه ، إلى أن قالوا : " بل
هو كذاب اشر ، و قالوا فى التكذيب [بها - ^{١٥}] " ابعدم أنكم إذا متم
و كنتم ترابا و عظاما أنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون ان ^{١٦}

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
انفى - كذا (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : من (٤) زيد من ظ و م (٥) من
ظ و م ، وفى الأصل ، مطلق (٦ - ٦) من ظ و م ، وفى الأصل : والكيلات .
(٧ - ٧) من ظ و م ، وفى الأصل : انكارها فانه (٨) من ظ و م ، وفى
الأصل : هذه .

هى الاحياتنا [الدنيا] نموت، - الآيتين، فإن الامر فيهم دائرين عاد
و نمود: ﴿ كذبت نمود ﴾ و تقديمهم ايضا من حيث أن بلادهم أقرب
إلى قريش، و اعظ^١ القرب أكبر و إهلاكهم بالصيحة و هى أشبه
بصيحة النفخ فى الصور المبعثر لما فى القبور ﴿ و عاد ﴾ و كان الاصل
ه أن يقال: بها، ولكنه أظهرها بوصف زادا عظما و هو لا فقال:
﴿ بالقارعة ه ﴾ أى [التى - ٢] تفرع، أى تضرب ضربا قويا و تنق دقا
عنيفا شديدا للاسماع و جميع العالم بانفطار السموات^٢ و تناثر النيرات^٣
و نسف الجبال الراسيات، فلا يثبت لذلك الهول شيء.

و لما جمعهم فى التكذيب، فصلهم فى التعذيب لأجل ذلك التكذيب
١٠ فقال: ﴿ فاما نمود ﴾ و هم قوم صالح عليه السلام.

و لما كان الهائل لهم لتقديم بالمحسوسات إنما هو العذاب، لا كونه^٤
من معين، بنى للجهول قوله: ﴿ فاهلكوا ﴾ أى بأيسر أمر من أوامرنا
﴿ بالطاغية ه ﴾ أى الصيحة التى جاوزت الحد فى الشدة فرجفت منها
الارض و القلوب.

/ ٤٧٨

١٥ و لما ذكر المهلكين [بالصيحة لأجل التكذيب بالقارعة تحذيرا
لمن يكذب بها، أتبعه المهلكين - ١] بما هو سبب لإقناذ الصيحة
و تقويتها دلالة على تمام القدرة على كل نوع من العذاب بالاختيار

(١) من ظ و م، وفى الأصل: اوعظ (٢) زيد من م (٣) زيد فى الأصل وظ:
الأرض، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) من ظ و م، وفى الأصل:
النيران (ه) من ظ و م، وفى الأصل: يكونه (٦) زيد من ظ و م.

فقال

فقال تعالى: ﴿ واما عاد ﴾ وهم قوم هود عليه السلام ﴿ فاهلكوا ﴾
 أى^١ بأشق ما يكون عليهم وأيسر ما يكون فى قدرتنا ﴿ بريح صرصر ﴾
 أى مى^٢ فى غاية ما يكون من شدة البرد والصوت كأنه كرر فيها
 البرد حتى صار [يحرق بشدته والصوت حتى صار - ٢] يصم بقوة،
 وقال الملوى: أصله صر وهو البرد الشديد أو الحر الشديد ﴿ عاتية ﴾^٣
 أى مجاوزة للحد^٤ من شدة عصفها وعظمة قصفها تفعل [أفعال - ٢]
 المستكبر الذى لا يبالى بشئ فلم يستطع خزانها ضبطها، ولم يملك
 المعذب بها ردها ولا ربطها، بل كانت تنزعهم من^٥ مكانهم التى
 احتفروها^٦ ومصانهم التى أتقنوها واختاروها فتهلكهم، قال الملوى:
 قال على بن أبى طالب وابن عباس رضى الله عنهما^٧: لم ينزل قط ماء. ١٠
 ولا ريح إلا بمكيال على يد ملك إلا يوم الطوفان فان الله تعالى أذن للماء
 فطنى على الخزان ويوم عاد أذن للريح ففتت على خزانها - انتهى .
 ولما وصفها^٨ بالعتو على الخلق والغلبة لهم بحيث كانت خارقة
 للعادة لم يأت مثلها قبل ولا بعد، دل على صغارها بالنسبة إلى عظمتها، وأنه
 هو الذى أوجدها لا الطبيعة ولا غيرها، بل إنما كانت بقدرته واختياره ١٥
 قهرا لمن طعن فى ملكه وكذب رسله فيما أخبروا به من أمر الساعة
 (١) سقط من م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: هو (٣) زيد من ظ و م .
 (٤) من ظ و م، وفى الأصل: فى الحد (٥ - ٥) من ظ و م، وفى الأصل:
 مكانهم الذى احتفرو (٦) راجع الدر المنثور ٢٥٩/٦ (٧) زيد فى الأصل:
 انه، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

التي هي موضع الحكمة وإظهار جميع العظمة، فقال مستأنفا دلالة على ذلك :
 ﴿مخرهما﴾ أي قهرهما على أن سلطهما، والتسخير : استيعمال الشيء بالإقتدار،
 ودل على أنه تسخير تعذيب [لا - ١] رحمة و تأديب بأداة الاستيعلاء
 يقال : ﴿عليهم﴾ و كلفها ذلك و ذلها له فلم يمكنها مع عتوها ' إلا
 ه أن كانت طوع أمره و صنيعه عظمته و قهره .

ولما كانت هذه السورة لتحقيق الأمور، وكشف المشكل وإيضاح
 الخفي، حقق فيها زمن عذابهم تحقيقا لم يتقدم مثله، فذكر الأيام والليالي،
 وقدم الليالي لأن المصائب فيها أفظع وأقبح وأشنع لقلة المغيث
 والجهل بالمأخذ والنجاة في المقاصد والمنافذ، ولأن عددها مذكر في
 ١٠ اللفظ، وتذكير اللفظ أدل على قوة المعنى ولذلك جمل المميز جمع
 كثرة، ولأنها سبع، والسبع مبالغ فيه وهو أجمع العدد كما يأتي
 تحقيقه قريبا في حملة العرش ولا يمكن أن يظن بتقديمها أن ابتداء
 العذاب كان فيها لانه يلزم حيث أن يكون بعدد الأيام فلذلك قال :
 ﴿سبع ليال﴾ أي لا تفتقر فيها الريح لحظة لانه بولغ^٢ في شدتها
 ١٥ مبالغة لم يكن مثلها قط ولا يكون بعدها ' أبدا ﴿وثمنية أيام لا﴾

كذلك / حال كونها ﴿حسوما لا﴾ جمع حاسم أي بحس مانع من
 ٤٧٩ / التصرف دائم متابع لا فترة له، من حسم الكي - إذا تابع فيه بالمكواة،

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفي الأصل : علوها (٣) من ظ و م،
 وفي الأصل : بلوغ (٤) - سقط من م (٥) من ظ و م، وفي الأصل : فيه .

قاطع لكل خير، مستأصل له، فأنت عليهم من غير فترة أصلا في جميع ذلك الوقت فاستأصلتهم لم تبق منهم أحدا حتى أن عجوزا منهم توارت في سرب فانتزعتها منه وأهلكتها، وبها سميت أيام المعجوز، أو لأنها^١ عجز الشتاء وهي [ذات - ٢] برد ورياح^٢ شديدة وهي من صبيحة الأربعاء لثمان بقين من شوال إلى غروب الأربعاء الآخر وهو^٣ آخر الشهر، وقد لزم^٤ من زيادة عدد الأيام أن الابتداء كان [بها - ٢] قطعا وإلا لم تكن الليالي^٥ سبعا - فتأمل ذلك .

ولما كان الحاسم^٦ المهلك، سبب عنه قوله مصورا لحالهم الماضية :
 ﴿ ترى القوم ﴾ أى الذين هم في غاية القدرة على ما يحاولونه :
 ﴿ فيها ﴾ أى فى^٧ تلك المدة من الأيام و الليالى لم يتأخر [أحد - ٢] ١٠
 منهم عنها ﴿ صرعى لا ﴾ أى مجذلين على الأرض موتى معصورين بمجهزة على كل منهم من شدة ضغطها باد عليهم^٨ الذل والصغار^٩، جمع صريع ﴿ كأنهم اعجاز ﴾^{١٠} أى أصول ﴿ نخل ﴾ قد شاخت وهرمت فهى فى غاية العجز^{١١} والهرم^{١٢} ﴿ خاوية ﴾^{١٣} أى متأكلة الاجواف ساقطة، من

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : لها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : ريح (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : هي (٥ - ٥) من ظ و م ، وفى الأصل : قدم (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : الليل (٧) زيد فى الأصل : السبب ، ولم تكن الزيادة ، فى ظ و م لحذفها (٨) سقط من ظ و م (٩ - ٩) من ظ و م ، وفى الأصل : والصرع (١٠) زيد فى الأصل : نخل ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (١١ - ١١) سقط ما بين الوقيين من ظ و م .

مخوى النجم - إذا سقط للغروب ، و من خوى المنزل - إذا [خلا - ١]
من قطانه ، قالوا : كانت تدخل من أفواههم فتخرج ما فى أجوافهم من
الحشو من ادبارهم ، فالوصف بذلك لعظم أجسامهم و تقطيع الريح لهم
و قطعها لرؤسهم و خلوم من الحياة و تسويدها لهم .

٥ ولما كان هذا امرا رائعا لمن له أدنى معقول ، وكان الاستفهام
بما يزيد الروعة ، قال مسيبا عن استئصالهم ليكون الإخبار به المستلزم
لغاية العلم بالجزئيات كالدعوى بدليلها : (فهل ترى) أى أيها المخاطب
الخير بالناس فى جميع الاقطار ' (لهم) أى خصوصا ، و أعرق فى
التنى و عبر بالمصدر الملحق بالهاء مبالغة فقال : (من باقية *) أى بقاء
١٠ أو نفس موصوفة بالبقاء ، و أنجى الله سبحانه و تعالى صالحا عليه السلام
و من آمن به [من بين ثمود - ١] و لم تضرهم الطاغية و هودا عليه السلام
و من آمن به من بين عاد لم يهلك منهم أحد ، فدل ذلك دلالة واضحة
على أن له تعالى تمام العلم بالجزئيات كما أن له كمال الإحاطة بالكليات
و على قدرته و اختياره و حكمته ، فلا يجعل المسلم أصلا كالمجرم و لا
١٥ المحسن . كالمحسن .

ولما أخبر تعالى عن اهلك بالريح و من اهلك بما سبه الريح
تسييا قريبا بغير واسطة ، وكان ذلك [كله - ١] - لخروجه عن العادة -
رادا على أهل الطبائع ، أخبر بمن اهلك * بما سبته الريح من الماء

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الاقطاع (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : ذلك (٤) من ظ و م ، وفى الأصل اهلك .

بواسطة السحاب ، و كانت سبب تطابقه عليهم مع ان كفرهم بالتعطيل
الذى هو أنحص أنواع الكفر للقول / بالطبيعة التى تتضمن الإنكار للبعث ،
وكان إغراقهم بما يكذب مقدّم لخروجه عن العادة ، فقال منبها على
قوة كفرهم بالمجيء : ﴿ و جآء ﴾ أى أنى إتيانا عاليا شديدا ﴿ فرعون ﴾
أى ' الذى ملكناه على طائفة من الأرض فعق و تجبر و ادعى الإلهية ه
ناسيا هيبنا و قدرتنا بنقمتنا و أنكر الصانع و قال بالطباع ﴿ و من قبله ﴾
أى فى جهته و فى حيزه و ما يليه و فى السير بسيرته ' من العلو فى
الأرض بغير الحق و العفو فى الكفر ، و هو ظرف مكان ، هكذا على
قراءة البصريين . و الكسائي ' بكسر القاف و فتح الموحدة ، فعم ذلك
كل من كان كافرا عاتيا من قبله و من بعده ، و هو معنى قراءة الباقيين ١٠
بفتح القاف و إسكان الباء الموحدة ' على أنه ظرف يقابل "بعد" بزيادة .
و لما كان قوم لوط عليه السلام قد جمعوا أنواعا من الفسوق
لم يشاركهم فيها أحد ، فاشتمل عذابهم على ما لم يكن مثله عذاب ،
فكان كل من فعلهم الذى لم يسبقهم به احد من العالمين و عذابهم
الذى ما كان مثله ' قبل و لا بعد ، رادا على أهل الطباع ' نص عليهم ١٥
من بين من دخل فيمن ' قبله على القراءتين فقال : ﴿ و المؤتفكت ﴾ أى

(١) سقط من م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فى سيرته (٣) من ظ و م ،
و فى الأصل : الكشاف = و راجع نثر المرجان ٤٧٤/٧ (٤) سقط من ظ و م :
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : قبله (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فيما .

أهل المدائن المتقلبات. بأهلها حتى صار^١ عاليها سافلا^٢ لما حصل لأهلها
من الانقلاب حتى صاروا إيام^٣ و اتبعت حجارة الكبريت^٤ و خسف
بها^٥ و غمرت بما ليس في الأرض مثله و هي قرى قوم لوط عليه السلام
(بالخاطئة ج) أى الخطأ أو الأفعال ذات الخطأ التى تتخطى منها إلى نفس
٥ الفعل القبيح من اللواط و الصفع و الضراط مع الشرك و غير ذلك
من أنواع الفسق و العناد و الطغيان .

و لما كانت الرسل^٦ كلهم جميعا كالفردي الواحد لاتفاق مقاصدهم
في^٧ الدعاء إلى الله و الحمل على طاعته، قال مستأنفا مسيبا عن مجيئهم بذلك
موحدا في اللفظ ما هو صالح للكثير بارادة الجنس: (فقصوا) أى
١٠ خالفوا و نابذوا (رسول ربهم) أى خالفت كل أمة من أرسله
المحسن إليها بابتداعها من العدم و إيداعها القوى و ترزيقها و بعث رسولها
لإرشادها اغترارا باحسانه و لم يجوزوا أن المحسن يقدر على الضر كما
قدر على النفع، لانه الضار كما أنه النافع فللتنبيه على مثل ذلك لا يجوز
نقل أحد الاسمين عن الآخر، و سبب عن العصيان قوله: (فاخذم)
١٥ أى ربهم أخذ قهر و غضب (أخذة) لم يبق من أمة منهم أحدا
من كذب الرسول فلم يكن كمن / ينصر على عدو من الآدميين لا بد
أن يفوته كثير منهم و إن اجتهد في الطلب، و ما ذاك إلا لئلام عليه

/ ٤٨١

(١ - ١) من ظ و م ، و في الاصل : عليها سيافنا (٢) في الأصل بياض ملاناه
من ظ و م (٣ - ٣) من ظ و م ، و في الأصل : خسفت (٤ - ٤) سقط ما بين
الرقبين من ظ و م (٥) من ظ و م و في الأصل : من .

سبحانه وتعالى بالجزئيات والكليات، وشمول قدرته، وتلك الاخذة
- مع كونها [بهذه - ١] العظيمة من أنها أخذتهم كنفس واحدة -
جعلها سبحانه (راية) أى عالية عليهم عليه القدر فى قوة البطش
وشدة الفتك زائدة عن الحد نامية بقدر زيادة أعمالهم فى القبح، والربا:
النمو، وأصله الزيادة، فأغرق فرعون وجنوده، وأغرق كل من ه
كذب نوحا عليه السلام، وهم كل أهل الأرض غير من ركب معه
فى السفينة، وحمل^٢ مدائن لوط عليه السلام بعد أن تنقها من الأرض
على متن الريح بواسطة من أمره بذلك من الملائكة ثم قلبها وأتبعها
الحجارة وخسف بها وغمرها بالماء المتين الذى ليس فى الأرض
ما يشبهه .

١٠

ولما^٣ كان ربما^٢ وقع فى وهم التعجب من وجود فرعون ومن
بعده من الإخبار بأخذ من قبله على قراءة الجماعة مع أن « من » [من - ١]
صينغ^٤ العموم، أشار إلى [انه أهلك - ١] جميع المخالفين^٥ وانجى
جميع^٦ الموافقين، قال جوابا لذلك السؤال مؤكدا لأجل من^٧ يتعنت
ولأن^٨ ذلك كان^٩ مما يتعجب منه ويتلذذ بذكره: (انا) أى على ١٥

(١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم، وفى الأصل: أغرق (٣ - ٣) من ظ
وم، وفى الأصل: ربما كان (٤) زيد فى الأصل: النور، ولم تكن الزيادة فى
ظ وم لحذفها (٥) من ظ وم، وفى الأصل: المخلوقين (٦) زيد فى الأصل:
المؤمنين، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها (٧ - ٧) من ظ وم، وفى
الأصل: معا ولاجل (٨) سقط من ظ وم .

'قدرتنا' وعظمتنا وإحاطتنا ﴿لما طفا الماء﴾ أي فزاد عن الحد حتى علا على أعلى جبل في الأرض بقدر ما يفرق من كاسف عليه حين^٢ أغرقنا قوم نوح عليه السلام [به - ٢] فلم يطبقوا ضبطه ولا قاووه بوجه من الوجوه، ولا وقفوا لركوب السفينة، فكان خروجه
 ٥ عن العادة راداً على أهل الطبائع .

ولما كان الإيجاد نعمة فكان إنجاء آبائهم من الفرق حتى كان ذلك سبباً لوجودهم فقمه عليهم قال تعالى: ﴿حملنكم﴾ أي في ظهور آبائكم بعظمتنا ومشيتنا وقدرتنا ﴿في الجارية لا﴾ أي السفينة التي حملناها بحمكتنا عريقة في الجريان حتى كأنه لا جارية غيرها على وجه الماء الذي
 ١٠ جعلنا من شأنه الإغراق، وهو تمييز بالصفة عن الموصوف، ونوح عليه السلام أول من صنع السفينة، وإنما صنعها بوحي الله تعالى وبحفظه له من أن 'يزل في صنعها'، قال: اجعلها كهية صدر الطائر ليكون ما يجرى في الماء مقارباً لما يجرى في الهواء، وأغرقنا سوى من في السفينة من جميع أهل الأرض من آدمي وغيره .

١٥ ولما بدأ سبحانه وتعالى بتمود الذين هم أقرب المهلكين إلى مكة المشرفة لأن التخريف بالأقرب أقعد، وختم بقوم نوح عليه السلام لأنهم كانوا جميع أهل الأرض ولم يخف أمرهم على أحد ممن

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : حتى .
 (٣) زيد من ظ و م (٤ - ٤) من ظ و م ، وفي الأصل : ينزل في صنعها .
 (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : مقاد .

٤٨٢ /

إبعدم، علل اختيار إنجائهم بالسفينة دون غيرها فقال: ﴿لجعلها﴾ أى هذه
 الفضلات العظيمة من إنجاء المؤمنين بحيث لا يهلك منهم بذلك العذاب
 أحد وإهلاك الكافرين بحيث لا يشذ منهم أحد، وكذا السفينة التى
 حملنا فيها نوحا عليه السلام وفن معه بآياتها آية من آياته وأعجوبة
 من بدائع عيّناته وغريبة فى الدهر من أعجوباته ﴿لكم﴾ أى أيها
 الأناسى ﴿تذكرة﴾ أى سببا عظيما لذكر أول إنشائه والموعظة
 به لتستدلوا بذلك على كمال قدرته تعالى وتسام عليه وعظمة رحمته
 وقهره، فيفودكم ذلك إليه وتقبلوا بقلوبكم عليه ﴿وتعيها﴾ أى
 وتحفظ قصة السفينة وغيرها مما تقدم، حفظا ثابتا مستقرا كأنه
 محوى فى وعاء.

١٠

ولما كان المتفجع بما يسمع الحافظ له قليلا جدا، دل على ذلك
 بتوحيد الأذن فقال موحدا منكرات مع الدلالة على تعظيمها: ﴿اذن﴾
 أى عظمة النفع ﴿واعية﴾ أى من شأنها أن تحفظ ما ينبغي حفظه
 من الأقوال والأفعال الإلهية والأسرار الربانية لنفع عباد الله كما كان
 نوح عليه السلام ومن معه وهم قليل سببا لإدامة النسل والبركة فيه ١٥

- (١) من ظ وم، وفى الأصل: بآبائة (٢) سقط من ظ وم (٣) من ظ وم،
 وفى الأصل: لتذكوه (٤) من ظ وم، وفى الأصل: فيقول لكم (٥) زيد فى
 الأصل: كلهم، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها (٦ - ٧) من ظ وم،
 وفى الأصل: للدلالة (٧) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ وم لحذفها.
 (٨) من ظ وم، وفى الأصل: مسيبا.

حتى امتلأت منه الأرض . والوعى : الحفظ فى النفس ، والإيعاء :
الحفظ فى الوعاء ، وفى ذلك توبيخ للناس بقلة الواعى منهم ، ودلالة
على أن الأذن الواحدة إذا غفلت عن الله تعالى فهى السواد الأعظم ،
وما سواها لا يبالى بهم الله بالة - قاله الأصهبانى والزحشرى وغيرهما -
وما ذكر القيامة وهول أمرها بالتعبير بالحاقة وغيرها ، ودل
على قدرته عليها وعلى حكمته بقصص من ذكر [على - ١] الوجه
الذى مر إلى أن ختم بالذين كانت قصتهم أشبه تلك ^٢ القصص بالقيامة
من حيث أن أمر الله فيها عم أمل الأرض وفى زمن يسير ، وكان
الناجون منها بالنسبة إلى المهلكين كالشجرة البيضاء فى جلد الثور الأسود ،
١٠ سبب عن جميع ما مضى قوله شرحا لأمرها : (فاذا نفخ) وبني
الفعل للجهول دلالة على هوان ^٢ ذلك ^٤ عليه وأنه ما تأثر عنه
لا يتوقف على نافخ [معين - ١] بل من أقامه ^٥ من جنده لذلك
تأثر عنه ما يريده وذكره وإن كان المسند إليه مؤثرا ^٦ للفصل ولكونه
غير حقيقى [التأنيث - ١] وللدلالة على [قوة - ١] النفخ
١٥ (فى الصور) أى القرن الذى ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام كانه
عبر [عنه - ١] به دون القرن مثلا لأنه يتأثر عنه تارة لإعدام الصور
وتارة لإيجادها وردها إلى أشكالها سعة ^٧ كما بين السماء والأرض ،
(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : بتلك (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : هول (٤-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : اليوم وإن (ه-ه) من
ظ و م ، وفى الأصل : بحسده كذلك (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : مويدا .
(٧) من ظ و م ، وفى الأصل : فيها .

و أسند الفعل إلى المصدر ليفيده بادئ بدء لا ليؤلده وإن كان التأكيـ
د يفهم منه وهو / غير مقصود بالذات فقال : ﴿ نفخة ﴾ ولما دل بالفعلـ
على الواحدة ، أكدـه دلالة على عظيم قدرته و حقارة الأشياء عنده بقوله :
﴿ واحدة لا ﴾ أى فهلك الخلائق كلهم ، هكذا قالوا إن هذه النفخة هى
الاولى ، قالوا : وعندها خراب العالم ، و ظاهر السياق أنها الثانية التى هـ
بها البعث ، و خراب ما ذكر بعد قيامهم أنسب لأنه لهم أهيب ، و كونها
الثانية إحدى الروايتين عن ابن عباس رضى الله عنهما .

ولما ذكر التأثير ٢ فى الإحياء ٢ ، اتبعه التأثير فى الجمادات ، وبدأ
بالسفليات لملاستها للانسان فتكون عبرته بها أكثر فقال : ﴿ وحملت ﴾
أى بمجرد القدرة ﴿ الارض ﴾ [أى - ١] المنبسطة و رجت رجا ١٠
﴿ و الجبال ﴾ [أى - ١] التى بها ثباتها فرفعت ٢ من اماكنها ، و بستا بسا
فكانت هباء منبثا ، لم يبق فيها حجر ولا كدية .

ولما اريد قوة الدك و الإبلاغ فى تأثيره ، جعل الجبال شيئا واحدا
فقال : ﴿ فدكنا ﴾ أى مسحت الجبلتان الارض و ١ أوتادها و بسطتا ٦
و دق بعضها ببعض ﴿ دكة واحدة لا ﴾ أى فصارتا كشيئا مهيلا و سويتا ١٥
بأيسر أمر فلم يميز شئ منهما من الآخر ، بل صارا فى غاية الاستواء ،
من قولهم : ناقة دكاه ، أى لا سنام لها . و ارض دكاه ، أى متسعة مستوية ،

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : احد (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : بالأحياء .
(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : بالانسان (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ،
وفى الأصل : فرغما (٦-٦) من ظ و م ، وفى الأصل : واتاد وبسط .

قالوا : والدك و الدق - أخوان ، والدك ابلغ ، قال ابو حيان : والدك فيه تفرق الاجزاء ، و الدق فيه اختلاط ^١ الاجزاء .

و لما ذكر نفخ الصور سبب عنه قوله : ﴿ فيومئذ ﴾ أى إذ دكنا و هى بدل من « إذ » ، كرر لطول الفصل و أفاد تهويلا لها و تعظيما ، و نصب هـ الظرف بقوله : ﴿ وقعت الواقعة ﴾ أى التى وقع الوعد و الوعيد بها ، فكانت كأنها شئ ثقيل جدا ليس له ممسك ^٢ ، فاله من ذاته غير السقوط ، و هى القيامة و الحاقة و القارعة ، نوع اسماءها تهويلا لها أى قامت القيامة . و كان المراد بها النفخة الثانية .

و لما ذكر تأثير العالم السفلى ذكر العلوى فقال : ﴿ واشتقت السماء ﴾ ١٠ أى هذا الجنس لشدة ذلك اليوم ، [و لما كان الشئ لا ينشق إلا للحل فيه ، سبب عنه قوله تحقيقا لذلك - ^٣] : ﴿ فهى يومئذ ﴾ أى « إذ وقعت » الواقعة ^٤ ﴿ واهية ﴾ أى ضعيفة متساقطة خفيفة لا تنماسك .

و لما كانت العادة جارية فيما يعرف ان الملك يظهر أنواعا من ١٥ عظمته يوم عرض الجند ، قال معرفا لنا بنحو ^٥ ما القناه ^٦ : ﴿ و الملك ﴾

(١) فى البحر المحيط ٧ / ٣٢٣ (٢) ريد فى الأصل و م : الاشياء و ، لم تكن الزيادة فى ظ و م و البحر المحيط لمخفئها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فما يشك (٤) ريد من ظ (٥ - ٥) من ظ و م ، و فى الأصل : وقعة (٦) ريد فى الأصل : فهى ، و لم تكن ازيدة فى ظ و م لمخفئها (٧ - ٧) من ظ و م ، و فى الأصل : القناه .

أى هذا النوع الذى يصدق على الواحد فما فوقه ، و الجمع لا يصدق على ما دون الجمع فهذا أشمل ﴿ على أرجائها ﴾ أى نواحي السماء و أطرافها و حواشى ما لم يتشقق منها ، قال الضحاك ^١ : يكونون بها حتى يأمرهم الله فينزلون فيحيطون بالأرض و من عليها - [انتهى - ^٢]
وقيل : [أرجاء - ^٣] الأرض واحدا رجا / ، مقصور ، و الاثنان رجوان ، ه / ٤٨٤
فيحيطون بالجن و الإنس فيحشرهم حشر الصيد لإرادة أخذه .

^٢ و لما كان الملك يظهر يوم العرض سرير ملكه و محل عزه قال :
﴿ و يحمل عرش ﴾ ^٣ و لما كان هذا أمرا هائلا مقطعا للقلوب ، قال
مؤنسا للنزل عليه هذا الذكر مؤنثا له من كل ما يحذر : ﴿ ربك ﴾
أى المحسن إليك بكل ما يريده لا سيما فى ذلك اليوم بما يظهر ^{١٠}
من رفعتك .

^٣ و لما كان العرش عاما لجهة فوق كلها ، اسقط الجار ^٢ فقال :
﴿ فوقهم ﴾ أى فوق رؤسهم ﴿ يومئذ ﴾ أى يوم إذ وقعت الواقعة
بعدد ما كان تحته من السماوات السبع و الكرسي ﴿ ثمانية ﴾ ^٥ أى من
الملائكة اشخاص أو صفوف يؤيد حملته * الأربعة فى الدنيا بأربعة ^{١٥}
أخرى لشدة ذلك [اليوم - ^٢] و ثقله ، و هو فى حديث أخرجه
أبو داود ^٦ و الترمذى و ابن ماجه ^٧ و أبو يعلى و البغوى ^٨ عن العباس

(١) راجع معالم التنزيل ١١٩/٧ (٢) زيد من ظ و م (م-م) سقط ما بين الرقيين
من ظ و م (٤) من ظ و م . وفى الأصل : عليه (٥) من ظ و م ، وفى الأصل :
الجل (٦) راجع السنن - السنة (٧) راجع السنن - المقدمة (٨) راجع المعالم ١٩٢/٧ .

ابن عبد المطلب رضى الله عنه ، فظاھرهم انھم اشخاص و لفظه : ثمانية اوعال
 بين ركبھن و اظلائھن كما بين السماء و الارض و ظاھر ذلك انھم
 في الدنيا ، و كونھم في الدنيا أربعة فقط ذكره المفسرون^١ و رواه الطبرانی
 من طريق ابن إسحاق ، قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال : هم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أيدهم بأربعة آخرين ، و هو
 مذكور في حديث الصور الطويل الذي يرويه أبو يعلى و غيره من
 طريق إسماعيل بن رافع عن يزيد بن زياد عن القرطبي عن رجل عن
 أبي هريرة رضى الله عنه ، و هذا العدد يحتمل أن يراد به أهل السماوات
 السبع و الكرسي فتلك ثمانية ، و هم خلق لا يحصيهم إلا الله سبحانه
 ١٠ و تعالى ، و هو أوفق لإظهار العظمة ، [و يمكن أن يراد بهم ثمانية
 أفراد و يكون حملهم له أظهر في العظمة - ^٢] ليعلم كل من يرى ذلك
 أن مثلهم لا يقدر على حمل مثله في عظمته و إحاطته ، و هذا هو أظهر
 المعاني من الأحاديث الواردة فيه ، و اختيار هذا العدد أوفق^٣ للوجه
 الذي قبله لأنه يزيد على العدد الموضوع للمبالغة^٤ - و هو السبع -
 ١٥ [بوحدة - ^٢] إشارة إلى أنه أبلغ من عدة المبالغة لأنه إشارة^٥ إلى
 أنك كلما بالغت^٦ زاد الأمر على مبالغتك بما هو أول العدد ، و ذلك
 إشارة إلى عدم الانتهاء و الوقوف عند حد ، و إلى ذلك يشير أيضا

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : أكثر المفسرين (٢) زيد من ظ و م (٣-٢) من
 ظ و م ، وفي الأصل : للذي (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : مبالغة (٥) من ظ
 و م ، وفي الأصل : اشار (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : بلغت .

أن لثمانية من الكسور النصف والربع والثلث، وذلك سبعة، والسبعة عدد جامع لجميع أنواع العدد الفرد والزوج والزوج والزوج الفرد، وكل ذلك إشارة إلى المبالغة في [إظهار -^١] العظمة والكبرياء والعزة وتمثيل لنا بما نعرف من أحوال الملوك وإلا:

فالامر أعظم من مقالة قائل^٢ إن رقق البلغاء أو إن غموا^٣ ٥

إعلاما بعظمة ذلك اليوم ليخشى / العباد فيلزموا أسباب الإسعاد، وهذا الذى قلته من سر السبعة قد ذكره الإمام^٤ بدر الدين بن الدمايقي قرين شيوخنا فى الكلام على الواو من حاشيته على معنى ابن هشام عن تفسير العماد الكندي قاضى الإسكندرية المسمى الكفيل بمعانى التنزيل^٥ فقال: ونقل الأستاذ عبد الله الكفيف المالى أنها لغة فصيحة لبعض العرب أن^٦ ١٠ [يقول -^١]: واحد اثنين ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة ثمانية تسعة عشرة - هكذا لغتهم، ومتى جاء فى^٧ كلامهم لفظ الثمانية أدخلوا الواو وقد نظم^٨ بعض أصحابنا فى^٩ كون السبعة^{١٠} منتهى العدد آياتا^{١١} وهى^{١٢}:

يا سائلى عن سر كون العدد غايته فى سبعة لم تزد

ما سره إلا انحصار قسمه فى واحد فرد وشيء مسند ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل: حيث قال، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، وفى الأصل: الام (٤) من ظ و م، وفى الأصل: المنزل (٥) زيد فى الأصل: الكلام اغنى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيد فى الأصل: بعضهم وهو، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧ - ٧) من ظ و م، وفى الأصل: كور الثمانية (٨ - ٨) من ظ و م، وفى الأصل: قال.

وذلك الشيء الذي تسنده منحصر في واحد وازيد
 قالفرد و الفرد إذا ما اجتماعا زوج مع الفرد الذي لم يسند
 واثان واثان إذا ما اجتمعت أربعة تضم مع فيه اليد
 فتلك سبعة إذا تكاملت أربعة واثان مع منفردا
 وما أتى من بعد هذا فهو تركرار له لا زائد في العدد
 ثلاثة مع مثلها فرد و فرد قد مضى و ما مضى لا يعدد
 وهكذا أربعة مع مثلها 'زوج و' زوج قد مضى لا يزيد

و قال الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في مقدمة كتابه الملل
 والنحل: أكثر أصحاب العدد على أن الواحد لا يدخل في العدد،
 ١٠ فالعدد مصدره الأول الاثنان، وهو ينقسم إلى زوج و فرد، قالفرد
 الأول ثلاثة، و الزوج الأول أربعة، و ما وراء الأربعة مكرر كالخمس
 فاتها مركبة من فرد و زوج، و يسمى العدد الدائر، و الستة مركبة
 من فردين، و يسمى العدد التام، و السبعة مركبة من فرد و زوج،
 و تسمى العدد الكامل، و الثمانية مركبة من زوجين و هي بداية الأخرى.
 ١٥ فصدر الحساب في مقابلة الواحد الذي هو علة العدد و ليس يدخل
 فيه، و لذلك هو فرد لا أخ له .

ولما كان العدد مصدره من اثنين؛ صار منهما المحقق محصورا في قسمين،

- (١) من ظ و م، وفي الأصل: مفرد (٢-٢) من ظ و م، وفي الأصل: و زوج .
 (٣) من ظ، وفي الأصل و م: لا يعدد - كذا (٤) من ظ و م، وفي الأصل:
 الاثنان (٥) من ظ و م، وفي الأصل: منها .

ولما كانت العدد منقسما إلى فرد وزوج ، صار من ذلك الأصل محصورا في سبعة ، فإن الفرد الأول ثلاثة ، والزوج الأول أربعة ، وهي النهاية ، وما عداها مركب منها ، وكان البساط ' العامة الكلية ' في العدد واحد واثان وثلاثة وأربعة وهي الكمال ، وما زاد عليها من المركب الكلي فركبات / كلها ولا حصر لها ، وقال أبو الحكم ابن ٥ / ٤٨٦ برجان في تفسير سورة القدر : انتهاء العدد ستة والسابع وترها .

ولما بلغ النهاية في تحذير العباد من يوم التناد ، وكان لهم حالتان : خاصة وعامة ، فالعامة العرض ، والخاصة التقسيم إلى محسن ومسيء ، زاده^٢ عظماء بقوله : (يومئذ) أي إذا كان ما تقدم .

ولما كانت المهول نفس العرض ، بنى فعله للفعول ولأنه كلام ١٠ القادرين فقال : (تعرضون) أي على الله سبحانه وتعالى للحساب كما يعرض السلطان الجند لينظر في أمرهم ليختار منهم المصلح للاكرام والتقريب والإثابة ، والمفسد للابعاد والتعذيب والإصابة ، عبر عن الحساب بالعرض الذي هو جزؤه ، فالمحسن لا يكون له غير ذلك والمسيء يناقش (لا تخفى منكم) أي في ذلك اليوم على أحد [بوجه - ٢] ١٥ من الوجوه (خافية) أي لا يقع أصلا على [حال - ٢] من الأحوال شيء^٤ من خفاء شيء كان من حقه الخفاء في الدنيا لا من الأعمال ولا من

(١-١) من ظ و م ، وفي الأصل : الكلية العامة (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : زال (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : شيئا .

الانفس وإن كان في ^١ غاية الدقة والعموض لأن ذلك يوم الظهور التام
من القبور ومن الصدور، وغير ذلك من الامور، ليكون ذلك أجل
لسعادة من سعد، وأقبح لشقارة من شقى فأبعد، قال أبو موسى رضي الله
عنه: هي ثلاث عرضات فأما عرضتان لجذال ومعاذير، وأما الثالثة
٥ فعندها تتطايّر الصحف فأخذ يمينه وأخذ بشماله .

ولما كان من المعلوم أنهم قسمان : محسن ومسيء، وكان التقدير :
فنعطى كلا منكم صحيفة أعماله من أفعاله وأقواله وجميع خلائقه وأحواله ،
فمنكم من تدفع إليه في يمينه فتظهر له حسناته وتستر عنه سيئاته ،
ومنكم من يعطاها في شماله فتبدو له سيئاته ويحى ما كان من حسناته ،
١٠ لأنه أوتى ثوابه في الدنيا بما يحل له من طيباته ، عطف عليه مفصلاً له
قوله : ﴿ فاما من أوتى ﴾ بناء للفعول لأن دلالة السعادة الوقوع في
اليمين لا من معط معين ﴿ كتبه ﴾ أى الذى أثبت فيه أعماله
﴿ يمينه ^٢ لا يقول ﴾ لما رأى من سعادته تبجها بحاله وإظهاراً لنعمة ربه
لأن الإنسان مطبوع على أن يظهر ما آتاه من خير تكميلاً للذته بكبت ^٣
١٥ أعدائه وتفرح أوليائه ، قيل : إنه تكتب سيئاته في باطن صحيفته وحسناته
في ظاهرها ، فيقرأ الباطن ويقرأ الناس الظاهر ، فإذا أنهى قيل له : قد
غفرها الله ، ألقب الصحيفة ، فيئذ يكون قوله : ﴿ هاؤم ﴾ أى خذوا
أيها الحاضرون من الخلائق الملائكة وغيرهم ، فيها صوت يفهم منه معنى :

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : من (٢) وقع في الأصل بعد و كتابه « و الترتيب
من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : بـ تـ كـ تـ ب .

٤٨٧ /

خذوا، / ويوصل تارة بالكاف وتارة بالهمزة، اسم فعل، وإنما اختارها هنا ليعلم أن خطابها لجميع أهل الموقف^١ من كان منهم باطنا من الملائكة والجن وغيرهم، ومن كان منهم ظاهرا لأن الألف عند الربانيين غيب وإحاطة كما دل عليها مخرجها، فهي عبارة عن عدم عن القائم الأعلى المحيط، وروى معنى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما، هـ والهمزة^٢ بده غيبه^٣ ولذا كان مخرجها أقصى الحروف الحلقية دلالة على ذلك، وبدء غيب الله سبحانه وتعالى أفعاله وهي تشمل الظاهر والخبى^٤ أصلها الكاف^٥ فهي عندهم ظهور متكامل ذو استقلال، وهو من يكون من شأنه الظهور، وأبناء الجنس أحق بهذا، وقد دل على ذلك مخرج الكاف الذى بعد القاف من أصل اللسان الأقرب إلى وسطه، ومفعول ١٠ وما، محذوف عند البصريين دل عليه كتابه^٦ من قوله: (اقرأوا كشيء) وهاءه للسكت، كأنها إشارة إلى شدة الكرب فى ذلك اليوم للدلالة على أنه إذا كان هذا السعيد يسكت فى كل جملة للاستراحة لا يقدر فى الكلام على المضى فما الظن بغيره، وتشير^٧ أيضا مع ذلك إلى فراغ الأمر وبجاجة الجزم^٨ به والوثوق بأنه لا يغير . ١٥

ولما كانت حقيقة الحساب ذكر الأعمال والمجازاة عليها، وكان

(١) من ظ و م، وفى الأصل: الوقف (٢-٣) من ظ و م، وفى الأصل: به عيه - كذا (٣-٣) من ظ و م، وفى الأصل: لا الكافل (٤) من ظ و م، وفى الأصل: لهذا (٥) من ظ و م، وفى الأصل: كتابه (٦) من ظ و م، وفى الأصل: فسر (٧) من ظ و م، وفى الأصل: الأمر .

الآدمي - لأنه مجبول على النقص - لا يقدر أن يقدر الله حق قدره، وكلما كان الإنسان أعلى كان الاستشعار والنقص من نفسه أكثر، وكان من نوقش [الحساب -'] - كما قال^١ النبي صلى الله عليه وسلم - عذب، قال مؤكدا لأن من يرى حاله و كتابه ينكر أن يكون له ذنب أو منه
 ٥ تقصير : (انى ظننت) أى فى هذا اليوم خوفا من سوء أعمالى التى أعرفها من نفسى (انى ملاق) أى ثابت لى ثباتا لا ينفك أنى ألتقى بين يدى الديان^٢ (حسايه ج) لأنى كنت جامعا كما أمرت بين الخوف و الرجاء، فأخاف أن يقابل بين حسائى^٣ و بين النعم فلا تقوم لى أصغر نعمة فأعذب على سيئاتى و أرجو غفرانه، فحقق سبحانه رجائى
 ١٠ و أمن خوفي، فعلمت الآن أنى لا أناقش الحساب، و إنما حسابى العرض وهو الحساب اليسير بأن تعرض أعمالى فلا أجازى على سيئها و ائاب على حسنها^٤ منا و رحمة و فضلا و نعمة، و يجوز أن يكون الظن فى الدنيا، عبر به عن اليقين إشارة إلى أنه يكفى العاقل فى الخوف الحامل له على العمل ظن الخطر، و فيه إشعار بهضم النفس لأن الإنسان
 ١٥ لا ينفك عن خطرات من الشبه تعرض له و تهجم^٥ عليه و إيدان بأن مثل ذلك لا يقدر^٦ فى الجزم بالاعتقاد و تنبيه على أنه يكفى فى

(١) ربه من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : قول (٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : مساى (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : سبها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : تجهم (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : لا يقدم .

- إيجاب العمل^١ الظن فيكون حيثن تعليل لإعطاء الكتاب / باليمين، وفيه
تبكيت للتكفار و نداء عليهم بأنهم لم يصلوا^٢ في هذا الأمر المحقق إلى
مرتبة الظن، فكيف بالمحقق من العلم فأهملوا العمل له فخالفوا .
- و لما كان تقدير^٣ هذا واضحاً، سبب عند ما تأثر عن^٤ الحساب
اليسير من إعطاء الثواب فقال: ﴿ فهو في عيشة ﴾ أى حالة من العيش . ٥
- و لما كان الرضى بالشئ لا يكون إلا إذا بلغ نهاية السؤل و غاية
المأمول، قال مسندا الرضا إلى العيشة كناية عن رضا صاحبها على الوجه
الابلغ: ﴿ راضية لا ﴾ أى ثابت له الرضا و دائم لها^٥ لأنها في غاية
الحسن و الكمال، و العرب لا تعبر عن أكثر السعادات بأكثر من
العيشة الراضية بمعنى أن أهلها راضون بها، و المتبر في كمال اللذة الرضى ١٠
- [أو - ٦] أنه لو كان للعيشة عقل لرضيت لنفسها بحالتها .
- و لما شوق سبحانه إلى حال صاحب هذه العيشة، و كانت أمرا
إجماليا، فصلها و بينها بالإبدال منها زيادة في التشويق فقال: ﴿ في جنة ﴾
أى بساتين جامعته لجميع ما يراد منها .
- و لما كان شرف المسكن العلو قال: ﴿ عالية لا ﴾ أى في المكان ١٥
- و المكاة و الأبنية و الدرجات و الأشجار و كل اعتبار^٧ .

(١) من ظ و م، وفي الأصل: العامل (٢) من ظ و م، وفي الأصل: لم
يوصلوا (٣) من ظ و م، وفي الأصل: التقدير (٤) من ظ و م، وفي
الأصل: من (٥) من ظ و م، وفي الأصل: لهم (٦) زيد من ظ و م (٧) زيد
في الأصل: كان، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .

ولما كان من شأن المعالي عسر الوصول إليه^١ قال : ﴿فقطوها﴾ أي جمع كثرة لقطف - بالكسر وهو ما يجنى من الثمرات المجمعة في عرق من عروقه^٢ ﴿دانية ه﴾ أي قريبة المأخذ سهلة التناول جدا، لراكب والقائم والقاعد والمضطجع، [كل - ٤] ذلك على حد سواء ه دائما من غير انقطاع ولا كلفة على أحد من أهلها في تناول شيء من ذلك .

ولما كان كون الثمار بهذه الصفة دالا على كثرة الرى، وكثرة الرى دالة [على^٣] المشرب، وكانت من مفردات اللفظ عامة المعنى، فكان قد أفرد الضمائر باعتبار لفظها تنصيحا على كل فرد فرد جمع باعتبار ١٠ المعنى إعلاما باشتراك جميع أهلها في النعم حال الانفراد والاجتماع فقال : ﴿كلوا واشربوا﴾ [أى - ٢] مولاهم ذلك إشارة إلى ان ذلك لا مانع منه وإلى أنهم يؤمرون به صريحا دلالة على رضا صاحب الجنة [ثلا - ٢] يتنقص عليهم عيشهم بنوع من الأنواع الموهمة للخطر، وحذف المفعول إيذانا بالتعميم لثلا يظن أنه يستثنى منها شيء فيكون ١٥ سبب الفتنة كما وقع لآدم صلوات الله وسلامه عليه .

ولما كان المأكل والمشرب في هذه الدار^٤ تورث التخمر والأمراض وفيها ما لا يلد، وكان ما وقع لأينا [آدم - ٢] وأما حواء عليهما (١) من ظ و م ، وفي الأصل : اليها (٢) من ظ ، وفي الأصل و م : فروع . (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : المشرور (ه) من ظ و م ، وفي الأصل : الدال .

عليهما الصلاة والسلام على أكلة واحدة من وخامة العاقبة معروفا ، قال
مؤمننا من ذلك : (هنيئًا) أى أكلا طيبا لذينا ' شهيا مع البعد عن
كل أذى وسلامة العاقبة بكل / اعتبار ولافضلة هناك ' من بول ولا
غائط ولا بصاق ولا غائط ولا قرف ' ولا قدر ' ولا وهن ولا صداع
ولا ثقل ' ولا شيء مؤذ .

٥

ولما شوق إلى المسبيات حلهم على أسبابها وحضهم على المسابقة
في تحصيلها والمثارة [والمداومة - ٤] على الاستكثار منها ؛ فقال زيادة
في لذتهم بأن ذلك على وجه الموض لا امتنان عليهم في شيء منه لأحد
من الخلق ، فإن أحب ما إلى الإنسان أن يأكل مما أفادته يمينه وحصله
بعمله مع ما في ذلك من الشرف : (بما أسلفتم) أى أعطيتم من أنفسكم ١٠
لاخرتكم طوعا من الأعمال الصالحة وبما تركتم من الدنيا بما هو سافل
بالنسبة إلى ما عوضتم عنه من أعمال القلب والبدن والمال (في الايام)
ولما كان سبحانه قد ضمن كل ما يشتغل به الإنسان من مصالح دنياه
فهو واصل إليه لا محالة وإن فرغ أوقاته كلها لعبادة ربه قال :
(الخالية) أى الماضية في الدنيا ١١ التي انقضت [وذهبت - ٢] واسترحمت ١٥
من تعبها والتي لا شاغل فيها عن العبادة . إما بترك الاشتغال بالمعاش للواصل
إلى درجة التوكل ، وإما بالسعى على وجه الاقتصاد بقصد المساعدة للعباد

(١-١) من ظ و م ، وفي الأصل : لذينا طينا (٢) من ظ و م ، وفي الأصل :
هنا (٣-٣) سقط ما بين الرفيعين من ظ و م (٤) زيد من ظ و م (٥) من
ظ و م ، وفي الأصل : ان (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : ما (٧) من ظ
و م : وفي الأصل : دنياه .

في أمور هذه الدار والإفضال عليهم و ان لا يكون كلا عليهم من غير اعتماد على السعى بل امتثالا للأمر مع القناعة بالكفاف .

ولما كانت العادة جارية بأن أهل العرض ينقسمون إلى قسمين : مقبول ومردود ، وذكر سبحانه و تعالى المقبول بادئا به تشويقا إلى حاله

٥ و تفييظا بعاقبته ^٢ و حسن مآله ، أتبعه المردود تنفييرا عن أعماله بما ذكر من قبائح أحواله فقال : ﴿ وأما من ﴾ و لما كان الدال على المساءة الإتياء على وجه قبيح ، لاتعيين المؤتى ، قال بانيا للفعول لذلك و للدلالة على ذل الأخذ و عدم قدرته على الامتناع عن شيء يسوءه : ﴿ اوتى كسبه ﴾ أى صحيفة أعماله ^٢ - أعادنا الله من ذلك ^٢ ﴿ بشاله لا فيقول ﴾ أى لما يرى من سوء عاقبته التى كشف له عنها الغطاء ^٢ حتى لم يشك فيها لما يرى من قبائحه التى قدمها ، وكل ما ^٥ يأتى بما يوهم سكتته فى ذلك اليوم فن باب المكابرة والمدافعة بالباطل على ما كان عليه فى الدنيا ^٢ ﴿ يلىتى ﴾ تمنيا للحال ، وجرى على نسق ما مضى فى البناء للفعول الدال على ذله و ^٢ عدم جليلته ^٢ فقال : ﴿ لم اوت ﴾ أى من مؤت ما ﴿ كسبه ج ﴾

١٥ اى هذا الذى ذكرنى بخباثت أعمالى و عرفنى جزاءها ﴿ ولم ﴾ أى و [يا-^٨ لىتى لم ﴿ ادر ﴾ و لو حاولت الدراية ﴿ ما ﴾ [أى-^٨ حقيقة ﴿ حسيه ج ﴾

(١) سقط من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : محاه (٣-٣) فى ظ و م : حسابه (٤-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : لامتك (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : كان (٦) من ظ و م . وفى الأصل : هذا (٧) زيد فى الأصل : بقوله ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : على خبيته (٨) زيد من ظ و م .

من ذكر العمل و ذكر جزائه ، بل استمرت جاهلا لذلك كما كنت
 في الدنيا . ولما تمى هذين الشئين ، استأنف مراده بهما فقال لانه رأى أن
 ما يستقبله / شر مما كان فيه من العزخ : ﴿ بليتها ﴾ أى الموت التى منها
 ٤٩٠ / ﴿ كانت القاضية ﴾ أى الباتة الجازمة ' الملزمة لدوام ' الموت الخاتمة
 عليها حتى لا يكون بعدها بعث ولا شئ . غير الموت كما كنت أعتقد
 فى الدنيا ؛ قال الإمام الرازى : وفى الحديث ' تمتوا الموت ، أى إذا ذاك
 ولم يكن فى الدنيا شئ . اكره منه عندهم .

ولما كان النعى مفهوما لانه كان [له - ٢] ضد ما تمناه من البعث على
 ما كانت تخبره به الرسل [و - ٢] من الحساب الذى هو سر البعث
 و خالصه ، و قد كان يقول : إنه يتخلص منه ، على تقدير كونه . بماله و جاهه ١٠
 قال معللا لتمنيه : ﴿ ما أغنى ﴾ نافيا ' تأسفا على فوات ما [كان - ٢]
 يرجو من نفعه ، و المفعول على هذا التقدير محذوف للتعميم ، و استفهاما
 استفهام إنكار على نفسه و تويخ حيث سئلت له ما أثمر له كل
 سوء و كل محال منازعة للفطرة الأولى المؤيدة بما أخبرت به الرسل
 حتى أوقعه ذلك التسويل فى الهلكة ﴿ عنى مالى ﴾ أى الذى منعت ١٥
 منه حق الله و تعظمت به على عباده ' ، و هذا النفى للاغناء سائح مفهوم
 على كل من تقررى النفى و الاستفهام .

- (١) فى ظ : الخاتمة ، وفى م : الخاتمة (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : لزوم .
 (٣) زيد من ظ و م (٤) العبارة من هنا إلى ' للتعميم أو ، ساقطة من ظ .
 (٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : عباد الله .

و لما كان المال سبب الوصول إلى السلطان ، قال نافيا لما أوصله
إليه ماله شارحا لعدم إغنائه : ﴿ هلك غنى ﴾ أى مجاوزا لى حتى كأتى
لم أكن [فيه - ١] ساعة [قط - ١] ﴿ سلطنيه ﴾ أى تسلطى على
الدعاة إلى الله بالشبه الباطلة التى كان يطلق اللسان بها فأساعده^٢ عليها
٥ مع ظهور بطلانها الملك الذى أوصل إليه المال فعاد [لأن - ١] ذلك
الملك الاعظم^٣ هلك والمساعد أبعد^٤ مباعدا .

و لما كان كأنه قيل : هذا ما قال ، فما يقال ؟ أجيب بأنه يقال
للزبانية تعذيا لروحه بالتوبيخ والامر بالتعذيب على رؤس الاشهاد :
﴿ خذوه ﴾ أى أيها الزبانية الذين • كانت يستهين^٥ بهم عند سماع
١٠ ذكرهم .

و لما كان الآخذ دالا على الإهانة الناشئة عن الغضب ، سبب عنه
قوله : ﴿ فغلوه لا ﴾ أى اجمعوا يديه إلى عنقه ورجليه من وراء قفاه
إلى ناصيته .

و لما كان الغل لما^٦ بعده من العقاب ، قال معظما رتبة عقابه فى
١٥ الشدة وال هول بالتعبير بأداة التراخى : ﴿ ثم الجحيم ﴾ أى النار العظمى
التي تجمع على من يريد دفاعا و تحجيم عنها من رآها لأنها فى غابة
الحمو والتوقد والتغيظ والتشدد ﴿ صلوه لا ﴾ أى بالغوا فى تصليته إياها

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فأساعده (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : اعظم (٤) زيد فى ظ : له (٥ - ٥) من ظ و م ، وفى الأصل :
كانوا يستهينون (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : من .

و كرروها لنفسه في النار كالشاة المصلية مرة بعد اخرى و [لا - ١]
 تصلوه في أول أمره غيرها^٢ لأنه كان لا يألو جهدا أن يحرق قلوب
 النصحاء بأشد ما يقدر [عليه - ١] من الكلام و غيره، وكان يتعظم
 على الضعفاء، فناسب أن يصلى أعظم الثيران، و عبر أيضا بأداة
 التراخي لعلو رتبة مدخولها، فقال مؤذنا بعدم الخلاص : { ثم في سلسلة } ٥ / ٤٩١
 اى عظيمة جدا^٣ لا ما هو دونها .

ولما قدمها دلالة على الاهتمام بها و على تخصيصها لشدة مخافتها،
 عرف بعظيم هولها و شدة فظاعتها ليجتمع المفهوم والمنطوق^٤ على
 تهويلها فقال : { ذرعا } أى في أى شئ فرضت من طول أو عرض
 { سبعون ذراعا } يحتمل أن يكون [هذا - ٦] العدد حقيقة ، ١٠
 و أن يكون مبالغة ، و الذى يدل على أنها للمبالغة ما رواه الترمذى^٥ - و قال :
 إسناده حسن - عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال : لو أن رصاصة مثل هذه - و أشار [إلى - ٦]
 مثل الجمجمة - و أرسلت من السماء إلى الأرض - و هى مسيرة خمسمائة سنة -
 لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت ١٥
 أربعين خريفا الليل و النهار قبل أن تبلغ أصلها و قعرها . و أشار سبحانه

(١) زيد من ط و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لمن (٣) العبارة من
 هنا إلى « بعدم الأعمال » (ص : ٧٠ م س : ٦) نسخت من ظ لاجل انطبائها
 فى الأصل (٤) من م ، و فى ظ : المنظوم (٥) من م ، و فى ظ « و » (٦) زيد
 من م (٧) راجع صفة النار من الجامع .

إلى ضيقها على ما تحيط به من بدنه بتعبيره بالسلك فقال: ﴿فاسلكوه﴾^١
 أى ادخلوه بحيث يكون كأنه السلك - أى الحبل - الذى يدخل فى ثقب
 الخززة بعسر لضيق ذلك الثقب إما بأحاطتها بعنقه أو بجميع بدنه
 بأن تلف عليه فيصير فى غاية الضنك و الهوان لا يقدر على حركة
 أصلاً ، وهذا تعذيب القلب لأنه أفسد القلب بعدم الإيمان و القلب
 بعدم الأعمال .

و لما ذكر على الإجمال عقابه أتبعه أسبابه ، فقال بادئاً بأعظمها
 مؤكداً لأن كل كافر حتى المعطل بقر بالله تعالى نوع لإقرار و يدعى الإيمان
 به نوع ادعاء ، لأنه لا يقدر على غير ذلك لما له سبحانه من غلبة الظهور
 ١٠ و انتشار الضياء و النور: ﴿انه كان﴾ أى جبهة و طبعاً [و إن أظهر
 شيئاً -^٢] يلبس به على الضعفاء و يدلس^٣ على الأغنياء ﴿ لا يؤمن ﴾
 أى الآن و لا فى مستقبل الزمان ﴿ بالله ﴾ أى الملك الأعلى الذى يعلم
 السر و أخفى .

و لما كانت عظمة الملك موجبة لزيادة النكال لمن يعانده على قدر
 ١٥ علوها ، و كان الذى أرث هذا الشقى هذا الخزى هو تعظمه^٤ على أمر الله
 و عبادته ، أشار إلى أنه لا يستحق^٥ العظمة غيره سبحانه فقال: ﴿المظيم لا﴾
 أى الكامل العظم^٦ .

(١) سقط من م (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل : به ، ولم تكن الزيادة
 فى ظ و م فخذناها (٤) من ظ و م . وفى الأصل : تعظيمه (٥) زيد فى الأصل :
 ان ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : العظمة .

ولما بين عناده للملك الاعظم بافساده القوة العلمية [بين ما يوجب
الكفر من احتقاره للضعفاء إفسادا للقوة العملية - ١] إعلاما بأنه
مكلف بفروع الشريعة كما أنه مكلف بأصولها، وبيانا لأن عناده لمن
فوقه لردة طبعه لا لعلو همته، فقال معظما لهذا الذنب لجعله في سياق
الكفر والتعبير بالحض مشيرا به إلى أن فاعل ذلك شديد الاستغراق
في حب الدنيا لانه لا يمنعه من حث غيره على الخير إلا ادخاره لنفسه:
(ولا يحض) أى يحمل ويحث (على) بذل (طعام) أو إطعام
(المسكين) أى / تسهيله باعائه عليه إن كان موجودا، والسؤال في
بذله وما يقوم مقامه إن كان مفقودا، فكيف بالبذل من عنده،
فإن ذلك لا يحمل عليه إلا الإيمان لخلوه عن حظ. والتقييد يفهم انه ١٠
يحث على خدمة الأكارم الجبارة ويحب المكرف على أبوابهم،
والإضافة مع التعبير بالطعام دون الإطعام تشعر بأن الفقراء يملكون
كفايتهم من أموال الأغنياء، فدل ذلك على أنه مع كفره هو أشنع
صفات الباطن في غاية الشح والقساوة وعدم المروءة الاعراض عن
أسباب التمدح وعن التنزه عن سوء القالة وقيح الذكر، وذلك أشنع ١٥
الرفائل، فلذلك خصص هذين الأمرين، وكان أبو الدرداء رضى الله عنه
يحض على طعامهم ويقول: خلعتنا نصف السلسلة بالإيمان أفلا نخلع الآخر-

(١) زيد من ظ (٢) من ظ وم، وفي الأصل: وعاتته (٣) من ظ وم،
وفي الأصل: الا وكان (٤) في ظ وم: للاشعار (٥) من ظ وم، وفي
الأصل: مال.

يعنى بالحث على الإطعام ، و ذمه على الاستهانة بالمساكين يفهم الذم على
 'الاستهانة بمن هم' دونهم من هو أسوأ حالا منهم بطريق الأولى .
 ولما وصفه سبحانه و تعالى باقبح العقائد و أشنع الرذائل ، سبب
 عهما فى مقابلة إفساد القوتين العلية و العملية قوله : ﴿ فليس له اليوم ﴾
 ه ولما ذكر الزمان المتعقب للبعث ، ذكر المكان ' المكان فيه و هو
 الدار الآخرة [فقال - ٢] : ﴿ فهنا ﴾ أى فى مجمع القيامة كله ﴿ حميم ﴾
 أى صديق خالص يحترق ' له و يحميه من العذاب لأنهم كلهم له
 أعداء كما أنه هو [كان - ٣] لا يرق على الضعفاء فيما هم فيه من الإقلال
 من حطام الأموال .

١٠ ولما نفى عنه الجاه لانسلاخه من حزب الملك الولى الودود ،
 و تحيزه إلى حزب الشيطان العدو الجحود ، أتبعه المقصود بالمال الذى
 تنشأ عنه جميع الاستمتاعات و يقصد عنده الاجتماع ° و الأنس بالأصحاب
 لإخلاده ° إلى ماله و إعراضه عن عيال الملك لأجل ضعفهم الذى
 و هبه المال و أمره بمواساتهم ٦ فيه فقال : ﴿ ولا طعام ﴾ ولما كان
 ١٥ الاستثناء معيارا للعموم قال : ﴿ إلا من غسلى ﴾ أى غسالة أهل النار
 من فيجهم و صديدهم ، فعلى من الغسل ، و يلزم من هذا الطعام أن

(١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : استهانة عن ما هو (٢) من ظ و م ، وفى
 الأصل : الزمان (٣) زيد من ظ و م (٤) فى الأصل بياض مبرأه من ظ
 و م (٥-٥) من ظ و م ، وفى الأصل : الأفق الأصحاب (٦) من ظ و م ،
 وفى الأصل : بمسواتهم

يكون تحت [غيره - ١] ليسيل ماء غسلته إليه .

ولما حصر طعامهم فيما لا يقربه أحد باختياره ، حصر من يتناوله

معبرا عنهم بالوصف الذى أوجب لهم أكله فقال : ﴿ لا يأكله ﴾

وفرغ الاستثناء تنبيها على [أن - ١] المستثنى هو المقصود حتى كأنه

لامستثنى منه فقال : ﴿ الا الخاطئون ﴾ أى يأكله المتعمدون للخطايا ٥

لا غيرهم ، وهو من خطأ الرجل بوزن فرح مهموزا - إذا تعمد الذنب ،

وأما المخطئ فهو من قصد الخير فلم يصبه بغير تعمد " فليس عليكم جناح

فيما / اخطاتم به " أى أردتم الصواب فلم تصيبوه ٢ ، وهذا الطعام يغسل ٤٩٣ /

ما فى بطونهم من الأعيان والمغانى التى بها قوام صاحبها ، وهو ٢ بمنزلة

ما كانوا يشحون به من أموالهم التى أبطنوها ، وادخروها فى خزائنها ١٥

واستأثروا بها على الضعفاء .

ولما ذكر سبحانه وتعالى الحاقة التى جعلها دار الحساب للحسن

والمسئ الذين قسمتهما القدرة واقتضتهما الحكمة ، و صوب إليهما القرآن

الذى هو ذكر للعالمين بالوعد والوعيد والبشارة والتهديد ، ومن

المعلوم بيديته العقل أنه لا يصح أصلا فى حكمة أحد أن يترك من تحت ١٥

يده هملا لا سيما إن كان تقدم إليهم بالأمر والنهى ، وأقام الدليل

على قدرته عليها بتعذيب من استأصلهم لأجل تكذيب رسله ليكون

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فلم تصيبوا (٣) فى م :

مى (٤) زيد فى الأصل وظ : باطنا ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفها .

عذابهم و تنجية المحسنين^١ منهم [مثلا -^٢] محسوسا تشهد فيه الحاقة ،
 لان من قدر على ذلك كانت له القدرة [التامة -^٣] على كل ممكن ،
 وذكر ما دلت الحكمة عليه من تنعيم الطائع و تعذيب العاصي بما هو
 أنسب الاشياء لعمل كل منهما في هذه الاساليب المعجزة مفردات
 ه و تراكب و معاني ، فدل ذلك على آخر سورة «ن» عاد إلى تقريره^٤
 بوجه آخر ، وهو انه لتمام علمه و كمال قدرته لا يقرر من كذب عليه
 على كذبه فضلا عن أن يؤيده ، فقال مسيبا عن ذلك حين بلغ الأمر
 في الوضوح إلى النهاية ، ذاكرا ما هو أبلغ من القسم لان بعض أهل
 الجدل إذا حجه^٥ خصمه يقول : إنما غلبتني بأنك أقنيتني في الجدل
 ١٠ لا بالحق ، فان الحق معي ، فيحلف^٦ له صاحبه أنه ما غالطه . و لا تعتمد
 في جدله الا الحق : (فلا أقسم) أي لا يقع مني إقسام (بما) أي
 بمجموع ما (تبصرون^٧) أي لكم اهلية إبطاره من كل ما دخل في
 عالم الشهادة (و ما لا تبصرون^٨) أي ما ليس لكم في هذه الدار
 [أهلية -^٩] إبطاره ، و ذلك جميع الموجودات واجبها و جازها .
 ١٥ معقولها و محسوسها ، لأن الأمر اوضح من أن يحتاج إلى إقسام وإن
 كنت^{١٠} أقسم في غير هذا الموضع^{١١} بما شئت من أفراد هذا المجموع .

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : المسلمين (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ،
 وفي الأصل : تقرير (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : حاجه (ه) من ظ و م ،
 وفي الأصل : لحاف (٦-٧) من ظ و م ، وفي الأصل : اقسمت في (٧) من ظ
 و م ، وفي الأصل : الحلق .

ولما اكد ' غاية التأكيد ' بما قال من [ان - '] الامر وصل
 في ' الوضوح إلى حد لا يحتمل التأكيد ، فكان ذلك تأكيدا بعدم
 التأكيد ، استأنف الخبر عما اخبر انه لا يحتاج إلى إقسام باثبات أداة
 التأكيد لأجل إنكارهم ليكون الكلام جامعا بين التأكيد بالنفي وبين
 التأكيد بالإثبات فقال : (انه) أى هذا الذى ختمت به سورة ' ن ' ه
 ودل على الساعة بما أتى به من هذه الأساليب التى هى مع كونها حكيمة
 معجزة / (لقول) أى تلاوة (رسول) أى أنا أرسلته وعنى أخذه ، ،
 ٤٩٤ / وليس فيه شيء من تلقاء نفسه إنما هو كله رسالة واضحة جدا ، أنا شاهد
 بها بما له من الإعجاز الذى يشهد أنه كلامى .

ولما كان من شأن الرسول ان لا يبلغ إلا ما أرسله به مرسله ، ١٠
 وكان بعض الرسل ربما زاد أو نقص تعمدا أو سهوا ، أخبر أن له
 صلى الله عليه وسلم من الوصف ما يحفظه فقال : (كريم لا) أى هو
 فى غاية الكرم الذى هو البعد عن مساوىء الأخلاق باظهار معاليها
 لشرف النفس وشرف الآباء فهو لا يزيد ولا ينقص ، وكرم الشيء
 اجتماع الكمالات اللاتقة به فيه .

١٥

- (١ - ١) من ظ و م ، وفى الأصل : هذا التكذيب (٢) زيد من ظ و م .
 (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : إلى هذا (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : حكيمة .
 (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : اشاهد (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : الأعمال .
 (٧) من م ، وفى الأصل و ظ : بما (٨ - ٨) تكرر ما بين الرقعين فى الأصل فقط .

ولما اثبت انه قوله سبحانه وتعالى لانه 'قول رسوله' صلى الله عليه وسلم لنا^٢ وهولا ينطق عن الهوى ، نفي عنه ما يتقولونه عليه ، فبدأ بالشعر وهو ما يقوله الإنسان من تلقاء نفسه على وزن مقصود صدقا كان او كذبا ، ولا بد فيه للتقيد بالوزن والقافية من التكلف الذى ٥ القرآن بعيد عنه ، وهو [مع - ٢] مشاركته للسجع فى التكلف الناقص للغنى أعلى منه بالوزن الذى يكسبه الروق والحلاوة فقال : (وما هو) أى [هذا - ٢] الذكر فى باطن أمره ولا ظاهره ، واكد النفي فقال : (بقول : شاعر^٣) أى يأتى بكلام مقفى موزون بقصد الوزن ، وإنما قيل أنه ليس بقول من هو كذلك لانه ، لا يوافق ١٠ الوزن [فيه - ٢] إلا أما كن نادرة بالنسبة إلى مجموع القرآن ، ومن المقطوع به أن ذلك لا يرضى به شاعر وهو انه ينصب نفسه منصب النظم والارتهان بمهدة الوزن ، ثم يأتى بكلام أكثره غير موزون ، فلم قطعا أن الذى وافق الوزن فيه غير مقصود فليس بشعر .

ولما كانت مخالفة القرآن للشعر خفية من حيث أنه لا يعرف ذلك ١٥ إلا الشعراء وهم قليل فى الناس ، والأغلب لا يعرفون ذلك ، ختم الآية بالإيمان الذى هو التصديق بالغيب فقال تعالى : (قليلا ما تؤمنون^٤) أى ما توجدون التصديق الذى هو الإيمان إلا إجمادا أو زمانا قليلا ، وذلك لأنى [قد - ٢] أخبرتكم بذلك فى غير موضع فلم تصدقوا و فيكم شعراء كثير يعرفون

(١-١) -قط ما بين الرقین من ظ وم (٢) سقط من ظ وم (م) زيد من ظ وم (٤) -قط من الأصل .

معرفة تامة أنه مخالف للشعر، وقد أخبركم بعضهم بذلك كالوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وغيرهما^١ ثم [لا - ٢] تتبعون ذلك ثمرة، وهو الإيمان بالله ورسوله، وإيمانهم القليل إقرار من أقر من شعرائهم أنه ليس بشعر، وإخلاصهم بالوحدانية / عند الاضطراب وإفرادهم الخالق بالخلق والربوبية، وهو إيمان لغوى [لا شرعى - ٢]، ولما كان هـ من يعرف الشعر يعرف النثر فهو أعلى قدماً، أتبعه النثر فقال: ﴿ ولا بقول كاهن ﴾ وهو المنجم الذى يخبر عن أشياء يومها لرئى يخبره بذلك، وأغلبها ليس لها صحة، وعبارته عن ذلك بالسجع المتكلف [المقصود - ٢] كونه سجعا الذى يكون المعنى فيه^٢ تابعا للفظ للتحلية بمشاكلة المقاطع .

١٠

ولما كانت مباينة القرآن للسجع خفية جدا لما فيه من الفواصل فى الاغلب وتركها فى البعض فارق لأن الساجعين لا يرضون أن يأتوا بقرينة لا أخت لها يعدون ذلك وعيّا عيباً رديئاً، وكذا تطويل السجعة عن قرينتها وتضعيفها على عديلتها لا يرضى به ساجع ولو أنه هاجع، ومباينة النبى صلى الله عليه وسلم للكهنة^٣ ظاهرة جدا، فإن ١٥ الكاهن من ينصب نفسه للدلالة على الضوائع والإخبار بالمغيبات يصدق فيها تارة ويكذب كثيرا، ويأخذ الجمل على ذلك، ويقتصر على من يسأله، فببر لذلك به « كاهن » دون « ساجع » أدار أمره على التفكير

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : غيرهم (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : منه (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : لكهنة .

فقال: ﴿ قليلا ما ﴾ وأكد أمر القلة والخفاء بادغام تاء التفعّل فقال تعالى: ﴿ تذكرون! ﴾ فلذلك يلتبس عليكم الأمر أو على من تلبسون عليه بذلك، فلم أن الذي يفرق بينهما موجود فيهم لأنه يرى أن الكتاب تابع للمعنى الصحيح الثابت، فإن صح غاية الصحة مع وجود القرائن المتوافقة في الروى كان ولا انتقل عن ذلك إلى قرائن غير متوافقة في روى ه ولا ما يقاربه، [أو - ١] قرينة مفردة، مع إمكان جعلها كما قبلها لكن مع نقصان المقصود وطول الكلام ونحو ذلك، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدع يوما من الأيام علم الغيب ولا نصيب نفسه الشريفة لشيء مما السكّهان فيه ولا نقل في ساعة من الدهر عن [الجن - ١]

١٠ خيرا ذكر أنه استفاد^٢ منهم ولا مدحهم لذلك كما تفعل السكّهان. بل ذم الفاسقين منهم غاية الذم وقال: إن أكثر ما يأتون به الكذب، ولا سأل جعلاً عما يدعو إليه ولا اقتصر على من يأتيه^٤ للسؤال، بل هو صلى الله عليه وسلم يتبع الناس في مجامعهم^٥ يدعوهم إلى الله بانقاذهم من الضلال فباينته^٦ للسكّهان لا تحتاج^٦ إلى غير تذكر قليل - كما أشار

١٥ إليه إدغام تاء التفعّل^٧ - فثبت أن القول ليس بسكّهانة^٨، وقائله والمودى له ليس بسكّهان، ونسبة القول إلى المبلغ لكونه مبلغا واضحة الصحة.

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: امكان (٣) من ظ و م، وفي الأصل: استفاد (٤) من ظ و م، وفي الأصل: يأتوه (٥) من ظ و م، وفي الأصل: مجامعهم (٦-٦) من ظ و م، وفي الأصل: للكفار لا تدعوهم (٧) من ظ و م، وفي الأصل: الاتعال (٨) من م، وفي الأصل و ظ: بالسكّهانة.

٤٩٦ /

ولما أثبت أنه قول الرسول الذي لا ينطق عن الهوى ، وثق عنه ما قد يلبس من الشعر والكهانة ، / ولم يذكر ما كانوا يرمونه به من السحر والاضغاث لأنه عناد محض لا يرتاب أحد فيه ، وكانت السورة مقصودا فيها لإثبات الحقائق التي قد تخفى ، وصفه بما يحقق ما أريد من نسبته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : ﴿ تنزيل ﴾ [أى - '] ٥ على وجه التنجيم ، وأشار إلى إرساله إلى جميع الخلق من أهل السموات والأرض بقوله : ﴿ من رب الغلین ٥ ﴾ أى موجدكم ومدرهم بالإحسان إليهم بما يفهم كل منهم من هذا الذكر الذى رباكم به ، ورتب سبحانه نظمه على وجه سهله على كل منهم شيئا يكفى فى هدايته البينة بخلاف الشعر والكهانة فإنه لا يفهمها إلا قليل من الناس لا جميع العالمين ، بل ١٠ كثير من أكابر العلماء وحذاقهم ربما قرئ على ' أحد منهم ' الآن القصيدة من قصائد العرب فلا يفهم المراد منها ولا يتضح له بوجه . ولما كان قد بقى من الأقسام التى كانوا يقولونها عليه الاقتراء فى الرسالة بمعنى أنه عثر على بعض كتب الله تعالى التى نزلت على من قبله ٢ من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ٣ فانتحلها من غير أن يوحى إليه ، ١٥ وكان الدليل على أن ذلك ليس كذلك أن العادة تحيل أن يطلع شخص من الناس على شيء لم يطلع أحد منهم [و - '] لاسيما إن كان ذلك الشخص ٥ قليل المخالطة ٥ للعلماء فكيف إذا كان أميا لا يكتب ولا يقرأ كما كان

(١) زيد من م (٢-٢) فى م : أحدهم (٣-٣) سقط ما بين الرقین من ظ و م .

(٤) زيد من ظ و م (ه-ه) من ظ و م ، وفى الأصل : غير مخالط .

صلى الله عليه وسلم ، قال عاطفا على ما تقديره : فلو لم يكن تنزيل
 رب العالمين عليه لم يعجزوا عنه : ﴿ ولو تقول ﴾ أى كلف نفسه أن
 يقول مرة من الدهر كذبا ﴿ علينا ﴾ على ما لنا من ' صفات العظمة
 والجلال والبهاء والكمال والكبرياء ' ﴿ بعض الاقارب ! ﴾ ' التى لم
 ٥ قلها أو قلناها ولم نأذن له فيها . و هو جمع أقنولة من القول كالاضاحك
 جمع أضحوكة ، لا جمع أقوال ، ليكون جمع الجمع ، لانه يلزم عليه أن
 لا يعاقب بما دون ثلاثة [أقوال - ٢] ﴿ لاخذنا ﴾ أى بعظمتنا أخذ
 قوة وغضب وقهر وإهلاك ، وأكدده للاعلام بشدة الغضب من
 الكذب وشدة قبحه .

١٠ . و لما كان أخذه ، أخذنا يتلشى عنده كل أخذ لأن من اقترى
 على الملوك لا يفعل به إلا ذلك^١ قال : ﴿ منه ﴾ أى خاصة ﴿ باليمين لا ﴾
 أى التى هى^٢ العضو الأقوى^٣ منه فيها يكون بطشه فذهبه بشدة بطشنا ،
 أو اليمين منا ، فيكون كناية عن أخذنا له بغاية القوة ، فان قوة كل
 شىء فى ميامنه ، وقيل : إذا أراد الملك إهانة شخص قال : خذه
 ١٥ يا فلان ، ف يأخذه / يمينه ، فهو كناية عن الإذلال ، وقيل : هذا تصور
 لقتل الصبر بأشنع صورة ، فان الملك إذا أراد التخفيف على من يقتله
 أمر السيف فأخذ يساره يساره ، وضرب بالسيف من ورائه لأن العنق

(١-١) فى ظ وم؛ العظمة (٢) زيد فى م: اى (٣) زيد من ظ وم (٤) سقط من
 ظ وم (٥) من ظ وم ، وفى الأصل : لذلك (٦-٦) تكرر ما بين الرقيين فى
 الأصل وظ (٧-٧) من ظ وم ، وفى الأصل : عنده من الثنوية .

من خلف أو سع فيكون أسرع قطعاً ولا يرى المقتول لمع السيف،
 [وإن أراد التعذيب والمبالغة في الإهانة أخذ يده اليمنى يده اليسرى
 وضربه وهو مستقبل له يرى لمع السيف - ١]، وربما وقعت الضربة
 لضيق المجال من قدام في حنكه فيحتاج إلى ثانية وثالثة فهو أخفش .
 ولما صور مبدأ الإهلاك بأفزع صورة، أتمه مشيراً إلى شدة بشاعته ه
 بحرف التراخي فقال : ﴿ ثم لقطعنا ﴾ حتماً بلا مشوية بما لنا ٢ من العظمة ١
 قطعاً يتلاشى عنده كل قطع ﴿ منه الوتين ٣ ﴾ أى العرق الأعظم في
 العنق الثابت الدائم المتين الذى يسمى الوريد، وهو بين العلباء والحلقوم،
 وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه ٢ نياط القلب، وفي القاموس :
 عرق في القلب إذا ٤ انقطع إِمَات صاحبه - انتهى . واختير التعبير به ١٥
 لأن مادته بهذا الترتيب تدور على المائة والدوام، فلذا كان يفوت
 صاحبه بفواته، وقال ابن برجان : عرق متصل بنياط القلب مستبطن
 للصلب يملأ الجسد كله تسقيه الكبد وهي ٥ بيت الدم وهو يجرى
 منها الدم في البدن ٦ يأخذ منه ٧ ستون عرقاً هي أنهار الدم في الجسد
 كله، من هذه الأنهار تأخذ عروق الجسد ثمانية عشر تسقى الصدر، وسبعة ١٥
 تسقى العين، وأربعة تسقى الدماغ، والوتين من مجمع الوركين إلى مجمع

(١) زيد من ظ وم (٢-٢) من ظ وم، وفي الأصل: عنده من المشوية (٣) من
 ظ وم، وفي الأصل: ان (٤) زيد في الأصل: ما، ولم تكن الزيادة في ظ
 وم لحذفها (٥) من م، وفي الأصل وظ: هو (٦) من م، وفي الأصل وظ :
 الجسد (٧) من ظ وم، وفي الأصل: منها .

الصدر بين الترقوتين، ثم ينقسم عنه سائر العروق إلى سائر الجسد، ولا يمكن في العادة الحياة بعد قطعه، وفي المائة عند قوله "والله يصمدك من الناس" ما ينفع هنا ٥

ولما أتم تصوير ما يفعله الملوك بمن يفضزون عليه من أن يأخذ السيئات أو أعوانه يمينه ويكبجه كالسيف فيضربه عنقه، تنبأ عنه قوله إتماماً لمعظمته بقوله: ﴿فامنكم﴾ أي أيها الناس، وأغرق في التنبؤ فقال: ﴿من أخذ عنه﴾ أي القتل أو [المقتول - ٢] المنقول، ولما كان واحداً، عاماً حقق عمومه واصفاه، و'أخبر عن دما' على لغة الحجاز بقوله: ﴿حجيزين ٥﴾ أي يكون حاجراً جزماً كثيفاً مانعاً من الوصول إليه ١٥ فلا غرض يتعلق من عاقل أن ينصح لأحد بنصيحة تعود إلى المنصوح وعنده بالنفع ولا حظ للقاتل [فيها - ١] بكذب يكلف نفسه تقوله على ملك لا يقدر ذلك المنصوح أن يحميه عن عقوبته / على ذلك الكذب، ٤٩٨ / واختار الإخبار بالجمع لأنه يدل على عدم حجز الفرد من باب الأولى و'منكم' حال لتقدمه، وهذا كله كناية على أبلغ الوجوه عن أن هذا الذكر ١٥ كلام الله لا شبهة فيه بوجه، مضموماً ذلك إلى وجوه إعجازه، فإن دلو، لامتناع الثاني لأجل امتناع الأول، فالتقدير كما يقال في القياس الاستثنائي: لكننا لم نأخذه هذا الأخذ ثبت أنه ما تقول علينا شيئاً، ثبت [أن - ٥] ما قال كلامنا ثبوتاً تاماً بالبرهان على وجه لا يرام نقضه .

(١) - قط من ظ وم (٢) من ظ وم، وفي الأصل: هذا (٣) زيد من م (٤) من ظ وم، وفي الأصل: او (٥) زيد من ظ وم .

ولما كان هذا كناية عن هذا من غير نظر إلى حقائق مفرداته
ولا معنى شيء منها على افراده، فكان كأنه قيل: تنزيل من رب
العالمين غير متخيل فيه الكذب بوجه، غطف على ذلك قوله: ﴿وانه﴾
أى القرآن بعد أن كان ذكرا لجميع العالمين ﴿لتذكرة﴾ أى مذكر
عظيم جدا ﴿للتقنين﴾ أى من العالمين لأنهم المستغفون به لإقبالهم عليه ه
إقبال مستفيد .

ولما علم من هذا أنه سبحانه عالم بقسمى المسىء والمحسن ظواهرهم
وبواطنهم، صرح بالقسم الآخر، فقال مؤكدا لأجل إنكار الضلال:
﴿وانا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿لنعلم﴾ أى علما عظيما [محيظا - ']
﴿ان منكم﴾ أيها الارضيون السفليون الذين ليس لهم أهلية الغلو إلى ١٠
تجريد الأرواح عن^٢ علائق الجسد الكشيفة ﴿مكذبين﴾ أى عريقين^٣
فى التكذيب فأنزلنا الكتب وأرسلنا الرسل ليظهر منكم إلى عالم^٤
الشهادة منها ما كنا نعمله^٥ فى الأزل غيا من تكذيب وإيمان فستحقون
بذلك العقاب أو الثواب، فلذلك وجب فى الحكمة التى لا يكذب بها
أحد ولا يشك فى انها خاصة الملك المظهرة للكمال^٦ أن يعبد الخلق ١٥
إلى ما كانوا عليه من أجسامهم قبل الموت لنحكم بينهم فتجازى كلا

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : من (م) من ظ و م ،
وفى الأصل : عريقون (٤) زيد فى الأصل : الغيب ، ولم تكن الزيادة فى
ظ و م لحذفها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : ففعله (٦) من م ، وفى الأصل
وظ : لكمال .

بما يليق به لإظهارا للعدل .

ولما كان سبب التكذيب ستر ما تجليه مرأى العقول من الدلائل ، و كان التقدير : فانه بشرى للمؤمنين ، ولكنه طواه لان السياق للتهديد بالحاقة ، عطف عليه قوله مؤكدا لما لهم من التكذيب به ،
 هـ (وانه) اى القرآن العظيم (لحسرة) أى بما يرى من تأويله فى الدنيا والآخرة (على الكافرين *) أى العريقين فى الكفر لكونهم كذبوا به لما يظهر لهم من جزائهم وجزاء المؤمنين .

ولما كان كل من الفريقين يذوق جزاءه فى الآخرة ، وكان كل أحد سمع القرآن ذاق أنه لا يقدر على الإتيان بشئ يماثله ولا يذانيه ،
 ١٠ قال مؤكدا تنزيلا لهم فى عداد الجاهلين : (وانه) اى القرآن أو الجزاء فى يوم الجزاء (لحق اليقين *) / اى الامر الثابت الذى^٢ / ٤٩٩
 يذاق فيصير [لا - ٢] يقبل الشك فهو يقين مؤكدا بالحق ، من إضافة الصفة إلى الموصوف ، [و - ٢] هو فوق علم اليقين ، وفى ذلك إشارة إلى أن العبد ينبغي له أن يتحقق لذلك معرفة الحق فيكون مشاهدا
 ١٥ للغيوب كمشاهدة المرئيات لما يشاهد من أمثاله ، فأمر البحث يشاهد كل يوم فى الليل والنهار وفى العام فى النبات وغير ذلك .

ولما كان البحث لهذا المقصد من أعظم الكمال ، وكان عدمه موجبا للنقص ، سبب عن كلا الأمرين إشارة وعبرة قوله أمرا بعد

(١) سقط من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : لاخبر كما (م) زيد من ظ و م .

الإخبار في أول المسبحات: ﴿ فسبح ﴾ أى أوقع التنزيه الكامل عن^١
كل شائبة نقص ﴿ باسم ﴾ أى بسبب عليك بصفات ﴿ ربك ﴾ أى
الموجد والمربى لك والمحسن إليك بأنواع الإحسان ﴿ العظيم ﴾ الذى
ملأت الأقطار كلها عظمته، و رادت على ذلك بما شأه سبحانه مما
لا تسعه العقول لاسيما عن قولهم: لن يعيدنا، فإنه سبحانه وتعالى قادر على
ذلك لا يعجزه شيء، وقد وعد بذلك وهو صادق الوعد، وعدم
البعث محل بالحكمة لظلم أكثر الناس، وفيه إشارة إلى المتاركة، وتعجيب
من حالهم فى تصميمهم على الكذب والعناد، والجلد على الجدل
والفساد، فقد رجع آخر السورة على أولها باحقاق الحاققة لنفى ما وقع
الخطب فيه فى دار الاحتجاب بالأسباب من مواقع النقص ومظنات^{١٠}
اللبس، فيثبت الحق وينفى الباطل فيفرق بين المحسن والمسيء والسعيد
والشقي، فيحق السلام لحزب الرحمن، ويثبت^٢ الهلاك لأصحاب الشيطان،
ويظهر اسمه الظاهر لكل مؤمن وكافر، إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبواب^٣
والله الهادى^٢.

* * *

صورة سأل وتسمى المعارج^٤

مقصودها إثبات القيامة وإنذار من كفر بها وتصوير عظمتها بعظمة

- (١) من ظ وم، وفى الأصل: من (٢) من ظ وم، وفى الأصل: يحق.
(٣-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ وم (٤) السبعون من سور القرآن الكريم
مكية، وهى ٤٤ آية.

ملكها وطول يومها و تسلية المنذر بها بما لمن كذبه بما له من الصغار
والذل والتبار^١، و دل على وجوب وقوعها سابقا بما 'ختمه بتسميتها'
في السورة الماضية بالحاقة تنبيها على أنه لابد منها ولا محيد عنها،
و دل على ذلك بالقدرة في أولها والعلم في أنثائها^٢ والتنزه عما في
إهمالها من النقص في آخرها / ولا خفاء بما أخبر من أنه أرسل جميع
رسله بالتحذير منها فأرسل نوحا عليه السلام في الزمان الاقدم كما ذكر
في سوره عند ما اختلف الناس بعد ما كانوا عليه في زمان ايهم آدم
عليه الصلاة والسلام من الاتفاق^٣ على الدين الحق فافترقوا إلى مصدق
ومكذب، فلم منه أن من بعده أولى بذلك لقربهم منها، و أتبع ذلك
١٠ الإعلام أنه دعا إلى ذلك الجن الذين كان سييلهم فيها سبيل الآدميين،
و أتبع ذلك - [٥] - بعد إرسال أول الرسل بها زمانا - آخرهم زمانا
و أولهم نبوة حين كان نبيا و آدم بين الروح والجسد، فبدأ في سورة
المزمل بنبوته^٤ و مزيد تزكيتة و تقديسه و رفعتة و الإخبار عن رسالته
و التحذير من مخالفته، و أتبع ذلك الإنذار^٥ بها بالصدع بالرسالة بمحو كل
١٥ ضلالة، فلما تقررت نبوته و ثبتت رسالته على أجل الوجوه و أجلاها

(١) من ظ و م، وفي الأصل: التبادر (٢ - ٢) من ظ و م، وفي الأصل:
ختم به من تسميتها (٣) زيد في الأصل: انتزل و، ولم تكن ازياة في ظ و م
لحذفها (٤) من ظ و م، وفي الأصل: الاقنات (٥) زيد من ظ و م (٦) من
ظ و م، وفي الأصل: في نبوته (٧) من ظ و م، وفي الأصل: بالانذار .
و أيها

و أبينها و أعلاها و أشرفها و أولاهها ، جعل سبحانه سورة القيامة كلها لها إعلاما بأن الأمر [عظيم - ١] جدا يجب الاعتناء به و التأهب له و الاجتهاد بغاية القوة و إفراغ الجهد ، ثم أتبع ذلك الإنسان دلالة على أنه المقصود بالذات من الأكوان ، فلا يسوغ في الحكمة أن يجعله سبحانه سدى . و بين كثيرا من أحوالها ثم أقسم في المرسلات أن ه أمرها حق لا بد منه و لا مندوحة عنه ، ثم عجب في دعم ، [منهم - ٢] في تساؤلهم عنها و تعجيبهم منها ثم أقسم على وقوعها في النزاعات و صور من أمرها و هزاهزها ما أراد ، ثم أولى ذلك الدلالة في سورة عبس على أن من الناس من طبع على قلبه فلا حيلة في تصديقه بها مع ما يتبين بالسورة الماضية و غيرها من أمرها ، ثم صورها في « كورت » ، ١٠ تصويرا صارت من رأى عين لو كشف الغطاء ما ازداد الموقنون بها يقينا ، ثم بين في الانقطار أن الأمور فيها ليست على منهاج الأمور هنا ، بل الأسباب كلها منقطعة و الأنساب مرتفعة ، و الكل خاضعون مخبتون خاشعون ، أعظمهم في الدنيا تجبرا أشدهم هنالك صفارا و تحسرا ، ثم أتبع ذلك من يستحق هنالك النكال و السلاسل و الأغلال ، ثم أولاه ١٥ رفعة أهل الإيمان الذين طبعهم على الإقرار بها و العرفان ، و استمر [على - ٢] هذا إلى آخر القرآن قل أن تأتي سورة إلا و هي معرفة بها غاية المعرفة إلى أن ختم بالدين إشارة بذلك إلى أن معرفتها هي [الدين - ١]

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من م (م) من ظ و م ، وفي الأصل : اشد .

وأشار في «تبت، إليها وأتبعها الإخلاص إشارة إلى أنه لا يسلم فيها
إلا الموحدون المعاذون من الفتن الظاهرة و الباطنة، المتصفون بالمحمد
المتعاطفة المتكاثرة، فأذن ذلك أن أكثر غاية القرآن في أمرها العظيم
الشان لانه / 'لا كتاب بعد هذا الكتاب' ينتظر ولا أمة اشرف من هذه
٥ 'يخص بيان' أعظم من بيانها وهو 'أحد الأوجه التي فاق بها القرآن
على الكتب الماضية و الصحف الكائنة في القرون الخالية، و آذن ذلك
بأن الأمر قد قرب و الهول قد دم و الخوف قد قدح، ليشمر أهل
الاختصاص في النجاة من عذابها و الخلاص، حين لا مفر ولا ملجأ
ولات حين مناص، نسأل الله العافية في يومها و العيشة الراضية، و على
١٠ هذا المقصد دل اسمها 'سأل، و كذا المعارج و هما أنسب ما فيها للدلالة
على ذلك، وقانا الله سبحانه و تعالى من آفاتهما و المهالك آمين ﴿بسم الله﴾
الملك الأعظم الذي تنقطع 'الاعتناق و الآمال' دون عليائه ﴿الرحمن﴾
الذي أوضح نعمة البيان و عم بها و شهرها حتى صارت في الوضوح
إلى حد لا مطمع [لأحد - °] في [ادعاء - °] خفائه ﴿الرحيم °﴾
١٥ الذي [اصطفى - °] من عباده^١ من وفقه [للفهم - °] عنه و الطاعة
له، فكان من أوليائه .

(١-١) تكرر ما بين الرقین فی الأصل فقط (٢-٢) من ظ و م، و فی الأصل :
الأمه تحقق بلسان (م) من م، و فی الأصل و ظ : می (٤-٤) من ظ و م،
و فی الأصل : الامال و الاعنان (ه) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فی
الأصل : علاه .

لما ختم أمر الطامة الكبرى في الحاقة حتى^١ ثبت أمره، و تساوى سره وجهه،^٢ ودل عليها^٣ حتى لم يبق هناك نوع لبس في وجوب التفرقة في الحكمة بين^٤ المحسن والمسيء^٥، وختم بأن ترك ذلك مناف للكمال فيما تعارقه^٦ من أمور العال^٧ بعد أن أخبر أنه يعلم أن منهم مكذبين، وكان السائل عن شيء يدل على [أن -^٨] السائل ما فهمه ه حق فهمه، ولا اتصف بحقيقه عليه، عجب في أول هذه بمن سأل عنها فقال: (سأل) ودل على أنه لو لم يسأل عنها إلا واحد من العباد لكان جديرا بالتعجب منه والإنكار عليه بالإفراد في قوله: (سائل) وهو من السؤال في قراءتي من خفف بابدال الهمزة ألفا ومن همز.

ولما كان سؤالهم من وقت مجيء الساعة والعذاب وطلبهم ١٠ تعجيل ذلك إنما هو استهزاء، ضمن « سأل » استهزاء ثم حذفه ودل عليه بحال اتزعها منه وحذفها ودل عليها بما تعدى به فقال، أو أنه حذف مفعول السؤال المتعدى « بن » ليعم^٩ كل مسؤل عنه إشارة إلى أن [من -^{١٠}] تأمل الفطرة الأولى وما تدعو إليه من الكمال فأطاعها فكان مسلما فاضت عليه العلوم، وبرقت له متجليه أشعة الفهوم، فبين ١٥ المراد من دلالة النص بقوله: (بعذاب) أى عن يوم القيامة بسبب

(١) في ظ و م: حتما (٢-٢) من ظ و م، وفي الأصل: كل فيها (٣-٣) من ظ و م، وفي الأصل: المسيء والمحسن (٤) من ظ و م، وفي الأصل: مفارقة . (٥) من ظ و م، وفي الأصل: الثاني (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، وفي الأصل: ليم .

عذاب أو مستهزئا بعذاب عظيم جدا ﴿ واقع لا ﴾ وعبر باللام تهكما منهم
مثل "فبشرهم بعذاب" فقال: ﴿ للكافرين ﴾ أى الراسخين فى هذا الوصف
بمعنى: إن كان [لهم - ١] فى الآخرة شئ. فهو العذاب، وقراءة نافع
وابن عامر بتخفيف الهمزة [أكثر - ٢] تعجيا أى اندفع
[فـه بالكلام - ١] وتحركت / به شفتاه لأنه مع كونه يقال: سال يسأل
مثل خاف يخاف لغة فى الميموز يحتمل أن يكون من سأل يسأل، قال
البغوى^٢: وذلك أن أهل مكة لما خوفهم النبي صلى الله عليه وسلم
بالعذاب قالوا: من أهل هذا العذاب ولمن [هو - ١] ؟ سلوا عنه،
فأنزلت .

١٠ ولما أخبر بتحتم وقوعه علله بقوله: ﴿ ليس له ﴾ أى بوجه من
الوجوه ولا حيلة من الحيل ﴿ دافع لا ﴾ مبتدئ ﴿ من الله ﴾ أى الملك
الأعلى الذى لا كفؤ له فلا أمر لأحد معه، وإذا لم يكن له دافع
[منه لم يكن دافع - ١] من غيره وقد تقدم الوعد به، ودلت الحكمة
عليه فتحتم وقوعه وامتنع رجوعه .

١٥ ولما كان القادر يوصف بالعلو، والعاجز يوصف بالسفول والدنو،
وكان ما يصعد فيه إلى العالى يسمى درجا، وما يهبط فيه إلى السافل
[يسمى دركا - ١]، وكانت الأماكن كلها بالنسبة إليه سبحانه على
حد سواء، اختير التعبير بما يدل على العلو الذى يكنى به عن القدرة
والعظمة، فقال واصفا بما يصلح كونه مشيرا إلى التعليل: ﴿ ذى الماعز ه ﴾

(١) زيد من ظ وم (٢) زيد من م (٣) فى معالم التنزيل بهامش لباب التاويل

- اى الدرج التى^١ لا انتهاء لها اصلا - بما دلت عليه صيغة متتهى الجموع
وهي^٢ كناية عن العلو، وسميت بذلك لأن الصاعد^٣ فى الدرج يشبه
مشية الاعرج، وروى عن ابن عباس^٤ رضى الله عنهما أنها السموات،
ودل على ما دلت عليه الكثرة مع الدلالة على عجب القدرة فى تخفيفها
على الملائكة بقوله: ﴿ تعرج الملائكة ﴾ أى وهم أشد الخلق^٥
وأندره^٦ على اختراق الطبايق، والإسراع فى النفوذ حتى يكونوا أعظم
من لمح البرق^٧ الخفاق ﴿ والروح ﴾ أى جبريل عليه السلام، [خصه -^٨]
تعظيما له، أو هو خلق هو أعظم [من -^٩] الملائكة، وقيل: روح
العبد المؤمن إذا قبض ﴿ اليه ﴾ أى محل مناجاته ومنتهى ما يمكن من
العلو لمخلوقاته، وعلق بالعروج^{١٠} أو بواقع قوله: ﴿ فى يوم ﴾ أى من
أيامكم، وبين عظمته بقوله: ﴿ كان ﴾ أى كونا هو فى غاية الثبات
﴿ مقداره ﴾ أى لو كان الصاعد فيه آدميا ﴿ خمسين ألف ﴾ وبين
المشقة فى صعوده أو الكون فيه إن أريد القيامة بأن قال: ﴿ ستة ج ﴾
ولم يقل: عاما - مثلا، ويجوز أن يكون هذا اليوم ظرفا للعذاب
فيكون المراد به يوم القيامة، وأن يكون طوله على الكافر باعتبار^{١٥}
ما يلحقه من النعم لشدة المخاوف عليه^{١١} ورد أنه يخفف على المؤمن
-
- (١) من ظ وم، وفى الأصل: الذى (٢) من ظ وم، وفى الأصل: هو.
(٣) من ظ وم، وفى الأصل: القاعد (٤) راجع معالم التنزيل ١٣٤/٧ (٥) من ظ
وم، وفى الأصل: اندرهم (٦) زيدت الواو، الأصل ولم تكن فى ظ وم
لحذفها (٧) زيد من ظ وم (٨) من ظ وم، وفى الأصل: العروج.
(٩) فى ظ وم: فانه.

حتى يكون بمقدار صلاة واحدة - انتهى .

و روى عن ابن عباس رضى الله عنهما^١ ان المعنى [أنه -^٢]
لو ولى الحساب غير الله لم يفرغ منه إلا فى هذا المقدار ، و يفرغ منه
هو سبحانه فى نصف يوم من أيام الدنيا ، و قال مجاهد و الحكم و عكرمة :
هو / عمر الدنيا من أولها إلى آخرها خمسون ألف سنة لا يدرى أحدكم
مضى وكم بقى إلا الله ، و قد مضى فى سورة "الم السجدة" ما ينفع هنا .
و لما كان هذا كله تسليّة^٣ للنبي صلى الله عليه و سلم عن استعجالهم
إياه بالعذاب استهزاء و تكديبا سواء أريد تصوير العظمة أو العذاب ،
سبب عنه قوله : (فاصبر) أى على أذاهم و لا ينفك ذلك عن
١٠ تبليغهم فانك شارفت [وقت -^٤] الانتقام منهم أيها الفاتح الخاتم
الذى لم أبين لأحد ما بينت على لسانه ، و الصبر : حبس النفس على المكروه
من الإقدام أو الإحجام ، و جماله بسكون الظاهر^٥ بالثبوت و الباطن^٦
بالعرفان^٧ (صبرا جميلا هـ) أى لا يشوبه شئ من اضطراب
و [لا -^٨] استئثار ، و لا شكوى و لا استعجال ، فان عذابهم^٩ و نصرك
١٥ عليهم لعظمة من أرسلك ، فلا بد من وقوعه لأن القدر فيه و التكذيب
به قدح^{١٠} فيها ، و هذا قبل الأمر بالقتال .

(١) راجع المعالم ١٢٤/٧ (٢) زيد من ظ و م (٣) فى م : مسليا (٤) من ظ و م ،
وفى الأصل : لم تبين (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : الظواهر (٦) من ظ
وفى الأصل : البواطن (٧) زيد فى الأصل : بقوله ، و لم تكن الزيادة فى ظ
و م لحذفها (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : عذابك لهم (٩) من ظ و م
الأصل : قدحا .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما انطوت سورة الحاقة على
أشد [وعيد - ١] وأعظمه أتبعته بحجاب من استبطأ ذلك واستبعده
إذ هو مما يلجأ إليه المعاند الممتحن ، فقال تعالى : سال سائل بعذاب واقع ،
إلى قوله " انهم يرونه بعيدا و نراه قريبا " ثم ذكر حالهم إذ ذاك : يوم يود
المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه ، الآية ، ثم أتبع بأن ذلك لا يغنى
عنه [ولا يفيد] " انها لظى " ثم ختمت السورة بتأكيد الوعيد - ١ -
وأشد التهديد : فذرهم يخوضوا و يلعبوا ، إلى قوله " ذلك اليوم الذى
كانوا يوعدون " ، ذلك يوم الحاقة و^٢ يوم القارعة - انتهى .

ولما كان كونه تعالى ، بما تقدم من العظمة ، أمرا معلوما بما له من
الآثار من هذا الكون [وما - ١] فيه ، و كان استبعادهم لما أخبر به ١٠
أمرا واهيا ضعيفا سفاسفا لا يكاد يصدق أن أحدا يحاول أن يرد به
هذه الأمور التى هى فى وضوحها كالشمس لا خفاء بها أصلا و لا لبس
قال مؤكدا : ﴿ انهم ﴾ أى الكفار ، المكذبين المستعجلين ؛ ﴿ يرونه ﴾
أى ذلك اليوم الطويل أو عذابه ﴿ بعيدا لا ﴾ أى زمن وقوعه ، لأنهم
يرونه غير ممكن أو يفعلون أفعال من يستبعده ﴿ وزنه ﴾ لما لنا من ١٥
العظمة التى قضت بوجوده و هو علينا هين ° ﴿ قريبا لا ﴾ سواء أريد
بذلك قرب الزمان أو قرب المكان ، فهو هين [على قدرتنا - ١] و هو أت

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : لا كافرين ، ولم تكن الزيادة فى ظ
و م لحذفها (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : ذلك (٤-٤) سقط ما بين الرقين
من ظ و م (٥) زيدت الواو فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و م لحذفها .

لا محالة، وكل آت قريب و' البعيد والقريب' عندنا على حد سواء.
ولما ذكر عن هذا اليوم ما يبعث على^٢ السؤال عنه، استأنف يانه
مبيناً عظمته فقال: ﴿يوم﴾ أى يقع حين ﴿تكون السماء﴾ [أى-^٢]
التي هى أوثق ما تراه/ وأصله من عظم^٣ ما يقع فيه من الأهوال
٥ ﴿كالهلل لا﴾ أى الشئ^٤ المذاب من المعادن فى مهل أو دردى الزيت
﴿وتكون الجبال﴾ التى هى أشد الأرض وأثقل ما فيها ﴿كالمهن لا﴾
أى الصوف المصبوغ ألوانا المنقوش، تطيره الريح كالهباء، وذلك لأن
الجبال فى أصلها متلوة كما قال تعالى^٥ ومن الجبال جدد وبيض وحر،
الآية، قال البغوى^٦: ولا يقال عنهن إلا للمصبوغ، قال: وأول ما تغير
١٠ الجبال تصوير رملا مهيلاً ثم عنها منفوشا [ثم هباء-^٧] مثورا -
انتهى. ﴿ولا يستل﴾ من شدة الأهوال ﴿حميم حياح﴾ أى قريب
فى غاية القرب والصدقة قريباً مثله^٨ عن شئ من الأشياء لفرط الشواغل
ولأنه قد كشف لهم أنه لا تغنى نفس عن نفس شيئاً، وأنه قد تقطعت
الأسباب وتلاشت الأنساب لما كشف الابتلاء عن أنه لا عز إلا
١٥ بالتقوى - هذا على قراءة الجماعة بفتح الياء و [على-^٩] قراءة ابن كثير
بالبناء للفعول المعنى أنه لا يطالب أحد بأحد كما بعض الأحكام فى الدنيا

(١-١) من ظ و م، وفى الأصل: القريب والبعيد (٢) من ظ و م، وفى
الأصل: عن (٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ و م: عظمت (٥) من ظ و م، وفى
الأصل: السديد (٦) راجع المعالم ٧/ ١٢٥ (٧) زيد من ظ و م والمعالم (٨) من
ظ و م، وفى الأصل: منه .

من انه يلزم اقارب من قربه لانه لا حاجة له بذلك ، لان القدرة محيطة بالكل على حد سواء .

و لما كان عدم السؤال قد يكون لعدم رؤية بعضهم بعضا لكثرة الجمع وشدة الزحام وتفرق الناس فيه على حسب مراتب أعمالهم ، استأنف الجواب لمن كأنه يقول : لعل ذلك يترك لعدم رؤيتهم لهم ؟ ه فقال دالا بالمجهول والتفصيل على عظمة ذلك التبصير^١ و خروجه عن العادة جامعا لأن المقصود من المحيم الجنس و الجمع أدل على عموم التبصير^١ ، قال البغوى^٢ : وليس في القيامة مخلوق إلا و هو نصب عين^٣ صاحبه من الجن والإنس - انتهى ، وكان حكمة ذلك أنه أدل على تقطع الأسباب فلا [يسأل - ^٤] أحد منهم الآخر عن شيء من أمره ١٠ لاشتغال كل^٥ بنفسه ، فعدم السؤال لا للخفاء بل للاشتغال^٦ و هم كل إنسان بما عنده^٦ : (يصرونهم^٧) أى يصبرهم^٧ مبصر فلا يخفى أحد على أحد و إن بعد مكانه و يفر كل من الآخر لشغله بنفسه . و لما تناهى الإخبار بعظمة ذلك اليوم إلى حد لا تحتمله القلوب ، ذكر نتيجة ذلك فقال مستأنفا : (يود)^٨ أى يتمنى و يشتهى^٩ (المجرم) أى هذا النوع سواء ١٥ كان كافرا أو مسلما عاصيا علم أنه يعذب بعصيانه ، و قيد به لأن المسلم الطائع

(١) من ظ م ، وفى الأصل : التبصر (٢) فى العالم ١٢٥ / ٧ (٣) من ظ و م والعالم ، وفى الأصل : على (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : لكل (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٧) زيد فى الأصل : فيهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

يشفع فيمن أذن له فيه ولا يهيمه شيء من ذلك ، و دل على [أن - ١] هذه
الودادة مجرد تمن بقوله : ﴿ لو يفتدى ﴾ أى ٢ نفسه ﴿ من عذاب يومئذ ﴾
/ أى يوم إذ كانت [هذه - ١] المخاوف بأعلق الناس بقلبه و اقربهم
منه فضلا عن أن يسأل عن أحواله .

/ ٥٠٥

و لما كان السياق للاقتداء ، بدأ بأعزم في ذلك بخلاف ما يأتى
في عيس فقال : ﴿ بينه لا ﴾ لشدة ما يرى .

و لما ذكر ألصق الناس بالفؤاد و أعز من يلزمه نصرة و الذب

عنه ، أتبعه ما يليه في الرتبة و المودة و ما الاقتداء به لا سيما عند العرب ٢

من أقمح العار فقال : ﴿ صاحبه ﴾ أى زوجته التى يلزمه الذب

١٠ عنها و الكون دائماً معها لكونها عذيلة روحه ٤ فى الدنيا ٥ .

و لما ذكر صاحبه لما لها من تمام الوصلة ، أتبعها الشقيق الذى

لا يلزم من الذب عنه ما ٥ يلزم من الذب عن الحرم و ربما كان

مباينا ، فقال : ﴿ و اخيه لا ﴾ .

و لما كان من بقى من الأقارب بعد ذلك متقاربين فى الرتبة ذكر

١٥ اقربهم فقال : ﴿ و فضيلته ﴾ أى عشيرته الذين هم أقرب من فصل

عنه ﴿ الذى تؤويه لا ﴾ أى تضمه إليها عند الشدائد و تحميه ، لانه أقرب

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م

لحذفها (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : القرب (٤-٤) سقط ما بين الرقين من

ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : من .

الناس إليها وأعزهم عليها فهم أعظم الناس 'حقا عليه' وأعزهم لديه .
ولما كانت هذه الآية في القدية ، قدم الأبعد عن ذلك فالأبعد
من جهة النفع والمعرة . ولما كانت آية عبس في الفرار والنفرة ، قدم
الالصق فالالصق ، والأعلق في الانس فالأعلق .

ولما خص هنا عم فقال : ﴿ ومن في الأرض ﴾ أى من الثقلين ه
وغيرهم سواء كان فيهم صديق لا صبر عنه ولا بد في كل حال
منه أولا . ولما كان ربما خص ذلك بغيره ، قال محققا لإرادة الحقيقة
في معنى « من » : ﴿ جميعا لا ﴾ .

ولما كان الإنسان تكشف له الأمور هناك أى كشف ، وتظهر
له أم ظهور ، قال تعالى " فبصرك اليوم [حديد - ٢] " فيعلم أنه لا ينجيه ١٠
من الخطايا المحيطة المحيطة^٢ شيء ، دل على الاستبعاد بأداة البعد فقال عاطفا
على " يقتدى " : ﴿ ثم ينجيه لا ﴾ أى ثم يود لو يكون له بذلك نجاة
تتجدد له في وقت من الاوقات .

ولما كان هذا [عما - ٢] قد يطمع في النجاة ، فإن بعض الناس
يطمع على قلبه فيستغويه^٤ الأطماع حتى يعد المحال ممكنا ، قال معبرا ١٥
بمجمع الروادع والزواجر^٥ الصوادع : ﴿ كلا ﴾ أى ليسكن للجرم ردع

(١ - ١) من ظ و م ، وفي الأصل : عليها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ
وم ، وفي الأصل : المحيطة (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : حتى يستهويه .
(٥) زيدت الواو في الأصل و م ولم تكن في م فحذفناها .

أى ردع عن وداده^١ هذا وترتب أثره عليه ، فان ذلك لا يكون أبدا
بوجه من الوجوه .

ولما كان الإضمار قبل الذكر لتعظيم ذلك المصمر في المهيع الذى
هو فيه ، لأن ذلك إشارة إلى أنه مستحضر في^٢ الذهن لا يغيب أصلا
ه لما للقام عليه من عظيم الدلالة ، قال بعد هذا الردع العظيم عن النجاة بل^٣
عن ودادة ثمنها: (انها) أى النار / التى هى سوط^٤ الملك المعد لمن^٥ عصاه ،

/ ٥٠٦

المهدد في هذا السياق بعذابها ، المستولية عليه لتكون سجنه : (لظى^٦)
أى ذات اللهب الخالص المتناهى فى الحر^٧ يتلظى أى يتوقد فيأكل بسية
بعضها بعضا إن لم تجد ما تأكله وتأكل ما وجدته كائنا ما كان
١٠ (نزاعة للشوى^٨ لي) أى هى شديدة النزاع^٩ لجلود الرؤس بليته^{١٠} فا

الظن بغيره من الجلد . وقال فى القاموس : الشوى : اليان والرجلان
والأطراف وقحف الرأس وما كان غير مقتل - انتهى ، وقيل : والجلد
كله واللحم تنزع ذلك ثم يعود كما كان فى الحال ليروا التعب الذى

(١) زيد فى الأصل : بعد ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد فى
الأصل : عظم . ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، وفى
الأصل : بعد (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : سول (٥) زيدت اواو فى الأصل
ولم تكن فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : الحرب (٧) من
ظ و م ، وفى الأصل : النزاع (٨) زيد فى الأصل : اى شديدة ، ولم تكن
الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

كانوا ينكرونه في انفسهم ' في كل ' لحظة .

ولما كان الخلاص غير ممكن من الداعي القادر على ' الإحضار كنى
عن إحضارها إياهم وجذبها لهم بقوله : (تدعوا) ويجوز أن يكون
ذلك حقيقة فتقول في الدعاء في ' نفسها : إلى يا مشرك إلى يا منافق ،
وهو ذلك ^٢ ثم تلتقطهم التقاط الطير للجب (من) أى كل شخص (ادبر) ^٥
أى ' من الجن والإنس ' أى ' من وقع منه إدبار عما من حقه الإقبال عليه
سواء كان ذلك الإدبار عنها أو عن الأعمال التى من شأنها النجاة [منها] ،
ولما كان الإدبار قد يكون عن طبع غالب فيكون صاحبه في عداد من
يعذر ، بين أن الامر ليس كذلك فقال : (وتولى لا) أى كلف فطرته
الاول المستقيمة الإعراض عن أسباب النجاة .

١٠

ولما كانت الدنيا والآخرة ضربين ، فكان الإقبال على إحداها
دالا على الإعراض عن الأخرى ، قال دالا على إدباره بقلبه : (وجمع)
أى كل ما كان منسوبا إلى الدنيا .

ولما كانت العادة جارية بأن من كانت الدنيا أكبر همه كان همه
بجميعه الاكتناز لا الإنفاق ، سبب عن جمعه قوله : (فارعى ^٥) أى ١٥
جعل ما جمعه في وعاء وكنزه حرصا وطول أمل ولم يعط حق الله
فيه ، فكان همه الإيعاء لا إعطاء ^٦ ما وجب من الحق إقبالا على الدنيا

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : كله (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الى .
(٣) في م : هذا (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٥) زيد من ظ و م .
(٦-٦) من ظ و م ، وفى الأصل : حقه الاعطاء لا الإيعاء .

و إعراضا عن الآخرة .

ولما كان من أعجب العجب أن يقبل على الدنيا أحد يسمع هذا التهديد بالعرض بين يدي الله والعقاب لمن لم يقبل على عبادته سبحانه ، بين ان ذلك لما جبله عليه سبحانه و أن الإنسان مقهور مع جبلته إلا من حفظه الله ، وذلك [دال - ١] من كلا الطرفين على عظيم قدرته سبحانه ، قال مؤكدا لاقتضاء المقام للتأكيد لأن الإنسان لو خوف بالعرض على بعض الأمراء ما^٢ لابس ما يقضيه فكيف بالعزیز الحكيم القدير العليم :
 ﴿ ان الانسان ﴾ أى هذا / الجنس ، عبر به لما له من الانس بنفسه / ٥٠٧
 والرؤية لمحاستها والنسيان لربه ولذنبه .

١٠ ولما دعا الحال إلى بيان الجبلۃ الداعية إلى ما يقتضيه باختيار صاحبها على^٢ وجهه كأنه إلهاء يئانا لسهولة الأمور عليه سبحانه بنى للفعول قوله : ﴿ خلق هلوعا لا ﴾ أى جبل جبلۃ هو فيها بليغ الهلع وهو أخش الجزع مع شدة الحرص وقلة الصبر والشح^١ على المال والرغبة فيما لا ينبغي ، وعن ابن عباس رضى الله^٥ عنهما أنه الحريص
 ١٥ على ما لا يحل له^٦ ، وروى عنه أن تفسيره ما^٧ بعده .

ولما كان الهلع شدة الحرص وقلة الصبر ، نشر معناه فقال مقدما

(١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم ، وفي الأصل : لما (٣) زيد في الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها (٤) من ظ وم ، وفي الأصل : التشح .
 (٥) راجع المعالم ١٢٥/٧ (٦) زيد في الأصل وظ : انتهى ، ولم تكن الزيادة في م لحذفها (٧) من ظ وم ، وفي الأصل : فيما .

- المعمول الذى هو الظرف على العامل بيانا لإسراعه فى ذلك : (إذا مسه)
 [أى - ١] أدنى مس : الشر) أى هذا الجنس وهو ما تطاير شره^٢
 من الضر (جزوعا) أى عظيم الجزع ، وهو ضد الصبر بحيث يكاد
 صاحبه ينقد نصفين ويفتت (وإذا مسه) أى كذلك (الخير) أى
 هذا الجنس وهو ما يلائمه فيعينه من السعة فى المال وغيره من أنواع ه
 الرزق (منوعا) أى مبالغا فى الإمساك عما يلزمه من الحقوق لانهماك
 فى حب العاجل وقصور النظر عليه وقوفا مع المحسوس لغلبة الجود
 والبلادة ، وهذا الوصف ضد الإيمان ، لأنه [نصفان - ١] : صبر وشكره
 ولما كان التقدير : فهو يسارع فى آثار ما جبل عليه مما يترتب^٢
 على الجزع مما لا يجوز فى الشرع ومما يترتب على المنع من ذلك أيضا ١٥
 فيكون من أهل النار ، و كان من القدرة البالغة أن يحفظ سبحانه من
 أراد من الخزي مع جبلته ويحملة على كسر نفسه مرة بعد أخرى
 حتى يتلاشى ما عنده من جبلة الشر وتبقى الروح على حالها عند
 الفطرة الأولى ، فلا زال تحته على المبادرة إلى طاعته سبحانه وتعالى
 وحفظ حدوده ، فكان لاكرامة أعظم من حفظ المكلف لحدود الشرع ١٥
 مع المنافاة لطبعه ، فيكون جامعا للإيمان بتصفيه : الصبر والشكر ، لما
 جمع من هذه الأوصاف الثمان المعادة لأبواب الجنة الثمان ، فكانت
 أسبابا لها ، استثنى [من - ١] هذا النوع المألوع ولذلك جمع فقال :
 (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : شره (٣) من ظ و م ،
 وفى الأصل : لا يترتب (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : ما بها .

﴿الا المصلين﴾ أى المحافظين على الصلاة التى هى مواطن الافتقار،
 العريقين فى هذا الوصف، فانه لا يشتد هلمهم فلا يشتد جزعهم ولا
 منعهم، فيكونوا فى أحسن تقويم معتدين مسارعين فيما يرضى الرب،
 لانه سبحانه قرن بما جبلهم عليه من الملح من طهارة الجسد لطهارة
 ٥ طيبته و زكاه^١ روحه ما هياه به لتهديب نفسه مما يسره له من أصدقاء^٢
 الخير وأولياء المعروف وسماع المواعظ الحسان والإبعاد عن معادن
 ٥٠٨ / الدنس من البقاع والاقران والكلام والأفعال وغير ذلك / من سائر
 الأحوال، والملابسة بكل ما يحمل على المعالي من صالح الخلال^٣ حتى
 كانوا من أهل الكمال، ولذلك وصفهم بمنايين عراقتهم فى الوصف
 ١٠ بها فقال: ﴿الذين هم﴾ أى بكليّة ضمائرهم وظواهرهم ﴿على صلاتهم﴾
 أى التى هى معظم دينهم وهى النافعة لهم لاغيرهم - بما أفادته الإضافة،
 والمراد الجنس الشامل لجميع الأنواع إلا أن معظم المتصود الفرض،
 [و-٤] لذلك عبر بالاسم^٤ الدال على الثبات^٥ فى قوله: ﴿دائمون صلاتهم﴾
 أى لا فتور لهم عنها^٦ ولا انقكاك لهم منها بل يلزمون^٧ ملازمة
 ١٥ يحكم بسببها أنها فى حال الفراغ منها نصب أعينهم بدوام الذكر لها
 والتهبى لأدائها لأنها صلتهم بمعبودهم^٨ الذى لاخير عندهم إلا منه، فلم

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : ركاة (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : اصدقاء .
 (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : ومعه (٤) زيد من ظ و م (٥-٥) من ظ و م ،
 وفى الأصل : الدابت (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : عليها (٧) من ظ و م ،
 وفى الأصل : يلارمون (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : ومعبودهم .

يكونوا ناسين لمساوتهم ولا آسين بمحاسنهم ، و كفى بالصلاة بركة في دلالتها على النجاة من هذا الوصف الموجب لأسباب النار ، وهي عبادة ذات شروط و أركان و أبعاد و هيئات [و سنن - ١] و آداب مفتحة بالتكبير مختمة بالتسليم ، وهي منقسمة إلى ذات ركوع و سجود ، و إلى ذات سجود بلا ركوع كسجدة الشكر و التلاوة ، و إلى ما ٢ لا ركوع ه فيها ولا سجود كصلاة الجازاة .

ولما ذكر زكاة الروح ، أتبعه زكاة عدلها المال ، فقال مينا للرسوخ في الوصف بالعطف بالواو : (و الدين في أموالهم) أي اتى من سبحانه بها ١ عليهم (حق) ولما كان السياق هنا لأعم من المحسنين الذين تقدموا في الذاريات اقتصر على الفرض فقال : (معلوم ص لا) أي من ١٠ الزكوات و جميع النفقات [الواجبة - ١] .

ولما كان في السؤال من بذل ١ الوجه و أسر النفس ١ ما يوجب الرقة مع وقاية النفس مع المذمة ، قدم قوله : (للسائل) أي المتكلف لسؤال الإيفاق المتكسف . ٢ ولما كان في ١ الناس من شرفت همته و علت ٢ رتبته على مهارى الابتذال بذل السؤال من الاقلال ٣ بذب المقبل على الله ١٥ للتفطن و التوسم لأولئك | فقال - ١ : (و المحروم ص لا) أي المتعفف ١

- (١) زيد من ظ و م (٢) في الأصل بياض ملاناه من ظ و م (٣) من ظ و م وفي الأصل : للروح (٤-٤) من ظ و م ، وفي الأصل : النفس و كسر الوجه . (٥-٥) سقط ما بين الترفين من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : من . (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : غلبت (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : الأول . (٩) من ظ ، وفي الأصل و م : المتكلف .

الذى لا يسأل فيظل غنيا ولا مال له يغنيه^١ فهو يتلظى بناره في ليله
ونهاره، ولا مفزع له بعد ربه المالك لعلايته وإسراره إلا إلى إفاضة
مدامعه بذله وانكساره، وهذا من الله تعالى حث على تفقد أرباب
الضرورات بمن لا كسب له ومن افتقر بعد الغنا، وقد كان^٢ للسلف
الصالح في هذا^٣ وأشباهه قصب السبق، حكى عن زين العابدين^٤ أنه
لما مات وجد في ظهره آثار سود عند غسله كأنها السيور، فمجبوا منها،
٥ فلما كان بعد أيام قال^٥ نسوة أرامل / : كان شخص يأتي إلينا ليلا
يقرب الماء وأجربة الدقيق على ظهره فققدناه [واحتجنا -^٦]، فملوا
أنه هو وأن تلك السيور من ذلك، وحكى عن عمر بن الخطاب رضى الله
١٠ عنه أن شخصا رآه ماشيا في زمن خلافته^٦ في الليل^٧ فبعه^٧ حتى يعلم
إلى أين يقصد، فلم يزل رضى الله عنه حتى جاء^٨ إلى بيت [نسوة -^٩]
أرامل فقال: أعتدكن^٨ ماء وإلا أملا^٩ لكن، فأعطينه جرة فأخذها
وذهب ففلاها على كتفه وأتى بها إليهن، والحكايات^٩ عنهم في^٩
هذا الباب كثيرة شهيرة جدا.

/ ٥١٠

١٥ ٠ ولما كان المال قد يصرف لإصلاح الدنيا، بين أن النافع

(١) من ظ وم، وفي الأصل: يغنمه (٢ - ٢) - قط ما بين الرقين من ظ
وم (٣) من ظ وم، وفي الأصل: ازين العابد (٤ - ٤) في ظ وم: قال بعد
موته (٥) زيد من ظ وم (٦ - ٦) من ظ وم، وفي الأصل: ليلا (٧ - ٧) في ظ
وم: ففلاها (٨) من ظ وم، وفي الأصل: عندكم (٩ - ٩) من ظ وم، وفي
الأصل: عن.

منه إما هو المصدق للايمان فقال : ﴿ و الذين يصدقون ﴾ أى يوقعون التصديق لمن يخبرهم و يحددونه كل وقت ﴿ يوم ﴾ و لما كان المقصود الحث على العمل لاجل العرض على الملك الاعلى عبر بقوله : ﴿ الدين لايس ﴾ أى الجزاء الذى ما مثله و هو يوم القيامة الذى يقع الحساب فيه و الدينونة على النقيير و القطمير و التصديق به حق التصديق الاستعداد له بالأعمال الصالحة ، فالذين يعملون لذلك اليوم هم العمال ، و أما المصدقون بمجرد الأقوال فلهم الوبال و إن انفقوا أمثال الجبال .

و لما كان ^١ الدين معناه الجزاء من الثواب و العقاب ، و كان ربما صرفه صارف إلى الثواب فقط للعلم بعموم رحمته سبحانه ، و أن رحمته غلبت غضبه ، صرح بالعقاب فقال : ﴿ و الذين هم ﴾ أى بجميع ضمائرهم ^{١٠} ﴿ من عذاب ربهم ﴾ أى المحسن إليهم ، لا من عذاب غيره ، فان المحسن أولى ^٢ بأن يخشى ^٢ و لو من قطع إحسانه ، و إذا خيف مع تجليه فى مقام الإحسان كان الخوف أولى عند اعتلائه فى نعوت الجلال من ^٣ الكبر و القهر و الانتقام ^٤ ﴿ مشفقون ﴾ أى خائفون فى هذه الدار خوفا عظيما هو فى غاية الثبات من أن يعذبهم فى الآخرة أو الدنيا أو فيهما ، فهم ^{١٥} لذلك ^٥ لا يغفلون و ^٥ لا يفعلون إلا ما يرضيه سبحانه .

(١) زيد فى الأصل: يوم، ولم تكن الزيادة فى ظ و لم نغذفها (٢-٢) من ظ و م، وفى الأصل: فيحسن (٣) من ظ و م، وفى الأصل: مع (٤) زيد فى الأصل: قال، ولم تكن الزيادة فى ظ و لم نغذفها (٥-٥) سقط ما بين الرتين من ظ و م .

ولما كان المقام للترهيب ، ولذلك عبر عن الرجاء [على - ']
فعل الطاعات بالدين ، فصار العذاب مذكورا مرتين تلويحا وتصريحا ،
زاده تأكيدا بقوله اعتراضا مؤكدا لما لهم من إنكاره : (ان عذاب ربهم)
أى الذى^٢ رباهم^٢ وهم مغمورون باحسانه وهم عارفون بأنه قادر على
ه الاتقام ولو بقطع الإحسان (غير مامون *) أى لا ينبغي لاحد أن
يأمنه ، بل يجوز أن يحل به وإن بالغ فى الطاعة لأن الملك مالك وهو
تام الملك ، له أن يفعل ما يشاء - ومن جوز وقوع العذاب أبعد عن موجباته
غاية الإبعاد ولم يزل مترجحا بين الخوف والرجاء .

ولما ذكر / التحلى بتطهير النفس بالصلاة وتركية المال^٢ بالصدقة ، / ٥١٠

١٠ ندب إلى التخلّى عن امرج^٢ جامع بين تدنيس المال^٢ والنفس وهو الزنا الحامل
عليه شهوة الفرج التى هى أعظم الشهوات حملا للنفس على المهلكات ،
فقال بعد ذكر التخويف بالعذاب إعلاما بأنه أمرع إلى صاحب هذه
القادورة وقوتا من الذباب فى احلى الشراب^٢ فقال : (والذين هم)
أى ببواطنهم الغالبة على ظواهرهم (لفروجهم) أى سواء كانوا ذكورا
١٥ أو إناثا ('حفظون لا') أى حفظا ثابتا دائما عن كل ما نهى الله عنه .
ولما ذكر هذا الحفظ على هذا الوجه ، ذكر ما أذن فيه فى
أسلوب الاستثناء إشعارا بأنه كأنه لم يذكر فيخرج إلا بعد تقرير عموم

(١) زيد من ظ وم (٢-٢) - قط ما بين ارتئين من ظ وم (٣) من ظ وم ،

وفى الاصل : الاموال (٤) من ظ وم وفى الأصل : اتراب .

الحفظ ' لا أنه ' مقصود ابتداء بقصد الصفة فقال : ﴿ الا على أزواجهم ﴾
أى بعقد النكاح .

ولما قدمهن لشرفهن و شرف الولد ^٢ بهن أتبعه قوله : ﴿ او ما ﴾
عبر ^٣ بما هو الاغلب لغير العقلاء ندبا إلى إيساع البطان فى احتماھن
﴿ ملكت إيمانهم ﴾ أى من السرارى اللاتى من ^٤ محل الحرث و النسل ٥
اللاتى من أقل عقلاء ^٥ من الرجال .

ولما كان الناكس عبادة نادرا جدا ، وكان الاصل فى العبادة
الخروج عن العادة ، وإن لم يتجرد للعبادة كان ملوما ، اكتفى فى مدحه
بنفى اللوم عنه ، و أكدده لأن الاصل كان استحقاقه لللام لإقباله على
تحصيل ما له من المرام فقال مسيا عن المستثنى : ﴿ فانهم ﴾ أى بسبب ١٠
إقبالهم بالفروج عليهن و إزالة الحجاب من أجل ذلك ﴿ غير ملومين ١١ ﴾
أى فى الاستمتاع بهن من لائم ما - كما نبه عليه بالبناء للفعل - فهم
يصحبونهن قصدا للتعفف و صون النفس و ابتغاء الولد للتعاون على
طاعة الله .

ولما أفهم ذلك تحريم غير المستثنى و وجوب الحفاظ للفروج عنه ، ١٥
صرح به على وجه يشمل المقدمات فقال مسيا عنه : ﴿ فن ابتغى ﴾ أى
طلب ، و عبر بصيغة الافتعال لأن ذلك لا يقع الا عن إقبال عظيم من
١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : لأنه (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : ابوالد .
(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : أى (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : هى .
(٥) من ظ و م فى الأصل : العقلاء .

النفس و اجتهاد في الطلب ﴿ وراء ذلك ﴾ أى شيئاً من هذا خارجاً
عن هذا الامر الذى أحله الله تعالى ، و الذى هو [أعلى - ١] المراتب
في أمر النكاح وقضاء اللذة ^٢ أحسنها و أجملها ^٣ . و لما كان الوصول إلى
ذلك لا يكون إلا بتسبب من الفاعل ربط بالفاء قوله : ﴿ فاولئك ﴾
هـ [أى - ١] الذين هم في الحضيض من الدناءة و غاية البعد عن مواطن
الرحمة ﴿ هم ﴾ أى بضائرهم و ظواهرهم ﴿ العدون ﴾ أى المختصون
بالخروج عن الحد المأذون فيه .

و لما ذكر العادى أتبعه الواقف عند الحدود ^٢ فقال : ﴿ و الذين هم ﴾
أى يبذل الجهد من توجيه ^٢ الضائر ﴿ لامتنتهم ﴾ أى [كل - ١] ما
١٠ اتتمنهم الله عليه من حقه و حق غيره .

٥١١ /

و لما كان ذلك قد يكون من غير عهد ، قال مخصصاً / : ﴿ وعهدهم ﴾
أى ما كان [من - ١] الأمانات بربط بالكلام و توثيق ﴿ راعون لايس ﴾
أى حافظون لها معترفون [بها - ١] على وجه نافع غير ضار .

و لما كان أجل العهود و الأمانات ما كان بأشهاد قال مبيناً : لفضل
١٥ الشهادة : ﴿ و الذين هم ﴾ أى بغاية ما يكون من توجيه القلوب
﴿ بشهداتهم ﴾ التى شهدوا بها أو يستشهدون بها لطلب أو غيره ، و تقديم
المعمول ^١ إشارة إلى أنهم في فرط قيامهم بها و مراعاتهم لها كأنهم

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : أجملها و أحسنها .
(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : الخروج (٤) من ظ و م ، وفى الأصل :
توجيهه (٥) فى الأصل و ظ : بياناً (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : العلول .

لا شاغل لهم سواها' (إِقَاتْمُونَ لَا يَمُوتُونَ) أى يتحملونها ويؤدونها على غاية التمام والحسن أداء من هو متهيئ لها واقف في انتظارها .

ولما كانت أصداد هذه المذكورات نقائص مهلكات ، وكانت الأنفس - لما لها من النقص - نزاعة إلى النقائص ميالة إلى الدسائس ، ذكر

سبحانه بالدواء المبرئ من كل داء ، فقال مشيراً إلى حفظ أحوال الصلاة^٥ :

وأوصافها بعد [ذكر - ٢] الحفظ لذواتها وأعيانها تنبيها على شدة

الاهتمام بها : (والذين هم) ولما وسط الضمير إشارة إلى الإقبال بجميع

القلب قدم الصلة كما فعل بما ، قيل تأكيداً وإبلاغاً في المراد إلى أقصى

ما يمكن كما لا يخفى على ذى ذوق فقال : (على صلاتهم) من الفرض

والنفل (يحافظون) أى يبالغون في حفظها ويمجدونه حتى كأنهم ١٠

يأدرونها الحفظ ويسبقونها فيه فيحفظونها لحفظهم^٦ أو يسبقون غيرهم

في حفظها لأوقاتها وشروطها وأركانها ومتماتها في ظواهرها وبواطنها من

التخشوع^١ والمراقبة ، وغير ذلك من خلال الإحسان التى إذا فعلوها

كانت ولا بد ناهية لفاعليها " أن الصلاة " الكاملة " تنتهى عن الفحشاء والمنكر "

فتحمل على جميع هذه الأوامر وتبعد عن [أصدادها - ٣] ، ولكون ١٥

السياق هذا للتخلي عن الأوصاف الجارة إلى الكفر وخذ الصلاة إشارة

(١) من ظ وم ، وفي الأصل : سواء (٢) زيد في الأصل : وأحوالها ، ولم تكن

الزيادة في ظ وم لحذفها (٣) زيد من ظ وم (٤) من ظ وم ، وفي الأصل :

كما (٥) من ظ وم ، وفي الأصل : لحفظهم (٦) في م : الخشوع .

إلى أنه يكنى ' في ذلك ' الفرائض وإن كان الجنس يشمل ، وفي المومنون السياق لأهل الرسوخ في المحاسن ، فلذلك جمع بين النوعين : الأفراد في الأول لينصب بادئ بدئ إلى الفرائض ، والجمع في بعض القراءات ليفهم مع ذلك التوافل بأنواعها ، وفي فتح الاوصاف بالصلاة ه و ختمها بها من بيان جلالها و عظمتها أمر باهر .

ولما ذكر حلام أتبعه ما أعظام فقال مستأنفا ومستتجبا من غير فاء إشارة إلى [أن - ٢] رحمته ^٢ هي التي ^٢ أوصلتهم إلى ذلك من غير سبب منهم في الحقيقة : (أولئك) أي الذين هم في غاية العلو لما لهم من هذه الاوصاف العالية ، وعبر بما يدل على أنه مجل جزاءهم سبحانه فقال : ١٠ (في جنت) أي في الدنيا والآخرة ، أما في الآخرة فواضح ، وأما في الدنيا فلائهم [لما - ٢] جاهدوا فيه باتغاب أنفسهم في هذه الاوصاف حتى تخلقوا بها أعظام بمباشرتها / لذاذات من انس القرب و حلوة المناجاة لا يساويها شيء أصلا ، والجنة محل اجتماع فيه جميع الراحة و المستلذات [والسرور - ٢] ، و اتقنى عنه [جميع - ٢] المكروهات و الشرور ، و ضدها ١٥ النار ، و زادهم على ذلك بقوله : (مكرمون ط) معبرا باسم المفعول إشارة الى عموم الإكرام من الخالق و الخلق الناطق و غيره لأنه سبحانه قضى بأن يعلو مقدارهم حتى يكونوا أعظم مشخص ؟ لهم في الغيب مبالغا في إكرامهم عند المواجهة ليكون لهم نصيب من خلق نبيهم صلى الله (١ - ١) من ظ و م ، وفي الأصل : ذلك في (٢) زيد من ظ و م (٣ - ٣) من ظ و م ، وفي الأصل التي هي (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : ان جعلتهم (٥) من ظ و م وفي الأصل : مبقص .

عليه وسلم، لقيه يوم بنى قريظة على رضى الله عنه وكان قد سبقه إليهم فقال: يا رسول الله، ما عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخاب؟ قال: ولم، لعلك سمعت بي منهم أذى، لو قد دنوت منهم لم يقولوا من ذلك شيئاً، ثم دنا منهم فقال: هل أخزاكم الله يا إخوان القردة والخنازير، فقالوا: نه يا أبا القاسم ما كنت جهولاً، و كلوه بأحسن ما يمكنهم، وكذا كانت معه قريش قبل الهجرة في أكثر أحوالهم، هذا في الدنيا وأما في الآخرة فيلقاه الملائكة بالبشرى حين الموت وفي قبورهم ومن حين قيامهم من قبورهم إلى حين^١ دخولهم إلى قصورهم .

ولما تحرر بهذا الكلام الإلهي الذي يشك عاقل في أن مخلوقاً لا يقدر عليه، وأنه لا يقدر عليه إلا الله الواحد الذي لا شريك له، العالم بكل شيء، القادر على كل شيء، أنه لا يتفصى عن نقائص الإنسان حتى يتخلص من ظلمات النقائص إلى نور الإحسان إلا من لازم هذه الأوصاف وزكى نفسه [بها - ٢] ليصير [كاملاً - ٣] مع العلم القطعي عند المسلم والكافر أن الكمال سبب السعادة، وأن الإنسان مطبوع على [ما - ٢] صدر به سبحانه من النقائص، علم أن المتصفين بهذه الأوصاف هم المختصون بالسعادة الآخروية، وكان الكفار يأتون النبي صلى الله عليه وسلم ويجلسون حوله بالقرب منه ليسمعوا كلامه ويكذبوه ويهزؤا به، وكان العاقل لا ينبغي له أن يأتى شيئاً لا سيما إن كان اتبانه إليه على

(١) من ظ و م وفي الأصل: الخبايا (٢) سقط من ظ و م (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفي الأصل: اشيا .

هيئة الإسراع إلا لتحصيل السعادة ، سبب عن ذلك قوله معبرا عن
عظمة القرآن بما حاصله أنهم حين يسمعون به يصيرون لشدة ما يفرعهم
أمره^١ لا يتهاونون في فعلون أفعال من لا وعاء له : (قال الذين كفروا)
أي أي شيء من السعادة للذين ستروا مرآتي عقولهم عن الإقرار بمضمون
هذا الكلام الذي هو أوضح من الشمس ، حال كونهم (قبلك) أي
نحوك أيها الرسول الكريم وفيما أقبل عليك (مهطعين لا) أي مسرعين
مع [مد - ٢] الأعناق وإدانة النظر إليك في غاية العجب من مقالته
هيئة من يسعى إلى أمر لا حياة له بدونه .

/ ٥١٣

ولما كان الذي يتطير فيراعى^٢ الأيا من والأشأم على ما تقدم
في الصافات ، لا يترك ذلك إلا في أمر أدهش عقله وأطار له ، فلم
يدعه يتأمل^٣ ، قال مشيرا إلى^٤ شدة اعتنائهم بهذا الإهطاع مع عدم
التحفظ^٥ من شيء^٥ : (عن) أي متجاوزين إليك كل^٦ مكان كان
[عن جهة - ٢] (اليمين) أي منك حيث يتمنون به (وعن الشمال)
أي منك وإن كانوا يتشاءمون به (عزين) أي حال كونهم
جماعات جماعات و خلقا خلقا متفرقين فرقا شقيا أفواجا يتمهلون ليأتوا
جميعا جمع عزة ، وأصلها عزوة لأن كل فرقة تعزى إلى غير ما تعزى

(١) من م ، وفي الأصل وظ ، امرهم (٢) زيد من ظ و م (٣) في الأصل
يباض ملأناه من ظ و م (٤) زيد في الأصل : انه ، ولم تكن الزيادة في ظ
وم لخذفناها (هـ-هـ) من ظ و م ، وفي الأصل : بشيء (٦) من ظ و م ، وفي
الأصل : بكل .

إليه الأخرى ، جمع [جمع - ١] سلامة شذوذا ،

و لما كان هذا الإسراع على هذا الوجه لا ينبغي أن يكون

[إلا - ١] فيما يتحقق أنه مسعد ، ومع تحقق أنه مسعد لا ينبغي

أن يكون إلا ٢ فيما تحصل به السعادة الأبدية ؛ قال منها على ذلك

منكرا أن يكون لهم ما كان ينبغي ألا يكون فاعلم ذلك إلا له ٣ مع ٥

أنه ٤ كان من جملة استهزائهم إذا تخلقوا لسماع ما يقرأ أن يقولوا :

إن كان ٥ ما يقوله حقا ٦ من أمر البعث ٧ والجنة ٨ لتكون أسعد

بها منهم [كما أنا أسعد منهم - ١] في هذه الدار كما قال تعالى حاكيا ٩

عنهم في قوله " ولئن رجعت إلى ربي ان لي عنده للحسنى " وذلك

أنه كثيرا ما يأتي الغلط من [أن - ١] الإنسان يكون في خير في ١٠

الدنيا فيظن أن ذلك مانع له من النار لانه ١١ خير في نفس الامر ،

أو يظن أن إيماله وهو على الباطل رضى به ، ولا يدري [أنه - ١]

لا يضجر و يقلق و يعجل إلا من يخاف الفوت ، أو يكون شئ

بغير إرادته : (ابطم) أى بهذا الإتيان ، و عبر بالطمع إشارة إلى

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، وفي الأصل : الا ان يكون .

(٣-٣) من ظ و م ، وفي الأصل : لانه (٤-٤) ما بين الرقين بياض في الأصل

ملأناه من ظ و م (٥) زيد في الأصل : حق ، ولم تكن الزيادة في ظ و م

لخذفناها (٦) زيد في الأصل : والنار ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخذفناها .

(٧) سقط من ظ و م (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : لا .

أنهم بلغوا الغاية في السفه لكونهم [طلبوا - ١] أعز الأشياء من غير سبب تعاطوه له .

ولما كان إتيانهم على هيئة التفرق من غير انتظار جماعة للجماعة^٢ قال : ﴿ كل امرئ منهم ﴾ أى على انفراده^٣ ، ولما كان المحبوب دخول الجنة^٤ لا كونه^٥ من مدخل معين ، قال بانبا للفعول : ﴿ ان يدخل ﴾ أى بالإمطاع وهو كافر من غير إيمان يزيه كما يدخل المسلم فيستوى المسىء والمحسن ﴿جنة نعيم﴾ أى لا شيء فيها غير النعيم في كل ما فيها على تقدير ضبطه .

ولما [كان - ١] معنى الاستفهام الإنكارى المفيد للنفي : لا يدخل ، أكد ذلك مع إيهام الضجر والاستصغار بالإتيان بأم الزواجر والروادع فقال : ﴿ كلا^٦ ﴾ أى لا يكون ما طمعوا فيه أصلاً لأن ذلك تمن فارغ لا سبب له - بما دل عليه التعبير بالطمع دون الرجاء . ولما كان الإنسان إذا أكثر من شيء وجعله ديدنه فساغ عندهم

أن يقال : فلان خلق من كذا ، علل ذلك بقوله مؤكداً ، عدا لهم ١٥ / ٥١٤ / منكرين لأنهم مع علمهم بنقصانهم يدعون الكمال : ﴿ انا ﴾ على ما لنا من العظمة ﴿ خلقناهم ﴾ بالعظمة التى لا يقدر أحد أن يقاومها فيصرف شيئاً من إرادته عن تلك الوجهة^٧ التى وجهته إليها إلى غيرها

(١) زيد من ظ وم (٢) من م ، وفى الأصل وظ : الجماعة (٣) من ظ وم ، وفى الأصل : انفرادهم (٤-٤) من ظ وم ، وفى الأصل : يكونه . (٥) من ظ وم ، وفى الأصل : شيء (٦) من ظ وم ، وفى الأصل : المواجهة .

{ بما يعلمون هـ } أى مما يستحى من ذكره ذاتا ومعنى ، أما ' الذات فهو ' نطفة مذرة أخرجت من مخرج البول و غذيناها بدم الحيض ، فهي يتحلب منها البول و العذرة ، و أما المعنى فالهلع و الجزع و المنع اللاتى هم موافقون على عدها نقائص ، فلا يصلحون لدار الكمال إلا بتزكية أنفسهم بما تقدم من هذه ٢ الخلال التى حض عليها الملك المتعال ، روى هـ البغوى ٢ بسنده عن بشر بن جحاش ٣ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - و بصرى يوما فى كفه و وضع عليها أصبعه فقال : يقول الله عز وجل : ابن آدم ! أثنى تعجزنى و قد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين و الأرض منك و تيد و جمعت و منعت حتى إذا بلغت ٤ التراقي قلت : أتصدق ، و أثنى ٥ أو أن الصدقة - انتهى ٦ .

و لما كان فى [ذكر - ٧] هذا الخلق مع ما تقدم إشارة عظيمة إلى ما كانوا يقولون : إنه إن كان الأمر كما يقولون من الحشر و الجنة لسكون أثر عند الله منكم و لندخلها كما نحن الآن آثر منكم [عنده - ٧] بما لنا من الأموال ، و البسطة ٨ فى الدنيا و الوجاهة و الإقبال ، و تنبيه ٩ على [أن - ٧] الكل متساوون فى أنهم من نطفة فما فضلهم فى هذه

-
- (١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : ذات نهم (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : هذا (٣) فى معالم التنزيل ١٢٧ / ٧ (٤) من ظ و م و المعالم ، وفى الأصل : حجاج (٥) من ظ و المعالم ، وفى الأصل و م : اتقت (٦) سقط من ظ و م . (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : البطشة .

الدنيا بهذه النعم الظاهرة إلا هو سبحانه ، و قد فضل المؤمنين بالنعم
الباطنة التي زادتهم في الثمن فيها الزكية بهذه الأوصاف العملية الناشئة
عن الصفة العلية ، و هو قادر على أن يظم إلى النعم الباطنة النعم الظاهرة ،
و لذلك سبب عنه قوله ، و أكد بنى القسم المشير إلى عدم الحاجة إليه
هـ لكثرة الأدلة المغنية عنه لما لذلك المقسم عليه من الغرابة في ذلك الوقت
لكثرة الكفار وقوة شوكتهم : ﴿ فلا ﴾ أى تسبب عن خلقنا لهم
من ذلك المنه على أنا تقدر على كل شيء زيده و أنه لا يعجزنا شيء
أى لا ﴿ القسم ﴾ ظففت القول إلى أفراد الضمير معرى عن مظهر
العظمة لئلا يتعنت متعنت في أمر الوحداية ﴿ رب ﴾ أى مربى
١٠ و سيد و مبدع و مدبر^٢ ﴿ المشرق ﴾ التى تشرق الشمس و القمر
و الكواكب السيارة كل يوم في موضع منها على المهاج الذى دبره ،
و القانون القويم الذى أتقنه و سخره ، ستة أشهر صاعدة و ستة أشهر
هابطة ﴿ والمغرب ﴾ كذلك^٢ على هذا الترتيب المحكم الذى لا يعتريه
اختلال^٢ ، / و هى التى ينشأ عنها الليل و النهار و الفصول الأربعة ، فكان
١٥ [بها - ١] صلاح العالم بمعرفة الحساب و إصلاح المآكل و المشارب
و غير ذلك من المآرب ، فيوجد كل من الملون بعد أن لم يكن
و النبات من النجم و الشجر كذلك عادة مستمرة دالة على أنه قادر

/ ٥١٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : أى (٢-٢) فى الأصل : الربى والسيد والمبدع
و المدبر ، و فى ظ : سيد و مربى و مدبر ، و فى م : سيد و مبدع و مدبر .
(٣-٣) سقط ما بين الرقنين من ظ و م (٤) زيد من ظ .

على الإيجاد و الإعدام لكل ما يريد كما يريد من غير كلفة ما .
 ولما كان المعنى : لا أقسم بذلك وإن كان عظيماً^١ لأن الأمر في
 وضوحه لا يحتاج إلى قسم ، كما لو قال خصم لخصمه : احلف ، فيقول له :
 الأمر غنى عن حلفي إذ^٢ يحتاج إلى اليمين من لا بينه له ، ثم يأتي من
 الينات بما^٣ لا يكون معه^٤ شبهة ، و كانوا في تفضيل أنفسهم - مع^٥
 الاعتراف لله^٦ بالقدرة - كالمسكين للقدرة على قلب الأمر ، أكد قوله
 عائداً إلى مظهر العظمة [بعد دفع اللبس بما هو في وضوحه أجل
 من الشمس : (أنا) أى بما لنا من العظمة (لقدرون^٧)] بأنواع
 التأكيد بالأداة و الاسمية و الالتفات إلى مظهر العظمة -^٨ [فى كل
 من الاسم و الخبر ، فكان فى إخباره بعد الإقسام مع التأكيد إشارة ١٠
 إلى أعلى مراتب التأكيد (على^٩ ان نبدل) [أى -^١] تبديلاً عظيماً
 بما لنا من الجلالة عوضاً عنهم (خيراً منهم^{١٠}) أى بالخلق أو^{١١} تحويل
 الوصف فيكونوا أشد بسطة فى الدنيا و أكثر أموالاً و أولاداً و أعلى
 قدراً و أكثر حشماً و^{١٢} وجاهة و^{١٣} حزماً و^{١٤} خدماً ، فيكونوا^{١٥} عندك خلقاً
 على قلب واحد فى سماع قولك و توقيرك و تعظيمك و السعى فى كل ١٥

(١) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٢) فى الأصل : ان ، وفى ظ و م : او .
 (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : من (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : له .
 (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : باقه و (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ،
 وفى الأصل : و (٨-٨) فى ظ و م : جاها (٩) من ظ و م ، وفى الأصل :
 فيكون .

ما يشرح صدرك بدل ما يعمل هؤلاء من الهزء والتصفيق و الصفير
وكل ما يضيق به صدرك، وقد فعل ذلك سبحانه بالمهاجرين و الأنصار
و التابعين لهم باحسان بالسعة في الرزق بأخذ أموال الجبارين من كسرى
و قيصر، و التمكن^١ في الأرض حتى كانوا ملوك الدنيا مع العمل بما
٥. يوجب لهم [ملك - ٢] الآخرة، فرجوا الكرب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم و بذلوا في مرضاته الأنفس و الأموال .

و لما كان [الإنسان - ٢] قد يفعل شيئاً ثم ينقض عليه، أخبر
أنه سبحانه على غير ذلك فقال: ﴿ وما ﴾ و أكد الأمر بالاسمية
الكائنة في مظهر العظمة فقال: ﴿ نحن ﴾ و أعرق في النفي فقال:
١٠. ﴿ مسبوقين ٥ ﴾ أى من سابق ما يغلب على شيء لم نرده بوجه من الوجوه،
٢. و لذلك^٢ أتى باسم المفعول .

و لما ثبت أن له سبحانه العظمة البالغة الباهرة من شمول العلم و تمام
القدرة، فأتى اعتماد أهل حربه عليه و إعراضهم عن كل ما سواه،
سبب عن ذلك قوله تهديداً للخالفين و تسلياً للوافقين: ﴿ فذرهم ﴾ أى
١٥. اتركهم [و لو - ٢] على أسوأ أحوالهم ﴿ يخوضوا ﴾ أى يفعلوا في
مقالمهم و فعالهم الذى لا شيء منه على إتقان بل هو كفعل الخائض
في الماء الذى لا يضع رجله^٣ في موضع يعلم أنه يرضيه، فهو بصدد أن

(١) من ظ و م، و في الأصل: الثمن (٢) زيد من ظ و م (٣-٢) من ظ و م،
و في الأصل: فكذلك (٤) من ظ و م، و في الأصل: فعل (٥) زيد في الأصل:
في الماء، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحدفناها .

يقع أو يفرق ﴿ و يلعبوا ﴾ أى يفعل فعل اللاعب الذى لا فائدة لفعله^١
إلا ضياع الزمان و التعطل عما يهم من عظيم الشأن .

و لما كان ما توعده الله من أحوال^٢ الآخرة لا بد/ من وقوعه كان
كأنه قادم على الإنسان و الإنسان ساع^٣ بجده إليه ، فلذلك عبر بالمفاعلة
فقال : ﴿ حتى يلتقوا ﴾ و لما كان ما يقع للكفار منه أعظم ، كان ذلك اليوم ه
كأنه خاص بهم فقال : ﴿ يومهم الذى ﴾ و لما كان الوعيد - وهو ما
كان من الجبر تخويفا للتوعد - صادعا للقلوب إذا كان من القادر من
غير حاجة إلى ذكر المتوعد ، بنى للفعول قوله : ﴿ يوعدون ﴾ و هو
يوم كشف الغطاء الذى أول تجليته عند الفرغرة و نهايته النفخة
الثانية إلى دخول كل من الفريقين فى داره و محل استقراره ، و الآية ١٠
منسوخة بآية السيف .

و لما كان ما بعد النفخة الثانية^٤ أعظمه و أهوله^٥ ، أبدل منه
[قوله - °] : ﴿ يوم يخرجون ﴾ أى هؤلاء الذين يسألون عنه^٦
سؤال استهزاء^٦ و يستبعدونه ، و قراءة أبى بكر عن^٧ عاصم بالبناء
للفعول على طريقة كلام القادرين تدل على أنه مما هو فى غاية السهولة ١٥
﴿ من الاجداث ﴾ أى القبور التى صاروا بتغييهم فيها تحت وقع
(١) من ظ و م ، وفى الأصل : فى فعله (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : إعمال .
(٣) زيد فى الأصل : فى - مع يسير من البياض ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م
لحذفها (٤-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : اعظم و أهول (٥) زيد من ظ و م .
(٦-٦) من ظ و م ، وفى الأصل : سوا استهزؤا - كذا (٧) من ظ و م ، وفى
الأصل : « و » .

الحافر^١ و الخف^٢، فهم بحيث لا يدفعون شيئاً يفعل^٣ بهم^٤ بل هم^٥ كلهم
في فم ماضغ، فان الحدث القبر و الجدثة صوت الحافر و الخف و مضغ
اللحم (سراعا) أى نجو صوت الداعي .

ولما كانت عادة الإنسان الإسراع إلى ما يقصده من الإعلام

ه المنصوبة، و عادتهم - هم بالخصوص - المبادرة إلى الأنصاب التي يعبدونها

ما هي^٦ عليه من الخساسة خفة منهم^٧ في العلوم^٨ و طيشا في الحلو

قال : (كأنهم الى نصب) أى علم منصوب مصدر بمعنى المفعول كما

تقول : هذا نصب عيني و ضرب الأمير - هذا على قراءة الجماعة بالفتح،

و على قراءة ابن عامر^٩ و حفص بالضم^{١٠} : إلى علم أرشى^{١١} يعبدونه من

١٠ دون الله على ما فيه من الداء^{١٢} القاتل و البلاء، أو حجر يذبحون عليه،

قال في الجمع بين العباب و المحكم : النَّصْبُ و النَّصَبُ و النَّصْبُ : الداء

و البلاء، و النَّصْبُ كل ما نصب فجعل علما، و النَّصَبُ و النَّصَبُ : العلم

المنصوب، و النَّصْبُ و النَّصَبُ : كل ما عبد من دون الله، و الجمع أنصاب،

و الأنصاب حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهل^{١٣} عليها و يذبح

١٥ لغير^{١٤} الله، و انصاب الحرم : حدوده، و قال أبو حيان^{١٥} : و النصب ما نصب

(١) من ظ و م، وفي الأصل : الخواص (٢) من ظ و م، وفي الأصل :

يفعل (٣-٣) من ظ و م، وفي الأصل : ما هم (٤) من ظ و م، وفي الأصل :

هم (٥-٥) من ظ و م، وفي الأصل : بالعلوم (٦-٦) من ظ و م، وفي الأصل :

بالفتح بضم - كذا (٧) من ظ و م، وفي الأصل : الداء (٨) من ظ و م،

وفي الأصل : فهل (٩) من ظ و م، وفي الأصل : من دون (١٠) في البحر

المحيط ٨ / ٣٣٦ .

للانسان^١ فهو يقصده مسرعا إليه من علم أو بناء أو صنم، و غلب في
الانصام حتى قيل: الانصاب • (يوفضون^٢) أى يعجلون عجلة من هو
ذاهب إلى ما يسره حتى كأنه / يطرد إليه كما كانوا يسرعون
إلى أنصابهم •

و لما كان إيفاضهم إلى الانصاب على^٣ حال السرور، أخبر أن ه
هذا على خلاف ذلك، و أن ذكر النصب و تصوير حالة الإتيان إليه
ما كان إلا تهكما بهم فقال: (خاشعة^٤) أى منكسة متواضعة لما
حل بها من الذل^٥ والصغار^٦، و ألحقها علامة التأنيث زيادة في هذا
المعنى و مبالغة فيه بقوله: (ابصارهم^٧) •

و لما كان خشوعها دائما فغير^٨ بالاسم، و كان ذلهم يتزايد في ١٠
كل لحظة، عبر بالفعل المضارع المفيد للتجدد و الاستمرار فقال:
(ترهقهم^٩) أى تنشاهم قمعهم، و تحمل عليهم فتكلفهم كل^{١٠} عسر
و ضيق^{١١} على وجه الإسراع إليهم (ذلة^{١٢}) ضد ما كانوا عليه في الدنيا
لأن من تعزز في الدنيا على الحق ذل^{١٣} في الآخرة، و من ذل للحق
في الدنيا عز في الآخرة •

١٥

(١) من ظ و م و البحر، و في الأصل: من دون الانسان (٢) من ظ و م،
و في الأصل: الى (٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٤) من ظ و م،
و في الأصل: عز (٥-٥) من ظ و م، و في الأصل: العسر و الضيق •
(٦) زيد في الأصل: للحق، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفنا ه •

ولما صورته بهذه الصورة^١ أشار إلى أن هذا ما تدركه العقول من وصفه وأنه^٢ أعظم من ذلك فقال: ﴿ذلك﴾ أى الأمر الذى هو فى غاية ما يكون من علو الرتبة فى العظمة ﴿اليوم الذى كانوا﴾ أى فى حال الدنيا على غاية ما يكون من المسكنة فى الوعيد.

هـ ولما كان الوعيد لا يتحقق إلا إذا كان من القادر، وإذا كان كذلك^٣ كان مخيفاً موجعاً^٤ من غير ذكر من صدر عنه، بنى للفعول قوله: ﴿يوعدون﴾ أى يحدد لهم الإيعاد به فى الدنيا فى كل وقت لعلهم يتعظون فترق قلوبهم فيرجعون^٥ عما هم فيه من الجبروت، وهذا هو زمان العذاب^٦ الذى سألوا عنه^٧ أول السورة، فقد رجع كما ترى ١٠ آخرها على أولها^٨ أى رجوع، وانضم مفصلها إلى موصولها انضمام المفرد إلى المجموع - والله الهادى إلى الصواب.

سورة نوح عليه السلام^٩

مقصودها الدلالة على تمام^٩ القدرة^{١٠} على ما أنذر به آخره سأل،

- (١) من ظ و م، وفى الأصل: الصور (٢) من ظ و م، وفى الأصل: إن هذا (٣) فى ط و م: لذلك (٤) تكرر فى الأصل فقط (هـ-ه) من ظ و م، وفى الأصل: فيأهم (٦-٦) من ظ و م، وفى الأصل: هو (٧) زيد فى الأصل: ورجع، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخفتها (٨) الحادية والسبعون من سور القرآن الكريم، مسكية، وهى (٢٨) آية (٩) سقط من ظ و م. (١٠) من ظ و م، وفى الأصل: القدم.

من إهلاك المنذرين و تبديل خير منهم ،^١ و من^٢ القدرة على إيجاد
يوم القيامة الذى طال إنذارهم به و هم عنه معرضون و به مكذبون
و به لاهون^٣ ، و تسميتها بنوح عليه السلام أدل ما فيها على ذلك ،
فان أمره فى إهلاك قومه بسبب^٤ تكذيبهم له^٥ فى ذلك مشهور
و مقصوص فى غير ما موضع و مذكور ، و تقرير أمر البعث فى قصته ه
فى هذه [السورة - ٤] مقرر و مسطور ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الكمال
كله من الجلال و الإكرام ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بما أفاضه من ظاهر
الإنعام ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص أوليائه بلزوم الطاعة [فى الابتداء - ٤]
/ و إتمام النعمة فى الختام .

٥١٨ /

لما ختمت « سأل ، بالإنذار للكفار ، و كانوا عباد أوثان ، بعذاب ١٠
الدنيا و الآخرة ، أتبعها أعظم عذاب كان فى الدنيا على تكذيب الرسل
بقصة نوح عليه السلام ، و كان قومه عباد أوثان ، و كانوا يستهزئون به
و كانوا أشد تمردا من قريش و أجلف و أقوى و أكثر ، فلم ينفعهم شيء
من ذلك عند زول البلاء و برك النعمة عليهم و إتيان العذاب إليهم ،
و ابتدأها بالإنذار تخويفا من عواقب التكذيب به ، فقال مؤكدا لأجل ١٥
إنكارهم أن يكون الرسول بشرا أو لتزييلهم منزلة المنكرين* من
حيث أقروا برسالة و طعنوا فى رسالة غيره مع المساواة فى البشرية :

(١-١) تكرر ما بين الرقین فی الأصل فقط (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ
وم (٣-٣) فى ظ و م : تكذيبه (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى
الأصل : المتكبرين .

(انا) أى بما لنا من العظمة الباهرة ^١ البالغة (ارسلنا نوحا) وهو أول رسول أتى بعد اختلاف أولاد آدم عليه السلام فى دين أيهم الاقوم (الى قومه) أى الذين كانوا فى غاية القوة على القيام بما يحاولونه وهم جدد أن يمجّوه ^٢ إلى ما دعاهم إليه ^٣ ويكرموه لما ^٤ بينهم من القرب ^٥ بالنسب واللسان ^٦ ، وكانوا جميع اهل الأرض من الآدميين .

ولما بان بما مضى المرسل والرسول والمرسل إليهم ، وكان الإرسال متضمنا معنى القول ، أخذ فى تفسيره يانا للرسول به قال : (ان انذر) أى حذر تحذيرا بليغا ^١ عظيما (قومك) من الاستمرار ١٠ على الكفر .

ولما كان المقصود ^٢ إعلامهم بذلك ^٣ فى بعض الاوقات لأن الإنسان لا بد له من أوقات شغل بنفسه من نوم و أكل وغيره ، أتى بالجار تخفيفا عليه و رققا به عليه السلام فقال : (من ^١ قبل ان ياتيهم) أى على ما هم عليه من الاعمال الخبيثة (عذاب اليم) .
١٥ [و - ^٢] قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر ^٣ على قومه ^٤ فى قوله ^٥ " فاصبر صبرا جميلا "

(١) سقط من ظ و م (٢ - ٢) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٣) زيد فى الأصل : له ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤ - ٤) من ظ و م ، وفى الأصل : اللسان و النسب (٥ - ٥) من ظ و م ، وفى الأصل : بذلك اعلامهم .
(٦) ليس فى الأصل (٧) زيد من ظ و م (٨ - ٨) من ظ و م ، وفى الأصل : قال .

و جليل الإغضاء في قوله " قد رم يخوضوا و يلعبوا " أتبع ذلك بقصة
نوح عليه السلام و تكرر دعائه^١ قومه إلى الإيمان، و خص من خبره
حاله في طول مدة التذكار و الدعاء لأنه المقصود في الموضع تسليّة
لنبيه^٢ صلى الله عليه و سلم، و ليتأسى به في الصبر و الرفق و الدعاء
كما قيل له صلى الله عليه و سلم في غير هذا الموضع " فاصبر^٣ كما صبر^٤
أولوا العزم^٥ من الرسل و لا تستعجل لهم " " فلا تذهب نفسك عليهم^٦
حسرات " فقد دام دعاء نوح عليه السلام مع قومه أدوم من مدتك،
و مع ذلك فلم يزدحم إلا فرارا^٧ [" قال رب انى دعوت قومى ليلا و نهارا
فلم يزدحم دعائى إلا فرارا - "] و أنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا
أصابعهم فى آذانهم و استغشوا ثيابهم و اصرروا و استكبروا استكبارا^٨ ١٠
ثم مضت آى السورة على هذا / المنهج من تجديد الإخبار بطول
مكابدته عليه السلام و تكريره^٩ دعائه، فلم يزدحم ذلك إلا بعدا و تصميما
على كفرهم حتى أخذهم الله، و أجاب فيهم دعاء نبيه [نوح - "] عليه
السلام " رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا " و ذلك ليأسه^{١٠}
من فلاحهم، و انجر في هذا حض نبينا صلى الله عليه و سلم على الصبر

٥١٩ /

- (١) من ظ و م، و فى الأصل: دعا (٢) من ظ و م، و فى الأصل: له .
(٣-٢) تكرر ما بين الرقنين فى الأصل فقط (٤) تكرر فى الأصل فقط .
(٥) زيد من ظ و م (٦) فى ظ و م: تكرر (٧) من ظ و م، و فى الأصل:
ليأسهم - كذا .

على قومه والتحمل منهم^١ كما صرح به في قوله تعالى^٢ "خذ العفو وأمر
بالمعروف واعرض عن الجاهلين" وكما قيل له [قبل - ٢] "فاصبر
لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت"^٣ وكلا نقص عليك من أنباء
الرسول ما ثبت به قوادك^٤ - [انتهى - ٣] .

٥ ولما أخبر عن رسالته ومضمونها بما أعلم من أن الفساد كان
غالبًا عليهم، استأنف قوله بيانا لامثاله: ﴿قال﴾ أي نوح عليه السلام:
﴿يقوم﴾ فاستعطفهم بتذكيرهم أنه أحدهم يهيمه ما يهمهم .
ولما كان من طبع البشر إنكار^٥ ما لم يعلم إلا من عصم الله
لجعله منقادًا للإيمان بالغيب، أكد قوله: ﴿إني لكم نذير﴾ أي مبالغ
١٠ في النذارة ﴿مبين لا﴾ أي أمرى^٦ بين في نفسه بحيث أنه صار من
شدة وضوحه كأنه مظهر^٧ لما يتضمنه، مناد بذلك للقريب والبعيد
والفطن والغبي .

ولما كان ترك ما أنذروهم بسببه من الكفر لا يغنيهم إلا أن آمنوا،
وكان الإيمان مخلصًا عن عواقب الإنذار لأنه لا يصح إلا مع ترك جميع
١٥ أنواع الكفر، فسر الإنذار بقوله: ﴿ان اعبدوا الله﴾ أي الملك

(١) من ظ و م ، وفي الأصل: عليهم (٢) زبدت في الأصل آية "خذ من
أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها" ولم تكن في ظ وم فخذناها (م) زيد من
ظ وم (٤) من ظ وم ، وفي الأصل: انه (٥) من ظ وم ، وفي الأصل: انكر .
(٦) تكرر في الأصل فقط (٧) من ظ وم ، وفي الأصل: امر (٨) من ظ
وم ، وفي الأصل: منذر .

الاعظم الذى له جميع الكمال ، وذلك بأن تخلصوا التوجه إليه فان
غناه يمنع من أن يقبل عبادة فيها شرك وهذا هو الإيمان (و اتقوه)
أى اجعلوا بينكم وبين غضبه وقاية تمنعكم من عذابه بالانتهاء عن كل
ما يكرهه ، فلا تتحركوا حركة ولا تسكنوا سكونه إلا فى طاعته ، وهذا
هو العمل الواقى من كل سوء .

و لما كان لا سبيل إلى معرفة ما يرضى الملك ليلزم و ما يسخطه
ليترك لإمته ، و لا وصول إلى ذلك إلا من خاصته ، و لا خاصة مثل
رسوله الذى ائتمنه على سره قال : (و اطيعون^١) أى لأمرهم ما تقصر
عنه عقولكم من صفات معبودكم و دينكم و دنياكم [و معادكم - ^١] ،
و أدلكم على اجتلاب آداب تهديكم ، و اجتناب شبهة تردكم ، ففى ١٠
طاعنى ، فلا حكم يرضى الملك عنكم ، وهذا هو الإسلام^٢ ، فقد جمع هذا
الدعاء^٣ الإيمان و الإسلام^٢ و العمل ، و هى الأتاني التى تدور عليها
أسباب الفلاح .

و لما كان الإنسان محل نقصان ، فلا ينفك عن ذنب فلا^٤ ينفعه
إلا فناء الكرم ، أشار إلى ذلك مرغبا مستعطفا لهم لئلا يأسوا فيهلكوا ١٥
بقوله جوابا للأمر : (يغفر لكم) أى كرما منه^٥ و إحسانا و لطفًا .
و لما كان من الذنوب ما لا يتحتم غفرانه و هو ما بعد الإسلام

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : هذا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
لحذفناه (٣-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الإسلام و الإيمان (٤) من ظ و م ،
و فى الأصل : لا (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ و م .

[قال - ١] : (من ذنوبكم) أي ما تقدم الإيمان من الشرك والعصيان
وما تأخر / عن الإيمان من الصغار السيئ تفضل الله بالوعد بتكفيرها
باجتناب الكبائر - هذا مما^٢ أوجه سبحانه على نفسه المقدس بالوعد الذي
لا يدل ، وأما غيره مما عدا الشرك فإلى مشيئته سبحانه .

٥ ولما كان الإنسان ، لما يغلب عليه من النسيان ، والاشتغال بالآمال ،
يعرض عن الموت لإعراض الشاك فيه بل المكذب [به - ١] ذكرهم
ترهيباً لهم لطفاً بهم ليستحضروا أنهم في القبضة فيزعموا بما يغضبه سبحانه ،
فقال مشيراً إلى أن طول العمر في المعصية - وإن كان مع رغد العيش -
عدم ، مهدداً^٢ بأنه قادر على الإهلاك في كل حين : (و يؤخركم) أي
١٠ تأخيراً ينفعكم ، وأعلم أن الأمور كلها قد قدرت^٣ و فرغ من ضبطها
لإحاطة العلم والقدرة فلا يزداد فيها ولا ينقص ، ليعلم أن الإرسال
إما هو مظهر لما في الكيان^٤ ولا يظن أنه قالب للآليات بتغيير ما سبق
به القضاء من الطاعة أو^٥ العصيان فقال : (إلى أجل مسمى) أي
قد سماه^٦ الله [و علمه - ١] قبل إيجادكم فلا يزداد فيه ولا ينقص
١٥ منه ، فيكون موتكم على العادة^٧ متفرقا وإلا أخذكم جميعاً بعذاب
الاستئصال ، فهذا من علم ما لا يكون لو كان كيف [كان - ١]

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : ما (٣) من ظ و م ، وفي
الأصل : مهدد (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : تقدرت (٥) من ظ و م ، وفي
الأصل : العيان (٦) من م ، وفي الأصل و ظ « و » (٧) من ظ و م ، وفي
الأصل : مسمى (٨) من ظ و م ؛ وفي الأصل : عادة .

يكون، [و - '] ذلك أنه علم أنهم إن أطاعوا نوحا عليه السلام كان موتهم على العادة و إلا هلكوا هلاك نفس واحدة، وعلم أنهم لا يطيعونه، وأن موتهم إنما يكون بعذاب^٢ الاستئصال .

ولما كان الإنسان مجبولا على الأَطَاعِ الفارغة، فكان ربما قال للتعنت أو غيره: لم لا يخلدنا؟ قال فطما عن ذلك مؤكدا لا قضاء المقام^٥ له: ﴿ ان اجل الله ﴾ [أى - '] الذى له الكمال كله فلا راد لامره ﴿ اذا جاء لا يؤخر ﴾ وأما قبل مجيئه فربما يقع الدعاء و^٢ الطاعات والبر في البركة فيه بمنع الشواغل وإطابة الحياة، فبادروا بحج^٥ الأجل بالإيمان لأنه إذا جاء لم يمكنكم التدارك، ولا ينفعكم بعد البيان الإيمان .

ولما كان من يعلم هذا يقينا، ويعلم أنه [إذا - '] كشف^{١٠} له عند الفرغة أحب أن يؤخر ليتوب حين لا تأخير، أحسن العمل خوفا من فوات وقته وتحتم مقته، به على ذلك بقوله: ﴿ لو كنتم تعلمون^٥ ﴾ أى لو كان العلم أو تجددده وقتا ما في غرائزكم لعلمتم تنبيه رسولكم صلى الله عليه وسلم أن الله يفعل ما يشاء، وأن الأجل [أت - '] لا محالة فعملتم للنجاة، ولكنكم تعملون^٥ في الانهماك في الشهوات عمل^{١٥} الشاك في الموت .

ولما كان صلى الله عليه وسلم أطول الأنبياء عمرا، و [كان - ']

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: بعد (م) من ظ و م، وفي الأصل: في (٤) من ظ و م، وفي الأصل: محل (٥) من ظ و م، وفي الأصل: تعلمون .

قد طال نصحه لهم^١ و بلاؤه بهم، نبه على ذلك بقوله مستأقفا:
 ﴿ قال ﴾ ناديا لمن أرسله لأنه تحقق أن لا قريب منه غيره، وأسقط
 أداة النداء كما هي عادة أهل القرب فقال: / ﴿ رب ﴾ ولما كانت العادة
 جارية بأن التكرار لا بد أن يؤثر ولو قليلا، فكانت مخالفتهم لذلك بما
 هو أهل لأن يشك فيه، قال مؤكدا إظهارا لتحسره و حرقة عليه
 الصلاة والسلام منهم في تماديهم في إصرارهم على التكذيب شكاية
 لحاله إلى الله تعالى واستنصارا^٢ به واستمطارا للتنبيه على ما يفعل
 بعد بذله الجهد و تنبيهها لمن يقص به^٣ عليهم هذا وإن كان المخاطب
 سبحانه عالما بالسر و أخفى: ﴿ انى دعوت ﴾ أى أوقعت الدعاء إلى الله
 سبحانه و تعالى بالحكمة و الموعظة الحسنة ﴿ قومي ﴾ أى الذين هم
 جديرون باجابتى لمعرفتهم بى و قريبهم منى و فيهم قوة المحاولة
 لما يريدون^٤.

ولما كان قد عم جميع الاوقات بالدعاء قال: ﴿ ليلا و نهارا ﴾
 فغير بهذا عن المداومة.

١٥ ولما تسبب عن ذلك ضد المراد قال: ﴿ فلم يزدكم دعاءى ﴾ أى
 شيئا من أحوالهم التى كانوا عليها ﴿ الا فرارا ه ﴾ أى بعدا عنك و فقورا
 و بغضا^٥ و إعراضا حتى كأنهم حمر مستفزة فرت من قسورة، و أسند

(١) من ظ و م، وفى الأصل: لقومه (٢) من ظ و م، وفى الأصل:
 استنصار (٣) سقط من م (٤) زيد فى الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ
 و م لحذفها (٥-هـ) سقط ما بين الرقبن من ظ و م.

الزيادة إلى ' الدعاء لأنه سيها .

- و لما كان الفرار مجازا عن رد كلامه ، عطف عليه ما بينه ، فقال مؤكدا لأن إعراضهم مع هذا الدعاء الطويل بما لا يكاد يصدق :
- (و انى كلما) على تكرار الاوقات و تعاقب الساعات (دعوتهم)
- أى إلى الإقبال عليك بالإيمان [بك - ٢] و الإخلاص لك . ٥
- و لما كان إعراضهم عما ينفعهم أقبح ، ذكر ما يتسبب ٢ عن الإجابة بالإيمان فقال : (لتغفر لهم) أى ليؤمنوا فتمحو ما فرطوا فيه .
- [فى - ١] حثك فافرطوا لأجله فى التجاوز فى الحدود محو بالغيا فلا
- [يبق - ٢] لشيء من ذلك عينا ١ و لا أثرا حتى لا تعاقبهم عليه
- ولا تعاتبهم (جعلوا) أى ٢ فى كل دعاء ، و دل على مبالغتهم فى التصامم ١٠
- بالتعبير بالمثل عن البعض فقال : (اصابهم) كراهة له و احتقارا
- للداعى (فى اذانهم) حقيقة لثلا يسمعون الدعاء إشارة إلى أنا لا نزيد
- أن نسمع ذلك منك ، فان آيت إلا الدعاء فانا لا نسمع لسد أسماعتنا ،
- ودلوا على الإفراط فى كراهة الدعاء ٦ بما ترجم عنه قوله :
- (واستغشوا ثيابهم) أى أوجدوا التغطية لرؤسهم بثيابهم إيجاد ١٥
- من هو طالب لذلك شديد الرغبة فيه حتى يجمعوا بين ما يمنع السماع

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : عن (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ،
 وفى الأصل : تسبب (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : عين (٥) سقط من ظ و م .
 (٦) فى الأصل بياض ملتهاء من ظ و م (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : اتخاذ .

لكلامه و النظر إليه اظهارا لكرامته و كرامته كلامه^١، و هكذا حال
 النصحاء مع من يصحونه دائما ﴿ و اصروا ﴾ أى داموا على سوء
 أعمالهم دواما م^٢ فى غاية الإقبال^٣ عليه، من أصر الحمار على العانة - إذا
 صر أذنبه و أقبل عليها^٤ يطردها و يكدمها، استعير للإقبال على
 المعاصى و ملازمتها لأنه يكون بغاية^٥ الرغبة كأن فاعله حمار وحش
 قد ثارت شهوته ﴿ و استكبروا ﴾ أى أوجدوا الكبر طالبين له راغبين
 فيه، و أكد ذلك بقوله: ﴿ استكبارا^٦ ﴾ تنبيها / على أن فعلهم منابذ
 للحكمة، فكان مما^٧ ينبغي أن لا يفعلوه^٨ فهو مما^٩ لا يكاد يصدق لذلك،
 و قد نادت هذه الآيات بالتصريح فى غير موضع بأنهم عصوا نوحا
 ١٠ عليه الصلاة والسلام و خالفوه مخالفة لا^{١٠} أقبح منها ظاهرا بتعطيل
 الإسماع و الأبصار، و باطنا بالإصرار^{١١} و الاستكبار و لم يوافقوه بقول
 و لا فعل، فلنسة الله عليهم و على من يقول: إنهم وافقوه بالفعل^{١٢}،
 لأنه دعاهم للغفرة و قد " غطوا وجوههم "، و التغطية هى الغفر

/ ٥٢٢

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لكلامه (٢) زيد فى الأصل: فيه، و لم تكن
 الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣) تكرر فى الأصل فقط (٤) من ظ و م، و فى
 الأصل: عليه (٥) من ظ و م، و فى الأصل: فى غاية (٦-٧) من ظ و م،
 و فى الأصل: لا ينبغي أن يفعلوه (٧) من ظ و م، و فى الأصل: ما (٨) زيد
 فى الأصل: مخالفة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٩) زيد فى الأصل:
 والنجر، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (١٠) من ظ و م، و فى الأصل:
 فى الفعل (١١-١٢) من ظ و م، و فى الأصل: عطوهم.

ونحو ذلك من الخرافات التي 'لو سمعها أسخف' عباد الحجارة الذين لا أسخف منهم لمزأوا بقائلها ، وما قال هذا القائل ذلك إلا تحريفاً لكتاب الله بنحو تحريف الباطنية الذين أجمعت الأمة على تكفيرهم لذلك التحريف ، ولعنة الله على من يشك في كفر من يحرف هذا التحريف أو يتوقف في لعنة ، وهم الاتحادية الذين مرقوا بين الدين في آخره الرومان ، ومن أكابره الحلّاج وابن عربي - وابن الفارض - وتبعهم على مثل هذا الهداية أسخف الناس عقولاً " أن هم إلا كالإنعام بل هم اضلّ سبيلاً " ولقد أخبرني الإمام العلامة برهان الدين [إبراهيم -^٢] ابن أبي شريف القديسي الشافعي الثبت النحرير عن بعض من يتعصب لهم في هذا الزمان ، وهو من أعيان المدرسين بالقاهرة ، أنه قال ١٠ [له -^١] : ما حملني على انتقادي لابن الفارض إلا أني رأيت كلامه التائي له متناقضاً ، فتارة يفهم منها الحلول وتارة الاتحاد ، وهو عندي يحاشي عن ذلك ، فعلمت أن هؤلاء القوم اصطلاحاً نسبتاً منه نسبة التباين إذا سمعوا النحوى يقول : الفاعل مرفوع ، فانهم يضحكون منه ، ولو فهمنا اصطلاحهم لم نعترض -^١ هذا معنى^١ ما نقل عنه وهو ١٥ ما لا يرضاه ذو مسكة ، وهو شيء بما نقل المسعودي في أوائل مروج الذهب عن بعض من اتهم بعقل و علم من النصاري في زمن أحمد بن

(١-١) من ظ و م ، وفي الأصل : لم يسمعها استخفا (٢) زيد من ظ و معجم المؤلفين ١ / ٣٨ (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : تعصب (٤) زيد من ظ و م . (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : اليه (٦-٦) من ظ و م ، وفي الأصل : لهذا المعنى .

طولون، فاخبره فوجده في^١ العلم كما وصف، فسأله عن سبب ثباته
 على النصرانية مع علمه قتل^٢: السبب تناقضها مع أنه دان بها ملوك
 متكبرون و علماء متبحرون و رهبان عن الدنيا معرضون [و - ٢]
 مدبرون، فعلت أنه ما جمع هؤلاء الاصناف على الدينونة بها مع
 ٥ تناقضها إلا أمر عظيم اضطرم لذلك، فدنت بها، فقال له: اذهب في
 لعنة الله فلقد ضيعت كل عقل وصفت، ولقد والله صدق في الامر
 العظيم الذي حملهم على ذلك، و هو القضاء و القدر الذي [حل - ٢]
 كل أحد منهم على إلقاء نفسه في نار جهنم باختياره بل برغبته في ذلك
 و مقاتلة من يصده عن ذلك، و ذلك أدل دليل على تمام علم الله
 ١٠ و قدرته و أنه واحد لا شريك له و لا معقب لحكمه، و في هذا تصديق
 قول النبي صلى الله عليه و سلم: *لَتُبْعَنَ / سَنَنُ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشَبْرٍ*
 و ذراعًا بذراع، و هم أهل الكتاب، و قد أشبعت القول في هذا
 في كتابي "المعارض" في تكفير ابن الفارض، الذي بينت فيه عوارهم،
 و أظهرت^٣ عارهم، و كذا كتابي "صواب الجواب للسائل [المرتاب - ٨]"
 ١٥ و "تدمير المعارض في تكفير ابن الفارض" و لم أبق على شيء من ذلك

/ ٥٢٣

(١) من ظ و م، وفي الأصل: من (٢) زيد في الأصل: في، و لم تكن الزيادة
 في ظ و م لحذفناها (٣) زيد من م (٤) زيد في الأصل: هذا، و لم تكن الزيادة
 في ظ و م لحذفناها (٥ - ٥) من ظ و م، وفي الأصل: فيه (٦) من م، وفي
 الأصل و ظ: الفرائض (٧) زيد في الأصل: فيه، و لم تكن الزيادة في ظ و م
 لحذفناها (٨) زيد من ظ و م.

شيئا من لبس - ' والله الحمد ' .

ولما ذكر دعاءه في جميع الاوقات مع إعراضهم ، و كان هذا
مؤيسا وموجبا للاقلاع عن الدعاء ، وإن وجد الدعاء بعده فهو في
غاية البعد منه على إيجاده مع الاستغراق به لجميع ^٢ الحالات كما استغرق
جميع الاوقات ، فعبّر بأداة التراخي للدلالة على تباعد الاحوال فقال : هـ
(ثم) وأكد لنحو ما مضى من أن تجرد إقبالهم على دعائهم بعد
ذلك لا يكاد يصدق فضلا عن الإكثار منه فقال : (انى دعوتهم)
[أى - ^٢] إلى الإيمان ومنازمة الشيطان .

ولما كان الجهر أحد نوعى الدعاء ، نصبه [به - ^٢] نصب المصدر
فقال : (جهارا) أى مكاشفة مع نخامة الصوت و التعميم لجماعتهم ١٠
جليلهم وحقيرهم والإخلاص ^٤ فى ذلك ^٤ و المداومة ^٥ له - ^٢] حتى
كاد بصرى بكل من شدة التحديق إليهم و الإقبال عليهم من غير
احتجاب عنهم ولا ارتقاب منهم بل مباغثة ، و كروت ذلك عليهم
حتى أخرجت [ما عندهم - ^٢] من الجواب ، ولم أكف عند سد
آذانهم واستغشائهم ثيابهم * .

١٥

ولما كان الجهر قد لا يشيع ولا ينشر فى جماعاتهم ، قال مشيرا
إلى أنه أذاع ذلك ، و أكد للإشارة إلى ما فيه من الشدة فقال :
(ثم انى أعلنت) أى أظهرت و أشعت و شهرت ليعلموا أنه الحق

(١-) من ظ وم ، وفى الأصل : الحمد (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : جميع .
(٣) زيد من ظ وم (٤ - ٤) من ظ م ، وفى الأصل : له (٥) من ظ وم ،
وفى الأصل : بثيابهم .

من ربهم لكوني^١ لست مستحيا منه ولا مستهنا له (لهم) اي
 "خصصتهم بذلك، لم يكن لي فيه حظ نفس بوجه فاني^٢ كررت ذلك
 عليهم بعد أن سقط الوجوب عني، ولما قدم الجهر لانه أقرب إلى
 عدم الاتهام، وكان السر أجدر بمعركة الضمائر وأقرب إلى الاستمالة،
 ه أتبعه به فقال: (واسررت لهم) أي دعوت كل واحد منهم على
 انفراده ليكون أدعى له وأجدر بقبوله^٣ النصيحة، وأدل على الإخلاص،
 وكل ذلك ما فعلته إلا لأجل نصيحتهم، لاحظ لي أنا^٤ في ذلك^٥،
 ولما كان تحين الإنسان [ليكون - ^٦] وحده ليس عنده أحد ولا
 [هو - ^٧] مشتغل بصارف عما يعسر جدا فلا يكاد يصدق أكده فقال:
 ١٠ (أسراريا) وليدل بتأكيد على تأكيد ما قبله من الأفعال، والظاهر
 من حاله^٨ ومن هذا الترتيب بما صرح^٩ به من الاجتهاد أنه سار فيه
 على مقتضى الحكمة، فدعا أولا أقرب الناس إليه وأشدّهم به إلها، ثم
 انتقل إلى من بعدهم حتى عمهم الدعاء، وكانت هذه الدعوة سرا كل^{١٠}
 واحد منهم على حدته ليعلموا نصحه ولا يحمل احد منهم ذلك على
 ١٥ تبكيت ولا تفرّيع، فلا يكون في دعائه ما يكون سببا لانتفاة أحد
 منهم، فلبا أطبقوا على الإعراض جهرا^{١١} ليعلموا أنه ملجأ من الله

- (١) من ظ و م، وفي الأصل: لكونه (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ .
 (٣) من ظ و م، وفي الأصل: بقبول (٤-٤) من ظ و م، وفي الأصل: فيه.
 (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد في الأصل: انتهى، ولم تكن الزيادة في ظ و م
 لخذفها (٧) من ظ، وفي الأصل و م: يصرح (٨) من ظ و م، وفي الأصل: في.
 (٩) من ظ و م، وفي الأصل: جهرا .

٥٢٤ /

إلى ذلك ، و انها عزمة إن قصروا / فيها عن الإجابة عوقبوا ، فلما اصرروا
جمع بين السر و العلن ، فلما تهادوا و طال الآذى شكى ، و على هذا
' فتم بعد الترتيب ' لا للترتيب فى الزمان ، و يمكن كونها للترتيب لأن
الجمهور أبعد عن ' الاتهام ثم الإعلان بعده أزيد بعدا .

ولما أخبر بأنه بالغ فى الدعوة إلى حد لا مزيد عليه ، فلم يدع ٥
من الاوقات و لا من الاحوال شيئا ، سبب عنه بيان ما قال فى دعوته
و هو التسبب ٢ فى السعادة كلها بدفع المضار و جلب المسار ، فقال
مقدما لطلب الغفران بالتوبة عن الكفر ليظهروا فيكونوا قابلين للتخلىة
بالحاسن الدينية بعد التخلىة عن الاخلاق الدنية : ﴿ فقلت ﴾ أى فى
دعائى لهم : ﴿ استغفروا ربكم ﴾ أى اطلبوا من المحسن إليكم ، المبدع ١٠
لكم ، المدير لأموركم ، أن يمحو ذنوبكم أعيانها و آثارها ، بالرجوع عن
عبادة غيره إلى الإخلاص فى عبادته .

ولما ذكر أنه استعطفهم أولا ببيان أن رجوعهم ممكن ، اثلا
يقولوا : إنا قد بالغنا فى المعاصى فلا تقبل ، و أعلمهم أن الاستغفار
باب الدخول إلى طاعة الجبار ، أكد ذلك الاستعطاف بقوله معللا ١٥
للأمر و لجوابه بنحو : يغفر لكم ، مؤكدا لاجل توقفهم : ﴿ انه كان ﴾
[أى - '] ازلا و أبدا و دائما سرمدا ﴿ غفارا ﴾ أى متصفا بصفة

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : بعد الترتيب (٢) فى م : من (٣) من ظ و م ،
وفى الاصل : السبب (٤) زيد من ظ و م .

الستر على من رجع إليه على أبلغ الوجوه وأعلاها، وإذا وقع الغفران دفع المضار كلها .

ولما قرر أمر التوبة وبين قبولها وقدمه اهتماما به لأنه أصل ما يتنى عليه، ولأن التخلي قبل التحلي، ودرء^١ المفاسد قبل جلب المصالح والفوائد، رغب فيها بما يكون عنها من الزيادة في الإحسان على أصل القبول، وينشأ عن الاستغفار من الآثار الكبار من الأفضال بحلب المسار بما هو مثال للجنة التي كان سبب الإخراج منها النسيان لأنهم أحب شيء في الأرباح الحاضرة والفوائد العاجلة لاسيما بما يبهج النفوس و يشرح الصدور لإذهابه^٢ البؤس، فقال مجييا لفعل الأمر :

١٠ ﴿ يرسل السماء ﴾ أى المظلة الخضراء أو السحاب أو المطر ﴿ عليكم ﴾ أى بالمطر وأنواع^٣ البركات ﴿ مدرارا لا ﴾ أى حال كونها كثيرة الدورور متكررته، وهذا البناء يستوى فيه المذكر والمؤنث ﴿ ويمدكم ﴾ [أظهر^٤] لأن الموضع لإرادة المبالغة والبسط والسعة ﴿ بأموال وبنين ﴾ وذلك يفهم أن من أكثر الاستغفار جباه الله ما يسره، وحامه

١٥ ما يضره ﴿ ويجعل لكم ﴾ أى فى الدارين ﴿ جنت ﴾ أى بساتين عظيمة، وأعاد العامل للتأكيد والبسط لأن المقام له فقال :

﴿ ويجعل لكم أنهارا^٥ ﴾ يخصكم بذلك عن لم يفعل ذلك، فان من

(١) من ظ وم، وفى الأصل : رد (٢) من ظ وم، وفى الأصل : لاذهاب .

(٣) زيد فى الأصل : المطر، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فخذفناها (٤) زيد من ظ .

٥٢٥ /

لزم الاستغفار جعل / الله له من كل هم مرجا، و من كل ضيق مخرجا،
 روى^١ أن عمر رضى الله عنه استسقى فلم يزد على الاستغفار فلما نزل
 قيل: يا امير المؤمنين! ما رأيك^٢ استسقيت؟ فقال: لقد طلبت الغيث
 بمجاديع السماء التي بها يستزل القطر، ثم قرأ هذه الآية، و قال القشيري:
 من وقعت له إلى الله حاجة فلن يصل إلى مراده إلا بتقديم الاستغفار، ه
 و قال: إن عمل قوم نوح كان بضد ذلك، كلما ازداد نوح في الضمان
 و وجوه الخير و الإحسان ازدادوا في الكفر و النسيان .

ولما كان من رجا ملكا عمل بما يرضيه، و من خافه تجنب
 ما يسخطه، نبههم على ذلك بالإشارة إلى الجلال الموجب للتوقير و الجلال
 بالإحسان إلى الخلق، مصرحا لهم بالترغيب ملوحا إلى الترهيب، فقال ١٠
 مستأنفا في جواب من يقول منهم: هل بقي شيء من قولك؟: ﴿ ما ﴾
 أى أى شيء يحصل ﴿ لكم ﴾ حال كونكم ﴿ لا ترجون ﴾ أى تكونون
 في وقت من الأوقات على حال تؤملون بها، و بين فاعل الوقار
 و مبدعه بتقديمه، فانه لو أخره لكان لـ « وقارا » فقال: ﴿ الله ﴾ أى
 الملك الذى له الأمر كله ﴿ وقارا ع ﴾ أى ثوبا يوقركم فيه و لو قل، ١٥
 فان قليله أكثر من كثير غيره، و لا تخافون له إهانة بالعقاب بأن تعلموا
 أنه لا بد من أن يحاسبكم بعد البعث فيثيب الطائع و يعاقب العاصي،

(١) رواه ابن سعد في الطبقات ٣ / ١ / ٢٣١ (٦) جاءت العبارة هنا مطموسة في
 فانسجناها من ظ .

كما هي عادة كل أحد مع من تحت يده، فتوقروا رسله بتصديقهم
فتؤمنوا و تعملوا، فإن من أراد من أحد أنه يقره وقره وعظمه
ليجاريه على ذلك، فإن الجزاء من جنس العمل، وذلك إنما يكون
بمعرفة الله بما له من الجلال والجمال، والخلق إنما تفاضلوا بالمعرفة بالله،
٥ لا بالأعمال، إنما سبق أبو بكر رضى الله عنه الناس بشيء وقر في صدره،
فان بالمعرفة تزكو الأعمال وتصلح الأقوال، و إنما يصح تعظيمه سبحانه
بأن لا ترى لك عليه حقا، ولا تنازع له اختيارا، و تعظم أمره
ونفيه، بعدم المعارضه بترخيص جاف أو تشديد غال أو حمل على توم'
الانقياد، و تعظم حكمه^٢ بأن لا تبغى^٣ له عوجا ولا تدافعه بعلم، ولا
١٠ ينبغي له غرض^٤ و علة، ولاجل أن المطلوب تحصيل الأعمال^٥ التي
هي أسباب ظاهرية، عبر بالرجاء ليسرهم بأن أعمالهم مؤثرة، و عبر
بالطمع في غير هذه الآية [تنبيها - ٦] على أنه لا سبب في الحقيقة
إلا رحمة الله لحال دعا إلى ذلك .

ولما كان هذا إشارة إلى الاستدلال على البعث بما يعلمونه من
١٥ أنفسهم صرح بعد ما لوح، فقال آتيا بحرف التوقع لأنه مقامه : (وقد)
أى و الحال أنه قد أحسن إليكم مرة بعد مرة بما لا يقدر عليه غيره،
فدل ذلك على تمام قدرته، ثم لم يقطع إحسانه عنكم فاستحق أن تؤمنوا

(١) من م، وفى ظ : توهن (٢) من م، وفى ظ : لحكه (٣) من م،
وفى ظ : لا تنفى (٤) من م، وفى ظ : عوضا (٥) من م، وفى ظ : اعمال .
(٦) زيد من م .

به لأنه " هل جزاء الاحسان إلا الاحسان " ورجاء لدوام إحسانه
 وخوفا من قطعه لأنه (خلقكم) أى أوجدكم من العدم مقدرين
 (أطواراه) أى تارات عناصر أولا ثم مركبات تغذى الحيوان ثم
 أخلاطا ثم نطقا^١ ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما و لحوما وأعصابا و دما،
 ثم خلقا آخر^٢ تاما ناطقا ذكرانا^٣ إناثا طوالا و قصارا يضا و سودا ه
 و بين ذلك -^٤ إلى غير ذلك^٥ من الأمور الدالة على قدرته على كل مقدور،
 [و -^٦] من قدر على هذا ابتداء كان على الإعادة أعظم قدرة، و قد
 ثبتت حكمته و أنه لم يخلق الخلق سدى بما بان من هذا التطوير على
 هذه^٧ الهيئات العجيبة التى لا قدرة لغيره عليها بوجه، و هم يتهارجون فى
 هذه الدار تهارج الحر^٨، و يموت المظلوم على حاله، و الظالم يبلغ آماله، ١٠
 فلا بد أن يعيدهم ليفصل بينهم فيظهر حكمته و عدله و إكرامه و فضله،
 و لو ترك ذلك لكان نقصا فى ملكه، و من قدر على ذلك كان قادرا
 على الجزاء بالثواب و العقاب. فهو أهل لأن يخشى و يرجى .

و لما كان هذا [واضحاً -^٩] و لكنهم قوم لد، لا يردم إلا الشمس
 المنيرة فى وقت الظهيرة، ذكرهم - بعد التذكير^{١٠} بما فى أنفسهم - بما هو ١٥
 أكبر من ذلك من آيات الآفاق و قسمها إلى علوى و سفلى، و بدأ

(١) و من هنا نثبت نسخة الأصل (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: مامر
 ذاكر ا ناطقا - كذا (٣-٣) - قط ما بين الرقین من ظ (٤) زيد من ظ و م .
 (٥) من ظ و م، و فى الأصل: هذا (٦) من ظ و م، و فى الأصل: المهجر .
 (٧) من ظ و م، و فى الأصل: التفكير .

بالأنفس لأنها مع شرفها أقرب منظور إليه لهم ، وثنى بالعلوى لأنه
يلبها في الشرف و وضوح الآيات ، فقال : [دالا - ١] على القدرة على
إبعث و الجزاء بالنواب و العقاب : ﴿ الم تروا ﴾ أى أيها القوم .

و لما كان تأمل الكيفيات [يحتاج - ١] إلى دقة و توقف على ٢
عجائب و لطائف تؤذن قطعا بأن ٣ فاعلمها لا يعجزه شيء ، قال منكرا
عليهم عدم التأمل : ﴿ كيف خلق الله ﴾ أى الذى له العلم التام و القدرة
البالغة و العظمة الكاملة ﴿ سبع سنوت ﴾ هى فى غاية العلو و السعة
و الإحكام و الزينة ، يعرف كونها [سبعا - ١] بما فيها من الزينة .

و لما كانت المطابقة بين المتقابلات ٤ فى غاية الصعوبة لا يكاد
١٠ يقدر عليها من جميع الوجوه أحد ، قال : ﴿ طباقا لا ﴾ أى متطابقة
بعضها فوق بعض و كل واحدة فى التى تليها محيطة بها ، ما لها من
فروج ، لا يكون تمام المطابقة إلا كذلك بالإحاطة من كل جانب .

و لما كان المحيط لا يتوصل إلى داخله إلا محيط ٥ العلم و القدرة ،
قال دالا على كمال ٦ قدرته و ٦ تصرفه معبرا بالجمل الذى يكون عن
١٥ تصير و تسيب : ﴿ و جعل القمر ﴾ أى الذى ترونه و هو فى السماء
الدنيا ، وبدأ به لقربه و سرعة حركته و قطعه جميع البروج فى كل
شهر مرة و غيبته فى ليلالى السرار ثم ظهوره ، و ذلك أعجب
فى القدرة .

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل « و » (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : فان (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : المقابلات (٥) من ظ و م ،
وفى الأصل : بمحيط (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ و م .

ولما كانت السماء شفافات قال : ﴿ فيهن ﴾ أى السماوات جميعهن
 ﴿ نورا ﴾ أى لا معا منتشرا كاشفا^١ للرئيات ، أحد وجهيه يضىء لأهل
 الأرض والثانى لأهل السماوات ، ولما كان نوره مستفادا^٢ من نور الشمس
 قال : ﴿ وجعل ﴾ معظما لها باعادة العامل ﴿ الشمس ﴾ أى فى السماء
 الرابعة ﴿ سراجا ﴾ / أى نورا عظيما كاشفا لظلمة الليل عن وجه الأرض ٥ / ٥٢٧
 وهى فى السماء الرابعة ، وروى ابن مردويه و عبد الرزاق والطبرى^٣
 عن ابن عباس و عبد الله بن عمرو^٤ رضى الله عنهم : ان الشمس والقمر
 وجوههما مما يلى السماء ، وأقفيتهما إلى الأرض ؛ وروى الحاكم^٥ منه ذكر
 القمر . وجعلها سبحانه آية على رؤية عباده المحسنين له فى الجنة فانه
 يرى كل أحد [كلا - ٦] من مكانه مخليا به^٦ ، وكذلك يرويه سبحانه ١٠
 عيانا جهارا كما رآوه فى الدنيا بالإيمان نظرا واعتبارا ، ولما^٧ دل على
 كمال علمه وتام قدرته بخلق الإنسان ثم بخلق ما هو أكبر منه أعاد
 الدلالة بخلق الإنسان لأنه أعظم المحدثات وأدناها على الله سبحانه وتعالى
 على وجه آخر مبين لبعض ما أشار إليه [الأول - ٦] من التفصيل^٨

 (١) من ظ و م ، وفى الأصل : كاشفات (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
 مستمدا (٣) راجع تسييره ٢٩ / ٥٣ (٤) من ظ و م : وقسير الطبرى ، وفى
 الأصل : عمر (٥) راجع المستدرك ٢ / ٥٠٢ (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ
 و م ، وفى الأصل : له (٨) زيد فى الأصل : ثم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
 لحذفها (٩) من م ، وفى الأصل و ظ : التفعيل .

مصرحا بالبعث فقال مستعيرا الإنبات للانشاء: ﴿ والله ﴾ اى الملك الاعظم الذى له الامر كله ﴿ انبتكم ﴾ اى بخلق أيكم [آدم - ٢] عليه الصلاة والسلام ﴿ من الارض ﴾ اى كما ينبت الزرع ، و عبر بذلك تذكيرا لنا لما كان من خلق أينما آدم عليه الصلاة والسلام لانه ٥ أدل على الحدوث والتكون من الارض ، و اشار ٢ الى أنه جعل غذاءنا من الارض التى خلقنا منها ، و بذلك الغذاء نمونا .

و لما كان إنكارهم للبعث كأنه إنكار ٤ للابتداء اكده بالمصدر وأجراه على غير فعله بتجريده من الزيادة ، إشارة إلى هوانه عليه سبحانه وتعالى و سهولته مع أنه إبداع و ابتداء و اختراع فقال : ﴿ نباتا ٥ ﴾ ١٠ و مع ذلك فالآية صالحة للاحتباك : ذكر و أنبت ، أولا دال على حذف مصدره ثانيا ، و ذكر " النبات " ثانيا دال على حذف فعله أولا ، ليكون التقدير : أنبتكم إنباتا فنبتم نباتا .

و لما كان فى الموت أيضا ٦ دليل على تمام العلم و القدرة غير أنه ليس كدلالة الابتداء بالابتداء ١ ، و كان مسلما ليس فيه نزاع ، ذكره ١٥ من غير تأكيد بالمصدر فقال دالا على البعث و النشور : ﴿ ثم يعيدكم ﴾ على التدريج ﴿ فيها ﴾ اى الارض بالموت و الإقبار و إن طالت ٧

- (١) من ظ و م ، والأصل : للانشقان (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل : به ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لغزافها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : انكارا .
(٥) من ظ و م ، وفى الأصل : أولا (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : بالابتداء .
(٧) من ظ و م ، وفى الأصل : طال .

الآجال (و يخرجكم) أى فيها بالإعادة ، و أكد بالمصدر الجارى على الفعل إشارة إلى شدة العناية به و تحميم وقوعه لإنكارهم له ^١ فقال :
 (اخراجا) أى غريبا ليس هو كما تعلمون بل تكونون ^٢ به فى غاية ما يكون ^٣ من الحياة الباقية ، تلبس أرواحكم بها أجسامكم ملابسة لا اضمحالك بعدها لاحدهما عن الآخر .

٥

ولما كان النابت من الفهم لا يتصرف فى ذلك الشيء ، دل على كمال قدرته بخرق تلك المادة لهم على أوجه الإنعام عليهم ، فقال مظهرا للاسم الشريف مرة بعد أخرى تعظيما للآدلة و ثلثا تقيد ^٤ القدرة بما يقترن به الاسم دالا بالعالم المفضل بعد الإرشاد بالعلوى و آخر السفلى لأن آياته على ظهورها خفيت بكثرة الإلف لها : (والله) ١٠

أى المستجمع لجميع الجلال و الإكرام (جعل / لكم) أى نعمة عليكم اهتماما بأمركم (الارض بساطا) أى [سهل - ^٥] طينكم ^٦ التصرف فيها و التقلب عليها سهولة التصرف فى البساط ، ثم علل ذلك فقال :
 (تسلكوا) أى متبعدين (منها) أى ^٧ الارض [مجددين لذلك - ^٨]
 (سبلا) أى طرقا ^٩ واضحة مسلوكة بكثرة (لجأجا) أى ذوات اتساع ١٥

- (١) من ظ وم ، وفى الأصل : به (٢) من ظ م ، وفى الأصل وظ : يكونون .
 (٣) زيد فى الأصل : به ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لخذفناها (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : خضعت (٥) زيد من ظ وم (٦) من ظ وم ، وفى الأصل : عليه (٧) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لخذفناها (٨) زيد من م (٩) من ظ وم ، وفى الأصل : طريقا .

لتوصلوا إلى البلاد الشاسعة برا وبحرا، فيعم الانتفاع بجميع البقاع،
فالذى قدر على إحداثكم^١ وأقدركم على التصرف [فى أصلكم مع ضعفكم
قادر على إخراجكم من أجدانكم^٢] التى لم تزل طوع أمره و محل
عظمته وقهره .

٥ ولما كانوا قد جادلوه عليه الصلاة والسلام بهذا اليلال الذى
لا يشك فى دلالة على المراد من تحقق لصفاء الإيقان، فأكثروا الجدل
ونسيوه إلى الضلال وعصوه أقبح العصيان وقابلوه بأشنع^٣ الأقوال
والأفعال^٤، طوى ذلك مشيرا إليه بقوله مستأنفا: (قال نوح) أى
بعد رفقته بهم ولينه لهم شاكيا منهم: (رب) أى ايها المحسن إلى
المذنبين المتولى لجميع أمورى .

٦ ولما كان الضعفاء أكثر الناس بحيث إذا اجتمعوا دل^٥ الرؤس
الأقوياء بالأموال والأولاد وكانوا كأنهم الكل، فقال مؤكدا لأن
عصيانهم له بعد ذلك مما يبعد وقوعه: (انهم) أى قومي الذين
دعوتهم إليك مع صبرى عليهم ألف سنة إلا خمسين عاما (عصوني)

١٥ أى فيما أمرتهم به و دعوتهم إليه فأبوا أن يجيبوا دعوتى و شردوا عني
أشد شرا و خالفوني أقبح مخالفة (و اتبعوا) أى بغاية جهدهم نظرا

(١) زيد فى الأصل: و اوجدكم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

(٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، وفى الأصل: الأفعال والأقوال .

(٤) زيد فى الأصل: بقوله، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٥) زيدت

الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م لحذفها (٦) من ظ و م، وفى الأصل: اول .

إلى المظنون العاجل بعد^١ ترك المحقق عاجلا و آجلا ﴿ من ﴾ أى
[من -^٢] رؤسائهم البطرين بأمواهم المغترين^٣ بولدائهم^٤ ، و قسرم^٥
بقوله : ﴿ لم^٦ يذه ﴾ أى شيئا من الأشياء .

و لما كان المال يكون [للانسان -^١] قبل الولد ، وكان ينبغي
أن يشكر الله الذى آتاه إياه ليكون له خيرا فى الدارين وكذا الولد^٢
قال : ﴿ ماله ﴾ أى بكثرته ﴿ وولده ﴾ كذلك ، وهو الجنس فى
قراءة التحريك - وكذا فى قراءة ابن كثير والبصريين وحزة والكسائى
بالضم والسكون على أنه لغة فى المفرد كالخزن والحزن والرشد
والرشد ، أو يكون على هذه جمعا كالأسد والأسد ، ويكون اختيار
أبى عمرو^٣ لهذه القراءة فى هذا الحرف وحده للإشارة بجمع^٤ الكثرة^٥
المبنى على الضمة التى هى أشد الحركات إلى أنهم - وإن زادت كثرتهم
وعظمت قوتهم - لا يزيدهم شيئا ﴿ الاخساراه ﴾ بالبعد عن^٦ الله
والعمى عن محبة الطريق ، فان البسط لهم فى الدنيا بذلك كان سببا
لطفائهم و بطرم و اتباعهم لاهوائهم حتى كفروا واستغفوا^٧ غيرهم

- (١) زيد فى الأصل : تحقيق ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد
من ظ (٣) زيد فى الأصل : بأمواهم و أولادهم المغترين ، ولم تكن الزيادة
فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : فسر (٥) وقع فى الأصل :
قبل « أى من رؤسائهم » والترتيب من ظ و م (٦) زيد من ظ و م (٧) من
ظ و م ، وفى الأصل : أبى عمر (٨) من م ، وفى الأصل و ظ : لجمع .
(٩) فى ظ و م : من (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : استغفروا

فقبلوا عليهم فكانوا سباً في شقائهم^١ وخسارتهم بخسارتهم^٢، و كان
عندهم أنها زادتهم رفعة، وفي السياق دليل على أنهم ما حصلت لهم
الوجاهة إلا بها .

/ ٥٢٩

و لما كانت / كثرة الرؤساء قوة أخرى إلى قوتهم بمتاع الدنيا،
و كان التقدير: فأمرتهم بالإيمان فأبوا وأمرهم^٣ بالكفر فاقادوا لهم^٤،
عطف عليه^٥ مينا لكثرتهم بضمير الجمع العائد على "من" عاطفاً على^٦
'لم يزد' المفردة الضمير للفظ جامعا له للنفى لتجمع العبارة الحكم على
المفرد والجمع، فيكون أدل شيء على المراد منها فقال: (و مكروا) أى
مؤلاه الرؤساء في تغيير الناس عن^٧ - و أكد الفعل بالمصدر دلالة على
١٠ قوته^٨ فقال: (مكرا) وزاده تأكيداً بصيغة هي النهاية في المبالغة
قال: (كبارا) فانه أبلغ من كبار المخفف الأبلغ من كبير، فلم يدعوا
أحدا منهم بذلك [المكر -^٩] أى يتبعنى (و قالوا) أى لهم في أدانى^{١٠}
المكر "الذى حصل منهم".

و لما كان دعاء الرسل عليهم الصلاة والسلام جديرا^{١١} بالقبول

- (١) من ظ و م، وفي الأصل: في (٢) من ظ و م، وفي الأصل: بخسارتهم.
(٣) زيد في الأصل: رؤساء وهم، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤) من
ظ و م، وفي الأصل: اليهم (٥) زيد في الأصل: ذلك، ولم تكن الزيادة في ظ
و م لحذفها (٦) زيد في الأصل: من (٧) من ظ و م، وفي الأصل: على عليه
الصلاة والسلام (٨) من ظ و م، وفي الأصل: قوله (٩) زيد من ظ و م .
(١٠) من ظ و م، وفي الأصل: أدنى (١١-١٢) سقط ما بين الرقيين من ظ و م -
(١٢) من ظ و م، وفي الأصل: جديره.

لما لهم من الجلالة والحلاوة والبيان والرويق والظهور في الفلاح،
أكدوا قولهم: ﴿ لا تذرنا الهتك ﴾ أى لا تتركها^١ على^٢ حالة من
الحالات لا قبيحة ولا حسنة، وأضافوها إليهم تحسبا فيها، ثم خصوا
بالسمية زيادة في الحث وتصريحا بالمقصود فقالوا مكررين النهى
والعامل تأكيدا: ﴿ ولا تذرنا ﴾ ولعلمهم كانوا يوافقون العرب في ه
أن الود هو الحب الكثير، فناسب المقام بذاتهم بقولهم: ﴿ ودا ﴾
وأعادوا النافي^٣ تأكيدا فقالوا^٤: ﴿ ولا سواعا ﴾ وأكدوا هذا
التأكيد وابلغوا^٥ فيه فقالوا: ﴿ ولا يغوث ﴾ ولما بلغ التأكيد نهاية
وعلم أن المقصود^٦ النهى عن كل فرد فرد لا عن المجموع بقيد الجمع
أعروا فقالوا: ﴿ ويعوق ونسراة ﴾ معرى^٧ التأكيد للعلم بارادته، ١٠
وكان هؤلاء ناسا صالحين، فلما ماتوا حزن عليهم الناس ثم زين لهم
إبليس تصويرهم تشويقا إلى العمل بطرائقهم الحسنة^٨ فصورهم، فلما
تمادى الزمان زين لهم عبادتهم لتحصيل المنافع الدنيوية ببركاتهم ثم
نسى القوم الصالحون، وجعلوا أصناما آلهة من دون الله، وكانت
عبادة هؤلاء أول عبادة الأوثان^٩ فأرسل الله سبحانه وتعالى نوحا عليه ١٥

(١) من ظ و م، وفي الأصل: لا تتركوها (٢) زيد في الأصل: أى، ولم تكن
الزيادة في ظ و م لحذفناها (٣) زيد في الأصل: فى، ولم تكن الزيادة في ظ
و م لحذفناها (٤) من ظ و م، وفي الأصل: بقولهم (٥) من ظ و م، وفي
الأصل: بالغوا (٦) فى ظ و م: المقصد (٧) فى م: من (٨) زيد في الأصل: قال،
ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٩) من ظ و م، وفي الأصل: الأوقات.

الصلاة والسلام للنهي عن ذلك إلى ان كان من امره و امر قومه
 ما هو معلوم، ثم أخرج إبليس هذه الأصنام بعد الطوفان فوصل شرها
 إلى العرب، فكان ود^٢ لكلب بدومة الجندل و سواع لهذيل و يغوث
 لمدحج و يعوق لمراد و نسر لمحير لآل ذى الكلاع، و قيل غير ذلك
 ه - و الله أعلم^٣ قال البغوي^٤: سواع لهذيل و يغوث لمراد، ثم لبنى
 غطيف بالجرف عند سبأ و يعوق لهمدان^٥. قال أبو حيان^٦: قال
 أبو عثمان النهدي^٧: رأيت يغوث و كان من رصاص يحمل على جمل
^٨ أجرد، يسرون معه لا يهيجونه^٩ حتى يكون هو الذى يبرك، فاذا
 برك نزلوا / وقالوا: قد رضى لكم المنزل، فينزلون حوله و يضربون
 ١٠ عليه بناء^{١٠}، و روى عن ابن عباس^{١١} رضى الله عنهما فى سبب وصول
 شر تلك الأوثان إلى العرب أنها دفنها الطوفان ثم أخرجها الشيطان
 لمشركى العرب، وكانت للعرب أصنام آخر فالثبات لثقيف، و العزى^{١٢}

/ ٥٣٠

- (١) زيد فى الأصل: ما كانت و، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .
 (٢-٣) من ظ و م، وفى الأصل: فكان - مع يسير من البياض، و راجع المعالم
 ١٢٩ / ٧ (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٤) فى المعالم ١٢٩ / ٧ .
 (٥) زيد فى الأصل: و الله اعلم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .
 (٦) راجع البحر المحيط ٨ / ٣٤١، و زيد فى الأصل: قالوا، ولم تكن الزيادة
 فى ظ و م و البحر لحذفها (٧) من ظ و م و البحر، وفى الأصل: الهندى .
 (٨-٨) من البحر، وفى الأصول: احمر ولا يهيجونه و يسرون معه (٩) زيد فى
 الأصل: و الله اعلم بالصواب، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (١٠) راجع
 روح المعاني ٩ / ١٨١ (١١) من ظ و م، وفى الأصل: اللات .

لسليم و غطفان و جشيم ، و منات بقديد لهذيل ، و اساف و نايلة و هبل
 لاهل مكه ، و كان أساف حيال الحجر الأسود ، و نايلة حيال الركن
 اليماني ، و كان هبل في جوف الكعبة - انتهى^١ ، و قال الواقدي : و د على
 صورة رجل ، و سواع على صورة امرأة ، [و -^٢] يغوث على صورة
 أسد ، و يعوق على صورة فرس ، و نسر على صورة نسر - انتهى . ٥٠
 و لا يعارض [هذا -^٢] أنهم صور^٢ لناس صالحين لأن تصويرهم
 لهم يمكن ان يكون منتزعا من معانيهم ، فكأن ودا كان أكلمهم في
 الرجولية ، و كانت سواع امرأة كاملة في العبادة ، و كان يغوث شجاعا ،
 و يعوق كان سابقا قويا ، و كان نسر عظيما طويل^٣ العمر - والله
 تعالى أعلم .

١٠

و لما ذكر مكرم و ما أظهروا من قولهم ، عطف عليه ما توقع
 السامع من أمرهم [فقال -^٢] : ﴿ وقد اضلوا ﴾ أى الأصنام
 و عابدوها بهذه العبادة ﴿ كثيرا ﴾ من [عبادك -^٢] الذين خلقتهم
 على الفطرة السليمة من أهل زمانهم و بمن آتى بعدهم فانهم أول من سن
 هذه السنة السيئة فعليهم وزرها و وزر من عمل بها إلى يوم القيامة . ١٥٠
 و لما كان التقدير : فلا تزد الظالمين إلا خسارا ، عطف عليه قوله
 مظهرا في موضع الإضمار تعميما^١ و تعليقا^٢ للحكم بالوصف^٣ :

- (١) سقط من م (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : صورة .
 - (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : طويلا (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : القيام .
 - (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : تعظيما (٧ - ٧) من ظ و م ، وفي الأصل :
- بالحكم للوصف فقال .

(ولا تزد الظلمين) أي الراجحين في الوصف الموجب لأن تكون آثار المتصف به كآثار الماشي في الظلام [في - ١] وقوعها محتملة، شيئا من الأشياء التي هي فيهم (الاضلاله) أي طبعا على عقولهم^١ وقلوبهم حتى يعموا عن الحق وعن جميع مقاصدهم^٢ الفاسدة الضالة^٣ الراجعة في الضلال^٤ فلا يكون منها شيء على وجه يكون فيه شيء^٥ من سداد، وكان هذا بعد أن أعله الله سبحانه وتعالى أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن، والكلام عليه على كل حال كاللحام على دعاء موسى وهارون عليهما^٦ وعلى محمد أفضل الصلاة والسلام في الشد على [قلوب - ١] فرعون وملأه ثلاثا يؤمنوا في حال ينفعهم فيه كما مضى ١٠ في سورة يونس عليه السلام، وقد بالغ ابن عربي في المروق من الدين فقال في فصوصه: إن هذا الدعاء حسن في حقهم، وقال: إن الضلال أهدى من الهدى، وأن الضال أحسن حالا من المهتدي، لأن الضال لا يزال قريبا من القطب المقصود دائرا حوله، والمهتدي صاحب طريقة مستطيلة، فهو يبعد عن المقصود، فأبان أن الله تعالى لم يخلق خلقا أسفه ١٥ منه إلا من اتبعه عليه وعلى من ينحو / نحوه من الضلال الذي لا يرضاه عاقل من عباد الأصنام الذين لا أسفه منهم ولا غيره، فعليهم أشد الخزي واللعنة.

/ ٥٣١

(١) زيد من ظ وم (٢ - ٢) سقط ما بين الرقنين من ظ وم (٣) من ظ وم، وفي الأصل: شيئا (٤) يبتدئ من هنا بياض في ظ يستمر إلى «في غاية السهولة» على ص ٤٥٣ س ١٤.

ولما فرغ من أمرهم في ضلالهم ، ودعا رسولهم صلى الله عليه وسلم عليهم ، فلم يبق إلا إهلاكهم ، وكان من مفهومات الضلال المحق وإذهاب العين كما يضل الماء في اللبن ، قال مينا إجابته لدعائه ذاكرا الجهة^١ التي أهلكوا بسببها : وأكد بـ "ما" النافية في الصورة لصد مضمون الكلام لا اعتقاد الكفار أن^٢ الإنجاء والإهلاك^٣ عادة الدهر : ﴿عما﴾ . ٥
ولما كان الكافر قد أخطأ ثلاث مرات : يكفره في الإيمان بالطاغوت ، و تكذيب ربه ، و تكذيب رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك كافيا في^٤ استحقاقه للاخذ^٥ قال : ﴿خطيتهم﴾ جامعاً له جمع السلامة - في قراءة الجماعة ، وأفهمت قراءة أبي عمرو^٦ بجمع التكسير أن لهم مع هذه الألفاظ الكافية في الأخذ من الذنوب ١٠
ما يفوت الحصر يوجب تغليظ ذلك الأخذ ، فهي مشيرة إلى أنه ينبغي الاحتراز من [كل - ١] الذنب .

ولما كان الموجع^٧ إغراقهم لا كونه من معين ، قال مخبرا عما فعل بهم في الدنيا : ﴿اغرقوا﴾ أى بالطوفان بانبا له للفعول لذلك وللإعلام بأنه في غاية السهولة على الفاعل المختار الواحد القهار ، فطاف ١٥
الماء عليهم جميع الأرض السهل والجبل ، فلم يبق منهم أحداً ، وكذا الكلام فيما تسبب عنه و تعقبه من قوله : ﴿فادخلوا﴾ أى بقهر القهار

- (١) من م ، وفي الأصل : الجنة (٢-٢) من م ، وفي الأصل : الإهلاك ولا نجاة .
(٣-٣) من م ، وفي الأصل : الاستحقاق في الأخذ (٤) من م ، وفي الأصل : خطاياهم (٥) راجع نثر المرجان ٧ / ٥٢٤ (٦) زيد من م (٧) من م ، وفي الأصل : الموجب (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : احد .

في الآخرة التي أولها البرزخ يعرضون فيه على النار بكرة وعشيا
 ﴿نارا لا﴾ أى عظيمة جدا أخفها^١ ما يكون من مبادئها في البرزخ،
 قال الشيخ ولي الدين الملوي: فعذبوا في الدنيا بالفرق، وفي الآخرة
 بالحرق، والايأس من الرحمة، وأى عذاب أشد من ذلك، [و-^٢]
 ٥ قال الضحاك^٣: في حالة واحدة كانوا يفرقون^٤ في الماء^٥ من جانب
 ويحترقون في الماء من جانب آخر بقدرة الله سبحانه وتعالى، وفيها
 دلالة على قول غيره على عذاب القبر.

ولما كانوا قد استندوا إلى آلهتهم لتصرهم من أخذ الله تعالى،
 قال مسيبا عن هذا الإغراق والإدخال مؤيسا^٦ من الرحمة ليكون ذلك
 ١٠ [أشد-^٢] في العذاب،^٧ فان الإنسان - كما قال الملوي: - إذا كان في
 العذاب ويرجو الخلاص يهون عليه الأمر بخلاف ما إذا يئس من الخلاص،
 معلما بأن^٨ آلهتهم عاجزة فانها لم تغن عنهم شيئا، تويخا لمن يعبد مثلها:
 ﴿فلم يجدوا﴾ وحقق الأمر فيهم بقوله: ﴿لهم﴾ أى عند ما أناخ
 الله بهم سطوته وأحل بهم نقمته^٩.

١٥ ولما كانت الرتب كلها دون رتبته تعالى، و كان ليس لاحد
 أن يستغرق جميع ما تحت / رتبته سبحانه من المراتب، قال مثبتا الجار:

/ ٥٣٢

(١) من ظ و م، وفي الأصل: اخفها^١ (٢) زيد من ظ و م (٣) راجع معالم
 التنزيل بهامش الباب ٧، ١٣٠ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ
 و م، وفي الأصل: نوس (٦) من ظ و م، وفي الأصل: ان (٧) زيد في
 الأصل: و ايسهم رحمة، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها.

(من دون الله) أى الملك الاعظم الذى تتضاهل المراتب تحت رتبة
عظمته وتذل لعزه وجليل^١ سطوته (انصاراه)^٢ ينصرونهم
على من أراد بهم ذلك ليمنعوه بما فعل بهم أو يقتصوا منه لهم بما شهد
به شاهد الوجود الذى هو أعدل الشهود من أنه تم ما أراده سبحانه
و تعالى من إغراقهم من غير أن يتخلف منهم احد على كثرتهم وقوتهم^٣
لكونهم أعداءه وإنجاء نبيه نوح^٤ عليه الصلاة والسلام ومن معه
رضوان الله وسلامه عليهم أجمعين على ضعفهم و قلتهم لم يقعد منهم
أحد لكونهم أوليائه، فكما^٥ لم يهلك بمن^٦ أراد إنجاءه أحد فكذلك
لم يسلم منهم، فن قال^٦ عن عوج^٧ ما يقوله القصاص فهو أيضا^٨ ضال
أشد ضلال، فلعمرة الله على من يقول : إن الله تعالى كان غير^٩ ناصرهم،^{١٠}
مع هذه الدلالات التى هى نص فى أنه عدوهم، وأن نصرهم إنما^{١١}
يكون على نبيه نوح عليه الصلاة والسلام، و^{١٢} اعتقاد ذلك أو شيء منه
كفر ظاهر لا محيد عنه بوجه، وقائل ذلك هو^{١٣} ابن عربى صاحب^{١٤}

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : مجموع (٢) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن
الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣) سقط من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل :
فما (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : من (٦-٦) وقع ما بين الرتين فى الأصل
بعد « القصاص » والترتيب من ظ و م (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : على .
(٨) زيد فى الأصل : كان ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٩) زيد فى
الأصل : ان ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (١٠) زيد فى الأصل : قابله ،
ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (١١) من ظ و م ، وفى الأصل : فى .

الفصوص الذى لم يرد بتصنيفه إلا هدم الشريعة المطهرة ، ونظمه
أيضا^١ ابن الفارض^٢ فى تائيته^٣ التى سماها بنظم السلوك^٤ ، فلعن الله
عليه وعلى من تبعه أو شك فى كفره أو توقف فى لعنه بعد ما نصب
من الضلال الذى سر به البلاد ، وأردى كثيرا من العباد .

٥ ولما أتم الخبر عن إغراقهم ، وقدمه للاهتمام بتعظيم الرسول
صلى الله عليه وسلم فى إجابة دعوته تحذيرا للعرب أن يخرجوا رسولهم
صلى الله عليه وسلم [فيخرجوه - ^٥] إلى مثل ذلك ، عطف^٥ على قول
نوح عليه السلام من أوله قوله عند ما أخبره تعالى أنهم مفرقون وأنه
لا يؤمن منهم إلا من قد آمن بعد ما^٦ طال بلاؤه بهم حتى إن كان
الرجل ليأتى بابه إليه فيقول له : احذر هذا أن يضلك ، وإن أبى
حذره ، وكانت صيغة العموم ليست^٧ بنص فى أفرادها أبدا^٨ ، استجازا
لوعده وتصريحا بمراده : (وقال نوح) وأسقط الاداة كما هى
عادة أهل الحضرة فقال : (رب^٩ لا تنذر) أى تترك بوجه
^٣ من الوجوه^٣ أصلا ولو على أدنى الوجوه (على الارض) أى
١٥ كلها من مشرقها إلى مغربها وسهلها وجبلها وهدما^٢ (من الكافرين)

(١) سقط من م (٢) من ظ و م ، والأصل فى : لعربي (٣ - ٣) سقط ما بين
الرقمين من ظ و م (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد فى الأصل : عليه أى ، ولم
تكن الزيادة فى ظ و م لخدمتها (٦) فى ظ و م : ان (٧) من ظ و م ، وفى
الأصل : ليس (٨) سقط من ظ و م (٩) وقع فى الأصل بعد « قال نوح »
والترتيب من ظ و م .

أى الراحمين فى^١ الكفر^٢ الذى هو كان لهم جيلة وطبعا^٣ (دياراء) أى أحدا يدور فيها، وهو من ألفاظ العموم التى تستعمل فى النفي العام فيقال من الدور أو الدار لا فعال، وإلا لكان دوارا، ويجوز - وهو أقرب^٤ - أن يكون هذا الدعاء عند ركوبه السفينة وابتداء الإغراق فيهم، يريد^٥ به / العموم كراهية^٦ أن يبق أحد منهم على ذروة جبل هـ / ٥٣٣ أو نحوه، لا أصل الإغراق، وأن يكون معنى ما قبله الحكم باغراتهم وتحتم القضاء به أو الشرع فيه^٧.

ولما كان الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يقولون ولا يفعلون إلا ما فيه مصلحة الدين، علل دعاءه بقوله وأكد إظهارا لجزمه باعتقاد ما أنزل عليه من مضمون قوله تعالى "انه لن يؤمن [من-]" ١٠ قومك الا من قد آمن" وإن كان ذلك خارجا عن العادة: ﴿انك﴾ أى يارب ﴿ان تذرهم﴾ أى تتركهم على أى حالة كانت فى إيقائهم سالمين على وجه الأرض^٢ على ما هم عليه من الكفر والضلال والإضلال^٣ ولو^٤ كانت^٥ حالة دنية ﴿يضلوا عبادك﴾ أى الذين آمنوا بى والذين يولدون على الفطرة السليمة.

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : من (٢-٢) سقط ما بين الرمين مى ظ و م .
(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : الاحرب (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : يريدون (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : الكراهية (٦) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : لى (٩) زيد فى الأصل : على ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

ولما كان ربما كان الإنسان ضارا و وجد^١ له ولد نافع^٢ نفي ذلك
بقوله: ﴿ولا يلدوا﴾ أى إن قدرت بقاءهم^٣ فى الدنيا^٤ ﴿الافاجرا﴾
أى مارقا من كل ما يفنى الاعتصام به، واكتفى فيه بأصل الفاعل
إشارة إلى أن من جاوز الحد أو شرع فى شيء بعده من التمدى فى النفي
هـ صار ذلك له ديدنا فبالغ، ^٥فلذلك قال: ﴿كفارا﴾ أى بليغ الستر
لما يجب إظهاره من آيات الله لأن قولك يارب لا يتخلف أصلا،
والظاهر أن هذا الكلام لا يقوله إلا عن وحى كما فى سورة هود عليه
السلام من قوله تعالى "انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن" فيكون
على هذا حتى^٦ صغارهم معذيين^٧ بما يعلم الله منهم لو بلغوا لا بما عملوه
١٠ [كما - °] قال صلى الله عليه وسلم فى أولاد الكفار والله اعلم بما
كانوا عاملين . .

ولما دل هذا كله على^٨ أنه دعا على أعداء الله . دعا أيضا^٩ لاوليائه
وبدأ بنفسه لأنه^{١٠} رأس تلك الأمة، فقال مستقطا على عادة أهل الخصوص:
﴿رب﴾ أى أيها المحسن إلى^{١١} باتباع من اتبعنى وتجنب^{١٢} من تجنبنى،
١٥ فان من^{١٣} كانت طبيعته طبع^{١٤} على شيء لا تحول عنه .
ولما كان المقام الأعلى أجل من أن يقدره أحد حق قدره قال:
﴿اغفر لى﴾ أى فانه لا يسعنى وإن كنت معصوما إلا حلك وعفوك

- (١) من ظ وم ، وفى الأصل : ولد (٢-٣) سقط ما بين البرقين من ظ وم .
(٢-٣) من ظ وم ، وفى الأصل : فى ذلك فقال (٤) من ظ وم ، وفى الأصل :
معذبون (٥) زيد من ظ وم (٦-٧) فى ظ وم : طبيعته (٧) من ظ وم ، وفى
الأصل : لأن (٨) من ظ وم ، وفى الأصل : تجيب .

و رحمتك . ولما اظهر بتواضعه عظمة الله سبحانه وتعالى رتب المدعو لهم [على - '] اللاحق فاللاحق [فقال - '] : ﴿ ولوالدي ﴾ وكانا مؤمنين وهما ملك بن متوشلخ وشمخاء بنت أنوش ، قال ابوحيان : وقال ابن عباس رضى الله عنهما : لم يكفر لنوح عليه السلام أب فيما بينه وبين آدم عليهم الصلاة والسلام . وأعاد الجار [إظهارا - '] للاهتمام .
 فقال : ﴿ ولمن دخل بيتي ﴾ لأن المتحرم بالإنسان له حق اكيد لاسباب إن كان مخلصا في حبه ، ولذا قال : ﴿ مؤمنا ﴾ ولما خص عم وأعاد الجار أيضا اهتماما فقال : ﴿ وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ أى العريقين في هذا الوصف في [كل - '] أمة إلى آخر الدهر [و - '] لا يزدحم
 / هذا الوصف في [كل - '] أمة إلى آخر الدهر [و - '] لا يزدحم
 في حال من الأحوال شيئا من الأشياء إلا مفازا .
 ١٠

ولما كان التقدير بما أرشد إليه الاحتباك : ولا تكرم المارقين ، عطف عليه قوله : ﴿ ولا تزد الظلمين ﴾ أى العريقين في الظلم في حال من الأحوال ﴿ الا تبارك ﴾ أى إلا هلاكاً مدمراً مفتتا لصورهم قاطعا لأعقابهم مخربا لديارهم وكما استجاب الله سبحانه وتعالى له في أهل الإيمان والكفران^١ من أهل ذلك الزمان فكذلك يستجيب له^٢ في أهل الإيمان وأهل الخسران^٣ بالسعادة والتبارك في جميع الأعصار

(١) زيد من ظ وم (٢) في البحر المحيط ٣٤٣/٨ (٣) من ظ وم ، وفي الأصل : اهتماما (٤) من م ، وفي الأصل وظ : لذلك (٥) زيد في الأصل : من ، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفناها (٦ - ٦) من ظ وم ، وفي الأصل : اهلا كما مضمرا .
 (٧-٧) -قط ما بين الرقيين من ظ وم (٨-٨) من ظ وم ، وفي الأصل : واهلها .

إلى أن يقفوا بين يدي العزيز الجبار، والآية من الاحتباك: إثبات الدعاء المقتضى لأصل إكرام المؤمنين أولاً مرشد إلى حذف الدعاء المفهم لأصل إهانة الكافرين ثانياً، وإثبات الدعاء بزيادة التبار [ثانياً مفهم لحذف الدعاء الموجب لزيادة المفاض أولاً، وهذا الآخر المصحح بالتبار - ١] هو ما أرشد إليه الابتداء بالإندثار، فقد انطبق الآخر على الأول على أصرح وجه وأكمل، وأحسن حال وأجل منال، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والحمد لله تعالى على كل حال.

سورة الجن وتسمى "قل" أوحى

مقصودها إظهار الشرف لهذا النبي الكريم الفاتح الخاتم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وذريته وأهل بيته حيث لين له قلوب الإنس والجن وغيرهما، فصار مالكا لقلوب المجانس وغيره. وذلك لعظمة هذا القرآن ولطف ما له من غريب الشأن، هذا والزمان في آخره وزمان لبثه في قومه دون ربع العشر من زمن نوح عليه السلام أول نبي بعثه الله تعالى إلى المخالفين وما آمن معه من قومه

(١) زيد من ظ وم (٢-٢) سقط ما بين ارقمين من ظ وم (٣) زيد قبله في الأصل: هذه، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها، وهي الثانية والسبعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ٢٨ (٤) من ظ وم وفي الأصل: بقل. (٥) زيد في الأصل: الى، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها (٦) في م: غيرهم (٧) من ظ وم، وفي الأصل: عظيم (٨) من ظ وم، وفي الأصل: زمان (٩) من ظ وم، وفي الأصل: من (١٠) زيد في الأصل: به، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها.

إلا قليل ، وعلى ذلك دلت تسميتها بالجن [و - '] بقل أوحى ، وتأمل
الآية المشتعلة على ذلك وما فيها من لطيف المسالك ، ^٢ أعادنا الله بيمينه
وكرمه من الوقوع في المهالك ^٢ . ﴿ بسم الله ﴾ أى ^٣ المحيط بالكمال
أرسل رسوله [الخاتم - '] بالهدى ليظهره على الدين كله بما له من
الجلال والجمال ﴿ الرحمن ﴾ الذى بعموم رحمته عم بهذا الإرسال ليعم ^٥
بالبیان ما يلزم الخلق من المقال والفعال ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص
من بين أهل الدعوة من شاء بمحاسن الأعمال لما سبق لهم من الفوز
فى أزل الأزال ^٥ .

لما كان نوح عليه الصلاة والسلام أول رسول أرسله الله تعالى
إلى المخالفين من أهل الأرض ، وكان قومه عباد أوثان ، وعصوه أشد ^{١٠}
العصيان مع أنه كان منهم نسا ولسانا ، وختمت سورت بدعائه عليهم ،
وكان نبينا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، فهو آخر رسول بعثه
/ الله تعالى إلى أهل الأرض وغيرهم من جميع الخلق ، وكان قومه العرب
قد وافقوا قوم نوح عليه السلام فى أكثر أحوالهم عبادة الأوثان حتى
تلك الأوثان إما بأسمائها أو بأعيانها على ما ورد فى الأخبار ، وفى ^{١٥}
عصيان رسولهم وأستضعاف أتباعه واستهزائهم ابتدئت ، هذه بما كان
من سهولة من سمع هذه الدعوة الخاتمة الجامعة من غير الجنس فضلا

- (١) زيد من م (٢ - ٢) سقط ما بين الرقین من ظ و م (م) سقط من م .
(٤) وقع فى الأصل قبل « بعموم » والترتيب من ظ و م (٥) من ظ و م ،
وفى الأصل : الازل انتهى (٦) سقط من ظ و م .

عن الواقفين في الجنس مع قصر الزمان وضعف الأعوان لجلالة هذا القرآن، فقال منها له بالأمر على ما في هذا من عظيم القدر، مع الإشارة إلى تسكيت العرب على التباطئ عن الإجابة إلى ما يعرفون من رشه^١ بمعناه ونظمه، لكونه بلسانهم وكونهم من نوع الداعى وقيله هـ و أقرب الناس إليه (قل) أى يا محمد لقومك .

ولما كان المقصود تعظيم الموحى به، وأما الموحى إلى كل من الرسولين فواحد، بنى للمفعول قوله مبينا لسيرة الجن في تلقيهم لهذا القرآن بالأخذ إرثا من أشرف النبيين وإقائهم له بالإبلاغ إلى غيرهم من وارث العلم منهم ليكون لهم الشرفان: شرف العلم لكامل أنفسهم، ١٠ و التعليم لتكميل غيرهم، فيكون لهم مثل أجر من عمل بما ألقوه إليه و أملوه عليه: (أوحى إلى) أى أخبرت على وجه الحفاء ممن لا يعلم الغيب غيره في هذا القرآن الذى اقضى إعجازه أن أكون أكثر الأنبياء تابعا على لسان جبريل عليه السلام الذى هو أمينه والواسطة بينه وبين أنبيائه، ثم وضع موضع المفعول الذى لم يسم فاعله قوله: ١٥ (انه) أى الشأن العظيم (استمع) أى بغاية الإصغاء والإقبال والتقبل والالف استماعا هو الاستماع فى الحقيقة لأنه لقراءتى هذا القرآن (نفر) هم فى غاية النفرة جلبة وطبعا (من الجن) الذين هم فى غاية الاستتار، وهم أجسام حية عاقلة خفيفة تغلب عليها النارية او الهوائية كما^٢ تغلب على^٣ أجسام الإنس السترائية، و نفر ما بين

(١) زبدت الواو فى الأصل، ولم تكن فى ظ و م فخذناها (٢) من ظ و م، وفى الأصل: نهية (٣-٢) من ظ و م، وفى الأصل: نقلت عن .

الثلاثة و العشرة، قال البغوى^١ : و كانوا تسعة من جن نصيين، و قيل: كانوا سبعة، و فى هذه العبارة دليل على أنه صلى الله عليه و سلم ما رآهم و لا قرأ عليهم، و إنما اتفق حضورهم عند قراءته، و هل هذا الاستماع هو المذكور فى الاحقاف أو غيره قال أبو حيان^٢ : المشهور أنه هو، و قيل : هو غيره، و الجن الذين أتوه بمكة جن نصيين، و الذين أتوه ه بنخلة جن فينوى، و السورة [التى - ٢] استمعوها قال عكرمة : العلق، و قيل : الرحمن، و لم يذكر هنا و لا فى الاحقاف أنه رآهم، و يظهر من الحديث^٣ تعدد الواقعة، فنها ما كان فى المبدأ و لم يكن معه أحد من الصحابة رضى الله عنهم كما فى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه الذى فى الصحيح أنهم فقدوه صلى الله عليه و سلم ليلة / من الليالى^٤ ١٠ / ٥٣٦ فالتمسوه فى الاودية و الشعاب، فلما أصبح إذا^٥ جاءهم من قبل حراء فقال: أتانى داعى الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن، فانطلق بنا فأرانا آثارهم و آثار نيرانهم، و منها ما كان معه عبد الله رضى الله عنه فذهب معه إلى الحجون عند الشعب فخط عليه خطا، و قال: لا تجاوزه، فانحدر عليه أمثال الحجل يحجون الحجارة بأقدامهم حتى غشوه فلا أراه، ١٥ و أوما إلى يده أن اجلس، فلى القرآن، فلم يزل صوته يرتفع و اختفوا بالارض حتى ما أراهم^٦، قال الاصبهاني: و قيل: كانوا من بنى الشيصبان^٧

(١) راجع معالم التنزيل ٧ / ١٣١ (٢) راجع البحر المحيط ٣٤٦/٨ (٣) زيد من البحر (٤) من م و البحر، و فى الأصل و ظ ١ حديث (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل ١ اذ (٧) من ظ و م، و فى الأصل: ما راهم (٨) من م، و فى الأصل و ظ : الشعيان .

وهم أكثر الجن عددا وهم عامة جنود إبليس، وقال القشيري: لما
 'رجمت الشياطين' بالشهب فرق إبليس جنوده لعلم ذلك فأتى سبعة منهم
 بطن نخلة فاستمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فأمّنوا ثم أتوا قومهم
 فقالوا: 'يا قومنا' إنا سمعنا قرآنا عجبا، يعني ولم يرجعوا إلى إبليس
 لما علموه من كذبه وسفاهته، وجاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في
 سبعين من قومهم فأسلموا، فذلك قوله تعالى "واذ صرفنا إليك نفرا
 من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه" الآيات (فقالوا) أى تسبب
 عن استماعهم أن قال من سمع منهم لمن لم يسمع، أو لمن كان يواخيه
 من الإنس امثالا لقول النبي صلى الله عليه وسلم "رحم الله امرأ سمع
 ١٠ منا مقالة فوعاها فأداها كما سمعها"، وكان قولهم سكونا إلى هذا القرآن
 وأنسابه، مؤكدين لبعدها عنهم عن سماع الوحي وعلهم بما زاد به من
 الإعجاز: (إنا) بالكسر لأنه مبتدأ محكي "بعد القول" (سمعنا) حين
 تعمدا الإصغاء وألقينا إليه افهامنا (قرآنا) أى كلاما هو فى غاية
 الانتظام [فى نفسه - ٧] والجمع لبيع ما يحتاج إليه، ثم وصفوه
 ١٥ بالمصدر مبالغة فى أمره فقالوا: (عجبا) أى بديعا [خارجا - ٧]
 عن عادة أمثاله من [جميع - ٧] الكتب الإلهية فضلا عن كلام الناس

(١-١) فى ظ وم: رجم (٢-٢) سقط ما بين الرقين. من ظ وم (٣) زيد فى
 الأصل: سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى أو قبل، ولم تكن الزيادة فى ظ وم
 لحذفها (٤) من ظ وم، وفى الأصل: وذلك (٥-٥) من ظ وم، وفى الأصل:
 بالقول (٦) من ظ وم، وفى الأصل: حتى (٧) زيد من ظ وم.

في جلاله النظم وإعجاز التركيب والوضع مع الموافقة لها في الدعوة^١ إلى الله تعالى والبيان للحاسن والمساوئ والدعاء إلى كل فلاح حتى صار نفس العجب، والعجب ما خرج عن حد اشكاله ونظارته غفى سببه، وهذا يدل على قوتهم العلية في فصاحتهم وكألمهم في علم الرسوم، وصوغ الكلام على أبلغ جهات النظم .

٥

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما تقدم ذكر حال كفار قريش في تعاملهم عن النظر وجريهم في اللدد والعناد حسبما انطوت عليه سورة ن والقلم، ثم أتبع بوعيدهم في الحاقة ثم بتحقيقه وقرب وقوعه في المعارج ثم بتسليته عليه الصلاة والسلام وتأنيسه بقصة نوح عليه الصلاة والسلام مع قومه، أعقب ذلك / بما يتعظ به الموق وعلم ١٠ / ٥٣٧ أن القلوب يد الله: فقد كانت استجابة معاندى قريش والعرب^٢ أقرب في ظاهر الأمر لنبي من جنسهم و [من - ٢] أنفسهم فقد تقدمت لهم^٣ معرفة صدقه وأمانته، ثم جاءهم بكتاب بلسانهم الذى به يتحاورون ولقنتهم التى بها يتكلمون، فقد بهرت العقول آياته، ووضحت لكل ذى قلب سليم براهينه ومعجزاته، وقد علموا أنهم لا يقدرّون على معارضته ١٥ إلى ما شاهدوه من عظيم البراهين، ومع ذلك عموا و صموا - غضب الله^٤ عليهم ولعنهم - وسبق إلى الإيمان من ليس [من - ٢] جنسهم ولاسبقت

(١) من وم، وفي الأصل وظ: الدعوى (٢) من ظ وم، وفي الأصل؛
القرب (٣) زيد من ظ وم (٤) من ظ وم، وفي الأصل؛ له (٥) زيدت
الواو قبله في الأصل ولم تكن في ظ وم لحذفناها .

له منزلة تكريمهم، وهم الجن ممن سبقت لهم من [الله-^١] الحسنى فأمنوا وصدقوا، وأمر صلى الله عليه وسلم بالإخبار بذلك، فأُنزل الله تعالى [عليه-^١] "قل اوحى الىّ انه استمع نفر من الجن، الايات إلى قوله إخبارا عن تعريف الجن سائر إخوانهم^٢ بما شاهدوه من عناد كفار العرب، وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادرا يكونون عليه لبدا، ثم استمرت الآية^٣ ملتحمة المعانى معتزدة المباني إلى آخر السورة - انتهى .

ولما بينوا فضله من جهة الإعجاز وغيره^٤، بينوا المقصود بالذات الدال على غوصهم على المعانى بعد علمهم بحسن المباني فقالوا : ﴿يهدى﴾ أى بين^٥ غاية البيان مع الدعاء فى لطف وهدى ﴿الى الرشد﴾ أى الحق والصوب الذى يكاد يشرّد لثقله على النفوس الداعية إلى الهوى وخفة ضده الفى والسفه الملائم لقائص النفوس . ولما وصفوه بهذه الكمالات سيوا عن ذلك قولهم إعمالا للقوة العملية فى المبادرة الى الصواب من غير تخلف أصلا : ﴿فأما﴾ أى كل من استمع منا لم يتخلف منا أحد ولا توقف بعد الاستماع ﴿به﴾ أى أوقعنا الأمان . لمبلغ

١٥ القرآن أن نكذبه^٦ أو نخالقه أدنى مخالفة بسبب هذا القرآن .

ولما أخبروا عن الماضى، وكان الإيمان^٧ لا يفيد إلا مع الاستمرار،

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : اخوانهم (م) من ظ ، وفى الأصل : الآيات ، وسقط من م (٤) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فخذناها (٥) فى ظ و م : بين (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : تكذبه (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : القرآن .

قالوا عاطفين على ما تقديره : فوجدنا^١ الله في الحال لأن ذلك نتيجة الإيمان بالقرآن وخلقنا الانداد : (ولن) أى والحال أنا مع إيقاع الإيمان في الحال لن (نترك) بعد ذلك أصلاً^٢ ، أكدوا لأنه أمر لا يكاد يصدق (ربناً) أى الذى لا احسان قائم بنا من الإيجاد وما بعده إلا منه (احداً) أى من الخلق لأنه لم يشركه فى شيء من أمرنا أحد ، وقد وضحت الدلائل على التوحيد فيما سمعنا من هذا القرآن .

ولما أظهروا القوتين^٣ العلية بفهمهم القرآن ، والعملية بما حصل لهم من الإذعان ، أعملوا ما لهم فى الدعاء إلى الله تعالى من قوة البيان ، فبعد أن زهوه سبحانه عن الشرك عموماً خصوصاً مؤكدين فى قراءة ابن كثير والبصريين وأبى جعفر بالكسر لما تقدم من أن مثل هذه السهولة ١٠

لا تكاد / تصدق ، فقالوا عطفاً على ” انا سمعنا “ : (وانه) أى الشأن العظيم ، قال الجن : (تغلى) أى انتهى فى العلو والارتفاع إلى حد^٤ لا يستطيع (جد) أى عظمة و سلطان و كمال غنا (ربناً) أى الموجد لنا و المحسن إلينا ، وإذا كان هذا تعالى لجده فما بالك به ، وكذا حكى هذه القراءة بقول الجن ما بعد هذا إلا ” وأن ١٥ لو استقاموا “ و ” أن المساجد لله “ و ” أنه لما قام “ ، فانه مفتوح فيها عطفاً على

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : فوجد (٢) زيد فى الأصل ، ثم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (م) من ط و م ، وفى الأصل : القوانين (٤) زيد فى الأصل : الذى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (هـ - هـ) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : الحد الذل (٧) سقط من ظ و م .

الموحى به فهو في محل رفع إلا عند أبي جعفر فإنه فتح " وانه تعالى"
 ١ و " أنه كان يقول "، ١ " و أنه كان رجال " ووافقهم فافع وأبو بكر
 عن عاصم في غير " وانه لما قام " فانهما كسراهما وفتح الباقون وهم
 ابن عامر و حمزة والكسائي وحفص عن عاصم الكل إلا ما صدر
 ه بالفاء ٢ على انه معطوف على محل الجار في " به " أى صدقناه وصدقنا
 أنه - لا على لفظه ٣ وإلا لزم إعادة الجار عند نحة البصرة ، وقيل : عطف
 على لفظ الضمير في " به " على المذهب الكوفي الذى نصره أبو حيان
 وغير واحد من أهل اللسان .

ولما وصفوه بهذا تعالى الأعظم المستلزم للغنى المطلق والتزده
 ١٠ عن كل شائبة نقص ، ينوه بنفى ما ينافية ٤ بقولهم إبطالا للباطل :
 (ما اتخذ) عبر بصيغة الافعال يانا لموضع النقص لا تقييدا (صاحبة)
 أى زوجة (ولولدا لا) لأن العادة جارية بأنه لا يكون ذلك إلا بمعالجة
 وتسليب ، ومثل ذلك لا يكون إلا لمحتاج إلى بضاع أو غيره ، والحاجة
 لا تكون إلا من ضعف وعجز ، وذلك [ينافى - ٦] الجد ، فالمحتاج
 ١٥ لا يصح أصلا أن يكون إلها وإن كان بغير تسليب ومهلة ، فهو عبث
 لأن مطلق الاختراع مغن عنه ، فلم يبق إلا العبث الذى ينزه الإله عنه

(١-١) تكرر ما بين الرقعين في الأصل فقط (٢) من ظ و م ، وفي الأصل :
 تأكيد (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : لطفه (٤) من ظ و م ، وفي الأصل :
 بينا فيه (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : بمعالجة (٦) زيد من ظ و م .

والصاحبة لا بد و^١ أن تكون من نوع صاحبها، ومن له نوع^٢ فهو مركب تركيباً عقلياً من صفة مشتركة وصفة مميزة، والولد لا بد وأن يكون جزءاً منفصلاً عن والده، ومن له أجزاء فهو مركب تركيباً حسيّاً، ومن المقطوع به أن ذلك لا يكون إلا لمحتاج، وأن الله تعالى متعال عن ذلك من تركيب حسي أو عقلي .

ولما تبين لهم ما هو عليه سبحانه من النزاهة عن كل شائبة نقص، وصفوا من قال بضده صيانة لدينهم وعرضهم بالترفع عن الحسائس والذائل بعدم التماهى فى الباطل مقتاً للخلق فى ذات الالخلق مؤكدين لما^٣ للسامع فى الغالب من تصديق ما يسمع والحاجة عنه فقالوا : ﴿ وإياه ﴾ أى وقالوا إن الشأن - هذا على قراءة الكسر، وآمناً بأنه^٤ - على قراءة الفتح ١٠ ﴿ كان يقول ﴾ أى قولاً هو فى عراقته^٥ فى الكذب بمنزلة الجبلية^٦ والطبيع^٧ ﴿ سفيهاً ﴾ وهو الجنس فيتناول إبليس رأس الجنس تناولاً أولياً، وكل من تبعه ممن لم يعرف^٨ الله لأن ثمرة العقل العلم، وثمره العلم معرفة الله، فمن لم يعرفه فهو الذى يلزم الطيش / والنقى ٥٣٩ / لأنه لا علم عنده أصلاً يحمله على الرزاة^٩، كاذباً متقولاً ﴿ على الله ﴾ ١٥

(١) ليست الواو فى ظ (٢) من ظ وم، وفى الأصل : انواع (٣) من ظ وم، وفى الأصل : بما (٤) من ظ وم، وفى الأصل : به (٥) من م، وفى الأصل : غاية العراقة، وفى ظ : مراقبته - كذا (٦ - ٧) سقط ما بين الرقين من ظ وم (٧) من ظ وم، وفى الأصل : لا يعرف (٨) من ظ وم، وفى الأصل : الزيادة .

أى الذى له صفات الكمال المنافية لقول هذا السفیه فى الولد ﴿شططالا﴾

أى قولاً هو فى بعده عن الصواب نفس البعد و مجاوزة الحد .

ولما ذكروا ما هدوا إليه من الحق فى الله و فیمین كان يحملهم

على الباطل، ذكروا عندهم فى اتباعهم للسفیه و فى وقوعهم [فى - ']

مواقع التهم، فقالوا مؤكدين لأن ما كانوا عليه من الكفر جدير بأن

يظن انه لا يخفى على أحد لشدة^١ وضوح بطلانه: ﴿ وانا ﴾ اى معشر

المسلمين من الجن ﴿ ظننا ﴾ اى بما لنا من سلامة الفطر المقتضية

لتحسين الظن بشهادة حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عند أحمد^٢

”المؤمن غر كريم و الفاجر خب لئيم“ ﴿ ان ﴾ اى أنه، و زادوا فى

١٠ التأكيد لما مضى فقالوا: ﴿ لن تقول ﴾ و بدأوا بأفضل الجنسين فقالوا:

﴿ الانس ﴾ و اتبعوهم قرناءهم فقالوا: ﴿ والجن ﴾ اى متخرصين

﴿ على الله ﴾ اى الملك الاعلى الذى بيده النفع و الضر ﴿ كذبا ﴾

أى قولاً هو لعراقته فى مخالفة الواقع نفس الكذب، و هو فى قراءة

[أبى - '] جمفر بفتح القاف و الواو المشددة المفتوحة مصدر من

١٥ غير اللفظ، و إنما ظننا ذلك لما^٣ طبع عليه المجهول على الشهوات من

تصديق الاشكال لا سيما إذا كان قولهم جازما و عظيماً لا يقال مثله

إلا بعد تثبت^٤ لا سيما إذا كان على ملك الملوك لا سيما إذا كان

القائل كثيراً لا سيما إذا تأيدوا بجنس آخر، فصاروا لا يحصون

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: شد (٣) راجع المسند ٢/٣٩٤.

(٤) من ظ و م، وفى الأصل: لمن (٥) من ظ و م، وفى الأصل: تلبث .

كثرة ، ولا تطبق العقول مخالفه جمع بهذه الصفة إلا بتأييد إلهي بقاطع
نقل ، والآية على قراءة أبي جعفر من الاحتباك : فعل القول أولاً
دليل على فعل الكذب ثانياً ، ومصدر الكذب ثانياً دليل على مصدر
القول أولاً ، وسره [أن - ١] القول دال على التعمد^١ فهو ألخس^٢
معنى والكذب ألخس^٣ لفظاً ، وهذا مرشد إلى أنه لا ينبغي التقليد ه
في شيء لأن الثقة بكل أحد عجز ، وإنما ينكشف ذلك بالتجربة ،
والتقليد قد يجر إلى الكفر المهلك^٤ هلاكاً ابدياً ، وإليه أرشد النبي
صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الشيخان^٥ عن النعمان بن بشير رضي الله
عنه بأن من اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، و [في - ١] ذلك
غاية الحث على أن الإنسان لا يقدم ولا يحجم في أصول الدين ١٠
إلا بقاطع .

ولما علم من قولهم أن مستند الضلال ظنون وشبه متى حكت
على محك النظر بان فسادها ، وأظهر^٦ زيفها نقادها ، أتبعه شبهة أخرى
زادت الفريقين ضلالاً بعضهم ببعض للتقيد بالمحسوسات ، والوقوف
مع الخبالات الموهومات ، فقال حاكياً عنهم تنبيهاً على عدم الاغترار ١٥
بالمدح والإطراء / الموجبين للغلط في النفس وعلى أنه يجب^٧ الثبت
٥٤٠ /

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : النعمة (٣ - ٣) سقط
ما بين الرقين من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : فيهلك (٥) صحيح
البخاري - كتاب الإيمان وصحيح مسلم - كتاب المساقاة (٦) من ظ و م ، وفي
الأصل : ظهر (٧) من ظ و م ، والأصل : يجب .

حتى لا يقع الغلط في الاسباب المستخرة فيظن أنها مؤثرة فيتجاوز بها الحد عن رتبة الممكنات إلى رتبة الواجب، مؤكداً لأنه لا يكاد يصدق أن الجن يخاطبهم الإنس فيكلمونهم: ﴿وانه﴾ أى الشأن ﴿كان رجال﴾ أى ذوو قوة وبأس ﴿من الانس﴾ أى النوع ٥ الظاهر في عالم الجنس^١ ﴿يعوذون﴾ أى يلجأون ويعتصمون - خوفاً على أنفسهم وما معهم - إذا نزلوا واديا ﴿برجال من الجن﴾ أى القبيل المستتر عن الأبصار فإنه كان القوم منهم إذا نزلوا واديا أو غيره من القفر تعبت بهم^٢ الجن في بعض الاحيان لأنه لا مانع لهم^٣ منهم من ذكر الله تعالى ولا دين صحيح، ولا كتاب من الله صريح، فحملهم ١٠ ذلك على أن يستجبروا بغطائهم^٤ فكان الرجل يقول عند خوفه: إني أعوذ بعظيم هذا الوادى من^٥ شر سفهاء قومه أو^٦ نحو هذا فلا يرى إلا خيراً^٧، وربما هدوه إلى الطريق وردوا عليه ضالته، فكان^٨ ذلك فتنة للإنس باعتقادهم في الجن غير ما هم عليه، فتبعوهم في الضلال، وفتنة الجن بأن يفتروا بأنفسهم ويقولوا سدنا: الجن والإنس، فيضلوا ١٥ ويضلوا، ولذلك سبب عنه قوله: ﴿فزادوهم﴾ أى الإنس^٩ الجن

(١) من ظ و م، وفي الأصل: الحس (٢) من ظ و م، وفي الأصل: منهم (٣) من ظ و م، وفي الأصل: له (٤) من ظ، وفي الأصل و م: بغطائهم. (٥) زيد في الأصل: عظيم هذا الوادى، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها. (٦) من ظ و م، وفي الأصل: «و» (٧) زيد في الأصل: دائماً، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٨) من ظ و م، وفي الأصل: وكان (٩) زيدت الواو في ظ و م.

باستعاذتهم هذه المرتب عليها إعاذتهم، والجن^١ الإنس بترئيس الإنس لهم وخوفهم منهم ﴿رهقاً﴾ أى ضيقاً وشدة وغشياناً لما هم فيه من أحوال الضلال التى يلزم منها الضيق والشدة، وأصل الرهق غشيان بقوة وشدة وقهر، وقال البغوى^٢: و الرهق فى كلام العرب الإثم وغشيان المحارم. كما يتفق لمن يسلك من أهل التصوف على غير أصل ه فبرى فى أثناء السير أنواراً وأشياء تعجبه شيطانية فيظنها رحمانية، فيقف عندها ويأنس بها لفساد فى أصل جبلته^٣ نشأ عنه^٤، سوء مقصده، فربما كان ذلك سبباً لكفره فيزداد هو وأمثاله من الإنس^٥ ضلالاً ويزداد من أضله من الجن ضلالاً [وإضلالاً - ٦] وعتوا، ويزداد الفريقان^٦ بعدا عن اللجأ إلى الله وحده، ولقد أغنانا^٧ الله سبحانه وتعالى بالقرآن ١٠ والذكر المأخوذ عن خير خلقه بشرطه فى أوقاته عن كل شئ. كما أخبر^٨ صلى الله عليه وسلم أن من قال عند إتيانه الخلاء^٩ بسم الله اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث، ستر عن الجن، وأن من قال إذا أتى امرأته اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتني، فأثامه ولد لم يقدر الشيطان أن يضره، ومن أذن أمن تقول الغيلان، وروى ١٥

(١) زيدت او او فى الأصل، ولم تكن فى ظ و م فحذفناها (٢) فى المعالم ١٣٣ / ٧ (٣) من م، وفى الأصل وظ: جبلتها (٤) من ظ و م، وفى الأصل: عنها (٥ - ٥). تكرر ما بين الرقيين فى الأصل فقط (٦) زيد من ظ (٧) من ظ و م، وفى الأصل: الفريقين (٨) من ظ و م، وفى الأصل: اعاذنا (٩) زيد فى الأصل: الله تعالى - مع يسير من البياض، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

الترمذى^١ و احمد^٢ - قال المنذرى : و رواه [رواة - ٣] الصحيح - عن شداد بن أوس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما من مسلم يأخذ مضجعه / فيقرأ سورة من كتاب الله تعالى إلا وكل الله تعالى به ملكا فلا يقربه شيء يؤذيه حتى يهب متى هب . وللطبراني في الكبير - قال المنذرى : و رواه رواية الصحيح إلا المسيب بن واضح ، قال الهيثمى^٤ : و هو ضعيف و قد وثق - عن عبد الله بن بسر^٥ رضى الله عنه قال : خرجت من حمص فأوانى الليل إلى البقيعة^٦ فحضرني من أهل الأرض ققرات هذه الآية من الأعراف^٧ " أن ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض^٨ فى ستة أيام ثم استوى على العرش^٩ " إلى ١٠. آخر الآية ، فقال بعضهم [لبعض - ٨] : احرسوه الآن حتى يصبح ، فلما أصبحت ركبت دابتي . والأحاديث فى هذا كثيرة فى آية^١ الكرسي وغيرها ، وكذا حكايات من اعترضه بعض الجن فلما قرأ ذهب عنه . ولما كان التقدير : فضل^{١١} كل من الفريقين بالآخر ضلالا بعيدا حتى أبعدا عن الشرائع النبوية ، واعتقدوا ما لا يجوز اعتقاده من ١٥ التعطيل واعتقاد الطبيعة ، فلا يزال الأمر هكذا أرحام تدفع وأرض تبلع ولا رسول يهديهم ولا بعث للأرض على بارئهم ، عطف عليه^{١٢}

(١) راجع الجامع ٢ / ١٧٧ (٢) راجع المسند ٤ / ١٢٥ (٣) زيد من ظ و م . (٤) فى مجمع الزوائد ٧ / ٢٤ (٥) من م و المجمع ، وفى الأصل : بشر ، وفى ظ : بشر (٦) من ظ و م و المجمع ، وفى الأصل : النفقة (٧ - ٧) سقط ما بين ابرتين من ظ و م (٨) زيد من المجمع (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : آخر سورة (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : فقيل (١١) من ظ و م ، وفى الأصل : عليهم .

قولهم مؤكدين في قراءة الكسر إشارة إلى [ظهور -^١] دلائل البعث،
و أنه لا يكاد يصدق أن أحدا يكذب به منها على أن الأهواء و الأغاليط
قد يتطابق^٢ عليها الجم الغفير، حثا للهدى على أن لا يستوحش في طريق
الهدى لقلة السالكين، و لا يعتر بطرق^٣ الردى لكثرة الهالكين:
(و انهم) أى الإنس إن كانوا يخاطبون^٤ الجن، و الجن إن كانوا ه
يخاطبون الإنس (ظنوا) أى الجن أو^٥ الإنس ظنا ليسوا فيه على
ثلج و الظن قد يصيب، و قد يخطئ و هو أكثر (كما ظنتم) أى أيها
الجن أو^٦ الإنس، والمعنى في قراءة الفتح: و أوحى إلى أن الإنس أو الجن
ظنوا، و سدوا^٧ عن مفعولى "ظن" بقولهم: (ان) أى أن الشأن العظيم
(لن) أكد للدلالة على شدة إنكارهم لذلك (يبعث) و أشاروا ١٠
إلى^٨ خطأ هذا الظن بالتعبير بالجلالة فقالوا: (الله) أى الذى له
الإحاطة الكاملة علما و قدرة (احدا^٩) أى بعد موته لما لبس [به -^١]
عليهم إبليس حتى رأوا حسنا ما ليس بالحسن، أو أحدا من الرسل^{١٠} يزيل
[به -^١] عماية الجهل و ما عليه الإنس^{١١} من استغواء^{١٢} الجن لهم و غير
ذلك من الضلال، و قد ظهر بالقران ان هذا الظن كاذب و أنه لا بد من

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: تطابقت (م) من ظ و م،
وفى الأصل: بطريق (٤) من ظ و م، وفى الأصل: يخاطبون (ه) من ظ
و م، وفى الأصل « و » (٦) فى ظ و م: سد (٧) زيد فى الأصل: شدة،
و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٨) زيد فى الأصل: ما، و لم تكن
الزيادة فى ظ و م لحذفها (٩-١٠) من ظ و م، وفى الأصل: لن سبقوا

البعث في الامرين لانه حكمة الملك و خاصة الملك .

و لما كان عدم البعث من خلل في القدرة، شرعوا في إثبات تمام
القدرة على وجه^١ دال على صحة القرآن و حراسته من الجان، لتلا يظن
أنه من نحو ما للكهان، فقالوا مؤكدين في قراءة الكسر لاستبعاد
الوصول إلى السماء حثا على طلب المهمات و إن بعد مكانها: ﴿ وانا ﴾
و لما كان يعبر عن الإيمان في التفثيش بالالتماس، و كان تجريد الفعل
أعظم في ذلك للدلالة على / الخفة و عدم الكلفة قال: ﴿ لمسا السماء ﴾ / ٥٤٢
أى الدنيا التمسنا أخبارها على ما كان من عادتنا لاستماع ما يغوى به
الإنسان التماسا هو كالحس باللس باليد ﴿ فوجدناها ﴾ من جميع
١٠ نواحيها و هو من الوجدان ﴿ ملئت ﴾ أى ملاء هو في غاية السهولة
و الخفة على فاعله ﴿ حرسا ﴾ أى حراسا اسم جمع، فهو مفرد اللفظ،
ولذلك وصف بقوله: ﴿ شديدا ﴾ أى بالملائكة ﴿ و شهابلا ﴾ جمع
شهاب و هو المتوقد من النار، فعلت همهم حتى طلبوا المهمات النبوية
و الشهوات النفسانية من مسيرة^٢ خمسمائة سنة صعودا، فأف لمن يكسل
١٥ عن^٣ مهمات الدين المحققة من مسيرة ساعة أو دونها، و أن يقعد في
مجلس العلم ساعة أو دونها، و التعبير بالملاء يدل على أنها كانت
[قبل ذلك - ^٤] تحرس لكن لا على [هذا - ^٥] الوجه قليل: إنها

(١) زيد في الأصل: بات، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخذائها (م) من ظ

و م، وفي الأصل: يسير (م) زيد في ظ: طلب (ع) زيد من ظ و م.

حرسن لنزول التوراة ثم اشتد الحرس للإنجيل ثم ملئت لنزول القرآن
فتمنوا من الاستماع أصلاً إلا ما يصدق القرآن إرهاباً للنبوّة العظمى
الخاتمة لئلا يحصل بهم^١ نوع لبس .

ولما أخبروا عن حالها إذ ذاك لأنه الأهم عندهم، أخبروا عن
حالها قبل، فقالوا مؤكدين لما للانس [من التكذيب - ٢] بوصول ه
أحد إلى السماء : ﴿ وانا كنا ﴾ أى فيما مضى ﴿ تقعد منها ﴾ أى السماء
﴿ مقاعد ﴾ أى كثيرة قد علمناها لا حرس فيها فهى صالحة ﴿ للسمع^٣ ﴾
أى لأن نسمع^٤ منها بعض ما نتكلم به الملائكة بما أمروا بتدبيره،
وقد جاء فى الخبر أن صفة قعودهم هى أن يكون الواحد منهم فوق
الآخر حتى يصلوا إلى السماء، قال أبو حيان^٥ : ففى أحرق الأعلى كان ١٠
الذى تحته مكانه فكانوا يسترقون^٦ الكلمة فيلقونها إلى الكهان
فيزيدون معها الكذب .

ولما كان التقدير : فنسمع منها [فنسمع - ٢] ما يقدر لنا من غير
مانع، عطف عليه قوله : ﴿ فن يسمع ﴾ أى يجتهد فى الوصول إلى
السمع ﴿ الآن ﴾ أى فى هذا الوقت فيما يستقبل كأنهم قسموا الزمان ١٥
إلى [ما] كان من إطلاق الاستماع لهم وإلى ما صار إليه الحال من
الحراسة، وأطلقوا الآن، على الثانى كله، لأنهم أرادوا وقت قولهم فقط

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : لهم (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : يسمع (٤) فى البحر المحيط ٨ / ٣٤٩ (٥) من ظ و م و البحر ،
وفى الأصل : يستمعون .

أو ارادوه لأنهم لا يعلمون ما بعده فيجوزون^١ ان يكون الحال فيه
على غير ذلك ﴿يجد له﴾ أى لأجله ﴿شهابا﴾ أى شعلة من نار^٢
ساطعة محرقة .

و لما كان الشهاب فى معنى الجمع لان المراد أن كل موضع منها^٣
هـ كذلك ، وصفه باسم الجمع فقال : ﴿رصدالاً﴾ أى يرصده الرامون به
من غير غفلة ، ويجوز أن يكون مصدرا على المبالغة كرجل عدل ،
و الرصد الترقب لأنه لما كان لا تأخر^٤ عن رمية^٥ عند الدنو من السماء
كان كانه هو الراصد^٦ له ، المراقب^٧ لأمره ، الملاحظ الذى لا فتور
عنده / [و -^٨] لا غفلة بوجه بل هو الرصد وهو المعنى بنفسه ، فتمى
١٠ تسنم للاستماع زى به فيمنعه^٩ من الاستماع و إن أدركه أحرقة^{١٠} ، وأما
السمع فقد امتنع^{١١} لقوله تعالى « وانهم عن السمع لمعزولون » .

/ ٥٤٣

و لما أخبروا عن إيمانهم أنه كان عقب سماعهم من غير توقف ،
ثم ذكروا منعهم من الاستراق ، ذكروا أنه اشتبه عليهم المنع فلم
يعلموا سره دلالة على أن جهل بعض المسائل [الفرعية -^{١٢}] لا يقدرح^{١٣} ،

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : فيجوز (٢) من ظ و م وفى الأصل : النار .
- (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : فيها (٤-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : الرمية .
- (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : الرصد (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : المترقب .
- (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : فمنعه (٩) من ظ و م ،
- وفى الأصل : أحقه (١٠) فى الأصل : بياض ملأناه من ظ و م (١١) زيد فى الأصل :
- فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

وندبا إلى رفع الهفة عن الخوض في شيء بغير علم ، وحثا على التفويض إلى علام الغيوب ، فيثبوا الذي حملهم على ضرب مشارق الأرض ومقاريها حتى وجدوا النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن ، فقالوا مؤكدين لأن العرب كانوا ينسبونهم إلى علم المغيبات و' حل المشكلات : (وانا لا ندرى) أى بوجه من الوجوه وإن دافنا واجتهدنا ه (اشر ') ولما كان المحذور نفس الإرادة الماضية [لا كونها من معروف مع أن الفاعل معروف ، وهو الفاعل المختار الذى له الإرادة الماضية - ٢] النافذة ، بنوا للفعول قولهم : (اريد) معلمين للأدب في أن الشر يتحاشى من إسناده إليه سبحانه حيث لا إشكال في معرفة أنه لا يكون شيء إلا به (بمن في الأرض) أى بهذه الحراسة فينشأ ١٠ عنها الغنى (ام اراد بهم ربهم) أى المحسن إليهم المدبر لهم ، بنوه للفاعل في جانب الخير إعلاما مع تعليم الأدب بأن رحمته سبقت غضبه ، وإشارة إلى أنه قد يكون أراد بهذا المنع الخير (رشدا ١) أى سدادا ١ فينشأ عنه الخير * ، فالآية من الاحتباك : ذكر الشر أولا دليلا على الخير ثانيا ، والرشد ثانيا دليلا على الغنى أولا .

١٥

ولما أخبر سبحانه [بسهولة - ٢] إيمانهم ، فكان ربما ظن أن ذلك ما كان إلا لأن شأنهم اللين ، أتبعه ما يعلم أن ذلك خارقة لأجله

(١) زيد في الأصل : علم ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٢) وقع في الأصل قبل « أريد » والترتيب من ظ و م (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : سداد (٥) زيد في الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها .

صلى الله عليه وسلم كانت، [و - ١] لإعظامه وإكرامه^١ وجدت، فقال
حكاية عنهم مؤكدين لأن الكلام السابق ظاهر في سلامة طباع الكل:
(وانا منا) أى أيها الجن (الصلحون) أى العريقون في صفة
الصلاح التى هى مهية لقبول كل خير.

٥ ولما كان غير الصالح^٢ قد يكون فاسدا بأن يكون مباشرا للفساد
قاصدا له وقد يكون غير مباشر له، قالوا متفطنين^٣ لمراتب العلوم
والاعمال المقربة والمبعدة: (ومنا) وبني الظرف المبتدأ به
لإضافته إلى مبنى فقيل: (دون) أى قوم فى أدنى رتبة [من - ١]
(ذلك) أى هذا الوصف الشريف العالى.

١٠ ولما كان من دون الصالح ذا أنواع^٤ كثيرة بحسب قابليته للفساد
أو الصلاح وتهيؤ له أو بعده عنه، حسن بيان ذلك بقولهم^٥: (كنا)
أى كونا هو كالجبل (طرائق) أى ذوى طرق^٦ أى مذاهب
ووجوه كثيرة، وأطلقوا الطرق على أصحابها إشارة إلى شدة
تلبسهم بها.

١٥ ولما كان الانفصال قد يكون بأدنى شئ، بين أنه على أعلى

/ ٥٤٤ / الوجه فأطلق عليهم نفس المنقطع و وصفهم به فقال: (قد دالا) أى

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: لا كرامه (٣) من ظ و م،
وفي الأصل: الصلاح (٤) من ظ و م، وفي الأصل: متفطنين (٥) من ظ
و م، وفي الأصل: الأنواع (٦) من ظ و م، وفي الأصل: قولهم (٧) زيد
في الأصل: متعددة و طريق، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها

فرقا متفرقة أهواؤها، جمع قدة و هي الفرقة من الناس هواها على غير
هوام^١، من القيد [و -]^٢ هو القطع الموجب للتفرق العظيم مثل
السيور التي تقطع من الجلد و تقد منه بحيث تصير [كل فرقة -]^٣
على حدتها، قال الحسن و السدي^٤: كافرين و مسلمين و رافضة و معتزلة
[و -]^٥ مرجية و غير ذلك مثل فرق الإنس .

و لما دلوا على قهرهم هما كانوا يقدرون عليه من [أمر -]^٦
السباء بما ذكروا، و على قهر مفسديهم بهذا القرآن عن كثير مما كانوا
يفعلونه بأهل الأرض، فقهروا بهذا القرآن^٧ العظيم الشأن في الحقيقة
عن الخافقين فنما منهم و حفظا به، و دلوا على أنهم موضع القهر
بالتفرق، كان ذلك موجبا للعلم بشمول قدرته تعالى حتى لا يدركه
طالب، و لا ينجو منه هارب، لما أبدى لهم من شؤن عظمتهم و قهره في
الحراسة و غيرها، فذكر سبحانه ما أثر ذلك عندهم من الاعتراف
و الإذعان للواحد القهار، فقال حاكيا عنهم ذلك ندبا إلى الاقتداء بهم
في معرفه النفس بالمز و الذل و الضعف بالتفرق^٨ و الانقسام، و معرفة
الرب سبحانه بالقدرة الكاملة و السلطان و العظمة بالفرد^٩ التام الذي
لا يقبل المماثلة و لا القسمة: ﴿ و انا ﴾ أكدوا لظن الإنس في قوتهم
غير ما هو لها ﴿ ظننا ﴾ أطلقوا لظن على العلم إشارة إلى أن العاقل ينبغي
له أن يحتنب ما يخيله ضارا و لو بأدنى أنواع الحيل فكيف^{١٠} إذا يقن

(١) من ظ و م، وفي الأصل: هواها (٢) زيد من ظ م (٣) راجع معالم التنزيل
١٣٣/٧ (٤-٥) سقط ما بين الرقین من ظ و م (٥) في ظ و م: بالتفرقة (٦) من
ظ و م، وفي الأصل: و التفرد (٧) من ظ و م، وفي الأصل: و كذا .

(ان) أى أن الشأن العظيم ، وزادوا فى التأكيد لما تقدم فقالوا :
 (لن نعجز الله) أى أن ' تقارمه إن أراد بنا سوءا لما له من الإحاطة
 بكل شيء علما وقدره لأنه واحد لا مثل له ، ودلوا على وجه
 [الضعف - ٢] بقولهم : (فى الارض) أى كائنين فيها مقيمين وهى
 هـ جهة السفلى الملزومة للقهر ، وذلك أقصى جهدنا فأين نحن من سعة
 ملكه الذى هو فى قبضته (ولن نعجزه) أى بوجه من الوجوه (هربا) أى
 أى ذوى هرب او من جهة الهرب ، أى هربنا من الارض إلى غيرها فان
 السماء منعت منا وليس لنا مضطرب إلا فى قبضته ، فأين^٢ أم إلى أين المهرب ،
 وقد منعوا بذلك وجهى النجاة باللقاء والنصر^٤ والهرب عند القهر .

١٠ ولما كان الظان قديما در إلى العمل^٥ بموجب ظنه وقد لا ، يتنوا^٦

أن مرادهم به العلم ، وأنهم بادروا إلى العمل بما دعا إليه ، فقالوا مؤكدين
 لما للجن من الإباء والعسر : (وانا لما سمعنا) أى من النبي صلى الله
 عليه وسلم (الهدى) أى القرآن الذى له^٧ من العراقة التامة^٨ فى
 صفة البيان والدعاء إلى الخير ما سوغ أن يطلق عليه نفس الهدى :
 ١٥ / ٥٤٥ (امنا به^٩) أى من غير وقفة أصلا / عملا بما له من هذا الوصف العظيم .

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : لن (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل :
 المفر ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل :
 الضرب (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : العلم (٦) من ظ و م ، وفى الأصل :
 يثبتوا (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : هو (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : الثابتة .

ولما كان التقدير : فأما بسبب إيماننا الذي قادنا إليه حفظ السماء
من الإيقاع بنا لتمام قدرته علينا الذي هدانا إليه منعنا من الاستماع
بالحراسة ، سيوا عن ذلك قولهم معترفين بالعجز عن مقاومة التهديد^١
من الملك طالبين التحصن بتحصينه و الاعتصام بحبله : (فمن يؤمن)
أى يوجد حقيقة الإيمان ويستمر على تجديدها كل لحظة . ولما فهموا ه
أن دعاءه إليه وبيانه للطريق مع قدرته التامة إنما هو من عموم لطفه
ورحمته ، ذكروا وصف الإحسان^٢ لزيادة الترغيب فقالوا : (بربه)
أى المحسن إليه منا و من غيرنا .
ولما كان المؤمن هو المختص من بين^٣ الخلق بالنجاة ، أدخل الفاء
على الجواب و رفعه على تقدير مبتدأ دلالة على ذلك و على أن نجاتهم ١٠
ما لا بد منه فقال : (فلا) أى فهو خاصة [لا - '] (يخاف)
أصلا (بخسا) أى نقصا و قلة و خبثا و نكدا فى الثواب و الإكرام
بوجه من الوجوه (ولا رهقا) أى مكروها يلحقه^٤ فيقهره لأنه لم يفعل
مع أحد شيئا من ذلك ليجازى عليه ، فهذا حث للؤمن على اجتناب
ذلك لئلا يجازى به ، و قد^٥ هدى السياق إلى تقدير :^٦ و من^٧ يشرك به ١٥
فلا ، يأمن محقا و لا صعقا^٨ .

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : انتقدير (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
الانسان (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : بيان (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد فى
الأصل : فيقره ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٦) وقع فى الأصل فقط
بياض قدر ثلاث كلمات (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : فمن (٨) زيد فى
الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها .

ولما كان هذا ظاهرا في انهم أسلوا كلهم ، قالوا نافرين لهذا الظاهر
 مؤكدين لأن إسلامهم [مع - ١] "شديد نفرتهم" لا يكاد يصدق :
 (وانا منا) أى أيها الجن (المسلمون) أى المخلصون فى صفة
 الإسلام للهادى فأسلوه قيادهم فهم عريقون فى ذلك مقسطون
 ٥ مستقيمون ، فلا يفارقون الدليل فهم على الصراط السوى العدل الرضى ،
 و منا الجافون الكافرون (و منا ٢ القسطون ٣) وهم الجأرون عن
 المنهج ، الاقوم الساقطون فى المهامه ٤ المجاهل التى ليس بها ٥ معلم ،
 فهم برهم كافرون ، و منا المقسطون ٦ ، يقال : قسط - إذا جار جورا ،
 أسقطه عن رتبة الإنسان إلى ٧ رتبة أدنى ٨ الحيوان ، و أقسط - إذا أزال
 ١٠ الجور فبدل ، فالآية ٩ من الاحتباك : "المسلمون" يدل على الكافرين ،
 و "القاسطون" يدل على المقسطين .

ولما كانوا قد علموا بما ١١ سمعوا من القرآن أنه لابد من البحث
 للجزاء ، سبوا عن هذه القسمة قولهم : (فمن أسلم) أى أوقع الإسلام
 كله بأن أسلم ظاهره و باطنه للدليل من الجن و [من - ١] غيرهم .

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م ، وفى الأصل : تشديد مضرتهم .
 (٣) زيد فى الأصل : ايضا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ،
 وفى الأصل : المتهمج (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : المهامة (٦) من ظ و م ،
 وفى الأصل : لها (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : القاسطون (٨ - ٨) من ظ و م ،
 وفى الأصل : ادنى رتبة (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : والآية (١٠) من ظ و م ،
 وفى الأصل : ما .

ولما كان في مقام الترغيب في الحق، ربط بفعلهم ذلك 'تسبياً
عنه' قوله مدحا لهم: ﴿ فَأُولَئِكَ ﴾ أى العالو الرتبة ﴿ تَحْرُوا ﴾ أى
توخوا^١ وقصدوا مجتهدين ﴿ رَشَدَاهُ ﴾ أى صوابا عظيما وسدادا،
كان - لما^٢ عندهم من النقائص - شاردا عنهم^٣، فمالجوا أنفسهم حتى
ملكوه فمجلوه لهم منزلا، من قولهم: الحرا - بالقصر /: أخفوص القطاة يارى^٥ ٥٤٦/
إليه الظبي، والناحية والموضع، وما أحراه بكذا: ما أوجه له، وبالحرأ
أن يكون كذا أى خلى كونه، وفلان حرى بكذا أى خلى، وقد
يحمى بالحر - من غير ياء، يراد به بالجهد، وتحريم الشيء: قصدت حاجته،
فكان لهم ذلك إلى الجنة سببا، ومن قسط فأولئك ضلوا [فقالوا -^٥]
غيا وشططا^١.

ولما عرفوا بالأمن الاعتصام بطاعة الله، نبهوا على خطر التعرض
لبطشه فقالوا: ﴿ وَاِمَّا الْقُسْطُونَ ﴾ أى العريقون^٢ في 'صفة' الجور عن
الصواب من الجن وغيرهم فأولئك أهملوا أنفسهم فلم يتحروا لها
فضلوا فأبعدوا^٣ عن المنهج فوقعوا في المهالك التى لا منجى منها: ﴿ فَكَانُوا ﴾
بجلايتهم ﴿ لَجْنَهُمْ ﴾ أى النار البعيدة القعر التى تلقاهم بالتجهم والكرهه ١٥

(١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : تسبىاعنهم (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
تواخوا (٣-٣) من ظ و م ، وفى الأصل : ولما كان (٤) من ظ و م ، وفى
الأصل : عندهم (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن
الزيادة فى ظ و م لحذفها (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : بصفة (٨) من ظ
و م ، وفى الأصل : وابعدوا .

والعبوسة (حطبا) توقد بهم النار فهي في اتقاد ما داموا أحياء، وهم
أحياء ما دامت تنقد لا يموتون فيستريحون ولا يحبون فينتعشون^١،
فالآية من الاحتباك، وهو منطوق لما أوجه من السياق لا مفهوم: ذكر
التحرى أولا دليلا على تركه ثانياً وذكر جهنم ثانياً دليلا على حذف الجنة
هـ أولا، وسر ذلك أنهم في مقام الترهيب قد كروا ما يحذر، وطوا
ما يجب العلم به لأن الله تعالى لا يضيع لأحد أجرا بل لا يقتصر^٢ على
ما يقابل الحسنة في العرف بل لا بد أن يزيد عليها تسعة اضعافها وعنده
المزيد^٣ ولا حول ولا قوة لنا إلا به سبحانه وتعالى^٤.

ولما رغب ورهب سبحانه على السنة الجن بما هدام له وور
١٠ قلوبهم به، وكانت الآية السالفة آخر ما حكى عنهم، وكان التقدير:
أوحى إلى أن القاسطين من قومي وغيرهم لو آمنوا فعل بهم من الخير^٥
ما فعل بمؤمني الجن حين آمنوا، فأغناهم الله في الدنيا بحلاله عن حرامه
من غير كلفة فكسا لهم كل عظم لقوه لحما أوفر ما كان، وأعاد لهم
كل روث^٦ رأوه أحسن ما كان ببركة هذا النبي الكريم عليه أفضل
١٥ الصلاة وآتم^٧ التسليم (وان) أى وأوحى إلى أن^٨ الشأن العظيم

(١) من ظ وم، وفي الأصل: فينتعشون (٢) من ظ وم، وفي الأصل:
لا يقتصر (٣-٢) سقط ما بين الرمين من ظ وم (٤) زيد في الأصل: هم،
ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها (٥) من ظ وم، وفي الأصل: ورث.
(٦) سقط من ظ وم (٧) زيد في الأصل: هذا، ولم تكن الزيادة في ظ وم
لحذفها.

(لو استقاموا) أى ^١ طلب القاسطون من الخلق كلهم الجن والإنس القوم و اوجدوه ، كاتنين (على الطريقة) [أى - ^٢] التى لا طريقة غيرها ^٣ وهى التى فهمها الجن من القرآن من ^٤ الإسلام و الإقسط ^٥ المؤدية إلى الفلاح فى الدارين .

ولما كان [الماء - ^٦] أصل كل خير كما قال تعالى فى قصة ه نوح عليه الصلاة والسلام ^٧ يرسل السماء عليكم مدرارا ، وكان منه كل شىء حيا ^٨ وكان عزيزا عند العرب ، قال معظما له بالالتفات ^٩ إلى مظهر العظمة : (لاسقينهم) أى جعلنا لهم بما عندنا من العظمة (ماء غدا) ^{١٠} أى كثيرا عظيما - ظيم النفع ^{١١} نكثرت به ^{١٢} الرزق ونزيت به الأرض ونرغد به العيش .

١٠

ولما كانت نعمه فضلا منه وليست مستحقة عليه بعبادة ولا غيرها ، قال تعالى معرفا / أن غايتها استحقاق الثواب أو العقاب على ما كتبه على نفسه سبحانه ولا ^{١٣} يبدل القول لديه ^{١٤} وأن جميع ما يعامل به عباده سبحانه وتعالى من نفع وضر إنما هو فتنة لهم يستخرج ما جبلوا عليه من حسن أو قبيح : (لنفتتهم) أى نعاملهم معاملة المختبر ١٥

٥٤٧ /

(١) زيدى الأصل : نو ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفناها (٢) زيد من ظ وم (٣ - ٢) من ظ وم ، وفى الأصل : فهى (٤ - ٤) من ظ وم ، وفى الأصل : الاقسط والإسلام (٥) زيد من م (٦) من ظ وم ، وفى الأصل : بالالتقاء (٧ - ٧) من ظ وم ، وفى الأصل ، بكثرت (٨) من ظ وم ، وفى الأصل : ما (٩) من ظ وم ، وفى الأصل : لدى .

بما لنا من العظمة ﴿فيه﴾ أى فى ذلك الماء الذى تكون عنه انواع
النعم لينكشف حال الشاكر والكافر^١، قال الرازى: وهذا بعد
ما حبس عنهم المطر سنين^٢ - انتهى . وقال غيره: قال عمر رضى الله
تعالى عنه: أينما كان الماء كان المال، وأينما كان المال كانت الفتنة .
هـ وقال الحسن و غيره: كانوا سامعين مطيعين ففتحت عليهم كنوز كسرى
وقصر فقتلوا بها فوثبوا بإمامهم فقتلوه - يعنى عثمان رضى الله تعالى
عنه . ويجوز أن يكون مستعارا للعلم وأنواع المعارف الناشئة عن
العبادات التى هى للنفوس كالنفوس للابدان^٣ و تكون الفتنة بمعنى
التخليص^٤ من الهموم^٥ الرذائل فى الدنيا و النقم فى الآخرة ، من قنت
الذهب^٦ - إذا خلصته^٦ من غشه^٧ .

و لما كان التقدير: فمن يقبل على ذكر ربه ننعمه^٨ فى دار السلام^٩
أبدا، عطف عليه قوله: ﴿و من يعرض﴾ أى إعراضا مستمرا إلى
الموت ﴿عن ذكر ربه﴾ أى مجاوزا عن عبادة المحسن إليه المربى له
الذى لا إحسان عنده من غيره ﴿نسلكه^{١٠}﴾ أى ندخله ﴿عذابا﴾
١٥ يكون مطرقا^{١١} له كالخيط يكون^{١٢} فى ثقب الخرزة فى غاية الضيق

(١) زبدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فحفزناها (٢) راجع أيضا
قول مقاتل فى العالم ١٣٤/٧ (٣) من ظ و م ، وفى الأصل: او (٤-٤) من ظ
و م ، وفى الأصل: بالعموم (٥) فى ظ : فتنة (٦) من ظ و م ، وفى الأصل:
خلصت (٧) من ظ و م ، وفى الأصل: عيشة (٨) من ظ و م ، وفى الأصل:
لنعمه (٩) من ظ و م ، وفى الأصل: الاسلام (١٠) وقراءة حفص عن عاصم
بالياء (١١) من ظ و م ، وفى الأصل: طرقا (١٢) سقط من ظ و م .

(صعدا) أي شاقا شديدا يعلوه ويغلبه ويصعد عليه ، و يكون كل يوم أعلى مما قبله جزاء وفاقا ، فان الإعراض كلما تمدى زمانه كان أقوى مما كان .

ولما كان التقدير : لانه أوحى إلى ان الأمر على ما تتعارفونه
بينكم من أن من خدم غير سيده عذبه أبدا ، عطف عليه قوله مينا ه
لسيرة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما يجب لهم من الكمال الذي
يكون بقوى العلم والعمل ، والتكامل الذي يكون بهما مع قوة
البيان ، ومن لم يكن كاملا لم يتصور منه تكامل ليكون له ولد قلب
كما أن من لم [يكن - ٢] بالعالم يتحقق منه ولد صلب ، ومينا لما يجوز
عليهم وما يستحيل منهم وما لله تعالى من العناية بشأنهم : (و ان) ١٠
أي و أوحى إلى أن (المسجد) أي مواضع السجود من العالم
الآفاق من الأرض ومن العالم النفسى من الجسد - كما قاله سعيد بن
جبير و طلق بن حبيب (لله) أي مختصة ٤ بالملك الأعظم (فلا تدعوا)
أي بسبب ذلك أيها المخلوقون على وجه العادة (مع الله) [أى - ٢]
الذى له جميع العظمة (احدا) ٥ لأن من تعبد لغير سيده فى ملك ١٥
سيده الذى [هو - ٢] العالم الآفاق وبآلة سيده الذى هو العالم النفسى
كان أشد الناس لوما وعقوبة فكيف يليق بكم أن يخلق لكم وجها

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : بقوة (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، وفى
الأصل و ظ : موضع (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : مختصة (٥) زيد فى
الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م مخذفاها .

و يدين / و رجلين و أرضا تتفعون بها و سماء تهم ففعلها فتسجدون
 بالأعضاء التي أوجدها لكم في الأرض التي أمكنكم من الاتقاع بها
 تحت السماء التي أنعم منافعها بها لغيره فتكونون قد صرفتم نعمة السيد
 التي يجب شكره عليها لغيره أيفعل هذا عاقل ؟ قال البغوى : فان
 جعلت المساجد مواضع الصلاة فواحدها بكسر الجيم ، و إن جعلتها
 الأعضاء فواحدها بفتح الجيم .

و لما كان من يدعو سيده و يقطع إليه عاملا للواجب عليه اللائق
 بأمثاله لا ينكر عليه و لا يعجب منه ^٢ ، إنما يعجب بمن دعا غير سيده
 أو مال إليه أدنى ميل فيسأل عن سيده . قال معجبا من القاسطين من
 ١٠ الجن و الإنس : ﴿ و انه ﴾ أى و أوحى إلى أو قال الجن لمن أطاعهم
 من قومهم حاكين ما رأوا من صلاته صلى الله عليه و سلم و اردحام
 اصحابه عليه متعجبين من ذلك أن الشأن أو ^٣ القصة العظيمة العجيبة ﴿ لما ﴾
 قت كادوا يكونون على - هكذا كان الاصل و لكنه عبر بالبعد كما
 تقدم من أن من دعا ^٤ سيده و لو كان ذلك السيد أحقر الموجودات
 ١٥ لا يفعل به ذلك ، فكيف إذا كان ^٥ سيده مالك الملك * و ملك الملوك
 ﴿ قام عبد الله ﴾ أى عبد الملك الأعلى الذى له الجلال كله و الجمال
 فلا موجود يدانيه بل كل موجود من فائض فضله ﴿ يدعو ﴾ أى

(١) في العالم ٧/ ١٣٤ (٢) زيدت الواو في ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل وم و .

(٤-٥) سقط ما بين الرقيين من م (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : المالك .

يدعو^١ سيده دعاء عبادة من [حيث -^٢] كونه عبده ومن حيث
كون^٣ سيده يسمع من دعاء ويحييه .

ولما كان القاسطون أكثر الناس [بل الناس -^٤] كلهم في
ذلك الزمان جناً وإنساً ، قال مينا لآله^٥ يجوز على الأنبياء أن يؤذوا
و ينتقصوا رفعا لدرجاتهم وتسلياً لوراثتهم وإن كانت رتبهم تأبى^٥
ذلك : ﴿ كادوا ﴾ أى قرب القاسطون من الفريقين الجن والإنس
﴿ يكونون عليه ﴾ أى على عبد الله ﴿ لبداء ﴾ أى متراكمين بعضهم
على بعض من شدة ازدحامهم حتى كان ذلك جلبة لهم تعجبا بما رأوا
منه من عبادته وإرادة لرده عن ذلك ، وذلك أمر لا يعجب منه ،
و إنما العجب ما فعلوا^٦ من عبادتهم لغيره سبحانه وتعالى ومن تعجبهم^٦
من عبادة عبده له وإخلاصه في دعائه ، وهو جمع لبد - بكسر اللام .
وقرى بضم اللام جمع لبد بضمها ، وهى [ما -^٧] تلبد بعضه^٧ على بعض .
ولما استشرفت^٨ - على قراءة الكسر - نفس السامع إلى قوله
صلى الله عليه وسلم لمن تراكموا عليه من ذلك ، استأنف^٨ الجواب
بقوله مينا لما يستحيل على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من دعاء^٩
غير الله ومن ترك الدعاء إليه ومن مخالفة شيء من أمره قال ،

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : سيدعو (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : كونه (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : انه (هـ) من ظ و م ،
وفى الأصل : فعلوه (٦) من م ، وفى الأصل و ظ : بعضها (٧) من ظ و م ،
وفى الأصل : استترقت (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : استأنفوا .

أو^١ لما تافت نفسه صلى الله عليه وسلم على قراءة الفتح إلى ما يدفع به
 ما رأى منهم، قال تعالى مرشدا له إلى ذلك: ﴿ قل ﴾ أي لمن ازدحم
 / عليك عادا لهم عداد الجاهلين بما تصنع لأنهم عملوا عمل الجاهل :
 ﴿ انما ادعو ﴾ أي دعاء العبادة ﴿ ربى ﴾ أي الذى أوجدنى وربانى
 ه ولا نعمة عندى إلا منه وحده، لا أدعو غيره حتى تعجبوا منى فتزدحموا
 على^٢، والظاهر المتبادر إلى الفهم أن المعنى: و اوحى إلى^٣ [أى -^٢]
 لما قت [فى الصلاة -^٢] أعبد الله فى بطن نخلة و رآنى الجن الذين
 وجههم إبليس نحو تهامة [و-^٣] سمعوا القرآن ازدحموا على حتى كادوا
 يغشونى ويكون بعضهم على بعض فسمعوا توحيدى لله و تمجيدى له
 ١ و أفراده^٤ بالقدرة و العلم^٥ و جميع صفات الكمال آمنوا، و قيل: هو
 حكاية الجن لقومهم^٥ عن صلاة النبي صلى الله عليه وسلم و فعل
 أصحابه و رآه^٦ فى تراصهم فى صلاتهم و خوفهم به و وعظه و تعليمه
 لهم، و يحكى هذا القول عن ابن عباس رضى الله تعالى عنها و سعيد
 ابن جبير^٧ فإن ذلك هيئة غريبة، يحكى أن ملك الفرس ارسل من دخل
 ١٥ فى^٨ المسلمين لما قصدوا بلادهم فكان مما حكى له عنهم أن قال: إذا

(١) من ظ و م ، وفى الأصل و ه و (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م .
 (٤-٤) من ظ و م ، وفى الأصل: بالعلم و القدرة (ه) من ظ و م ، وفى
 الأصل: نقولهم (٦) من ظ و م ، وفى الأصل: وراهم (٧) زيد فى الأصل :
 أيضا رضى الله ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٨) من ظ و م ، وفى
 الأصل: الى .

صلوا^١ صفوا^٢ انفسهم^٣ صفوفا^٤ يقدمهم رجل يقومون بقيامه و يسجدون
بسجوده و يقعدون بقعوده و يفعلون كفعله ، لا تخالف بينهم ، فلما سمع
الملك ذلك راعه و قال : ما لى و لهؤلاء ، ما لى و لعمر ، و نقل أبو حيان^٥
عن مكحول أنه بلغ من تابع النبی صلى الله عليه و سلم ليلة الجن سبعين
ألفا و فرغوا عند^٦ انشقاق الفجر .

و لما كان الداعى لولى نعمته يمكن أن يكون اشرك غيره فى
دعائه و لو بأدنى وجوه الإشراك ، و يكون الحصر باعتبار الاغلب
فاستحق الإنكار [عليه - °] و الازدحام ، نفى ذلك بقوله تأكيذا
لمعنى الحصر و تحقيقا له : ﴿ و لا اشرك به ﴾ اى الآن و لا
[فى - °] مستقبل الزمان بوجه من الوجوه ﴿ احداً ﴾ من ود ١٠
و سواع و يغوث و غيرها من الصامت و الناطق .

و لما كان السامع ربما قال : ما له هو^١ لا يهلكهم او^٢ يدعو
ربه فى دفع المتلبدين عليه عنه بالإهلاك أو^٣ التوبة و المتابعة ، امره بما
يبين عظمه ربه و أنه لا يفعل إلا ما يريد بقوله مبينا أنه يستحيل عليه^٤
صلى الله عليه و سلم ما^٥ يستحيل على جميع الممكنات من أن يؤثرى ١٥
شئ بنفسه او يخالف ربه : ﴿ قل ﴾ اى لهؤلاء الذين خالفوك ، و اد

(١) من ظ و م وفى الأصل : صليتم (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : نفسكم (م) راجع
البحر المحيط : الاحقاف (٤) من ظ و م والبحر . وفى الأصل : عن (هـ) زيد
من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : مولا (٧) من ظ و م ، وفى الأصل :
« و » (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : فى حقه (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : بما .

فطمان ربما اعتقد - لكثرة ما يرى من الكرامات - انه معها اراده فعله الله
 [له - ١]: (انى لا املك) أى الآن ولا بعد (لكم) بنفسى من غير إقدار^١
 الله لى لاه لا مؤثر^٢ فى شىء^٣ من الاشياء إلا الله سبحانه و تعالى .
 و لما كان المقام لدفع حرمة عنه، قال: (ضرا) فأفهم ذلك
 ٥ «ولا نفعا ولا غيا» (ولا رشدا) أى صوابا وسدادا . فالآية من
 الاحتباك و هو ظاهر على هذا التقدير ، قال ابو حيان^٤: لحذف من
 كل ما يدل^٥ مقابله عليه - انتهى . و يجوز أن يكون تقديره: لا املك
 ضرا لانى لا املك لكم إضللا ولا املك لكم^٦ رشدا فلا املك لكم
 نفعا، فانه لا تقع فى غير الرشاد، ولا ضر فى غير الضلال، فصح الله
 ١٠ ابن عربى الطائى الذى يقول فى فصوصه: إن الضلال أهدى من الهدى،
 فلا أضعف^٧ عقلا منه إلا من تبعه - عليهم^٨ لعنة الله و خزيه^٩، فان
 قالوا: إنه أراد غير ما يفهم من ظاهر اللفظ قل: كذبتهم قد بين
 مراده إطباقكم على الفسق و الفجور لا يكاد يحد منكم من يتم
 بمذهبه و هو يتقيد^{١٠} بشرع، و لم تخرج الآية بهذا عن الاحتباك، فان
 ١٥ ذكر الضر أولا دل على حذف النفع ثانيا، و ذكر الرشد ثانيا دل
 على حذف الضلال أولا .

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل: انذار (٣-٣) من ظ و م ،
 وفى الأصل: لشىء (٤) راجع البحر ٣٥٣/٨ (٥) زيد فى الأصل: على، و لم تكن
 الزيادة فى ظ و م والبحر لحذفنا (٦) سقط من م (٧) من ظ و م، وفى الأصل:
 استخف (٨-٨) فى ظ: رحمة الله ومغفرته (٩) من ظ و م، وفى الأصل: يتقيد .

ولما اجاب من تشوف ' إلى علة صبره عن دفعهم ' عنه بما
 حاصله أنه لا شيء بيده، لأن إلهه من العظمة في إحاطة [العلم - "]
 والقدرة وأنه لا يخرج شيء عن مراده فلا يجعل في شيء بحيث
 لا يفعل إلا ما يريد سواء سئل أو لا، فكان ذلك ربما اوجب أن
 أن يظن منه صلى الله عليه وسلم موافقته لهم لئلا يضروه لأنهم يستعجلون .
 في أدنى من خالفهم، أجاب بما حاصله أنه بين ضررين أحدهما منهم
 إن خالفهم، والآخر منه سبحانه وتعالى إن أعرض عنه وهو سبحانه
 وتعالى يرد أذاهم إن أراد، وهم لا يقدرين على رد أذاه بوجه فقال :
 ﴿ قل ﴾ أى لمن يدعوك إلى موافقتهم، واكد لما في ظن كثير من
 الناس من أن الاسباب لا تتخلف فقال : ﴿ انى ﴾ وزاد في التاكيد ١٠
 لأن ذلك في غاية الاستقرار فى النفوس فقال : ﴿ لن يغيرنى ﴾ أى
 فيدفع عنى ما يدفع الجار عن جاره ﴿ من الله ﴾ أى الذى له الأمر
 كله ولا امر لأحد معه ، ﴿ احدا ﴾ أى كائنا من كان إن أرادنى
 سبحانه بسوء . ولما كان من هو بهذه المثابة ربما * هرب منه المطلوب
 قال مؤكدا : ﴿ ولن اجد ﴾ أى أصلا . ولما كانت كل رتبة دون ١٥
 رتبة ١، وكانت الرتب التى دون رتبته كثيرة جدا لما له من العلو المطلق

(١) من ظ و م ، وفى الاصل : يتشوف (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
 دفعهم (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : منه (٥) من ظ
 و م ، وفى الأصل : بما (٦-٧) سقط ما بين الرهين من لظ و م .

ولغيره [من - ١] مراتب السفل التي لا يحد ، قال مشيراً لذلك بالجارة :
 ﴿ من دونه ﴾ أي الله تعالى ﴿ ملتجداً ١ ﴾ [أي - ١] معدلاً و موضع
 ميل و يركون و مدخلا و ملتجأ و حيلة ، وإن اجتهدت كل الجهد
 لأن اللحد أصله ٢ ايل و لا يقال إلا في ميل من حق إلى باطل .

هـ و الخد : جادل و ماري و ركن .

ولما كان من المعلوم أن هذا شيء لا مشنوية فيه ، و كانت الرتب
 التي دون شريف رتبته سبحانه كثيرة جداً ٢ لما له من العلو المطلق ٢
 و كان ما يليها له حكم شرفها و حقيقتها ٤ ، و كان أول ذلك البلاغ منه
 سبحانه بلا واسطة [ثم البلاغ بواسطة - ١] ملائكته الكرام منه ،
 ١٠ استثنى من " ملتجداً " على طريق [لا - ١] ملجأ و لا منجى منك إلا إليك
 ففروا إلى الله [فقال - ٥] : ﴿ الا بلغا ﴾ أي يبلغني كائناً ﴿ من الله ﴾
 أي الذي أحاط بكل شيء قدرة و علماً ، ولكنه لسعة رحمته يجرى
 الأمور على ما يتعارفونه في أنه لا يأخذ أحداً ١ الا بحجة يعترفون بأنها
 حجة . و لما بين الرتبة الأولى ٢ التي هي أعلى ، اتبعها التي تليها فقال :
 ١٥ ﴿ و رسلته ١ ﴾ التي أوحى إلى [بها - ١] بواسطة الملك فأنى اتلقى
 ذلك حق تلقيه بحفظه و العمل به فيكون ، ذلك عاصماً من كل سوء في
 الدنيا و الآخرة .

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : هو (٣-٣) سقط ما بين
 الرقمين من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : حقيقتها (٥) زيد من ظ .
 (٦) في ظ و م : احد (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : الأول .

ولما كان التقدير لبيان أن الله شرف الرسل بان أعظام عظمة
من عظمته فجعل عصيانهم عصيانه، فيكون^١ جزاء من عصاه هو جزاء من عصاه
سبحانه و تعالى لأنهم إنما يتكلمون بأمره، فمن يطع الله ورسوله فإن له جنة
نعم يكونون فيها مدى الدهر سعداء، عطف عليه قوله: ﴿ ومن يعص الله ﴾
أى الذى له العظمة كلها ﴿ ورسوله ﴾ الذى ختم به النبوة والرسالة ٥
فجعل رسالته محيطة بجميع خلقه فى التوحيد أو^٢ غيره على سبيل الجحد
﴿ فان له ﴾ أى خاصة ﴿ نار جهنم ﴾ أى التى تلقاه بالعبوسة والغيظ،
ولما عبر بالافراد^٣ نظرا إلى لفظ " من " لأنه أصرح فى كل فرد، عبر
بالجمع حملا على معناها^٤ لأنه أدل على عموم الذل فقال: ﴿ تخلص فيها ﴾
وأكد المعنى وحققه لقول من يدعى^٥ الانقطاع فقال: ﴿ ابدأه ﴾ وأما من ١٥
يدعى أنها لا تحرق وأن [عذابها - ^٦] عذوبة فليس^٧ أحد أجن^٨ منه
إلا من يتابعه على ضلاله وغيه ومحاله، وليس لهم دواء إلا السيف فى
الدنيا والعذاب فى الآخرة بما سموه عذوبه وهم صائرون إليه
وموقوفون [عليه - ^٩] .

ولما ذكر تلبدم عليه وقدم ما هو الأهم من أمره من كشف ١٥
غمومهم^{١٠} بأعلامهم أن ذلك الذى أنكروه عليه هو الذى يحق له،

(١) فى ظ و م : حتى يكون (٢) من ظ و م ، وفى الأصل « و » (٣) من ظ
و م ، وفى الأصل : بالافراط (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : معناه (٥) من
ظ و م ، وفى الأصل : يدع (٦) يريد من ظ و م (٧) من ظ و م ، وفى
الأصل : فلا (٨) فى ظ : غمهم .

ومن^١ أنه [مع -^٢] ضعفه عن مقاواتهم هو [عن -^٣] الإعراض
عن الله أضعف لأن الله أقوى من كل شيء وأنه لا يسعه إلا امثال
أمره ، و أشار إلى أنهم عاجزون [عن -^٤] سطواته سبحانه بعدم^٥ القدرة
على الإجارة عليه ، صرح بذلك مهددا لهم ، فقال مغنيا^٦ لتلبدهم عليه :
هـ ﴿ حَتَّىٰ إِذَا رَاوَا ﴾ أى بأبصارهم فيه ﴿ مَا ﴾ أى الشيء الذى . ولما
كان المنكى من الوعيد بروكه على كل من كان لاجله الوعيد لا كونه^٧
من معين قال : ﴿ يوعدون ﴾ أى ما حصل الإبعاد به فى الدنيا أو فى
الآخرة^٨ أما فى الآخرة^٩ فواضح ، وأما فى الدنيا فمثل إخراج النبي صلى الله
عليه وسلم مع اجتماع^{١٠} المشركين على المكر به لقتله واجتهادهم فى
ذلك ثم سراياه وغزواته مثل غزوة بدر وغيرها من أيام الله التى
ملأت الأرض نورا وأهل الحق سرورا وجورا ، وأهل الباطل خسرا
وبورا ورعبا وهلاكا وتورا ﴿ فسيعلمون ﴾ أى من ذلك اليوم
الذى يكون^{١١} فيه تأويله بوعده لاحلف فيه ولا طول لآمده
﴿ من أضعف ناصرا ﴾ أى من جهة^{١٢} الناصر أنا وإن كنت / فى هذا الوقت
١٥ وحيدا مستضعفا أو هم^{١٣} ﴿ وأقل عددا ﴾ وإن كانوا الآن بجيث

/ ٥٥٢

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : مع (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : بعد (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : معنا (٥) زيدى م : من .
(٦) من ظ و م ، وفى الأصل : لكونه (٧ - ٧) سقط ما بين ارقين من ظ .
(٨) من ظ و م ، وفى الأصل : اجتماع (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : لا يكون .
(١٠) من م ، وفى الأصل و ظ : حجة (١١) من ظ و م ، وفى الأصل : هما .

لا يحصيهم عددا الا الله سبحانه. فيا الله ما اعظم كلام الرسل حيث يستضعفون^١ أنفسهم من حيث هي، ويزدرون قوتهم من^٢ جهة مولا^٣م الذي بيده الملك وله^٤ جنود السماوات والارض بخلاف أهل الإلحاد فانه لا كلام لهم إلا في تعظيم أنفسهم وازدراء من سواهم، وإذا حاقت احدا من أتباع أحد منهم قال هذا على لسان النبوة - ونحو هذا من مخادعاتهم^٥.

ولما كان من المعلوم انهم إذا سمعوا هذا الوعيد قالوا استهزاء وعمى عن طريق الصواب واستعلاء: متى يكون عجل به، استأنف قوله جوابا لهم جواب من لا يستخفه عجلة ولا ضجر^٦ لأنه لا يخاف الفتور ولا يلحقه ضرر ببقاء العذر واجتهادهم في أذى أوليائه مبينا ما يجوز على الرسل^{١٠} من أنه يخفى عليهم ما على البشر ويطلمهم الله تعالى على ما يخفى على غيرهم: ﴿ قل ﴾ أي في جوابهم إن كذبوا باتيانهم العذاب وسألوا استهزاء منه عن وقت وقوعه اما كونه فلا بد منه لأنه قد برز^٧ الوعيد [به عن لا يخلف الميعاد، وأما تعيين وقته فقد اخفاه سبحانه لأنه^٨ -] أقعد في التهديد وهو^٩ معنى قوله: ﴿ ان ﴾ أي ما ﴿ ادري ﴾ بوجه من الوجوه^{١٥} وإن عاجلت ذلك وتيسيت فيه، وزاد في تقرير خفائه وأنه لا يزال في حيز ما يسأل عنه بصيغة الاستفهام فقال مقدما ما يخفيهم: ﴿ اقرب ما توعدون ﴾ أي يكون الآن أو قريبا من هذا الاوان بحيث يتوقع عن

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : يصعفون (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : لمن (٣) من م ، وفي الأصل وظ : فقه (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : مخادعتهم . (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : خسر (٦) زيد من ظ و م (٧) من م ، وفي الأصل وظ : هي .

قرب' (ام) بعيد (يحمل له) أى لهذا الوعيد . ولما كان [التأخير -^٢]
ربما أنهم تهاونا بالولى ، قال دافعا^٢ لذلك : ﴿ ربى ﴾ أى المحسن إلى إن
قدمه او آخره (امداه) أى اجلا مضروبا عظيما بكل اعتبار حتى فى
البعد لا يتأتى مع ذلك ان يكون الآن ولا ان يتوقع دون ذلك الابد ،
فهو فى كل حال متوقع فكونوا^١ على غاية الحذر لأنه لا بد من وقوعه
[فوقه -^٥] لا كلام فيه ، وإنما الكلام فى تعيين وقته .

ولما نفى صلى الله عليه وسلم عنه عن نفسه الشريفة ، نفى ذلك عن
غيره على وجه عام بجميع الغيب جال من عظمة مرسله ما تنقطع
دونه الاعتناق فقال واصفا^١ له : ﴿ علم الغيب ﴾ أى كله وهو ما
١٠ لم يبرز إلى عالم الشهادة فهو محتص سبحانه بعله ، [فلذلك -^٢] سبب عنه
قوله : ﴿ فلا يظهر ﴾ أى بوجه من الوجوه فى وقت من الاوقات
﴿ على غيب ﴾ [أى -^١] الذى غيبه عن غيره فهو محتص به ﴿ احدا لا ﴾
لعزة علم الغيب ولأنه خاصة الملك . ولما كان لا يعلم الغيب إلا ببروزه
إلى عالم الشهادة ، وكان لاول من يطلع عليه شرف ينبغي أن يعرف
١٥ له قال : ﴿ الا من ارتضى ﴾ أى عمل الله تعالى فى كونه^١ رضى
عمل من يعتمد ذلك ويحتجده فيه ، وبين « من » بقوله : ﴿ من رسول ﴾
أى من الملائكة و^٨ من الناس فانه يظهر عليه ذلك المرتضى الموصوف

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : قريب (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : رافعا (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : يكونوا (٥) زيد من م .
(٦) من ظ و م ، وفى الأصل : وصفا (٧) زيدت الواو فى الأصل و ظ ،
ولم تكن فى م فحذفناها (٨) من ظ و م ، وفى الأصل . او م

لا كل مرتضى بأن يظهره على ما شاء منه لأن الغيب جنس لا تحقق له إلا في ضمن أفراده ، فإذا ظهر فرد منه قد ظهر فيه الجنس لظهور حصة منه ، وتارة يكون^١ ذلك الرسول ملكا ، وتارة يكون بشرا يكلمه الله بغير واسطة كوسى عليه الصلاة والسلام في أيام المناجاة ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج في العالم الأعلى في حضرة قاب قوسين أو أدنى ، وإذا ظهر^٥ عليه الرسول خرج عن كونه غيبا ، وأوصله الرسول إلى من أذن له في إيصاله^٢ له تارة بالوحي للأنبيا وتارة بالنفث والإلهام للأولياء ، وذلك عند تهيب نفوسهم بسكون قواها عن منازعة العقل بالشهوات والحظوظ كما يكون للنفوس عامة حين سكون القوى^٣ عن المنازعة بالنوم فتكون منهية للنفث فيها ، [فن-٤] أعرض عن جانب الحس وأقبل على جناب^٥ ١٠ القدس فقد هيا نفسه لنفث^٦ الملك في ورعه بعلم ما لم يكن يعلم^٧ وليس أحد من الناس إلا وقد علم من نفسه أنه إذا أقبل على شيء بكليته حدث له فيه أمور חדسية إلهامية بغتة من غير سابقة فكر وطلب ، و^٨ على قدر التهيئة^٩ يكون النفث من قبل الله سبحانه وتعالى ، وربما كان النفث شيطانيا بما تلقته الشياطين من الاستراقات^{١٠} من الملائكة إما من ١٥

- (١) من ظ وم ، وفي الأصل : ليكون (٢) من م ، وفي الأصل وظ : إرسائه .
 (٣) من م ، وفي الأصل وظ : النفوس (٤) زيد من ظ وم (٥) من م ،
 وفي الأصل وظ : جانب (٦) من ظ وم ، وفي الأصل : للنفث (٧) زيد في
 الأصل وظ : ما لم يعلم ، ولم تكن الزيادة في م لحذفناها (٨) زيد في الأصل :
 قد ، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفناها (٩) في ظ : التهيئة (١٠) من ظ وم .
 وفي الأصل : الاستراقات .

الارض بعد نزولهم او من السماء بالاستراق فيها - والله أعلم ، ويجوز
 أن يكون للأولية مشافهة [من الملك - ١] كما كان لمريم عليها السلام
 من الملائكة ، وقال جبريل عليه الصلاة والسلام عن بعضهم أنه
 وسلم رد عليه : وثما دل هذا السياق على عزة علم الغيبة [روحه ٢]
 كانت عزته سببا للحراسة من يطلع عليه ليؤديه إلى من أمر به [كما أمر
 به - ٢] ، أعلم سبحانه وتعالى بذلك بقوله مؤكدا " تميزاله من علم
 الكهان " الذي أصله من الجان " دالا على إجلال الرسل وإعظامهم
 وتبجيلهم وإكرامهم : (فانه) أى الله سبحانه وتعالى يظهر ذلك الرسول
 على ما يريد من الغيب ، وذلك أنه [إذا - ٢] أراد إظهاره عليه
 ١٠ (يسلك) أى يدخل إدخال السلك فى الجوهرة فى تقومه ونقوده
 من غير أدنى تعرج إلى غير المراد . ولما كان الغرض يحصل بمن يقيمة
 سبحانه من جنوده للحراسة ولو أنه واحد من كل جهة بل وبغير ذلك ،
 وإنما جعل هذا الإخراج للأمر على ما يتعارفه العباد ، عبر بالجار دليلا
 على عدم استغراق الرصد للجهات إلى منقطع الارض مثلا فقال :
 ١٥ (من بين يديه) أى الجهة التى يعملها ذلك الرسول (ومن خلفه)
 أى الجهة التى تغيب عن علمه ، فصار ذلك كفاية عن كل جهة ، ويمكن

(١) زيد من م (٢) زيد من ظ و م (٣) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن
 فى ظ و م لحذفها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : السكاهة (٥) من ظ و م ،
 وفى الأصل : الجفان (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : الوصل .

٥٥٤ /

أن يكون ذكر الجهتين دلالة^١ على السكل و خصهما لأن العدو متى اعريت واحدة منهما^٢ أتى منها^٣، ومتى حفظت لم يأت من غيرهما /، لأنه يصير بين الأولين والآخرين (رصدًا) أي حرسًا من جنوده يحرسونه ويحفظونه بحفظ ما معه من الغيب من اختطاف الشياطين أو غيرهم لئلا يسترقوا شيئًا من خبره - قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وقال مقاتل^٤ ٥ وغيره رضي الله عنهما: يخبرونه^٥ بمن أنكره بأن يحذروه منه إن كان شيطانًا أو يأمره بالسماع منه إن كان ملكًا، وذلك أن إبليس [كان - ٥] يأتي الأنبياء [في صورة جبريل عليه السلام - ٦] ولكن الله عصمهم منه^٦ .

ولما كان هذا الدأب من الحفظ في [كل - ٦] رسول بين الغاية ١٠ جامعًا تعيينًا لما اقتضاه الجنس، وبيانًا لأن الأفراد أولا مراد به الجمع، وأنه ما عبر به إلا لتشمل الحراسة كل فرد^٧ منهم فقال: (ليعلم) أي الله علما كائنا واقعا على هذه الصفة التي تعلق^٨ بها [عليه - ٦] في الازل قبل وجودها بما لا يعلمه إلا هو سبحانه أنها ستكون (ان) أي إن الرسل عليهم الصلاة والسلام (قد ابلغوا) أي إلى من أرسلوا إليه ١٥

(١) من ظ وم، وفي الأصل: دالا (٢-٢) من م، وفي الأصل: أتى منها، وسقط ما بين الرقين من ظ (٣) راجع معالم التنزيل ١٣٦/٧ (٤) من ظ وم، وفي الأصل: يخبره (٥) زيد من ظ (٦) زيد من ظ وم (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ وم (٨) من ظ وم، وفي الأصل: جامعة (٩) زيد في م: فرد (١٠) من م، وفي الأصل و ظ: يتعلق .

(رسلت ربهـم) أى الذى أوجدـم ودبر جميع أمورهم واختارهم
 لرسالاته^١ على ما^٢ هى عليه^٣ لم يشبها شائبة ولا لحقها غير . ولما كان هذا
 ربما أوم أنه محتاج فى الحفظ [إلى الرصد^٤] أزال ذلك [بقوله^٥ -] :
 (واحاط) أى فعل ذلك والحال أنه قد أحاط (بما لديهم) أى الرسل
 والمرسل إليهم من الملائكة والبشر على أدق الوجوه وأعظمها وأغربها
 بما أشار إليه التعبير بلدى . ولما كان هذا كافيا فى المقصود، لكنه
 قاصر على محل الحاجة عم تعريفا بالامر على ما هو عليه، فقال حاملا
 على شدة الوثوق بما تقوله الرسل عن ربهـم وأنه لا لبس فيه ولا غائلة
 بوجه، مينا غاية البيان كذب حديث الغرائق الذى ذكره بعض المفسرين
 ١٠ وغيرهم فى سورة والنجم: (واحصى) أى الله سبحانه وتعالى (كل شئ) (كل شئ)
 أى على العموم من غير استثناء أصلا (عدداً) أى من جهة العدد
 لكل ما يمكن عدده ولو على أقل مقادير^٦ الذر فيما لم يزل وفيما
 لا يزال، فهو دليل قاطع على علمه تعالى بالجزئيات كعلمه بالكليات،
 وقد التقى أول السورة وآخرها وباطنها الغيبي وظاهرها، فدل آخرها
 ١٥ على الأول المجمل، وأولها على الآخر المفصل، وذلك أن أول السورة
 بين عظمة الوحى بسبب الجن، ثم بين فى أثنائها حفظه من مسترق السمع،
 وختم بتأكيد حفظه وحفظ جميع كلماته واستمر فى تأكيد أمره

(١) من م، وفى الأصل وظ : رسالته (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ .
 (٣) زيد من ظ وم (٤) من م، وفى الأصل وظ : من كل (٥) من ظ
 وم، وفى الأصل : تقدير تقادير (٦ - ٦) من ظ، وفى الأصل : جمع،
 وفى م : حفظ .

حتى بانث عظمة هذا القرآن، [و ظهرت عزة هذا الفرقان -^١]، على كل كتاب، بكل اعتبار و حساب، فافتح المزمّل بمثل ذلك و ختمها بالامر بقراءة ما تيسر منه، و ذكر في المدرّ طعن الطاعن فيه و ما ناله بسبب ذلك الطعن من الخزي و العذاب في الدنيا و الآخرة مع ضمان الحفظ منه، ثم نهى نبيه صلى الله عليه و سلم / في سورة القيامة عن العجلة في أمره ثلاثا ٥ / ٥٥٥
 يختل حفظه، أوزيغ أدنى زيغ لفظه، [و-^٢] تشريعا لآمته في ترك الاستعجال، فانه ليس من دأب الرجال، ثم أكد أمر تنزيهه في الإنسان، و بين أن علة الإعراض عنه حب العاجلة التي هي عين نقصان، و ختم المرسلات بنهاية ما تخيلت الأوهام و الظنون، فقال « فبأى حديث بعده يؤمنون » فسيحان^٣ من نظمه هذا^٤ النظام، و جعله أقصى المراء و غاية المرام، ١٠
 « و صلى الله على من لا نبي بعده على الدوام ».



(١) زيد من م (٢) زيد من ظ م (٣) زيد في الأصل : اله، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤) من ظ و م، وفي الأصل : على (ه-ه) سقط ما بين الرتين من ظ و م.

خاتمة الطبع

لقد تم - و الحمد لله - طبع الجزء العشرين من تفسير " نظم الدرر
فى تناسب الآيات و السور " للشيخ العلامة برهان الدين أبى الحسن
إبراهيم بن عمر البقاعى الشافعى رحمه الله تعالى يوم الاثنين ٢٩ / رمضان
المبارك سنة ١٤٠٣ هـ = ١١ / يوليو سنة ١٩٨٣ م ، تحت إشراف مدير
الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد - قاضى
المحكمة العليا سابقا - بارك الله جهوده ، و ضاعف له أجوره .

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخى الفاضل
محمد عمران الاعظمى الأنصارى العمرى (أفضل العلماء - جامعة مدراس)
و قام بقراءة ملازمة مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضى محمد عطاء الله
النقشبندى القادرى (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله .
و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادما للعلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة -

كان الله له و لوالديه .

و يليه الجزء الحادى و العشرون باذن الله و مشيئته مستهلا

بسورة المزمل .

و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه
و يرضاه ، و هو المسئول لحسن الخاتمة ، و نصلى و نسلم على من علم فوائحه
الحخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و على آله و صحبه اجمعين ، و آخر
دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المستمسك بحبل الله المتين

المفتى محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية